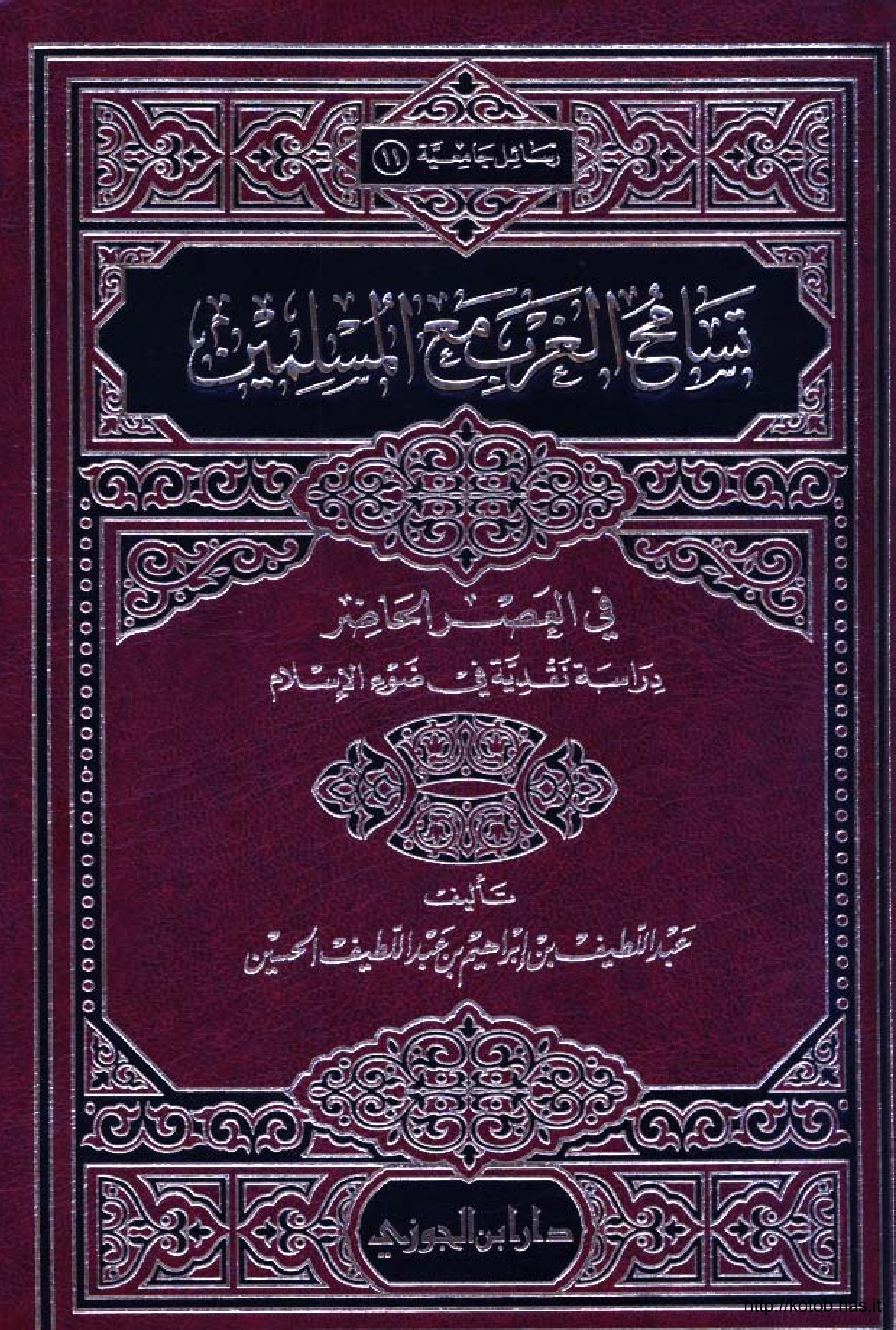
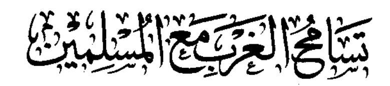

رسائل جامعية (١١)
تسامح الغرب مع المسلمين
في العصر الحاضر
دراسة نقدية في ضوء الإسلام
تأليف
عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين
دار ابن الجوزي
http://kotob.has.it


تسامح الغرب مع المسلمين

ح دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسين، عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف

تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر.ـ الدمام.

٤٨٧ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨ ـ ٠٧ ـ ٧٦٧ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الإسلام والغرب ٢ ـ التسامح ٣ ـ الفكر الغربي

أ ـ العنوان.

ديوي ٢١٤,٩٤ ١٩/١٤٩٦

رقم الإيداع: ١٩/١٤٩٦

ردمك: ٨ ـ ٠٧ ـ ٧٦٧ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الدمام ـ شارع ابن خلدون ـ ت: ٨٤٢٨١٤٦ ـ ٨٤٦٧٥٨٩ ـ ٨٤٦٧٥٩٣

ص ب: ٢٩٨٢ ـ الرمز البريدي: ٣١٤٦١ ـ فاكس: ٨٤١٢١٠٠

الإحساء ـ الهفوف ـ شارع الجامعة ـ ت: ٥٨٨٣١٢٢

جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩

الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

رسائل جامعيّة
(١١)

تسامح الغرب مع المسلمين

في العصر الحاضر

دراسة نقديّة في ضوء الإسلام

تأليف
عبد اللطيف بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين

دار ابن الجوزي



أصل هذا الكتاب

أطروحة ماجستير قدمت لقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة في الرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

ونوقشت من لجنة المناقشة المكونة من:

فضيلة الدكتور: عبد الله بن إبراهيم الطريقي مشرفاً.

فضيلة الدكتور: أحمد بن عبد العزيز الحليبي عضواً.

فضيلة الدكتور: ناصر بن عبد الرحمن اليحيىٰ عضواً.

ونالت بتوفيق الله درجة الامتياز، وذلك يوم الأربعاء بتاريخ ١٧/ ١١/ ١٤١٧هـ الموافق ٢٦/ ٣/ ١٩٩٧م.

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أَنَّ مُحمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وعلى آلِهِ وصحبِه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فَلِكلِّ أُمَّةٍ عَقيدَتُها وَثَقَافَتُهَا وَمَفَاهِيمُهَا، التي تنطلِقُ منها في التعاملِ والتعايشِ مع الآخرين، وتتميزُ الأمةُ الإسلاميةُ بثقافَتِها الإسلامية في أمورِها كلها، والتي تُحَصِّنُ المُسْلِمَ من شَتَّى التياراتِ والشبهاتِ والدعاوى، التي تَسْتَهدِفُ دِينَهُ وثَقافَتَهُ وحَيَاتَهُ؛ سواءٌ أكانت تلكَ الأفكارُ من داخلِ الأمةِ أمْ من خارِجِها..

فإنَّ الأمةَ الإسلاميةَ أمامَ شكلٍ جديدٍ لدورةِ العصرِ الحضاريةِ الراهنة،

---

(١) [سورة آل عمران: الآية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: الآية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١].

لا يُمكنُ الابتعادُ عنها أوْ تجاهُلُهَا؛ فقد برزت على الساحةِ العالميةِ المعاصرةِ دولٌ كثيرةٌ ومنظماتٌ عديدةٌ، تُنادي بمبادئَ ترفعها بين الْفَيْنَةِ والْفَيْنَةِ، منها: الإخاءُ، والمساواةُ، والتَّسَامُح.. وغيرُها من الشعاراتِ التي تُؤدي في الغالبِ إلى دعمِ الاتجاهِ الماديِّ والحضارةِ الماديةِ.

ولقد رفعت القُوَى الغربيةُ (الاستعماريةُ) مُنْذُ بَدْءِ تدخُّلِها في العالمِ الإسلامِي شعارَ التَّسَامُح بين أممِ الأرضِ كافةً على اختلافِ مشارِبِها وعقائِدِها وأهدافِها، مع احتفاظِ كلِّ ذِي دينٍ بدينه شريطةَ أنْ يكونَ ديناً كهنوتياً!!

والإسلامُ وإن كان ملةً سمحةً، وسَمَاحَتُهُ لا تختص بحالة دون حالة، وإنما تشمل جميع مجالات الحياة كلها.

وعلى أساسٍ من هذا التغايرِ، وذلك التباينِ في معنى التَّسَامُح الصحيحِ الذي جاء به الإسلام، والمعنى الذي يترددُ كثيراً على ألسنةِ الغربيين والمخالفِ للتصورِ الإسلامِي في عَلاَقَةِ المسلمين بغيرِهم، ولما أحدث "تَسَامُحُ الغرب مع المسلمين" لَبْساً في المفاهيم؛ فقد استعملَه بعضُ أبناءِ المسلمين غيرَ مدركينَ لِمَا تَنْطَوي عليه من فلسفةٍ علمانيةٍ لا تتناسبُ مع المفاهيم الإسلامية، فينسبون إلى الإسلامِ ما ليس منه، ويستغل الماكرون من أعداءِ الدينِ هذا الفهمَ الخاطئَ كَيْ يُلْبِسُوا علينا دينَنَا.

فانطلاقاً من ذلك، وسعياً لتحريرِ المفاهيم وبيان الصوابِ، فقد رأيتُ من واجبي وأنا في بَدْءِ طريقي العلمي أنْ أقومَ بدراسةٍ تُسْهِمُ في هذا المجال، هي دراسة لقضية معاصرة مهمة هي:

(تَسَامُحِ الغَرْبِ مَعَ المسْلِمِين في العَصْرِ الحَاضِرِ)

وذلك وفقاً للطريقةِ العلميةِ الموضوعيةِ، لبيان الحقِّ وإزالةِ اللبسِ بسببِ اختلاطِ المفاهيمِ أو سوءِ استعمالِها.

وتكمنُ أهميةُ الثقافةِ الإسلاميةِ في مواجهة مثلِ هذهِ القضايا الوافدةِ، وكشفِ مخاطرها التي يتستر الأعداء وراءها، لعلي بذلك أُسْهِمُ في دَحْضِ شُبُهاتِ بعضِ الغربيين التي تُثَارُ حولَ تَسامُحِ الغَرْبِ وَتَعَصُّبِ المسلمين.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ ـ إنَّ لكل أمة مفاهيمَها التي تقوم على نظرتها للإنسان والكون والحياة، ومصادرها التي تستقي منها هذه النظرة. والأمة الإسلامية على وجه الخصوص أمة متميزة بالدين الحقِّ، لذا فكل مفاهيمِها مرتبطةٌ به ومحددةٌ في ضوئه.

٢ ـ إنَّ لقاء الأمة الإسلامية مع الأمة الغربية وما نشأ عنه من صِلاتٍ فكرية وعلمية واقتصادية وسياسية؛ أدى إلى نقل كثير من المفاهيم دونَ تحريرٍ لها من التصور الغربي، مما أحدث اختلاطاً يُلْحَظُ أثرُهُ في العطاء الفكري على الساحة الإسلامية.

٣ ـ إنَّ معنى التَّسَامُح قد اختلط على كثير من المسلمين فلم يعد يُمَيَّز بين التَّسَامُح والولاء. مع أنه أمر ضروري يترتب عليه الوعيُ بالعَلاقة وطريقة التعامل وما يتعلق به.

٤ ـ إنَّ بعض الكتاب المسلمين كتبوا حولَ موضوع التَّسَامُح؛ مدافعين عن الإسلام فوقعوا فيما يأتي:

أ ـ نسبوا إلى الإسلام ما ليس منه.

ب ـ وصفوا بعضَ المبادئ الإسلامية الصحيحة التي أقرتها النصوصُ الشرعيةُ، بأنها ظالمةٌ وأنها التعصبُ بعينه، مثل: وصفهم الجهاد بأنه عدوانية وغير ذلك.

٥ ـ إنَّ الأعداء استغلوا مفهوم التَّسَامُح عند بعض المتأخرين، واستغلالُ الأعداءِ لهذا الاضطرابِ في نَشْرِ دعوةٍ من أخطرِ الدعواتِ الهدامةِ في العالمِ الإسلامِي.

ثانياً: الدراسات السابقة:

١ ـ لم يدرس هذا الموضوع دراسة نقدية في ضوء الإسلام فإن غالب الدراسات التي تناولت هذا الموضوع قليلة ـ في حدود علمي ـ وقد اتسمت بما يأتي:

أ - التناولِ الجزئي لمعنى التَّسَامُح في الإسلامِ في بعضِ الدراسات.

ب - التركيز على النصرانية فقط في مجال التسامح في الغرب.

ج - عدمِ تناولِها لتسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر.

٢ - لم يتم تناول هذا الموضوع في أطروحةٍ علميةٍ في صلب الموضوع من قبل الأقسام المتخصصة في جامعات المملكة العربية السعودية، فإنه بعد مراجعة دليل الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه في المملكة؛ بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض لعام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م، وكذلك القائمة المبرمجة بالحاسب الآلي لديه حتى عام ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م؛ لم أجد عنواناً البتة يتناول هذا الموضوع.

وأورد نبذة عن أبرز الكتاباتِ التي تناولت أجزاءً من الموضوع:

١ - التعصبُ والتَّسَامُح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله -:

اهتم المؤلف بعقدِ المقارنات بين الإسلام والمسيحية في مجال التَّسَامُح، وقام بكشف تعصب النصارى عبر التاريخ.. وبَيَّنَ أن ما يوجد في الأناجيل لم يكن له أثر يذكر في واقع النصارى، وناقش شبهات النصارى ورد مفترياتهم.

٢ - سماحة الإسلام للدكتور أحمد الحوفي:

قام المؤلف بعرض سماحة الإسلام بوجه عام وتعريف بالدين الإسلامي، وكشف بعض شبهات المستشرقين والرد عليها.

٣ - الموسوعة في سماحة الإسلام للشيخ محمد الصادق عرجون - رحمه الله -:

عرض المؤلف في مجلدين ضخمين، المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي والأصول العامة، ومما تطرقَ إليه: نظام الحكم في الإسلام وأثره في تطبيق سماحة الإسلام: في العقيدة، وفي التعبد، وفي الترابط

الاجتماعي، وفي النصيحة في الإسلام، واختتم كتابَه بمبحث: حق وإنصاف شهادة صدق ممن لا يتهم بتعصب للإسلام.

٤ ـ صور من سماحة الإسلام للدكتور عبد العزيز الربيعة:

تناول المؤلف يسر الإسلام وسماحته في مجال تشريع الأحكام من خلال عرض بعض الأحكام والقضايا التي برزت فيها سماحة الإسلام بوجه عام.

٥ ـ تسامح الإسلام وتعصب خصومه للدكتور شوقي أبو خليل[1]:

قام المؤلف بمناقشة المستشرقين وتفنيد شبهاتهم المتكررة على رأس كل جيل، وأبدع في بيان التَّسَامُح في الإسلام نظريا وعمليا، ثم قارن بمعاملة النصارى لغيرهم من الأمم، وقد غلب على الكتاب الإيجاز.

٦ ـ العدل والتَّسَامُح الإسلامي للأستاذ أحمد المخزنجي:

غلب على الكتاب الأسلوب الوصفي والعرض التاريخي الموجز من خلال بيان مقومات المجتمع الإسلامي ووضع غير المسلمين فيه، والتَّسَامُح الإسلامي في عهد الرسول ﷺ، ودستور الإسلام في معاملة غير المسلمين، ثم عرض لغير المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين.

٧ ـ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرةً للدكتور عبد العظيم المطعني:

عرض الكاتب بشكل وصفي سماحة الإسلام، ومشروعية القتال وضوابطه في الإسلام.

٨ ـ سماحة الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة للشيخ سليم الهلالي:

تكلم المؤلف عن دعوة الإسلام إلى السماحة من خلال القرآن

---

(١) صدرت الطبعة الأولى في ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، منشورات مؤسسة مي للطباعة والتوزيع، ثم طبع الكتاب نفسه بعنوان آخر: (التَّسَامُح في الإسلام) في ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار الفكر المعاصر في بيروت، ودار الفكر في دمشق.

والسنة، وحذر من اختلاط المفاهيم الشرعية، كالخلط بين الولاء والتَّسَامُح، وهو كتاب صغير.

٩ ـ التَّسَامُح في الإسلام للشيخ الحسيني يوسف الشيخ:

عرض فيه المؤلف سماحة الإسلام من خلال تقرير مبدأ التَّسَامُح والعفو والصفح، وهو كتاب صغير أصله محاضرة ألقاها في جامعة أم درمان الإسلامية في السوادن.

١٠ ـ رسالة في التَّسَامُح لجون لوك[١]، ترجمة: الدكتور عبد الرحمن بدوي:

ويعد جون لوك في مقدمة زعماء الدعوة إلى التَّسَامُح في عصره؛ حيث قد ألف رسالته في سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٨٩م) وصف فيها عصره الذي عاشه (ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري الموافق السابع عشر الميلادي)، وأوضح الصراعات التي وقعت بين الطوائف النصرانية (الكاثوليك والبروتستانت)، ونفوذ رجال الدين، وهو يدعو إلى: الفصل بين الدولة والكنيسة، فالتَّسَامُح عَلاقة مميزة للكنيسة الحقة، وعدم التَّسَامُح يتنافى مع الفضائل المسيحية كالمحبة..، وينبغي على المسيحيين[٢] أن يجاهدوا أنفسهم ضد أخطائهم هم قبل أن يضطهدوا سائر الناس..، ويُعد هذا المرجع من المراجع المهمة في الموضوع.

١١ ـ التَّسَامُح بين شرق وغرب (دراسات في التعايش والقبول) لمجموعة من الباحثين، ترجمة: إبراهيم العريس:

جهد مشترك لباحث عربي ومجموعة من الباحثين الغربيين، عرضوا فيه التَّسَامُح في اللغة العربية، والتَّسَامُح بصفته مثالاً أخلاقياً، وفي الحرية، وفي المسؤولية الفكرية ومنابع عدم التَّسَامُح، وقد غلب عليهم الجانب الفلسفي بالمنظور الغربي، وهو مرجع مهم.

---

(١) جون لوك (John Locke): فيلسوف إنجليزي مشهور (١٠٩١ ـ ١١٦٣هـ الموافق ١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م). انظر: المنجد في الأعلام، ص٤٩٨.

(٢) أوردت المسيحيين على لسانه، وكذا ما سيأتي على لسان الغربيين.

وحيث إن الموضوع يتناول دراسة عن تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر ـ دراسة نقدية في ضوء الإسلام ـ، فقد سافرت إلى الخارج[١] للحصول على بعض المصادر والمراجع، وقمت بمراسلة جهات عديدة كالمنظمات الدولية[٢]، والمراكز والجمعيات الإسلامية بالغرب[٣]، وطلبتُ بعض المجلات والصحف العربية[٤] التي تخدم بحثي، وزرتُ بعض المكتبات العلمية بالداخل[٥].

---

(١) سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وزرت مكتبة الكونجرس في واشنطن، وخصوصاً قسم دراسات الشرق الأدنى، وأفدت منهم حيث حصلت على قائمات بعناوين مهمة، وصورت مجموعة من الموضوعات ذات الصلة بالبحث، كما زرت المعهد العالمي للفكر الإسلامي في فرجينيا، والتقيت بعض الأساتذة الكرام أذكر منهم: سعادة الدكتور/ محي الدين عطية، والدكتور بشير موسى نافع، وأفدت من مكتبتهم، وصورت بعض المقالات وقد زودوني «ندوة التعددية الحزبية والطائفية في العالم العربي ١٩٩٣م» ـ، كما زرت معهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا ـ التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأفدت من مكتبة المعهد ـ شكر الله للجميع على ما قدموا تجاهي. كما لا يفوتني في هذا المقام أن أزجي رفيع الشكر والعرفان إلى سعادة الدكتور/ أحمد عثمان ـ المشرف الأكاديمي بالملحقية التعليمية السعودية في واشنطن سابقاً ـ والمشرف الأكاديمي بالمكتب التعليمي التابع لدولة الإمارات العربية المتحدة حالياً؛ على حسن حفاوته بي ومساعدته إياي في التعرف على بعض الجهات العلمية في أمريكا. فجزاه الله كل خير.

(٢) أمثال: منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في فرنسا، وأرسلوا إليّ وثيقة مهمة بعنوان: (سنة التَّسَامُح ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، وأشكرهم على تعاونهم، وزرتهم في دولة قطر، كما أرسلت إلى منظمة العفو الدولية في لندن.

(٣) أمثال: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فرع مالطا، وقد أفادني كثيراً الأستاذ، محمد السعدي ـ إمام المركز الإسلامي بمالطا ـ حيث تفضل بإرسال بعض مطبوعات الجمعية مثل: ندوة الحوار الإسلامي المسيحي؛ التي عقدتها الجمعية بالتعاون مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان ـ وهي ذات صلة وثيقة بموضوع البحث ـ فجزاه الله خيراً.

(٤) قمت بالسفر إلى دول الخليج للحصول على بعض المصادر والمراجع، وزرت جريدة الوطن الكويتية في ٥/٤/١٤١٦هـ الموافق ٢١/٨/١٩٩٥م، وأفادوني بالاطلاع على أرشيفهم وتصوير بعض المقالات، فأشكرهم على تعاونهم.

(٥) أقدم الشكر الجزيل إلى جميع العاملين في المؤسسات التعليمية والعلمية في المملكة وهم: =

ولقد شاورتُ بعض الأساتذة الفضلاء، فشجعني أكثرُهُم على الكتابة في هذا البحث، واستخرتُ المولى عز وجل فشرح صدري للكتابة في هذا البحث وأعانني فلهُ الحمدُ أولاً وآخراً.

ثالثاً: خطة البحث:

إن البحث يتكون من مقدمة ثم باب تمهيدي وبابين وخاتمة:

المقدمة وتشتمل على:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: الدراسات السابقة.

ثالثاً: خطة البحث.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: أبرز الصعوبات التي واجهتني.

سادساً: أهم النتائج.

سابعاً: شكر وتقدير.

الباب التمهيدي: التَّسَامُح في الإسلام:

وفيه **مدخل**: تحديد مصطلحات البحث، ثم فصلان هما:

الفصل الأول: ضوابط التَّسَامُح وخصائصه:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ضوابط التَّسَامُح.

المبحث الثاني: خصائص التَّسَامُح.

الفصل الثاني: نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم:

= مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومكتبة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، والمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ مكتب الرياض ـ، ومكتبة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران، ومكتبتي جامعة الملك فيصل بالأحساء والدمام، واللجنة الثقافية المنظمة للندوات الثقافية بالحرس الوطني في مِهْرَجان الجنادرية (الإسلام والغرب) لعامي ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، و ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في الاعتقاد والعبادة.

المبحث الثاني: في المعاملات.

المبحث الثالث: في المسؤولية والجزاء.

الباب الأول: أسس التَّسامُح في الغرب وأهدافه ونقدها.

وفيه **مقدمة تمهيدية:** موقفنا من كتابات الغربيين الدينية.

ثم فصلان هما:

الفصل الأول: أسس التَّسَامُح في الغرب ونقدها:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأساس العقدي ونقده.

المبحث الثاني: الأساس القيمي (الخلقي) ونقده.

المبحث الثالث: الأساس العملي (التطبيقي) ونقده.

الفصل الثاني: أهداف التَّسَامُح في الغرب ونقدها:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الأهداف الدينية ونقدها.

المبحث الثاني: الأهداف الثقافية ونقدها.

المبحث الثالث: الأهداف الاجتماعية ونقدها.

المبحث الرابع: الأهداف السياسية ونقدها.

المبحث الخامس: الأهداف الاقتصادية ونقدها.

الباب الثاني: مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها وآثاره على المسلمين.

وفيه **مقدمة تمهيدية:** عداء الغرب للإسلام وأهله منذ فجر الدعوة الإسلامية، ثم فصلان هما:

الفصل الأول: مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التَّسَامُح في العلاقات الفردية ونقدها.

المبحث الثاني: التَّسَامُح في العلاقات الدولية ونقدها.

المبحث الثالث: التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية ونقدها.

المبحث الرابع: التسامح في العلاقات عند المنظمات ونقدها.

الفصل الثاني: آثار التَّسَامُح على المسلمين:

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الثقافية.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.

المبحث الرابع: الآثار السياسية.

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية.

الخاتمة: وفيها أُجمل بإيجاز شديد أهم النتائج التي انتهيت إليها.

قائمة المحتويات:

١ ـ قائمة الآيات القرآنية.

٢ ـ قائمة الأحاديث النبوية.

٣ ـ قائمة الأعلام.

٤ ـ قائمة المصطلحات العلمية المعرف بها.

٥ ـ قائمة المصادر والمراجع.

٦ ـ خاتمة البحث باللغة الإنجليزية.

٧ ـ قائمة الموضوعات.

رابعاً: منهج البحث:

لقد حرصت في كتابتي لهذا البحث على تحرير مفهوم التَّسَامُح في الإسلام، ومن ثم دراسة تَسَامُح الغرب مع المسلمين، وبيان حقيقته، وإزالة ما يحيط به من لبس؛ من خلال دراسة أسسه، وأهدافه، ومجالاته، وآثاره على المسلمين، دراسة موضوعية اعتمدت فيها على الآتي:

أ ـ المنهج الاستقرائي في تتبع الأدلة الشرعية المتعلقة بالموضوع؛ لبيان المنهج الإسلامي الصحيح في التَّسَامُح مع غير المسلمين بوجه عام وأهل الكتاب بوجه خاص.

ب ـ المنهج الوصفي في بيان حقيقة التَّسَامُح عند الغرب من خلال بعض مصادرهم ومراجعهم.

ج ـ المنهج النقدي، وقد أخذ جانباً مهماً في تحليل أسس تسامح الغرب وأهدافه ومجالاته، ومن ثم بيان آثارها على المسلمين، وتقويمها.

أَمَّا في تحرير وصياغة هذا البحث فيمكن إجمال جوانب المنهج في النقاط الآتية:

١ ـ حاولت استيعاب البحث وجمع أطرافه بالرجوع إلى المصادر الشرعية والفكرية، والاستفادة منها في توضيح قضاياه، وتوثيق ما يقتضيه من آراء وأفكار.

٢ ـ حرصت جاهداً على عرض البحث في عبارة سهلة وواضحة ومترابطة.

٣ ـ عزوت النصوص الورادة إلى مظانها، فإن كانت آيات كريمة فإلى مكانها من القرآن الكريم وفق الرسم العثماني ووضعتها بين قوسين كبيرين ﴿ ﴾، وفي الحاشية بين معقوفتين صغيرتين [ ] أذكر اسم السورة ورقم الآية، وإن كانت أحاديث فإلى مصادرها من كتب الحديث ووضعتها بين قوسين (( ))، وقد حرصت على الاقتصار على الأحاديث الصحيحة لاسيما من البخاري ومسلم، حيث أجمعت الأمة على قبول ما فيهما.

٤ ـ توثيق النقول وقد سلكت الآتي:

أ ـ فإن كانت منقولة بنصها أضعها بين علامتي النقل ” “. وإن كنتُ تصرفتُ في النص فأكتبُ ـ بعد ذكر الكتاب والصفحة بين قوسين ـ (بتصرف). وإن كانت مجرد أفكار فأكتب عبارة (انظر). وعند تكرار النقل من مرجع واحد ولم يفصل بين النقلين حاشية أخرى أوثق النص بقولي: المرجع السابق.

ب ـ عند الإحالة إلى الحاشية أصدرها باسم الكتاب ثم المؤلف ثم

الجزء والصفحة، وإن كان الكتاب يحتوي على أكثر من جزء أضعه بين قوسين ( ) فاصلاً بين الجزء والصفحة بإشارة/ ، وأما إذا كان العزو من بحث أو ندوة أو مؤتمر في كتاب؛ فأضع عنوانه بين قوسين صغيرين « » ثم أذكر اسم الكتاب والصفحة، وكذلك الشأن بالنسبة للمجلات والصحف.

٥ ـ قمت بكتابة التاريخ الهجري أولاً ثم الميلادي، وبتحويل التاريخ الميلادي إلى الهجري أو العكس، حرصاً على أن يجد القارئ بُغيته من معرفة التاريخين.

٦ ـ ترجمت لمن وجدت من الأعلام المعاصرين الغربيين(١) (من غير المسلمين) الوارد ذكرهم في البحث في القرنين (الثالث عشر والرابع عشر الهجريين تقريباً) الموافق (التاسع عشر والعشرين الميلادي).

٧ ـ وضعت قوائم للآيات الواردة في البحث، والأحاديث، والأعلام، والمصطلحات العلمية المعرف بها، تسهيلاً على القارئ في الحصول على المعلومة التي يريدها.

٨ ـ وضعت ملحقاً يشمل نشرة خاصة عن: سَنَة الأمم المتحدة للتسامح ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م (اليونسكو)، وقراراتها المتعلقة بموضوع الرسالة. وقمت بترجمة خاتمة البحث إلى اللغة الإنجليزية في آخر البحث.

خامساً: الصعوبات التي واجهتني:

١ ـ جِدَّةُ الموضوعِ وقلةُ المصادرِ المفردةِ فيه، حتى لا تكاد تجد كتاباً يبحث في تَسَامُح الغَرب ـ في حدود علم الباحث ـ.

٢ ـ غيابُ العُمق الفكري والمفهوم العلمي لأصول هذا الشعار،

---

(١) اقتصاري على ترجمة الأعلام الغربيين ـ من غير المسلمين ـ لأن موضوع الدراسة هو تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر ـ رغبة مني في أن يتعرف القارئ على تراجم المعاصرين الذين لهم صلة مباشرة بفترة الدراسة، ولم أحبذ أن أثقل الحواشي بكثرة التراجم.

وخصوصاً مع كَثْرةِ تَرْدِيدِهِ في المؤتمرات والندوات والمقالات، مع التناقضِ الشديدِ فيما يقال ويعمل من خلال الدعوة إلى التَّسَامُح.

سادساً: أهم النتائج:

أُجمل بإيجازٍ شديد أهم النتائج وفق الآتي:

١ ـ إن الإسلام دين التَّسَامُح الذي لا شَكَّ فيه ولا مُوارَبَة.

٢ ـ إن التَّسَامُح في الغرب هي دعوى فكرية تخفي وراءها أهدافاً عديدة عقدية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية. ولا بُدَّ من أن ينبري لها من يكشف تلك الشعارات البراقة.

٣ ـ إن هناك توجها من بعض المنصفين الغربيين إلى ضرورة الإفادة من قيم الإسلام والتَّسَامُح في عقد صلات وثيقة مع العالم الإسلامي على مستوى الأفراد والدول، والطوائف والهيئات الدولية.

٤ ـ إن الاتصال الحضاري والتقارب الثقافي والفكري من خلال دعوى تسامح الغرب قد ترك على المسلمين آثاراً عديدة سواء في المجالات الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية.

٥ ـ إن الإسلام يرحب بالتَّسَامُح ويدعو إليه من خلال الإحسانِ والبر والقسط، ولا يتنافى هذا مع النصوص الشرعية في النهي عن موالاة غير المسلمين.

٦ ـ إن الاعتزاز بهذا الدين والتمسك بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الإسلامية والفهم المتوازن لمجريات الأمور، ولا سيما في العصر الحاضر، لهو مطلب ضروري ومسؤولية كبرى في صد الدعاوى المشبوهة والتيارات الوافدة.

وأخيراً ينبغي أن نبذل جهداً فكرياً حقيقياً في فهم الغرب والكتابة عنه، فيا للأسف الشديد أن المسلمين لا يزالون بعيدون عن هذا الأمر المهم، ولا ننسى أن بعض المفكرين الغربيين ذوو عقل متفتح يُريد أَنْ يسمعَ ويقرأَ من المسلمين ولو كان ذلك من باب النقد لهم.

سابعاً: شكر وتقدير:

أَحْمَدُ اللَّهَ الوَلِيَّ الحَمِيدَ أولاً وآخراً على توفيقي في إتمامِ هذا البحث.

ثم أتقدمُ بالشكرِ الجزيلِ، إلى كلِ من أعانني في عملي بأي شيء من الأشياء.

وأخصُّ بالشكرِ شيخي الفاضل الشيخ الدكتور عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي؛ الذي كان له الأثر المباشر في إنجاز هذا البحث وإخراجه، فقد لمست منه إرشادَ المعلم وعطفَ الوالد وحرصَ المصلح وأدبَ المربي، فأسألُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَهُ عني خيرَ الجزاء، وأَنْ يُبَارِكَ في عُمُرِهِ وعِلمِهِ وعَمَلِهِ.

ولصاحبي الفضيلة المناقشين الكريمين: الشيخ الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحليبي، والشيخ الدكتور ناصر بن عبد الرحمن اليحيى، أقدم الشكر على ما أمضياه من وقتٍ، وبذلا من جَهْدٍ في سبيلِ قراءةِ هذا البحثِ وتقويمِهِ وتسدِيدِه.

كما أشكر أستاذي الفاضل الشيخ عمر بن عبد الله بن عودة الخطيب الذي غمرني بفضله ودفعني قدماً بتشجيعه.

كما لا يفوتني أَنْ أتقدَّمَ بوافر الشكر لجامعة الإمام محمد بن سُعُود الإسلامية، ولكلية الشريعة بالرياض ولا سيما قِسْم الثقافة الإسلامية رئيساً وأعضاء.

وأتقدم بالشكر إلى جميع منسوبي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، وأخص فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهيبي - العميد السابق للكلية -.

وإلى أخي الأكبر المهندس أحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف الحسين الذي كان له الدور البالغ في توجيهي ورعايتي.

وإلى أهلي الكرام وأبنائي الصغار على تعاونهم الطيب وصبرهم الجميل.

وأشكرُ كُلَّ من أسدى إلي النصيحة[1]، وأسأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرَ الجَزَاء.

وفي ختام هذه المقدمة، أعترفُ بأَنَّ هذه الكتابة هي أَوَّلُ الدرج في درب الأبحاث العلمية، وحسبي أَنِّي بَذَلْتُ الجُهْدَ ولَمْ أَدَّخِرْ وِسْعاً في فَهْمِ ثُمَّ إِتْقَانِ ما بحثتُ وكتبتُ. فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

واللَّهَ أَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَني الإخلاصَ في السرِّ والعلانِيَةِ، وأَنْ يَغْفِر زَلاَّتِي، وَأَنْ يُوَفِّقَني لِمَا يُحِبُّهُ ويرضاهُ، وأَنْ يَغفر لوالدي. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو المنذر
العنوان البريدي ص. ب: ٩١١
الرمز البريدي ٣١٩٨٢
الأحساء ـ الهفوف ـ المملكة العربية السعودية.

---

(١) أخص بالشكر الشيخ الفاضل: علي آل نسيب، على قراءته أصل رسالة الماجستير ـ قبل النشر ـ وتزويدي بملحوظاته القيمة ـ فجزاه الله كل خير ـ.

الباب التمهيدي

التَّسَامُح في الإسلام

مــدخــــل : تحديد مصطلحات البحث.

الفصل الأول: ضوابط التَّسَامُح في الإسلام وخصائصه.

الفصل الثاني: نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم.

مدخل:
تحديد مصطلحات البحث

إن فهم مصطلحات البحث التي يستعملها الباحث أمر في غاية الأهمية، ولا سيما المصطلحات التي تكون فيها وجهات النظر قابلة للتباين في الألفاظ الحديثة، مما يتيح للباحث توضيح ما يستعمله من ألفاظ يبنى عليها كثيراً من مسائل البحث وموضوعاته. ومن أهم ما أوضحه هو عنوان هذا البحث: تَسَامُح الغَرْبِ مَعَ المُسْلِمِين في العَصْرِ الحَاضِر.

أولاً: تَسَامُح:

أ ـ في اللغة:

"(سَمَحَ) السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة"[1].

ويطلق التَّسَامُح ويراد به معنيان:

الأول: بمعنى الجود والكرم:

قال ابن منظور "والسَّمَاحُ والسَّمَاحَةُ: الجُودُ. سَمُحَ سَمَاحَةً وسُمُوحَة وسَمَاحاً: جاد؛ ورجلٌ سَمْحٌ وامرأةٌ سَمْحَة من رجال ونساء سِمَاح وسُمَحَاء..، ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَحٌ ومِسْمَاحٌ؛ أي: سَمْح؛ ورجال مَسَامِيحُ ونساء مَسَامِيحُ.. والإِسْمَاح: لغة في السَّمَاح؛ يقال: سَمَحَ وأَسْمَحَ إِذَا جاد وأعطى عن كرم وسخاء.."[2].

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، باب السين والميم وما يثلثهما، مادة (سمح) (٣/ ٩٩).

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (سمح) (٦/ ٣٥٥).

والثاني: بمعنى التَّسَاهُل:

"المُسَامَحَةُ: المُسَاهلة. وتَسَامَحُوا: تَسَاهَلُوا، وسَمَحَ وتَسَمَّحَ: فعل شيئاً فسهل فيه؛ أنشد ثعلب:

وَلَكِنْ إِذَا مَا جَلَّ خَطْبٌ فَسَامَحَتْ   بِهِ النَّفْسُ يَوْماً كَانَ لِلكُرْهِ أَذْهَبا"[1]

ـ ولم يرد فعل (سَمَحَ) ومشتقاته في القرآن الكريم، ولكن وردت كلمات تعطي المعنى ذاته؛ مثل: الصفح والقسط..

ـ وأما الأحاديث عن النبي ﷺ في السَّمَاحَةِ فهي كثيرة، من ذلك:

قوله ﷺ: ((**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرى وَإِذَا اقْتَضَى**»[2]. وقوله ﷺ: «**إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَة**))[3]. وقوله ﷺ: ((**أَحَبُّ الدِينِ إلى الله الحنيفِيَّةِ السَّمْحَة**))[4]. أي ليس فيها ضيق ولا شدة. وروي: ((**السَّمَاحُ رَبَاحُ والعُسْرُ شُؤمٌ**))[5]. أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها.

ـ وقد أحسن الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ في تعريف السَّمَاحَة

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (سمح) (٦/ ٣٥٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب (٦١) السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًّا فليطلبه في عفاف، حديث رقم ٢٠٧٦، فتح الباري (٤/ ٣٠٦).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١١٦، ٢٣٣) قال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن. فتح الباري (١/ ٩٤).

(٤) رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان معلقاً، باب (٢٩) الدين يسر وقول النبي ﷺ: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة. فتح الباري (١/ ٩٣)، ورواه أيضاً في الأدب المفرد بلفظ: سئل النبي ﷺ أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ قال: الحنيفية السمحة. الحديث رقم ٢٨٨، ص١٠٩.

(٥) رواه القضاعي عن ابن عمر في مسند الشهاب (١/ ٤٨)، والديلمي أيضاً في مسند الفردوس، ص٤٩٣، وضعفه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في ضعيف الجامع (٢/ ٢٣٩). وهو على ضعفه فإن معناه صحيح. قال المحدث الشيخ إسماعيل العجلوني: «والأحاديث كثيرة في السَمَاح منها: اسمح يسمح الله لك». كشف الخفاء (١/ ٤٥٦).

بأنها: "سهولة المعاملة في اعتدال، فهي وسط بين التضييق والتساهل، وهي راجعة إلى معنى الاعتدال والعدل والتوسط. ـ أو هي عبارة عن ـ السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنى كونها محمودة أنها لا تُفضي إلى ضر أو فساد"[1].

ـ ويعرف الشيخ أحمد شاه الدهلوي ـ رحمه الله ـ السَّمَاحَة بأنها: "من أصول الأخلاق التي تتهذب بها النفس، وتتخلص بها عن إحاطة الخطيئة.. وعليها بناء التعاون"[2].

ـ ويقولون: شريعة سَمْحَاء والصواب: شريعة سَمْحَة، (فَعْلاء) هي مؤنث (أَفْعَل) فمؤنث السَّمْح سَمْحَة وليس سَمْحَاء، ومن معاني السَّمْحَة؛ الملة السَّمْحَةُ: الملة التي ليس فيها تضييقٌ ولا شِدَّةٌ[3].

ب ـ في الاصطلاح:

ـ والتَّسَامُح بمعنييه ـ كما مر معنا ـ مشروع في معاملة الناس كلهم، لكن الذي يهمني هنا؛ هو المعنى الثاني. وهو جائز في معاملة غير المسلمين، ولكنه ليس كالتَّسَامُح مع المسلم قطعاً[4].

ـ جاء معنى التَّسَامُح عند مجمع اللغة العربية بأنه: "سعة صدر تفسح للآخرين أن يُعَبِّرُوا عن آرائهم ولو لَمْ تكن موضوعَ تسليمٍ أَوْ قَبولٍ، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين"[5].

وجاء معناه في الموسوعة الفلسفية العربية بأنه: "سلوك شخص يتحمل دون اعتراض أي هجوم على حقوقه في الوقت الذي يمكنه فيه تجنب هذه الإساءة"[6].

---

(١) مقاصد الشريعة، ص٦٠ ـ ٦١.
(٢) حجة الله البالغة للدهلوي، ضبطه ووضع حواشيه: محمد سالم هاشم (٢/ ٢٠٣).
(٣) انظر: معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني، ص١٢١.
(٤) انظر: الثقافة والعالم الآخر د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، ص٥٧.
(٥) المعجم الفلسفي إعداد: مجمع اللغة العربية بمصر، ص٤٤.
(٦) الموسوعة الفلسفية العربية (معهد الإنماء العربي) مادة (تسامح) (١/ ٢٥٣).

- ويعرف الأستاذ المودودي - رحمه الله - التَّسَامُح مع غير المسلمين بقوله: "أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم على كونها باطلة في نظرنا، ولا نظن فيهم بما يؤلمهم[1] رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ إلى وسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم مما يقومون به من الأعمال"[2].

- ويرى الدكتور عبد الله الطريقي أنه: "يعني التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف، سواء في ذلك التعامل في الخطاب، أو في مطلق التصرف"[3].

- ويقول الدكتور محمد فاروق النبهان أنه: "يعني التساكن والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر"[4].

ج - المانعون لمصطلح التَّسَامُح:

وهناك آخرون من المفكرين والكتاب لا يرون استعمال مصطلح التَّسَامُح، فمن هؤلاء:

- الدكتور محمد سعيد البوطي حيث يقول: "إنه من الخطأ بمكان أن توصف الأحكام التي تنظم علاقة المسلمين بالكتابيين في أي حال من الأحوال بالتَّسَامُح. وإن نعت أحكام أهل الذمة بالتَّسَامُح لا ينصف الإسلام..، و(التَّسَامُح) إنما هي كلمة درجت على ألسنة طائفة من الكتاب والباحثين في هذا العصر"[5].

---

(١) لعل العبارة فيها إيهام، وينبغي التفريق بين تصورنا لباطلهم واستياؤنا منه والتصريح بذلك لهم إذا لم تكن حاجة لذلك.

(٢) الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص٣٩ - ٤٠.

(٣) الثقافة والعالم الآخر، ص٥٨.

(٤) «مفهوم التسامح في إطار الرؤية الإسلامية» المنهل، العدد ٥١٨، مجلد ٥٦ (ربيع أول ١٤١٥هـ - أغسطس ١٩٩٤م)، ص٢٢.

(٥) الجهاد في الإسلام، ص١٤٤.

ـ ويرى الأستاذ فهمي هويدي بأنه: "قد يكون مفهوماً ومقبولاً أن يذكر تسامح المسلمين إذا كنا نتحدث عن التاريخ في مقام المقارنة بتعصب الآخرين..، ولكن عندما نكون بصدد عرض علمي وجاد لموقف الإسلام من الآخرين، فإنه لا يبقى ثمة مكان لمثل هذا الوصف؛ بل يصبح استخدامه بمثابة إقلال من قيمة الموقف الإسلامي الصحيح، ونيل من المكانة التي أعلى الله سبحانه بها الإنسان..، كما أن لافِتَةَ التَّسَامُح لم يعد مقبولاً استخدامها في القاموس المعاصر"[1].

د ـ مناقشة التعريفات السابقة:

بالنظر فيما مضى يتضح لنا أن هناك اتجاهين في استعمال كلمة التَّسَامُح:

فالأول: يقبلها ولا يرى في ذلك بأساً في حدود ما قررته الشريعة الإسلامية.

والآخر: لا يقبلها البتة بحجة أنها حديثة درجت على ألسنة طائفة من الكتاب والباحثين المعاصرين. والذي أراه أن كلمة التَّسَامُح، وإن كانت لفظة حديثة لم ترد في الكتاب والسنة ـ كما أوضحت ـ، ولم يستعملها السلف على أنها مصطلح من مصطلحاتهم[2]، كاستعمالات المعاصرين، إلا أنها صحيحة من ناحية الاشتقاق اللغوي، والتَّسَامُح مشروع في معاملة الناس كلهم، ولكن ليس كالتَّسَامُح مع المسلم.

وعليه؛ فيمكن لي أن أعرف التَّسَامُح مع الآخرين: بأنه قيمة تهدف إلى معاملة الآخرين بالرحمة والإحسان والعدل والحكمة وفق الضوابط الشرعية.

---

(١) «هم أصحاب حق.. ولسنا أصحاب فضل» مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٦٩ (جمادى أول ١٤٠١هـ ـ إبريل ١٩٨١م)، ص٣٩.

(٢) في حدود علمي واطلاعي وسؤالي لأهل الاختصاص.

هـ - التَّسَامُح (Tolerance) في الثقافة الغربية.

١ - في اللغة الإنجليزية:

بالرجوع إلى قاموس المورد؛ نجد الترجمة العربية "لكلمة Tolerance تسامح. وفعلها Tolerate يتسامح. وصفتها Tolerant متسامح؛ قادر على الاحتمال. وToleration معناها: سياسية التَّسَامُح الديني"[(١)].

"واللفظة من اللاتينية Tolerantia، تعني لغويا: التساهل، وعند علماء اللاهوت: الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين"[(٢)].

ويذكر بعضهم بأن كلمة التَّسَامُح في الفكر الغربي: Toleration مشتقة في الأصل من الجذر اللاتيني Tolerte الذي يعني التحمل أو المعاناة أو التعايش مع شيء لا يحب في الحقيقة، أو يمكن أن يعتبر لا أخلاقيا؛ بل وربما شرّاً بصورة من الصور[(٣)].

٢ - الفلاسفة والمفكرون:

- يذكر الفيلسوف فولتير Voltaire (١٠٩١ - ١١٧٥هـ/ ١٦٩٤ - ١٧٧٨م) في تعريف التَّسَامُح: "إنه نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية إننا جميعاً من نتاج الضعف، كلنا هشون وميالون للخطأ. لذا دعونا نسامح بعضنا البعض ونتسامح بشكل متبادل. وذلكم هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة. المبدأ لحقوق الإنسان كافة"[(٤)].

- وعرفه جان ليساي[(٥)] بأنه: "القبول بوجود الشيء المخالف، ويبدو

---

(١) قاموس المورد «إنجليزي عربي» لمنير البعلبكي حرف (t)، ص٩٧٥.

(٢) المعجم الفلسفي د. جميل صليبا (١/ ٢٧١)، والموسوعة الفلسفية العربية (١/ ٢٥٣).

(٣) انظر: المرجعين السابقين، والتسامح بين شرق وغرب لسمير الخليل وآخرين، ترجمة: إبراهيم العريس، ص٦ - ٧، ٢٨ - ٢٩. و «التسامح تجاه الأقليات كضرورة للنهضة» لعبد الملك سالمان ندوة: (التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي بأمريكا ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، ص٣.

(٤) التسامح بين شرق وغرب، ص٧٦.

(٥) جان ليساي: كاتب فرنسي معاصر متخصص في الثورة الأمريكية، التي أدت إلى استقلال المستعمرات الأمريكية عن بريطانيا ١١٨٥هـ - ١٧٧٦م. انظر: رسالة =

أن التَّسَامُح فكرة جديدة في القرن (الثاني عشر الهجري) الثامن عشر (الميلادي)''[1].

ـ وعرفه ثوماس مايكل[2]: ''القدرة على قبول الآخرين، والثقة بهم، والتعايش معهم.. وتجاوز الخلافات وبناء الوفاق والانسجام في علاقاتنا على المستويين الشخصي والاجتماعي''[3].

ـ وعرفه الكاتب اللبناني أنطون الجميل بأنه: ''التساهل من السهل ضد الوعر أوْ الصعب. وهو الملاينة من اللين ضد الصلابة. وهو المياسرة من اليسر ضد العسر. وهو التَّسَامُح من السماحة، وهو الهوادة والرفق والأناة.. أو بعبارة أخرى؛ التَّسَامُح: هو تلك الفضيلة الاجتماعية التي تجعلنا نحتمل عقائد الغير وآراءهم''[4].

ـ وعرفه الكاتب اللبناني أنطوان نصري: ''بأنه قيمة؛ أي جملة أفعال سلوكية وتنظيمات مؤسسية لازمة للتعايش بين الطوائف ولتنظيم التضامن''[5].

٣ ـ في بعض دوائر المعارف الغربية العالمية:

جاء معنى التَّسَامُح في (Collier's Encyclopedia): ''بأنه قيمة رفيعة ننطلق منه في التعامل مع الآخرين، لذا فهو أمر صعب ومبدأ حقيقي، ونحن نتسامح بمن يشاركنا في اللغة والثقافة والمجموعة العرقية، فهذه

= اليونسكو، السنة الخامسة والأربعون (١٤١٣هـ) يونيو ١٩٩٢م، ص١٠، والموسوعة العربية الميسرة (١/ ٥٨٣).

(١) «فولتير المقاتل ضد الاستبداد» رسالة اليونسكو (المرجع السابق)، ص١٠.

(٢) ثوماس مايكل: عضو المجلس البابوي للحوار بين الأديان في المكتب الإسلامي. انظر: ندوة الحوار الإسلامي المسيحي، ص١.

(٣) «التسامح: منظور مسيحي.. التعايش بين الأديان: الواقع والآفاق» المرجع السابق.

(٤) التسامح، لسالمان، ص٤.

(٥) «الحق في التباين» (التسامح الثقافي، ضمن أبحاث المؤتمر الإقليمي الأول للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية)، ص١٧.

الأسس هي التي تقوم عليها العلاقات البشرية خلال العصور. . ، لكن هناك حقيقة مهمة وهي لا بُدَّ من التلاقي مع المخالف بأي شكل، سواء كان الاختلاف معه خَلْقِياً أم ثقافياً أم سياسياً. . ''[١].

وجاء في دائرة المعارف العالمية (The World Book Encyclopedia) تعريف التَّسَامُح في القانون: ''بأنه إعطاء الناس الحق في أن يعتقدوا أي دين يختارون''[٢].

٤ ـ في منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو):

أوردت منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في نشرة خاصة لها تعريفات عديدة للتَّسَامُح من ذلك: ''احترام الآخرين وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها. . والتَّسَامُح هو تقدير التنوع الثقافي، وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى بدافع الاطلاع وعدم رفض ما هو غير معروف. . ''[٣].

٥ ـ مناقشة التعريفات:

يمكن أن يربط بين تعريفات التَّسَامُح لدى الغربيين: بأنه فكرة فلسفية وقيمة أخلاقية واجتماعية وتنوع ثقافي يدعو إلى التحرر وفق منظور القانون.

وقد سبق إيضاح معنى التَّسَامُح في لغة العرب وفي الاصطلاح، وبناء عليه يظهر ضعف قول سمير الخليل[٤]: ''بأن التَّسَامُح الذي يعتبر سمة عامة في الفكر الغربي منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر، وفكرة معاصرة في زمننا هذا؛ يبدو في المقام غائباً عن اللغة العربية، وبالتالي غائباً

---

(١) (22/352), see: Encyclopedia Americana (26/824).

(٢) (vol. (T) (19/249-250).

(٣) الجزء ٢ من رسالتنا «١٩٩٥م سنة الأمم المتحدة للتسامح» نشرة خاصة عن اليونسكو باللغة العربية والإنجليزية (١٤١٥هـ).

(٤) سمير الخليل: أب يسوعي، متخصص في التاريخ العربي المسيحي القديم. انظر: العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٣٩.

غياباً طبيعياً عن أنماط التفكير كافة والتي تعمل عبر هذه اللغة"[1].

ولا بأس من إيراد كلام للدكتور جابر عصفور في تأكيده لمصطلح التَّسَامُح: "إن المجاز اللغوي للترجمة العربية (سمح) يؤكد الدلالة الأصلية، ويرتبط بمعاني العطاء والرحابة والقبول والصفح ولين الجانب والتَّسَامُح. ومن ثم حق المغايرة، وتدور دلالته حول تقبل وجود الآخر المخالف، ومن ثم مجادلته بالتي هي أحسن"[2].

وأقصد بالتَّسَامُح في هذا البحث: هو ذلك الشعار المرفوع من قبل الغرب تجاه الأمة الإسلامية، بحجة توطيد العلاقات بين الأفراد والمجتمعات في ظل التعايش الأخوي والمحبة والتفاهم وغير ذلك، فلا بد من دراسة شعار التَّسَامُح من كل جوانبه في ضوء الإسلام.

ثانياً: الغَرْب:

أ ـ في اللغة:

"الغَرْبُ والْمَغْرِبُ: بمعنى واحد. قال ابن سيده: الغَرْبُ خلاف الشرق، وهو المغرب. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾[3] أحد المغربين أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف، والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء، والغرب حد كل شيء"[4].

ب ـ في الاصطلاح:

يُطلق الغَرْبُ على البلاد الواقعة تجاه الغرب كبلاد الفرنج[5]، وهي ما

---

(١) التسامح بين شرق وغرب، ص٥.

(٢) جريدة الحياة، بتاريخ (٨/ ١/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٧/ ٦/ ١٩٩٣م) نقلا عن: التسامح، سالمان ـ ص٤.

(٣) [سورة الرحمن: الآية ١٧].

(٤) لسان العرب مادة (غرب) (١٠/ ٣١ ـ ٣٤).

(٥) هم نصارى أوروبا.

تقابل بلاد الشرق أي بلاد الترك والعرب[1].

"والغرب اصطلاح حديث، اصطلح عليه الأوروبيون في عصور الاستعمار؛ من تقسيم العالم إلى شرق وغرب، ويعنون بالغرب أنفسهم، ويعنون بالشرق أهل آسيا وأفريقيا، الذين كانوا موضع استعبادهم واستغلالهم..

والكلمة وإن كانت حديثة ـ اصطلاحاً واستعمالاً ـ فهي قديمة في مفهومها ودلالتها. فقد كان في العالم من زمن قديم قوتان تتصارعان وتتنازعان السيادة، إحداهما في الشرق، والأخرى في الغرب. تمثل ذلك الصراع بين الفرس والروم، ثم الصراع بين المسلمين والروم، ثم الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم الصراع بين العثمانيين والأوربيين، مداً وجزراً ثم كان آخر فصول هذه الملحمة ـ التي نشهدها ـ الصلات بين الشرق ممثلا في آسيا وأفريقيا، وبين الغرب ممثلا في أوروبا وأمريكا"[2].

وهي صلات متنوعة ومتداخلة يصعب فصل إحداها عن الأخرى:

بعضها عقدي، وبعضها ثقافي، وبعضها اجتماعي، وبعضها سياسي، وبعضها اقتصادي.

وهناك من يصطلح على ذكر الشمال والجنوب بدلاً من الغرب والشرق.

ج ـ مناقشة التعريف:

هناك حقيقة مهمة ينبغي أن نعيها جيداً، وهي أن الأمر لم يعد جهات متقابلة شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً، ولكنه أضحى مدلولاً ومصطلحاً يعني ما يحمله رجال الدين والمنظرون والساسة والمفكرون والإعلاميون

---

(١) انظر: المعجم الوسيط مادة (غرب) (٢/ ٦٤٧)، ودائرة معارف القرن (الرابع عشر الهجري) العشرين الميلادي لمحمد فريد وجدي (٧/ ٥١).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين، ص٧ (بتصرف).

الموجهون للرأي العام في تلك الدول من عقيدة وثقافة وفكر وقيم وعادات وتقاليد، وأصبح هذا الغرب الفكري والثقافي مواجهاً ـ مناقضاً ـ للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: العصر الحاضر:

أ ـ العصر في اللغة:

"العَصْرُ والعِصْر والعُصْر والعُصُر: الدهر. قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[1]"[2]. "والدهر: هو كل مدة ممتدة غير محدودة تحتوي على أمم تنقرض بانقراضهم"[3]. فالعصر يطلق على الزمان.

ب ـ المعنى الاصطلاحي للحَاضِر:

المراد بالعصر الحَاضِرِ في موضوع البحث، قرن من الزمان تبدأ تقريباً من عام (١٣١٧هـ الموافق ١٩٠٠م) إلى اليوم. وقد التزمتُ في ذكر الأحداث والوقائع ألا تخرج عن هذه الفترة بقدر الإمكان، وإن خرجت عن ذلك فلفائدة معينة.

ولئن خصصت هذه الدراسة: (**تَسَامُحِ الغَرْبِ مَعَ المُسْلِمِين فِي العَصْرِ الحَاضِرِ**) في القرن الرابع عشر الهجري (من مطلع القرن العشرين)، فذلك لأن الغرب قد خطط للهيمنة على المسلمين قبل ذلك، ولكن برفعه لشعار التَّسَامُح في تلك الفترة، بشكل بارز ومغلف؛ وظاهر وباطن، وهذا الذي ما أقوم ببيانه خلال الدراسة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) [سورة العصر: الآيتان ١ ـ ٢].

(٢) لسان العرب مادة (عصر) (٩/ ٢٣٦).

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الزبيدي، باب الراء فصل العين مادة (عصر) (٣/ ٤٠٤).

الفصل الأول

ضوابط التَّسَامُح في الإسلام وخصائصه

إن الإسلام هو دين الله الحق، الذي لا حق غيره، وهو شامل لكل ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]. وقد هيأ الله لهذه الشريعة أن تكون خاتمة الرسالات والشرائع الدينية بما حباها من يسر وسماحة في مقاصدها العامة التي يجب تحقيقها في جميع مجالات التشريع الإسلامي.

فالإسلام ملة سمحة، وهذا ما نطالعه في كل ما اشتمل عليه من أحكام فإنه يسر كله وخير كله، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾[2].

وسماحة الإسلام لا تختص بحالة دون حالة، وإنما تشمل جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية في معاملة أفراد المجتمع بعضهم بعضاً، أو في معاملة غير المسلمين، في حالتي السلم والحرب.

فالإسلام عقيدة التَّسَامُح ولكنه ليس عقيدة التميع. وهو نظام جاد، وإن كان هذا الجد لا يُنَافي التَّسَامُح مع أصحاب العقائد المخالفة له.

فالتَّسَامُح في الحقيقة ثمرة جليلة لطائفة من القيم الخلقية الكريمة التي

---

(١) [سورة المائدة: الآية ٣].

(٢) [سورة الإسراء: الآية ٩].

دعا إليها الإسلام كالصبر والحلم والعفو عند المقدرة والبِرِّ ولو كان مع المخالفين.

فقد حفل القرآن الكريم في مواضع متعددة بدعوة المسلمين إلى التَّسَامُح وكذلك الشأن في السنة المطهرة، فلم يمنعا المسلمين من البرِّ بغير المسلمين ما دَامُوا في سِلْم معهم (صلح أو هدنة مؤقتة)، والبرُّ يشمل حسن الصلة والمعاملة بالحسنى والدعوة بالحكمة، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

يقول الشيخ عمر الخطيب: "ولذلك فلا موطن في نفوس المسلمين لما يسمى بالحقد الديني لأن المبدأ الذي يحدد العَلاقة بين جماعة المسلمين وبين مخالفيهم هو الذي يطلق عليه ـ بصفة عامة ـ اسم التَّسَامُح وقد تكون هذه التسمية أقل من الحقيقة إذ نلاحظ أن الشعوب التي لا تعتنق الإسلام، وإنما تخضع سلمياً لتشريعه ودولته لا تتمتع بمبدأ التَّسَامح فحسب؛ بل إن الإسلام يأخذ على عاتقه أن يوفر لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين[2]"[3].

وينبغي ملاحظة أن كلمة التَّسَامُح ربما استعملت في غير معناها الصحيح في التعبير عن منهجية الإسلام في التعامل مع الوقائع والمستجدات والمواقف. "فلا تسامح في المواقف التي تصطدم مع العقيدة الإسلامية، ولا تسامح فيما يسيء لوحدة المسلمين وأمنهم، لأن التَّسَامُح قد يفيد معنى التفريط..، فتَسَامُح التفريط تسامح مذموم، أما التَّسَامُح الذي يقره الإسلام فهو ذلك التَّسَامُح الذي يتمثل في احترام حق الآخر في ممارسة حقوقه

---

(١) [سورة الممتحنة: الآية ٨].

(٢) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للإمام الكاساني (٧/ ١٠٠)، وأحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د. عبد الكريم زيدان، ص٧٠.

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٧٧ (بتصرف يسير).

الإنسانية من حرية عقيدة وحرية رأي وحرية تعبير"[1].

ولا بد من بيان ضوابط ذلكم التَّسَامُح في الإسلام وخصائصه مع غير المسلمين - ولو بإيجاز - فدونكها في هذه المباحث:

(١) مجلة المنهل عدد ٥١٨، مرجع سابق، ص٢٢.

المبحث الأول
ضوابط التَّسَامُح

التَّسَامُح كالحرية والمساواة وغيرهما من المصطلحات التي تتردد على ألسنة الدعاة، وبين سطور الكتاب والمؤلفين، وهي مصطلحات ذات مضامين فضفاضة، وربما كانت غامضة أحياناً!

فقد يستعملها بعض أبناء المسلمين غير مدركين لمفهومها وضوابطها، فيقعون في المحاذير الشرعية بأن ينسبوا إلى الإسلام ما ليس منه، أو يستعملها الأعداء مستغلين الفرص في نشر دعوة من أخطر الدعوات الهدامة في العالم الإسلامي.

إن الذين يحاولون إماعة الإسلام باسم التَّسَامُح أو التقريب بين الأديان، أو التعايش السلمي[(١)] يخطئون في فهمهم للدين الإسلامي، وفهمهم لمعنى التَّسامُح الذي يقره الإسلام، لأن التَّسَامُح الذي أقره الإسلام ضمن حدود معينة مع غير المسلمين، ينبغي أن لا يكون على حساب إضعاف تميز المسلم في تصوره الاعتقادي، ونظامه الاجتماعي[(٢)].

وفي المطالب الآتية أبين ـ بإيجاز ـ أهم ضوابط التَّسَامُح مع غير المسلمين:

المطلب الأول: مراعاة جانب الولاء والعداء.

المطلب الثاني: إقامة العدل.

المطلب الثالث: الحكمة في الدعوة والمعاملة.

---

(١) التعايش السلمي: التعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والثقافية.
انظر: القاموس السياسي لأحمد عطية الله، ص٣٨٣.

(٢) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢/ ٩١٢).

المطلب الأول

مراعاة جانب الولاء والعداء

الفرع الأول: تعريف الولاء والعداء في اللغة:

أولاً: الولاء:

الولي: هو الناصر وهو من أسماء الله تعالى.

والولي أيضاً: الصديق والنصير والتابع المحب، وهو ضد العدو.

والموالاة: ضد المعاداة. قال تعالى: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾(١). وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾(٢).

والموالاة: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلاناً: إذا أَحبه(٣).

ومن هذا نستنتج أن الموالاة تعني: المحبة والنصرة والمتابعة.

ثانياً: العداء:

العِداء بكسر العين، يقال عاداهُ مُعاداة وعِدَاء، والاسم العَداوة.

وتعادى القوم: عادى بعضهم بعضاً. والعدو: ضد الصديق، وضد الولي(٤).

فالمعاداة: هي التباغض والاختلاف والتباعد، وهو ضد الموالاة.

---

(١) [سورة مريم: الآية ٤٥].

(٢) [سورة البقرة: الآية ٢٥٧].

(٣) انظر: لسان العرب مادة (ولي) (١٥/ ٤٠٠ ـ ٤٠٤).

(٤) انظر: لسان العرب مادة (عدا) (٩/ ٩٤ ـ ٩٥).

الفرع الثاني: تعريف الموالاة والمعاداة في الاصطلاح:

الولايةُ: هي "النُصْرَةُ والمحبةُ والإكرامُ والاحترامُ والكونُ مع المحبوبين ظاهراً وباطناً"(١).

فالمؤمنون هم أولياء الله، والله تعالى وليهم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾(٣).

"فموالاة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا"(٤).

وأما المعاداة: فأصلها البغض والبعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار(٥)، وهي ضد الموالاة كما مر آنفا.

وهما في الشرع قريبان من تلك المعاني.

شرح تعريف الموالاة والمعاداة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: "الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. . والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي يقرب منه، فإذا كان ولي الله هو المتابع له فيما يحب ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له"(٦).

الفرع الثالث: مشروعية الموالاة والمعاداة:

إن موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أمران مشروعان، وقد حض عليهما الإسلام؛ بل إنهما من لوازم كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام د. محمد بن سعيد القحطاني، ص٩٠.
(٢) [سورة البقرة: الآية ٢٥٧].
(٣) [سورة التوبة: الآية ٧١].
(٤) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه د. محمد نعيم ياسين، ص١٨٨.
(٥) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ص٩٠.
(٦) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص١٠ (بتصرف).

رسول الله؛ أي لا معبود بحق إلا الله، وهو الله وحده لا شريك له. يقول الإمام ابن تيمية: "إن تحقيق شهادة التوحيد لا إله إلا الله، يقتضي أن لا يُحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يُوالي إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يُحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله"(1). "وإن النطق بالشهادتين، يقتضي العمل بموجبهما ليكون موحداً من نطق بهما توحيداً حقيقياً، ومن مقتضيات شهادة التوحيد، الموالاة في الله، فمن توجه بالولاء والمحبة والنصرة للكفار أينما كانوا، فإن هذا نقض لشهادة التوحيد ولو ظل ينطقها مئات المرات"(2).

وقد جاء تشريع الموالاة والمعاداة مفصلاً في كتاب الله تعالى، وزخر القرآن بالآيات في شأن الموالاة والمعاداة؛ سواء في السور المكية ابتداء، أو بعد ذلك في السور المدنية التي نزلت بعد الهجرة، وبعد أن أصبح للإسلام دولته وكيانه، وانطلق المؤمنون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، فمن استجاب لدعوة الإسلام، وقبل الإسلام فهو المسلم، ومن لم يستجب فهو غير المسلم.

وبهذا فإن البشر ينقسمون إلى قسمين:

الأول: المسلمون.

والآخر: غير المسلمين.

فأما القسم الأول: فهم المسلمون الصادقون الذين آمنوا بالله ورسوله، ورضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾(3). فهؤلاء تجب موالاتهم الموالاة الشرعية الواجبة لكل مسلم، وذلك بنصرتهم، والتقرب إليهم، وإظهار الود لهم بالأقوال والأفعال والنوايا قصداً لِلَّه.

وأما القسم الآخر: فهم غير المسلمين، وهم أصناف كثيرة، وهؤلاء

---

(1) الاحتجاج بالقدر، ص٦٢.

(2) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لمحماس بن عبد الله الجلعود (١/ ١٤١).

(3) [سورة المائدة: الآيتان ٥٥ ـ ٥٦].

على اختلاف أصنافهم يجمعهم جامع عدم الدخول في الإسلام سواء اليهود والنصارى أم المشركون عموماً. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[1].

"وأما المشركون فهم جميع الكفار عدا أهل الكتاب، سواء أكانوا عرباً أم عجماً، وسواء أكانوا مشركين أم ملحدين. وهؤلاء قد شدد الإسلام في جانبهم وضيق عليهم، حتى ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يقبل منهم جزية؛ بل إما الإسلام أو القتال"[2].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾[3]. فقد نهى المولى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء من دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر[4].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾[5]. قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: "قطع الله الولاية بين الكفار والمؤمنين فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم"[6].

وقد سد الإسلام الذرائع التي ربما تفضي إلى موالاة اليهود والنصارى، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا

---

(١) [سورة المائدة: الآية ٥١].
(٢) الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، ص٥٨.
(٣) [سورة آل عمران: الآية ٢٨].
(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/ ٣١٣)، والإيمان، ص١٨٣.
(٥) [سورة الأنفال: الآية ٧٣].
(٦) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٥٧).

تَبْدؤُوا اليَهُودَ والنَّصَارى بالسَّلام. فَإِذَا لَقيتُم أَحَدَهُم في طَريق فَاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ))[1]. وقال جرير ـ رضي الله عنه ـ: أتيت النبي ﷺ وهو يُبَايعُ، فقلت: يا رسول الله أبسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم. قال: ((**أُبَايعُك عَلَى أَنْ تَعْبُدَ الله، وَتُقيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ المسْلِمِين، وتُفارِقَ المشرِكِين**))[2].

ومع أن النصوص الشرعية قد حذرت عباد الله المؤمنين من موالاة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار، وأن موالاتهم تنافي الإيمان، إلا أنه مع ذلك وقع في موالاة الكفار كثير من المسلمين، ولم يسلكوا المنهج الشرعي في التعامل معهم بالحكمة والعدل؛ حتى وجد من يفضل الكافرين على بني دينه وقومه!

وبهذا أخلص إلى مشروعية الموالاة بين المؤمنين، والمعاداة مع الكافرين. فقد دل القرآن الكريم والسنة المطهرة على أنهما من أصول الإسلام لا يصح إسلام المرء إلا بهما.

المطلب الثاني

إقامة العدل

الفرع الأول: في المعنى اللغوي للعدل:

العين والدال واللام تستعمل أصلاً لأمرين متضادين:

(١) رواه مسلم، كتاب السلام، باب (٤): النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم، حديث رقم ٢١٦٧، صحيح مسلم (٤/ ١٧١٧).

(٢) رواه النسائي. كتاب البيعة (٣٩)، باب (١٧) البيعة على فراق المشرك، حديث رقم ٤١٧٧ سنن النسائي (٧/ ١٠٤)، وذكره الشيخ محمد ناصر الدين الألباني برقم ٣٨٩٣ في صحيح سنن النسائي (٣/ ٨٧٥)، ورواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٦٥)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٣).

أحدهما يدل على الاعوجاج، تقول عَدَلَ وانْعَدَل أي انعوج، والثاني يدل على الاستواء[1].

"والعَدْلُ: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجَوْر"[2].

"والجَوْر بمعنى الظُّلْم؛ وهو وضع الشيء في غير موضعه"[3].

الفرع الثاني: تعريف العَدْلِ في الاصطلاح:

"العَدْلُ: هو إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان. ـ وعرف أيضاً ـ: بأنه المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيادة ولا نقصان"[4].

"فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين، وبدون نظر إلى الأمور العارضة.. كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاة"[5].

الفرع الثالث: مفهوم العدل في الإسلام:

العدل من الغايات الكبرى التي اتفقت عليها الشرائع السماوية، ومن أجله أرسل الله رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾[7].

وقد ميز الله سبحانه الفئة المؤمنة بالعدل والالتزام به منهاجاً للحياة،

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة مادة (عدل) (٤/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٢) لسان العرب مادة (عدل) (٩/ ٨٣)، والقاموس المحيط ـ باب اللام فصل العين ـ ص١٣٣١.
(٣) القاموس المحيط، باب الميم فصل الظاء، ص١٤٦٤.
(٤) الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني (١/ ٦٢٢).
(٥) مفهوم المساواة د. رشاد خليل، ص٣١.
(٦) [سورة الحديد: الآية ٢٥].
(٧) [سورة الشورى: الآية ١٧].

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾[1].

"وضروب العدل وَأصنافه كَثيرة، منها القولية والفعلية، ومنها الاعتقادية والعملية، ومنها ما هو مطلوب مع النفس، ومع غيرها، ومنها ما هو مطلوب مع القريب، ومع البعيد، ومع المسلم وغير المسلم. وكل هذه الأضرب مطلوبة شرعاً"[2].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عبارة نفيسة عن العدل وأنَّ به دوام الدول، وبضده الظلم وبه زوالها: "ولهذا قيل إن الله يُقِيمُ الدولةَ وإِن كانت كافرة؛ ولا يُقيمُ الظالمةَ وإن كانت مسلمة"[3].

قال الشيخ محمد أبو زهرة ـ رحمه الله ـ: "العَدْلُ في الإسلام هو الميزان الذي يحدد العلاقات بين الناس في السلم والحرب، وهو القسطاس المستقيم الذي به توزع الحقوق وتحمى"[4].

"وينظر الإسلام إلى العدل نظرة عامة شاملة كان لها أكبر الأثر في توجيه التشريع العام الذي ينظم كافة العلاقات والمعاملات الإنسانية؛ سواء أكانت بين المسلمين بعضهم مع بعض، أم كانت بين المسلمين وغيرهم"[5].

وأوجز ـ الإشارة ـ حول بيان إقامة العدل بين المسلمين وغير المسلمين:

فقد رسم الإسلام لنا منهجاً واضحاً في العدل؛ فمن الآيات:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٨١].

(٢) الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦).

(٤) العلاقات الدولية، ص٣٥.

(٥) الموسوعة في سماحة الإسلام لمحمد الصادق عرجون (١/ ٢٦٦).

خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[١].

"جاء في سبب نزول هذه الآيات، أن نفراً من الأنصار ـ قَتَادَة بن النعمان وعمه رِفَاعَة ـ غزوا مع النبي ﷺ في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم (رفاعة)، فأظنّ[٢] بها رجلاً من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله ﷺ، فقال: إن طُعْمَةَ بن أُبَيْرِق سرق درعي. فأتى به رسول الله ﷺ. فلما رأى السارق ذلك، عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء[٣]. وقال لنفر من عشيرته: إني غَيَّبْتُ الدرعَ وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده، فانطلقوا إلى نبي الله ﷺ ليلاً، فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان، وقد أَحطْنا بذلك علماً. فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك. فقام رسول الله ﷺ فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ الآيات"[٤]. ويعلق الأستاذ سيد قطب على هذه الحادثة تعليقاً رائعاً: "إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء ـ وهو

---

(١) [سورة النساء: الآيات ١٠٥ ـ ١١٣].

(٢) أَظَنَّه: اتهمه، والظِنَّةُ بالكسر: التُّهَمَةُ. انظر: القاموس المحيط ـ باب النون فصل الظاء ـ، ص١٥٦٦.

(٣) اسمه: زيد بن السمين، وهو يهودي.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

يهودي ـ، تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام ـ وإن كانت تبرئة بريء أَمْراً هائلاً ثقيل الوزن في ميزان الله ـ إنما كانت أكبر من ذلك؛ كانت هي إقامة العدل والميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أيا كانت الملابسات والأحوال''[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[2]، ''فالآية لم ترغب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم؛ بل رغبت الآية في برهم والإحسان إليهم. والبِرُّ كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسع فيه، فهو أمر فوق العدل.. ولا ينفي معنى الترغيب والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ فهذا التعبير قصد به ما كان عالقاً بالأذهان ـ وما لا يزال ـ أن المخالف في الدين لا يستحق بِراً ولا قسطاً، ولا مودة ولا حسن عشرة. فبين الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم؛ بل مع المحاربين لهم، العادين عليهم''[3].

فالإسلام يقيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلونا في الدين أو يخرجونا من ديارنا على البِرّ والعدل والإحسان والتَّسَامُح[4].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[5]. قال الطبري: ''وأما قوله: ﴿وَلَا

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٧٥٢) (بتصرف يسير).

(٢) [سورة الممتحنة: الآيتان ٨ ـ ٩].

(٣) الحلال والحرام في الإسلام د. يوسف القرضاوي، ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٤) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٧٣.

(٥) [سورة المائدة: الآية ٨].

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾، فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتهم بينكم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة"[1].

وقال القرطبي: عند هذه الآية ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾: "على ترك العدل وإيثار العدوان على الحق. وفي هذ دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه؛ لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه،.. ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه"[2].

وبهذا أَخلص إلى تأكيد الإسلام على إقامة العدل بين المسلمين وغيرهم، ومنع الظلم بوجه عام. فبسماحة الإسلام يتعامل المسلمون مع الناس جميعاً على أساس العدل.

المطلب الثالث

الحكمة في الدعوة والمعاملة

الفرع الأول: في المعنى اللغوي للحكمة:

"الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم"[3]. "وقيل: الحكيم ذو الحِكْمَة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم"[4].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة (حكم) (٢/ ٩١).

(٤) لسان العرب مادة (حكم) (٣/ ٢٧٠).

الفرع الثاني: تعريف الحكمة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف الحكمة، على أقوال كثيرة، ولعل من أشملها: "الإصابة في الأقوال، والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه"[(١)].

الفرع الثالث: أهمية الحكمة في الدعوة والمعاملة:

إن الإسلامَ يأبى أن يكره الضمائر، ويعوق حرية العقيدة؛ بل إنه يقف في وجه من يعترض طريق هذه الحرية، ويعرض الناس للفتنة، وليس معنى ذلك؛ أن هداية مخالفه لا تهمه، فالحقيقة أنه يحرص على هذه الهداية، ولكنه يرى أن الطريق إليها إنما يتم بالدعوة إلى الحق، ويتسم بالحكمة والإقناع واللين[(٢)].

لقد أكد القرآن الكريم فضل الحكمة وأعلى من شأنها، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[(٣)] وبين المولى عز وجل في كتابه طرق الدعوة إلى الله تعالى، آمراً نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[(٤)]. "وما وصف الموعظة والجدل بالإحسان إلا من باب التأكيد على معنى السَّمَاحَةِ في الدعوة وعدم اتخاذ العنف وسيلة لها"[(٥)].

فقد أمر الإسلام بالحكمة في الدعوة إليه، وأمر بمناقشة المخالفين بالحسنى. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن وهف القحطاني، ص٢٧.
(٢) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص٢٧٦ - ٢٧٧.
(٣) [سورة البقرة: الآية ٢٦٩].
(٤) [سورة النحل: الآية ١٢٥].
(٥) الغلو في الدين لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص٤٤.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾(١). قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ: "﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾.. إلا الذين أبوا أن يقروا لكم بإعطاء الجزية، ونصبوا دون ذلك لكم حرباً فإنهم ظلمة، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يُسلموا أَوْ يعطوا الجزية"(٢).

فالجهاد في سبيل الله وسيلة من وسائل الدعوة يلجأ إليها المسلمون مضطرين، حينما يقف الأعداء مانعين تبليغ رسالة الله إلى الناس في أرجاء المعمورة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾(٥)

كما أن الجهاد في الإسلام مصون بأحكام وقواعد وآداب شرعية كان النبي ﷺ يوصي بها قادته حينما يوجههم ليجاهدوا في سبيل الله، كما في حديث بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمّرَ أميراً على جَيشٍ أو سَريةٍ أَوصَاه في خَاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: **((اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ في سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَن كَفرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا، ولاَ تَغدِرُوا، وَلاَ تَمثُلُوا**(٦)**، ولاَ تَقتُلُوا وَلِيداً. وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِن**

---

(١) [سورة العنكبوت: الآية ٤٦].
(٢) تفسير الطبري (٢٠/٤٦).
(٣) [سورة البقرة: الآية ٢١٦].
(٤) [سورة البقرة: الآية ١٩٣].
(٥) [سورة الصف: الآية ٩].
(٦) مَثَلْتُ بالقتيل: إذا جدعت أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافه، أي لا تُشَوهُوا القتلى. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٩٤).

المشركِين فَادْعُهم إلى ثَلاثِ خِصَالٍ ـ أوْ خِلَالٍ ـ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنهُم، وَكُفَّ عَنهُم؛ ثُمَّ ادْعُهُم إلى الإسْلَام، فإنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنهُمْ وَكُفَّ عَنهُمْ . .))[1].

فقد أوصاهم ﷺ بتخيير العدو بين الخصال أو الخلال الثلاث على الترتيب:

١ ـ الإسلام.

٢ ـ الجزية.

٣ ـ القتال.

وبذلك كانت أولى نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية؛ أَوْ أمر لا بُدَّ منه لما يُرجى من ورائه من خير.

ومن تتبع سيرة النبي ﷺ وجد أنه كان يلازم الحكمة في جميع أموره، وخاصة في دعوته إلى الله عز وجل، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجا.

ثم سار أصحاب رسول الله ﷺ على طريقه وهديه في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة، فانتشر الإسلام في عهدهم ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ انتشاراً عظيماً، ودخل في الإسلام خلق لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وجاء التابعون، وكملوا السير على هذا الطريق في الدعوة إلى الله بالحكمة، وهكذا سارت القرون المفضلة الأولى ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان، فأظهر الله الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله وأعوانه[2].

وطابع الحكمة والمعاملة الحسنة في الدعوة إلى الإسلام ـ قبل القتال ـ كان يلازم الفاتحين حين الفتح، حرصاً منهم على هداية الأعداء للإسلام، وترغيبهم في قبوله.

وأضرب أمثلة على ذلك:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب (٢) تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها وهو جزء من حديث طويل رقم ١٧٣١، صحيح مسلم (٣/١٣٥٧).

(٢) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص٨ ـ ٩.

أ ـ فتح العراق:

"بعث أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يسير إلى العراق وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل فإن أجابوا وإلا أخذ منهم الجزية، فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم. . ، فقال لهم خالد: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة"[1].

ب ـ فتح مصر:

قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتوجيه الدعوة لدخول الإسلام قبل أن يقدم على قتال. فلما تصافوا قال: "لا تعجلوا حتى نعذر، ليبرز إلي أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد، فبرزا إليه، فقال لهما: أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة"[2].

وهكذا نرى المسلمين لا يلجؤون إلى القتال إلا بعد استنفاد الطرق في الدعوة إلى الله، وهذا عنوان سماحة الإسلام، ولا سيما أنه لم يجعل القتال غاية بذاته بقدر ما هو إفساح المجال أمام الدعوة إلى الله لتصل إلى الناس جميعاً.

لقد دخل في الإسلام بلاد كثيرة بعضها لم يصل إليها جيوش ـ كجنوب شرق آسيا وأفريقيا ـ عن طريق التجارة والمعاملة الحسنة والرفق والتَّسَامُح، وهذا ما جعل الناس يسرعون إلى الدخول في الإسلام طواعية دون إكراه، إدراكاً منهم للحق، وشعوراً بسلامة الدين الجديد، ومطابقته

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٩٧ ـ ٩٨).

للأسس الصحيحة. "ومما ساعد على نجاح الدعوة أن نظرية[1] العقيدة الإسلامية تلتزم التَّسَامُح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، أولئك الذين يؤدون الجزية كفاء حمايتهم، ذلك لأن الدعوة إلى الإسلام عن طريق الإكراه ممنوعة بنص القرآن"[2]. قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[4].

"وإنما يستخدم الإسلام القوة ـ بأمر من الله ـ لإزالة العقبات التي تقف بين الناس وبين التعرف على الحق في صورته الحقيقية، ممثلة هذه العقبات في نظم جاهلية، تقوم على رأسها حكومات جاهلية، وتحميها جيوش جاهلية، فإذا أزيلت العقبات فالناس أحرار بعد ذلك، يختارون لأنفسهم ما يشاؤون، دون ضغط من المسلمين ولا إكراه"[5].

ولا بأس أن أنقل كلام أحد الغربيين هو: توماس أرنولد[6] على أن للتسامح دوراً بالغا في إقبال الناس على دين الله ـ بقوله: "إن تسامح العرب[7] كان وراء دخول الكثير في الإسلام"[8].

---

(١) هكذا ذكرها وفيها نظر، ومعنى نظرية: «قضية تثبت ببرهان، وفي (الفلسفة): طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية». والعقيدة: هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقِدِه. المعجم الوسيط (٢/ ٩٣٢، ٦١٤).

(٢) آثار الحرب في الفقه الإسلامي د. وهبة الزحيلي، ص٦٩ ـ ٧٠.

(٣) [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

(٤) [سورة يونس: الآية ٤١].

(٥) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب، ص١٥٤.

(٦) توماس أرنولد (Thomas Arnold): (١٢٨٠ ـ ١٣٤٨هـ ـ ١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م) مستشرق إنجليزي، له مؤلفات عديدة من أبرزها؛ الدعوة إلى الإسلام حيث نال إقبالاً. انظر: (المستشرقون) لنجيب العقيقي (١/ ٨٤).

(٧) أي المسلمين.

(٨) الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: الدكتورين حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين، ص١٥٧.

المبحث الثاني
خصائص التَّسَامُح

مر فيما سبق عند بيان ضوابط التَّسَامُح: مراعاة الولاء والبراء، وإقامة العدل، والحكمة في الدعوة والمعاملة. وأن الإسلام لا ينهى عن البِرِّ والإقساط إلى مخالفيه من أي دين؛ ولو كانوا وثنيين مشركين، مع مراعاة أن الإسلام ينظر إلى أهل الكتاب (اليهود والنصارى) نظرة خاصة سواء أكانوا في ديار الإسلام أم في خارجها.

لقد كتب الله سبحانه أن يكون الإسلام هو الدين الخالد حتى يرث الأرض ومن عليها، كما كتب أن يكون هو الدين الذي يجب على كل البشر أن يعتنقوه، ومع ذلك فالمجتمع الإسلامي لم يخل قط من غير المسلمين في أي عصر من العصور، والإسلام لا يُكره الناس حتى يكونوا مسلمين، ولا يمنع المسلمين من العيش مع مخالفيهم في العقيدة والدين.

وهناك خصائص ميزت الإسلام عن سائر الملل والأديان والمذاهب. والحديث عن خصائص الإسلام ليس محصوراً في خصائص محدودة، ولا هو مما يستقصى، ولكنه بحرٌ لا سَاحلَ له فيدركه الملاح، ولا منتهى لعمقه فيسبر غوره الغواص.

ولكن حسبي أن أوجز الحديث عن ثلاث خصائص بارزة تتعلق بالتسامح هي:

(الرحمة، والإحسان، والوفاء بالعهود والمواثيق).

فدونكها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

الرَّحْمَة

الإسلام دين الرحمة العامة التي تضع الأشياء في مواضعها، ومن أسماء الله الرحمن والرحيم وقد اتصف بصفة الرحمة، وملائكته يثنون عليه ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[1].

"فبرحمته يهدي عباده إلى سبيل سعادتهم، وبرحمته نَزَّل عليهم الشريعة الكفيلة بتحقيق الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، وبرحمته يدخل المؤمنين في جنته، وبرحمته يغفر للمسيئين"[2].

والله عز وجل أرسل رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

وقد عمل الإسلام على غرس خلق الرحمة في قلوب المسلمين لكل من يستحقها، يقول النبي ﷺ: **((مَن لاَ يَرْحَم النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))**[4]. ويقول ﷺ **((مَن لاَ يَرْحَم لاَ يُرْحَم))**[5]. قال ابن بطال: "فيه الحض على

---

(١) [سورة غافر: الآية ٧].

(٢) الأخلاق الإسلامية (٢/١٦)،

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ١٠٧].

(٤) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب (٢) قول الله تبارك وتعالى: **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**، حديث رقم ٧٣٧٦، فتح الباري (١٣/٣٥٨)، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (١٥) رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم ٢٣١٩، صحيح مسلم (٤/١٨٠٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب (١٨) رحمة الولد وتقبيله ومعانقته..، حديث رقم ٥٩٩٧، فتح الباري (١٠/٤٢٦)، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (١٥)، حديث رقم ٢٣١٨، صحيح مسلم (٤/١٨٠٩).

استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منه وغير المملوك"[1].

"وقال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2]. فهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، ولا تعارض بين الرحمة العامة التي يستحقها جميع الخلق وبين الشدة على الكفار، لأن الغاية من هذه الشدة تمنع شرورهم، ومنع الشرور هو من الأمور العظيمة التي تستدعيها الرحمة"[3].

ومشروعية الرحمة لجميع بني الإنسان حتى ولو كانت بيننا وبينهم عداوة ما لم يقاتلوننا في ديننا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[4]. بل إن الرحمة تكون حتى في الحرب، فقد كان النبي ﷺ يُوصي أصحابه بمنع التعرض بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال كالمرأة، والصبي، والمعتوه[5]، والشيخ الفاني، والزَّمِن[6]، والراهب المنعزل، والوصيف[7]، والعسيف[8][9].

ومن مظاهر التسامح التي اختص بها أهل الكتاب في دين الإسلام إباحة الأكل من ذبائحهم، وإباحة مصاهرتهم بالتزوج من نسائهم المحصنات العفيفات، وأباح التعامل معهم ـ ومع غيرهم ـ في العقود المالية كالبيع والشراء والصرف والحوالة ونحوها.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٤٠).
(٢) [سورة الفتح: الآية ٢٩].
(٣) الأخلاق الإسلامية (٢/ ١٩).
(٤) [سورة الحديد: الآية ٢٥].
(٥) المَعْتُوه: يطلق على المجنون، والناقص العقل. انظر: لسان العرب مادة (عته) (٩/ ٤٢).
(٦) الزمِنُ: ذو العاهة المستديمة. انظر: المرجع السابق مادة (زمن) (٦/ ٨٧).
(٧) الوصيف: الخادم، غلاماً كان أو جارية. المرجع السابق مادة (وصف) (١٥/ ٣١٦).
(٨) العَسِيفُ: الأجير المستهان به، ويطلق على المملوك. المرجع السابق مادة (عسف) (٩/ ٢٠٦).
(٩) انظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ د. عبد الله الرشيد، ص٩٩ ـ ١٠٠.

المطلب الثاني

الإحسان

يقيم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلوهم في الدين أو يخرجوهم من ديارهم على البرّ والإقساطِ والإحسانِ، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[1].

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: "أما مبرتهم فأن نُحسنَ إليهم، وأما الإقساط إليهم فأن نعاملهم بالعدل، ومعاملة الإنسان لغيره لا تخلو من ثلاث حالات: إما أن يعامل بالإحسان، وإما أن يعامل بالعدل، وإما أن يعامل بالجور"[2].

ولعل من أبرز صور الإحسان إلى المخالفين في الدين الأمر بالإحسان إلى الوالدين غير المسلمين، ثم الأقربين على حسب درجات قربهم، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[3].

وكما جاء في حديث أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت: **((أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً[4] في عَهْدِ النَّبِي ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِي ﷺ آصِلُهَا. قَالَ:**

---

(١) [سورة الممتحنة: الآيتان ٨ ـ ٩].

(٢) الأقليات الإسلامية (أسئلة وأجوبة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد بن عثيمين) إعداد: د. عبد الله الطيار، ص٧٢.

(٣) [سورة لقمان: الآية ١٥].

(٤) راغبة: طامعة تسألني شيئاً. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢/ ٢٣٧).

نَعَمْ)). قال ابن عُيينة: "فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[1]"[2]. وفي رواية: ((**قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشرِكَة.. فَاسْتَفْتَيْتُ النَّبِي ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، قَالَ: نَعَمْ، صِلي أُمَّكِ**))[3].

وقد أوضح القرافي - رحمه الله - بعض وجوه البرّ والإحْسَان إلى المخالفين فقال: "الرفقُ بضعيفهم، وسَدُّ خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكْساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال إذايتهم في الجور مع القدرة على إزالته، لطفاً منا لهم، لا خوفاً وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية"[4].

لقد بلغ الإسلام في إحسانه؛ أنه متى طلب مشرك عهداً يأمن به حتى يسمع القرآن ويرى حال الإسلام أن يعطيه ذلك وهو الإجارة، ثم أمر بتبليغه المأمن إذا لم يرض بالإسلام ولم يهد إليه[5].

ويتبين لنا مما - تقدم - مدى تأكيد الإسلام على الإحسان إلى غير المسلمين وهذا يدفع قول بعض المستشرقين: "إن الإسلام يوصي بالتباعد عن غير المسلمين"[6].

---

(١) [سورة الممتحنة: الآية ٨].

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب (٧) صِلة الوالدِ المشرك، حديث رقم ٥٩٧٨، فتح الباري (١٠/ ٤١٣).

(٣) رواه البخاري باب (٢٩) الهدية للمشركين. وقول الله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم﴾** [سورة الممتحنة، الآية: ٨] حديث رقم ٢٦٢٠، فتح الباري (٥/ ٢٣٣) ورواه في باب (٨) صلة المرأة أمّها ولها زوج، حديث ٥٩٧٩ (١٠/ ٤١٣) وذكره - أيضاً - في كتاب الجزية والموادعة، باب(١٨) حديث رقم ٣١٨٣ (٦/ ٢٨١). ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب (١٤) فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين، حديث رقم ١٠٠٣، صحيح مسلم (٢/ ٦٩٦).

(٤) الفروق (٣/ ١٥).

(٥) انظر: المحرر الوجيز لمحمد بن عبد الجبار بن عطية (٦/ ٤١٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٣٧).

(٦) حضارة الإسلام لجوستاف جروبينام، ص٢٢٨ وما بعدها، نقلاً عن: الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين د. عبد المنعم بركة، ص١٧١ - ١٧٢.

فهو من جهة بعده عن واقع الإسلام وتعاليمه ومنافاته لقاعدة أصيلة في الإسلام، وهي قاعدة الإحسان في معاملة رعايا الدولة الإسلامية ولو كانوا من غير المسلمين.

وينبغي ملاحظة أن كون المسلمين يحسنون المعاملة مع غير المسلمين لا يلزم منها الموالاة والمودة، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "البِرُّ والصلةُ والإحسانُ لاَ يَسْتلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾[1]، فإنها عامة في حق من قَاتَلَ وَمَنْ لَمْ يُقَاتِل"[2].

المطلب الثالث

الوفاء بالعهود والمواثيق

أمر الإسلام بالوفاء بالعهود والمواثيق، وحذر من نقضها بأي صورة من الصور ـ طالما هي موافقة لمنهج الله وشرعه، ومتمشية مع المصالح العامة ـ وقد سمى الله العهد مع الناس عهداً معه ليستحثهم على الوفاء، ويلزم من الأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق النهي عن نقضها ومع ذلك صرح القرآن بالنهي عنه تأكيدا، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾[3].

والوفاء بالعهد من أهم الأخلاق التي تبقي جانب الثقة في التعامل بين الناس، ولهذا شدد الإسلام في شأن الوفاء بالعهد فلم يتسامح فيه أبداً، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[4]. وذكر المولى عز وجل

---

(١) [سورة المجادلة: الآية ٢٢].

(٢) فتح الباري (٥/ ٢٣٣).

(٣) [سورة النحل: الآية ٩١].

(٤) [سورة الإسراء: الآية ٣٤].

أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

ولم يبح لنا الله تعالى أن ننصر إخواننا المسلمين غير الخاضعين لحكمنا على المعاهدين من الكفار لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2]. فالمعاهدون لهم علينا الوفاء بعهدهم إلى المدة التي جرى الاتفاق عليها بيننا وبينهم ما داموا لم يخالفوا العهد ولم ينقصوا شيئاً ولم يعينوا أحداً علينا، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾[3]. ولا يجوز لمسلم أن يعتدي على كتابي ما دام ملتزماً بعهد الوفاء والاحترام للمشاعر الإسلامية، وبفضل هذه الرعاية احتضنت بعض البلدان الإسلامية مثل مصر وسوريا.. أقليات دينية يهودية ونصرانية لمدة قرون، وما زالت هذه الأقليات تحظى برعاية المجتمع الإسلامي.

ولهذا فإن نقض العهد من صفات المنافقين يقول النبي ﷺ - محذراً منها -: **((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَت فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفَاق حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَان، وَإِذَا حَدَّث كَذَب، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَر، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر))**[4].

---

(١) [سورة البقرة: الآية ١٧٧].

(٢) [سورة الأنفال: الآية ٧٢].

(٣) [سورة التوبة: الآية ٤].

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان، (٢٤) علامة المنافق، حديث رقم ٣٤، فتح الباري (١/ ١٤)، وذكره أيضاً، في كتاب الجزية، باب (١٧) إثم من عاهد ثم غدر، حديث رقم ٣١٧٨ (٦/ ٣٧٩). ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (٢٥) خصال المنافق، حديث رقم ١٠٦، صحيح مسلم (١/ ٧٨).

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في وفائه في وعوده ومواثيقه، من ذلك:

- ما جرى في صلح الحديبية، فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ[1] في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ - وقد فر من الكفار -. فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد قد لَجَّت[2] القَضِيَّةُ بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال رسول الله ﷺ: ((صَدَقْتَ)). فجعل يَنتُرُهُ[3] بتلابيبه ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأُرَدُّ إلى المشركين يفتُنونني في ديني!.. فقال رسول الله ﷺ: **((يَا أَبَا جَنْدَلٍ، اصْبِرْ واحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ ولمن مَعَكَ من المُسْتَضْعَفِين فَرَجاً ومَخْرَجاً، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ القَوْمِ صُلْحاً، وَأَعْطَيْنَاهُم عَلَى ذَلِكَ، وَأَعطونا عَهدَ الله، وإِنَّا لا نَغْدِرُ بِهِمْ..))**[4].

والإسلام ينظر إلى الوفاء بالعهد باعتباره فضيلة إنسانية لا يختص بجنس أو عقيدة أو جماعة، فهو مع الكافر كحرمته وقداسته مع المسلم، وهو مع العدو كحرمته وقداسته مع الصديق، يقول ميمون بن مهران: "من عَاهَدْتَهُ وَفِّ بعهده مسلماً كان أو كافراً، فإنما العهد لله تعالى"[5].

وجاء في كتاب الأموال لأبي عبيد - رحمه الله -، بسنده: "أن الروم صالحت معاوية - رضي الله عنه - على أن يؤدي إليها مَالاً، وارتهن معاويةُ

---

(١) يرسف: يمشي في القيد. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٢).
(٢) لَجَّت القضية: أي وجبت، بمعنى انعقدت وانتهى أمرها وتمت. انظر: المرجع السابق (٤/ ٢٣٣).
(٣) ينتره: يجذبه جذباً شديداً عنيفاً. انظر: القاموس المحيط، باب الراء فصل النون، ص٦١٦.
(٤) رواه البخاري بنحوه، كتاب الشروط، باب (١٥) الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢ فتح الباري (٥/ ٣٢٩ - ٣٣١)، وسيرة النبي ﷺ لابن هشام - وذكر الحادثة بتمامها - (٣/ ٣٦٧).
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٠/ ١٧)، والموسوعة في سماحة الإسلام (١/ ٣٣٦).

منهم رهنا، فجعلهم ببعلبك. ثم إن الروم غدرت، فَأَبَى معاويةُ والمسلمون أن يَستحلوا قَتْلَ من في أيديهم من رهنهم، وخلوا سبيلهم، واستفتحوا بذلك عليهم[1]. وقالوا: وفاءٌ بغدرٍ خيرٌ من غدرٍ بِغَدْرٍ"[2].

(١) أي طلبوا من الله أن يفتح عليهم، بأن ينصرهم على العدو، بهذا العمل الصالح، وهو الوفاء، وعدم قتلهم الرهن وغدرهم كما فعلت الروم.

(٢) الأموال، ص١٧٥.

الفصل الثاني

نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم

مر في الفصل الأول ضوابط التَّسَامُح وخصائصه، وقد بينت فيه؛ مشروعية موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، ومفهوم العدل في الإسلام؛ وأهمية الحكمة في الدعوة والمعاملة وعلو شأنها..، بضوابط أساسية في التَّسَامُح، ومن ثم تعرضت إلى بيان أبرز خصائص التَّسَامُح (الرحمة، والإحسان، والوفاء بالعهود والمواثيق). وأذكر هنا نماذج تطبيقية لتسامح المسلمين مع غيرهم.

فقد كفل الإسلام حرية العقيدة والعبادة وحسن المعاملة والمسؤولية والجزاء لغير المسلمين مقابل جزية يدفعونها للمسلمين لعدم قبولهم الدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[(١)]. وقد مر في حديث بريدة ـ رضي الله عنه ـ الدعوة إلى ثلاثة أمور هي على الترتيب: الإسلام ثم الجزية ثم القتال، فالجزية لا تكون إلا إذا لم يقبلوا الإسلام، فإن هم أجابوا إلى الجزية فيقبل منهم ويكف عنهم.

وعن عَلِيٍّ رضي الله عنه: "إِنَّمَا بَذَلُوا الجِزْيَةَ لتكونَ أموالهُمْ كَأَمْوَالِنَا، ودماؤُهم كَدِمَائِنا"[(٢)]. وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "إِنَّ الجِزْيَةَ أَثْبَتَتْ له

(١) [سورة التوبة: الآية ٢٩].

(٢) المغني لابن قدامة (١١/ ٢٥٠).

الأمان العام على نفسه وأهله وماله في المقام والسفر"[1].

ومثل هؤلاء أهل الأمان والعهد مطلقاً وإن لم يدفعوا الجزية. وبهذا المقتضى أصبح لهم الأمان والعهد "فيلزم لهم ببذلها حقان: أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين"[2].

والحديث عن تسامح المسلمين مع غيرهم. ليس كلاماً نظرياً متناولاً على العموم؛ بل هو كلام عملي تطبيقي يعتمد على أصول راسخة، وحقائق واضحة، ويتضح من خلال إبراز نماذج من تَسَامُحِ المسلمين مع غيرهم؛ من سيرة النبي ﷺ، ومواقف من تاريخ الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، إلى عصرنا الحاضر.

وأتناول هذه النماذج في ثلاثة مباحث وفق الآتي:

المبحث الأول: في الاعتقاد والعبادة.

المبحث الثاني: في المعاملات.

المبحث الثالث: في المسؤولية والجزاء.

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/١٥٧).

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية لأبي الحسن الماوردي، ص١٨٣.

المبحث الأول

في الاعتقاد والعبادة

يتميز الإسلام بالتَّسَامُح في معاملة أصحاب الأديان الأخرى، وقد أقر بحرية العقيدة للناس بمعنى أنه لا يكرههم على اعتناق الإسلام وإن كان يدعوهم إليه، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[1].

"وَمن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية بالنسبة للذميين، قاعدة: (نتركهم وما يدينون)، فلا نتعرض لهم في عقائدهم؛ فحرية العقيدة حق مضمون للذميين.."[2].

جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران في عقد الصلح معهم:

((وَلِنَجْرَان، وحَاشِيَتَها جِوَار الله، وَذِمَّة مُحَمَّد النَّبي رسول الله على أَموالِهم، وَأَرْضِهم وَمِلَّتهم، وَغَايِبِهم، وَشَاهِدِهم، وَعَشِيرتِهم، وَبِيَعهم، وَكل ما تَحت أَيْدِيهم من قَلِيل أَوْ كَثِير، لاَ يُغير أَسْقف من أَسقِفيته، ولاَ رَاهِب من رَهبانِيَّته، وَلاَ كَاهِن من كهانته))[3].

"فهذا الاتفاق يشمل كل الرعايا النصارى كهنة ورهباناً وراهبات، وهو

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٩٥.

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٥٥)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ١٠٠)، وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٣٥).

يضمن لهم الحماية والأمن.. حسب مشيئتهم، وبالمثل يحمي كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم..، وكذلك يحمي من يزورها"[١].

ولما حان وقت صلاة وفد نصارى نجران، قاموا يصلون في مسجد النبي ﷺ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: ((**دَعُوهُم. فَاسْتَقْبَلُوا المشرقَ فصَلَّوا صَلاتهم**))[٢]، وفي هذا يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ "جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وتمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يُمَكنون من اعتياد ذلك"[٣].

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كتب إلى أهل إيلياء (بيت المقدس): "هذا ما أعطى عبد الله عُمَرُ ـ أمير المؤمنين ـ أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حَيِّزهَا، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم"[٤].

ولما فتح خالد بن الوليد رضي الله عنه، الشام صالح الروم، وجاء في هذا الصلح: "على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة وعلى أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار إلا في أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم.."[٥].

وبهذا فقد تركت البيع والكنائس في الشام لم تهدم؛ لما جرى من الصلح بين المسلمين وأهل الذمة، ولم يرد ذلك الصلح على خالد بن

---

(١) الإسلام في العقل العالمي د. توفيق الواعي، ص١٠٦.
(٢) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٦٨)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).
(٣) زاد المعاد (٣/ ٦٣٨).
(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٣/ ٦٠٩).
(٥) الخراج لأبي يوسف، ص١٤٦.

الوليد، أبو بكر، ولا رده عمر، ولا عثمان، ولا علي - رضي الله تعالى عنهم أجمعين -[1].

وأضرب مثالاً على تسامح أحد سلاطين الدولة العثمانية الإسلامية مع اليهود في إقامة طقوسهم الدينية:

فحائط المبكى هذا الذي يعتبره اليهود اليوم أقدس ذكرياتهم استعادوه في عهد السلطان سليمان القانوني (العاشر الهجري) القرن السادس عشر الميلادي، وكما جاء في عدد (٢٣ ربيع الأول ١٣٨٧هـ الموافق ١ يوليو ١٩٦٧م). من النشرة الرسمية التي تصدرها حكومة إسرائيل في بومباي، بعنوان: أخبار من إسرائيل، أن حائط المبكى كان منذ زمن بعيد مختفياً بين الأنقاض، وأكداس القمامة..، فلما علم السلطان سليمان..، أرسل إلى حاكم القدس التركي يأمره بإزالة ما عليه وتنظيف المنطقة، وسمح لليهود بزيارته[2]..

وإنه لتسامح من المسلمين أن سمحوا لهم بأن يسترجعوا معبدهم..، ويستثنى التَّسَامُح مع أهل الكتاب في الاعتقاد والعبادة في إقامة الكنائس والمعابد في جزيرة العرب لخصوصيتها، ويأتي الحديث عنها في مبحث الآثار الدينية[3].

---

(١) انظر: الخراج لأبي يوسف، ص١٤٧.

(٢) انظر: احذروا مخطط اليهود للمودودي، ص٨ - ٩، و «منتدى الفيصل مع د. حسن ظاظا» مجلة الفيصل، العدد ٢٤٤، رمضان ١٤١٧هـ الموافق فبراير - مارس ١٩٩٧م، ص٢٥.

(٣) يراجع، ص٣٣٠ - ٣٣٤.

المبحث الثاني
في المعاملات

إن الإسلام باعتباره الدين الحق والشامل للحياة صالح لكل زمان ومكان، ومتكامل في كل جوانبه، فهو ينظم علاقة المسلمين بربهم، وعلاقة المسلمين مع بعضهم، وعلاقة المسلمين بغيرهم.

ولم يخل قط المجتمع الإسلامي من غير المسلمين، والإسلام لا يُكْرِهُ أَحداً على اعتناقه، كما أنه لا يأمر بالعزلة والانطواء، فكان لا بُدَّ من المعاملة والمخالطة مع الآخرين.

وقد خص المولى عز وجل أهل الكتاب في تعاملهم مع المسلمين في الدنيا بأحكام منها: إباحة النكاح من نسائهم، وإباحة الأكل من طعامهم، وإحلال طعام المسلمين لهم..، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾(١).

وضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في سماحة المعاملة والدعوة إلى الإسلام مع أهل الكتاب؛ فقد كان يزورهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

فمن ذلك ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((**كَانَ غُلَامٌ يَهُودِي يَخْدِمُ النَّبِي ﷺ فَمَرِضَ. فَأَتَاهُ النَّبِي ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ**

(١) [سورة المائدة: الآية ٥].

لَهُ: أَسْلِمْ. فَنَظَرَ إِلى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ. فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّار))[١].

وعن أبي حُمَيدٍ السَّاعِدي ـ رضي الله عنه ـ قال: **((غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَبُوك، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ للنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْداً، وَكَتَبَ[٢] لَهُ بِبَحْرِهِم[٣]))**[٤].

وكان النبي ﷺ يشتري من أهل الكتاب ويقترض منهم، **((وَتُوفِي رَسُولُ الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي بِثَلاثِين صَاعاً من شَعِيرٍ))**[٥]. وذلك في نفقة عياله، وكان في وسعه أن يستقرض من أصحابه، وما كانوا ليضنوا عليه بشيء، ولكن أراد أن يعلم أمته كيف يكون التَّسَامُح في المعاملة.

وقد قام النبي ﷺ بتعليم أصحابه سماحة المعاملة مع الآخرين حتى في حالة خطئهم وجهلهم عليهم. فهذا زيد بن سعنه جاء إلى رسول الله ﷺ، يطلبه ديناً له عليه، فأخذ بمجامِع قميصه وردائِه وجذبه وأغلظ له القول، ونظر إلى النَّبِي ﷺ بِوجه غلِيظ وقال: يا محمد، أَلاَ تَقْضِينِي حَقِي، إِنَّكُم يَا بَنِي عَبد المطلب قَوْمٌ مطل، وشَددَ لَه القول، فَنَظَرَ إليه عُمرُ بْنُ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعيناهُ تدوران في رأسِه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عَدو الله، أَتقول لِرسول الله ﷺ مَا أَسمَع، وَتَفعَل ما

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ حديث رقم ١٣٥٦، فتح الباري (٣/ ٢١٩).
(٢) أي كتب النبي ﷺ كتاب صلح.
(٣) ببحرهم: أي ببلدهم وأرضهم. انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٠٠).
(٤) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب (٢) إذا وادع الإمام ملك القرية هل يكون ذلك لبقيتهم؟ حديث رقم ٣١٦١، فتح الباري (٦/ ٢٦٦). ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب (٣) في معجزات النبي ﷺ، حديث رقم ١٣٩٢ (والرقم المناسب لتسلسل الأحاديث هو: ٢٢٨٣)، صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٥ ـ ١٧٨٦).
(٥) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب (٨٩) ما قيل في درع النبي ﷺ..، حديث رقم ٢٩١٦ فتح الباري (٦/ ٩٩).

أرى، فَوَالذي بَعَثه بِالحق لَوْلاَ ما أحاذر لومه لضربت بسيفِي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عُمَر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: **((أَنَا وَهوَ يَا عُمَر كُنَّا أَحوج إلى غَير هَذا منك يَا عُمَر، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمرَه بِحسن التقَاضي، اذهَب بِهِ يَا عُمَر فَاقْضِهِ حَقَّه، وَزِدْهُ عِشْرِين صَاعاً مِنْ تمر، فَكَانَ هَذا سَبباً لإِسلامه، فَقَالَ: أَشْهَدُ أن لا إله إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه))**[1].

وسار على هدي نبينا محمد ﷺ الصحابة الكرام في تسامحهم مع غير المسلمين متبعين وصية رسول الله ﷺ بالأقباط خيراً حيث يقول: **((إِنَّكم سَتفتحُون أَرْضاً**[2] **يُذْكَرُ فيها القِيراط**[3]**. فَاسْتَوصُوا بِأَهْلِها خَيراً. فَإِنَّ لهم ذِمَّةً وَرَحِماً**[4]**))**[5].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر أيام خلافته يوصي عماله بأهل الذمة، فيقول: "أوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم"[6]. وكان يسأل الوفود عنهم ليتأكد من حسن معاملتهم، فمن ذلك؛ أنه قال لوفد البصرة: "لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى؟ فقالوا ما نعلم إلا وفاء"[7].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٣١٠)، وذكر القصة بنحوها ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة وعزاها إلى الطبراني وابن حبان والحاكم وأبي الشيخ؛ في كتاب أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد وغيرهم، ثم قال ابن حجر: ورجال الإسناد موثقون (٣/ ٢٨).

(٢) يعني أرض مصر.

(٣) القيراط: جزء من أجزاء الدينار، وهو نصف عشره في أكثر البلاد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٤٢).

(٤) ذمة ورحماً: أي أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام كانت قبطية من أهل مصر. المرجع السابق.

(٥) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب (٥٦) وصية النبي ﷺ بأهل مصر، حديث رقم ٢٥٤٣، صحيح مسلم (٤/ ١٩٧٠).

(٦) فتح الباري (٦/ ١٦٩).

(٧) تاريخ الطبري (٤/ ٢١٨).

وأما عن سماحة الجوار وإكرامه، فهذا عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ لما ذبحت له شاة في أهله جاء فقال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ**))[1].

ومن وصايا أبي يوسف إلى هارون الرشيد ـ رحمهما الله ـ: "وقد ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله، أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم"[2].

والمتأمل في النصوص والآثار وأقوال أهل العلم ـ كما مر في تسامح المسلمين مع غيرهم ـ لا يسعه إلا أَنْ يُقَرِّر: أَنَّ غير المسلمين في حماية أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم؛ كالمسلمين سواء بسواء.

وأختم كلامي بهذه الحادثة، التي تبين تسامح المسلمين الرائع في المعاملة ـ في هذا العصر ـ مع ما يلاقونه من اتهام وإيذاء من أعدائهم!

لما وقع حادث الانفجار للمبنى الفيدرالي في ولاية أوكلوهوما سيتي بأمريكا في (ذي القعدة ١٤١٥هـ/ إبريل ١٩٩٥م) اتُّهِمَ المسلمون ـ مباشرة ـ بأنهم هم الذين تسببوا في تفجيره، وقامت السلطات الأمريكية بالتشديد على المسلمين في تنقلاتهم..، ولكن المسلمين ضربوا مثالاً رائعاً في التَّسَامُح، فقد سارعوا بتنظيم حملات التبرع بالدم وتقديم الإعانات لأسر الضحايا، وتبرعوا بمبلغ ١٠٠٠٠ عشرة آلف دولار، باسم الجالية الإسلامية، وشارك الأطباء المسلمون في معالجة الضحايا منذ البداية، ثم قبض على مدبري عملية التفجير، وكانا نصرانيين[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب (٢٨) الوصاة بالجار، حديث رقم ٦٠١٥، فتح الباري (١٠/ ٤٤١). ورواه الترمذي واللفظ له، باب ما جاء في حق الجوار، حديث رقم ١٩٤٣، سنن الترمذي (٤/ ٣٩٤).

(٢) الخراج ـ لأبي يوسف ـ ص١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) انظر: «ماذا حدث للجالية المسلمة في أوكلوهوما» لعاطف الغموني، مجلة المجتمع، =

المبحث الثالث

في المسؤولية والجزاء

إن من مسؤوليات الدولة المسلمة رعاية من يعيش في كنفها - من أهل الذمة والمعاهدين - وحمايته وحفظ حقوقه، وقد حض النبي ﷺ على رعاية العهد وحفظ الذمة، وشدد في المنع من الإيذاء أو الاعتداء عليهم، فمن ذلك؛ قوله ﷺ: **((مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهَداً[1] لَمْ يَرِحْ رائِحة الجنَّةِ، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَد مِن مَسيرةِ أَربعِينَ عَاماً))**[2]. وجاء أيضاً: **((مَنْ آذى ذِمِّياً فَأَنا خَصْمُهُ وَمن كُنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ يوم القِيَامَة))**[3].

ومن سماحة الإسلام في المسؤولية والجزاء في تحصيل الجزية، أنها تسقط عمن أسلم ولا يطالب بما عليه قبل إسلامه، ولا تؤخذ من الشيخ الكبير؛ الذي لا يستطيع العمل ولا شيء له، وكذلك المغلوب على عقله لا يؤخذ منه شيء[4].

= الكويت، العدد ١١٤٨ (٣/ ١٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢/ ٥/ ١٩٩٥م)، ص٢٣ - ٢٩، وانظر: «لقاء مع مدير مركز دار الهجرة في واشنطن» حاوره: أحمد منصور، المجتمع، العدد ١١٨٦ (١٠/ ٩/ ١٤١٦هـ الموافق ٣٠/ ١/ ١٩٩٦م)، ص٣٨ - ٣٩.

(١) يجوز أن ننطق معاهداً بكسر الهاء، وفتحها على الفاعل والمفعول، وفي الحديث بالفتح أشهر وأكثر، والمراد به من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم.
انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٥٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب (٣٠) إثم من قتل ذمياً بغير جرم، حديث رقم ٦٩١٤ المرجع السابق.

(٣) الجامع الصغير من حديث البشير النذير للسيوطي، وأشار إلى أن سنده حسن (٢/ ٤٧٣). وقال الألباني: ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير (٥/ ١٤٤).

(٤) انظر: الخراج، ص١٢٣.

وهذا ما فعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في صلحه مع أهل الحيرة في عهد الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال: "وجعلتُ لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحتُ جِزْيَتَهُ وعِيلَ من بيت مال المسلمين، وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"[1].

"وذات يوم مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ[2] له بشي من المنزل. ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾[3] والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"[4] وجرى على ذلك عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ[5].

"ومن هذا كله يتبين أن الدولةَ الإسلامية ملزمة بإعالة المحتاجين من أهل الذمة، وهذا الإلزام يعتبر صورة رائعة من صور الضمان الاجتماعي، الذي طبقته الدولة الإسلامية عملاً بتعاليم الإسلام دون التفات إلى دين الذمي وعقيدته"[6].

ولا تتوقف هذه المسؤولية تجاه أهل الذمة عند إسقاط الجزية لمن لا

---

(١) انظر: الخراج، ص١٤٤.

(٢) رضخ له رضخاً من باب نفع، ورضيخاً أعطاه شيئاً ليس بالكثير. والمال رضخ. انظر: القاموس المحيط باب الخاء فصل الراء، ص٣٢١.

(٣) [سورة التوبة: الآية ٦٠].

(٤) الخراج، ص١٢٦، والأموال، ص٥٠ ـ ٥١، وأحكام أهل الذمة (١/ ٣٨).

(٥) انظر: الأموال، ص٥٠ ـ ٥١، وأحكام أهل الذمة (١/ ٣٨).

(٦) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص١٠٥ (بتصرف).

يقدر على دفعها؛ بل تتناول حمايتهم ضد أي اعتداء داخلي كان أم خارجي. فالمسلمون مطالبون بالحفاظ على حقوق أهل الذمة وأموالهم وأنفسهم.

فهذا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما سمع بتجمع الروم ورأى عدم قدرته على الدفاع عنهم، رد ما أخذه من جزية من أهل بعض مناطق الشام، وكتب إلى قواده أن يقولوا لهم: "إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم وأَنَّا لا نقدر على ذلك"[1].

ونقل القرافي عن ابن حزم ـ رحمهما الله ـ قوله: "إن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكُرَاع[2] والسلاح ونموت دون ذلك صونا لمن هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة. وحكى في ذلك إجماع الأمة"[3].

ولهذا فإذا ما وقع الذميون أسرى في يد عدو ما؛ فعلى الدولة الإسلامية أن تستنقذهم من أيديهم حتى ولو بدفع الفداء عنهم[4]. يقول الليث بن سعد ـ رحمه الله ـ: "أرى أن يفدوهم من بيت مال المسلمين ويقروا على ذمتهم"[5].

وقد تجلى هذا المثل الرائع في شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وهو يخاطب قائد التتار قطلوشاه، لما أسر عدداً من المسلمين والذميين: "في أن يطلقهم. فقال له قائد التتار: لكن معنا نصارى. فهؤلاءِ لا

(١) الخراج، ص١٣٩.
(٢) الكُرَاع: أي الخيل. انظر: لسان العرب مادة (كرع) (١٢/ ٧٢).
(٣) الفروق (٣/ ١٤).
(٤) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٩٠.
(٥) الأموال، ص١٤٠.

يُطلقون. فقال له ابن تيمية: بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم أهل ذمتنا؛ فإنا نفكهم، ولا ندع أسيراً لاَ من أهل الملة ولاَ من أهل الذمة، فأطلق من النصارى من شاء الله"[1].

ومن الأمثلة الرائعة في التَّسَامُح، ما فعله صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - مع الصليبيين مع أنهم قد عاثوا في المسلمين بالقتل والتذبيح والإفساد في بيت المقدس في (٧/٨/ ٤٩٢هـ الموافق يوليو ١٠٩٩م)، والتي كانت مذبحة كبرى ولطخة عار في تاريخ الحملات الصليبية عامة، والحملة الصليبية الأولى خصوصاً حيث قتلوا أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار، وَتَبَّرُوا[2] ما علوا تَتْبِيرا، فقد بقيت آثار هذه الوحشية تثير الأسى والحزن والألم في قلوب المسلمين ونفوسهم حتى استطاع صلاح الدين الأيوبي تحرير القدس في معركة حطين - وذلك يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل - في السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (٥٨٣هـ - الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م). وانطلاقاً من سماحة الإسلام، فقد أطلق خلقاً كثيراً ممن قبض عليهم من الإفرنج من الرجال والنساء؛ منهن بنات الملوك، ووقعت المسامحة في كثير منهم، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم، وتسامح تجاه الفقراء الذين عجزوا عن دفع الجزية[3].

وكان أحد الوزراء في الدولة العثمانية في جدال مع بعض رجال أوروبة، فقال لهم مبيناً عظم شأن سماحة الإسلام والمسلمين، تجاه مسؤوليتهم عن أهل الذمة في الدولة الإسلامية: "إننا نحن المسلمين مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا ولو كنا قادرين على استئصالهم. ولقد مرت لنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧ - ٦١٨).

(٢) أي دَمَّرُوا.

(٣) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٥٦)، (١٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤)، وخطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، ص١٣٢ - ١٣٣، وجذور البلاء وكلاهما لعبد الله التل، ص٢٦٠.

على أن لا نبقي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين، وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام. فما هجس في ضمائرنا خاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا كما وقع للسلطان سليم الأول العثماني، تقوم في وجهه الملة ويحاجه مثل زنبيلي علي أفندي[1] ويقول له ـ بلا محاباة ـ: ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم. فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الشريف.. ـ ويقارن بفعلهم ـ أما أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد، واشترطتم عليه أن يتنصر. ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوبي فرنسا، وفي شمال إيطاليا وفي جنوبها مئات الألوف منهم.. وما زلتم تستأصلون''[2].

ولعله من المناسب أن أختم كلامي بكلام برنارد لويس[3] حيث يقول:

''وفي نظرة المسلمين إلى المسيحية[4] تَسَامُح وتساهُل أكثر بكثير مما في نظرة أوروبا المسيحية المعاصرة، التي تنظر إلى الإسلام على أنه كله باطل وشر. وهذه النظرة المتسامحة من المسلمين تنعكس في المعاملة الحسنة والتَّسَامُح الكبير؛ الذي يلقاه أتباع الديانة المسيحية في المجتمعات الإسلامية بالرغم من موقف المسيحيين كديانة منافسة''[5].

وبعد؛ فهذه نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم، هي أكثر من أن تُحصى، كمن يغرف من ماء البحر، فما أروع أسفار التاريخ وهي تَزْدَانُ بهذه الأمثلة الخالدة.

---

(١) كان يلقب بشيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

(٢) حاضر العالم الإسلامي لِلُوثروب ستودارد، وتعليقات: شكيب أرسلان (٣/ ٢١٠).

(٣) برنارد لويس (Bernard Lewis): ولد في ٢٦/ ٧/ ١٣٣٤هـ(٣١/ ٥/ ١٩١٦) في لندن. يعمل أستاذاً في الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون، وهو عضو في عدد من الجمعيات والمعاهد. انظر: (المستشرقون) (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٥).

(٤) أوردت المسيحية على لسانه وإلا صوابها النصرانية.

(٥) الغرب والشرق الأوسط، تعريب: د. نبيل صبحي، ص٣٨.

يقول أبو الفوارس سعد بن محمد:

"مَلَكنا فكانَ العَفوُ مِنّا سَجِيَّةً فلَمّا مَلَكْتُم سَالَ بِالدَّم أَبْطحُ
وَحَلَلتُم قَتلَ الأَسَارى وَطَالَما غَدَونا على الأَسْرى نَمُنُّ وَنَصفَحُ
وَحَسبكم هَذا التفَاوتُ بَينَنَا وَكل إنَاء بِالَّذِي فِيه يَنْضَحُ"[1]

وبهذه النماذج أكون قد أوضحت ما يتعلق بالباب التمهيدي: **التَّسَامُح في الإسلام**.

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/ ١٣٥٢).

الباب الأول

أسس التَّسَامُح في الغرب وأهدافه ونقدها

مقدمة تمهيدية: موقفنا من كتابات الغربيين الدينية.

الفصـــل الأول: أسس التَّسامُح في الغرب.

الفصـل الثاني: أهداف التَّسَامُح في الغرب.

مقدمة تمهيدية:

موقفنا من كتابات الغربيين الدينية

دأب المفكرون الغربيون ورجال الدين من اليهود والنصارى على النقل من التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود، وشروحها، والأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم وغير ذلك.

فيا ترى ما موقفنا من كتابات هؤلاء الغربيين..؟ هذا ما سيتم إيضاحه من خلال هذه المقدمة الموجزة.

١ ـ تعريف الإسرائيليات:

"الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام، أي عبد الله، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى عليه السلام، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد ﷺ"(١).

وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات: "فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم، ونحو ذلك، وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم"(٢).

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د. محمد أبو شهبة، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٣ ـ ١٤، وانظر: التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي (١/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

٢ ـ إن أصل التوراة والإنجيل منزلان من عند الله:

نحن المسلمين نؤمن بأن أصل التوراة والإنجيل قد أنزلا حقًّا من عند الله، ولكن خضعا للتحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقص على أيدي أتباعها كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾[1]، وقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ۝٧٩﴾[2]، وقال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٤٦﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾[4]. والآيات في هذا كثيرة.

٣ ـ نبذة عن كتب اليهود والنصارى:

أ ـ اليهود:

من كتب اليهود التوراة، والزبور وهو كتاب داود عليه السلام، وأسفار الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى عليه وعليهم السلام، وتسمى التوراة بالعهد القديم أو العتيق وينقسم إلى قسمين:

الأول: يتكون من خمسة أسفار هي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

---

(١) [سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤].

(٢) [سورة البقرة: الآية ٧٩].

(٣) [سورة النساء: الآية ٤٦].

(٤) [سورة المائدة: الآية ٤٤].

الثاني: يتكون من أربعة وثلاثون سفراً منها: سفر يشوع، وسفر القضاة، وسفر راعوث..[1].

"ولليهود بجانب التوراة المكتوبة التلمود، وهي مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية، وأدبية، ومدنية، وشروح وتفاسير، وتعاليم، وروايات، تناقلوها من حين إلى آخر ثم دونها الحاخامون[2] بالكتابة سياجاً للتوراة، وقبلت على أنها سنة سيدنا موسى عليه السلام"[3].

ب ـ النصارى:

وأما النَّصارى فالإنجيل كتابهم الأساس، ويسمى بالعهد الجديد، ومجموع العهدين القديم والجديد يسمى: (بايبل BIBLE) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ووصف فيما بعد بالقداسة، وشاعت تسميته بالكتاب المقدس! وينقسم إلى قسمين:

الأول: يتكون من الأناجيل الأربعة المشهورة (إنجيل مَتَّى، وإنجيل مَرْقَس، وإنجيل لُوقا، وإنجيل يُوحَنا).

الثاني: يتكون من اثنتين وعشرين رسالة: الأولى، وتسمى أعمال الرسل، وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل، وأربع عشرة كتبها بولس..[4].

وينبغي ملاحظة أن الخلاف شديد فيما بينهم في قبول هذه الكتب كلها أو بعضها.

وهناك إنجيل برنابا اعترفت بعض الطوائف به، وأنكرته بعضها، لما

---

(١) يراجع: الكتاب المقدس! كتاب الحياة ترجمة تفسيرية (العهد القديم، والعهد الجديد).

(٢) الحاخامون: جمع حاخام Rabbi، وهو إمام الطقوس والشعائر في المعبد. انظر: مجلة الفيصل، العدد ٢٤٤، مرجع سابق، ص٢٣.

(٣) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص١٣.

(٤) لفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد، وبقية الرسائل ملحقة بها، أي بالكتب الأربعة. يراجع: الكتاب المقدس!.

تضمنه من إنكار ألوهية المسيح، وتقرير بشريته، والبشارة بنبوة محمد ﷺ[١].

٤ ـ موقفنا من كتب اليهود والنصارى:

يقسم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: صحيح مقبول، وهو ما يشهد له القرآن أو السنة بالصحة.

الثاني: كذب مرفوض، وهو ما يخالف الكتاب والسنة.

الثالث: مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من ذاك القبيل[٢]

فأما الأول، فتجوز روايته عنهم، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخَضِر، كما جاء صريحاً على لسان رسول الله ﷺ في رواية البخاري[٣].

وأما الثاني، فمردود، ولا تجوز روايته، وذلك كالطعن في الأنبياء، واتهامهم بالزنا وشرب الخمر.

وأما الثالث، فمسكوت عنه، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته[٤]. مع مراعاة التوقف والتثبت فيه[٥]، لقوله ﷺ: ((**لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُم، وَقُولُوا ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾**[٦]))[٧].

---

(١) انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي (١/ ٩٨ ـ ١٠٨)، ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة، ص٤٨ ـ ٥٠، ونظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري لشيخنا عمر بن عبد الله بن عودة الخطيب، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (٢) **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتاه لا أَبرح حَتىٰ أَبلُغ مَجْمَعَ البَحْرين أَوْ أَمْضِي حُقُباً﴾** حديث رقم ٤٧٢٥ فتح الباري (٨/ ٤٠٩).

(٤) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٧٩)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ص١٠٦ ـ ١٠٨.

(٥) انظر: الثقافة والعالم الآخر. ص٨٤.

(٦) [سورة البقرة: الآية ١٣٦].

(٧) رواه البخاري، كتاب التفسير (تفسير سورة البقرة)، باب (١١) **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينا﴾** حديث رقم ٤٤٨٥، فتح الباري (٨/ ١٨٢).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "ويُؤخَذُ من هذا الحديث التوقف عن الخوض في المُشْكَلاتِ والجزمِ فِيها بما يقع في الظن"[1].

وإذا علمنا أن قوله ﷺ: لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكتاب ولا تكذبوهم. . . ، قاعدة مقررة، لا يصح العدول عنها بأي حال من الأحوال، فينبغي أيضاً أن يراعى فيما ينقل عن أهل الكتاب أن يتفق مع العقل، فلا بد من الدقة والروية في استخلاص الفائدة مما عندهم[2].

ومن هذا الإيجاز يتبين أنه لا تعارض بين الحديثين السابقين، كما يتبين المقدار المناسب، والحد الفاصل في الأخذ مما لدى أهل الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "وهذا ما جرى عليه بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، حيث كانا في بعض الأحيان يحكيان أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: ((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آية، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيل وَلاَ حَرَج، وَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النَّار**))[3]. وكان عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يُحَدِّثُ منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذْكَرُ للاستشهاد لاَ للاعتقاد"[4].

وليس في ذلك تعارض بين الحديثين السابقين، فالحديث الأول قوله ﷺ: لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، فيراد منه التوقف فيما يحدث به أهل الكتاب، لأنه قد يكون محتملاً للصدق والكذب، ويشهد لهذا ما قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "أي إذا كان في نفس الأمر

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٧٠).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٨٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب (٥٠) ما ذُكر عن بني إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، فتح الباري (٦/ ٤٩٦).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٦).

صدقاً فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج. ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نبه على ذلك الشافعي ـ رحمه الله ـ"[1].

وأما الحديث الثاني وهو قوله ﷺ: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج..، ففيه إباحة لهم أن يحدثوا عما يسمعونه عن بني إسرائيل من الأعاجيب؛ لما فيها من العبرة والعظة. قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: "المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا"[2].

وبعد أن اتضح موقفنا مما ورد عن أهل الكتاب والنقل عنهم، أُدْلِفُ إلى الحديث عن أُسسِ التَّسَامُح في الغربِ وأهدافِهِ ونقدِها، من خلال معارف اليهود والنصارى (التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأناجيل وشروحها وكذلك المجامع[3] الدينية، والمؤلفات المتنوعة، والممارسات التطبيقية).

وذلك في الفصلين الآتيين:

الأول: أسس التَّسَامُح في الغرب.

الثاني: أهداف التَّسَامُح في الغرب.

---

(١) فتح الباري (٨/ ١٧٠).

(٢) المرجع السابق (٦/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٣) المجامع Congregation: جماعات شورية تضم علماء النصرانية، وتبحث مسائل دينية يزعم النصارى أن الرسل رسموا نظامها بعد قتل المسيح باثنين وعشرين سنة، وتنقسم إلى مجامع مسكونية، ومجامع مِلِيَّة، ومجامع إقليمية.
انظر: محاضرات في النصرانية، ص١٤٧، وموسوعة المورد العربية (٢/ ١٠٩٠).

الفصل الأول

أسس التَّسامُح في الغرب

مما لا شك فيه أن للعقيدة والأخلاق والأعمال أثراً في النفوس، سواء أكانت صحيحة أم باطلة، أراد الإنسان أم لم يرد، فهو يعيش باحثاً عن ذاته، ومحققاً لوجوده في الحياة، النابع من معتقداته الدينية، وقيمه الخلقية، وسلوكياته العملية.

والحقيقة أن الغرب قد جمع عقائد متعددة أثرت في جانبيه الخُلقي والعملي، ولست بصدد تفصيل ذلك، ولكن حسبي أن أبين أسس التَّسَامُح في الغرب (بإيجاز).

"عَرَفَتْ أوروبا الوثنية الدين النصراني منذ القرن الأول الميلادي، بوصفه عقيدة شرقية سامية..، ولَمْ يَأْلُ أَباطرة الرومان جهداً في القضاء على هذه النحلة التي تفشت في مستعمراتهم واستخدموا لتحقيق ذلك صنوف الاضطهاد والتنكيل طيلة القرون الثلاثة الأولى، ولكن أسباباً تاريخية ـ لا مجال لبحثها الآن ـ أدت إلى اعتناق الإمبراطور قسطنطين للدين الجديد، ودعوته لعقد أول مجمع مسكوني نصراني هو مجمع نيقية ٣٢٥م، الذي أعلنت النصرانية على أثره عقيدة رسمية للإمبراطورية الرومانية"(١).

ثم جاء ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ ـ ٣٩٥م) فأمر بجعل النصرانية هي الدين الرسمي للدولة إثر مجمع نيقية فيما يختص بالتثليث.

---

(١) العلمانية د. سفر الحوالي، ص٢٧ (بتصرف)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٢١)، والبداية والنهاية (٢/ ١٥٠)، ومذاهب فكرية معاصرة ٩ ـ ١٣.

وقد تغير موقف القديس أوغسطين (٣٥٤ ـ ٤٣٠م) شبه المتسامح إلى موقف شديد التعصب ضد سائر الأديان والدعوة إلى اضطهاد الأديان الأخرى غير النصرانية وإلى استعمال القوة والقمع معها. مستنداً إلى نص من الإنجيل؛ "اخرج إلى الطرق والسياجات وأجبر الناس على الدخول حتى يمتلئ بيتي"(١). أي أرغموهم على الدخول في النصرانية، وكان من آثار تلك الدعوة أن وقع الاضطهاد على من ليسوا نصارى..؛ بل صار اعتناق النصرانية شرطاً جوهرياً لكي يعد الشخص مواطناً في الدولة.

ففي ظل الدين النصراني المحرف وسيطرة الكنيسة على سائر الحياة، شاع ما يسمى بطبقة رجال الدين، ولكن مع ازدهار العلم والمعرفة وظهور بعض الآراء التحررية التي أعلنها بعض رجال الدين والفلاسفة والمفكرين، برز اتجاه مضاد لتعاليم الكنيسة المتحكمة(٢)..

ويمكن القول بأن بوادر التَّسَامُح في أوروبا ظهرت بشكل ملحوظ في منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، فمن ذلك:

ـ "تأكيد الكاردينال(٣) نقولا الكوزاني في كتابه: في سلام الإيمان سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٣م، على أن الحقيقة الواحدة متفرقة في سائر الأديان، وبهذا يمكن لشعائرها أن تتعدد.

ـ ودعوة فشنو (Ficino) ومرندولا (Mirandola) إلى أن الأديان كلها يمكن أن تتعايش معاً. وعلى استحياء حَوَّلَ أَرْزِمْس الدعوة إلى التَّسَامُح، بأن دعا الكنيسة الكاثوليكية إلى التحلي بالصبر على الهراطقة(٤).

---

(١) لوقا (١٤: ٢٣).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي، ص٣١٩ ـ ٣٢٣.

(٣) الكاردينال: (Cardinal) مفرد الكرادلة وهم مستشارو البابا الذين يقومون باختيار خلفه بعد وفاته، وقد ذكر هذا الاسم في وثائق القرن السادس الميلادي. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٧٨٢)، وملامح عن النشاط التنصيري د. إبراهيم عكاشة، ص١٧.

(٤) الهراطقة: الهرطقة البدعة في الدين، فكل من يخالف ما عليه هؤلاء النصارى من معتقدات يعد مهرطقاً. انظر: المنجد مادة (هرط)، ص٨٦٣.

ـ ثم بدأت الدعوة إلى التَّسَامُح الديني صراحة بحركة مارتن لوثر (Martin Luther) (٨٨٧ ـ ٩٥٠هـ/ ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م) ضد البابا والكنيسة الكاثوليكية. ويؤكد مارتن لوثر أن التغلب على الملحدين ينبغي أن يكون بواسطة الإقناع لا بواسطة النار، وقد أكد على حرية الاعتقاد والفصل بين أمور الدين والدنيا. وطالب بإلغاء محاكم التفتيش، ووقف كل إجراء ضد الهراطقة والملحدين.

ـ وقام بعض تلاميذ مارتن لوثر ـ من بعده ـ بالدعوة إلى التَّسَامُح؛ مثل برنتس (Brenz) (٩٠٣ ـ ٩٧٤هـ/ ١٤٩٩ ـ ١٥٧٠م)، كما أن بعضهم من انحدر إلى عدم التَّسَامُح مثل ملانختون (Melanchton) (٩٠٢ ـ ٩٦٤هـ/ ١٤٩٧ ـ ١٥٦٠م) الذي بدأ متسامحاً، لكنه أخذ شيئاً فشيئاً يطالب بالعنف ضد حركة التعميديين[1] وغيرها من الحركات المخالفة لمعتقده. وينبغي الإشادة بدور التعميديين في الدعوة إلى التَّسَامُح الديني؛ من منطلق أن يسوع المسيح دعا إلى التَّسَامُح..، ومن هؤلاء: هوبماير (Hubmaier) في كتابه، الهراطقة ومحرقوهم سنة (٩٢٨هـ/ ١٥٢٤م)، ويوريس joris.

وانبرى كاستيلو Castellio(المتوفى سنة ٩٦٥هـ/ ١٥٦١م) للدفاع عن التَّسَامُح الديني مبيناً أن حرية الاعتقاد قد أقرها أرسموس، ومارتن لوثر، وفرنك؛ بل إن عدم التَّسَامُح يتناقض مع المحبة التي دعا إليها المسيح.. فأكدوا على أن عدم التَّسَامُح يتناقض مع المحبة التي دعا إليها المسيح،.. ولعب أتباع فاوستو سوتسيني (١٠٠٣ ـ ١٠٧٤هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٦٠٤م) دوراً في نشر الدعوة إلى التَّسَامُح، وفي سبيل هذا ميزوا بين الأمور الجوهرية والأمور غير الجوهرية في العقيدة، كما أكدوا المساواة بين جميع الناس"[2].

ـ وبسبب الحروب الدينية الضارية التي شملت أوروبا في القرن

---

(١) التعميديون: الذين يرون بغسل الولد بماء المعمودية باسم الأب والابن والروح القدس، وتعد المَعْمُوديَّة هي أول أسرار الدين النصراني. انظر: المنجد مادة (عمد)، ص٥٢٩.

(٢) رسالة في التسامح لجون لوك، ترجمها عن اللاتينية مع مقدمة مستفيضة وتعليقات: د. عبد الرحمن بدوي، ص١٣ ـ ١٥ (بتصرف).

العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) انعقد مجمع بين الكاثوليك والبروتستانت - في أوجسبورج بألمانيا سنة (٩٥٩هـ/ ١٥٥٥م) - فأوصوا بالتأكيد على حرية الدين والتَّسَامُح، ثم قامت حرب الثلاثين عاماً، فزال التَّسَامُح وحل التعصب..، فوقعت نزاعات وخلافات وحروب ومجازر عديدة.. - يطول المقام في عرض تلك الأحداث - أدت إلى خروج دعوات تعارض التَّسَامُح مع المخالفين[١]..، فمن هؤلاء: - رئيس أساقفة كنتربري - جلبرت شلدون Gilbert Sheldon (٩٩٧ - ١٠٧٦هـ/ ١٥٩٨ - ١٦٧٧م) والقسيس صموئيل باركر Samual Parker وسنكروفت Sancroft وغيرهم.

وإزاء هذا التعصب الشديد ضد المخالفين والمتعصبين في القرن الثاني عشر الهجري الموافق السابع عشر الميلادي..[٢]، انبرى مجموعة من رجال الدين والكتاب بالدعوة إلى التَّسَامُح أمثال: آوون (Owen) وهنري كير (Henry Care) ووليم بن (William Penn) وبيير بيل (Pierre Bayle)..

ويأتي بعدهم جون لوك (John Loc) (المتوفى سنة ١٠٩١هـ/ ١٧٠٤م) فيصبح في مقدمة زعماء الدعوة إلى التَّسَامُح في عصره؛ حيث قد ألف رسالة في سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٨٩م)[٣]، بعنوان: الدعوة إلى التَّسَامُح، ومما ذكره: التَّسَامُح عَلاقة مميزة للكنيسة الحقة، وعدم التَّسَامُح يتنافى مع الفضائل المسيحية كالمحبة..، ينبغي على المسيحيين أن يجاهدوا أنفسهم ضد أخطائهم هم قبل أن يضطهدوا سائر الناس..، وله العديد من المذكرات والكتابات عن التَّسَامُح؛ لكنها لم تنشر في حياته؛ بل بعد وفاته بما يزيد على قرنين[٤].

---

(١) المقصود بالمخالفين كل من خالف الطائفة أو الفرقة التي ينتمون إليها.

(٢) See: The World Book Encyclopedia, vol. (T) (19/249-250), and Collier's Encyclopedia (22/352).

(٣) يراجع: مقدمة البحث: الدراسات السابقة، ص١٠.

(٤) انظر: رسالة في التَّسَامُح الصفحات: ١٦ - ١٧، ٢٤ - ٢٥، ٢٨، ٣٥ - ٣٦، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٢ - ٥٣.

ومع الانفتاح العلمي وظهور الثورة الصناعية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري (التاسع عشر والعشرين الميلادي) حدثت ردة الفعل ضد الدين بسبب مواقف الكنيسة السلبية ضد العلوم والمعرفة، فقامت حضارة الغرب على المادية البحتة والعلمانية والإلحاد. .، وكان للتأثير اليهودي؛ الذي نفذ من الثغرات التي أوجدها نفور الغرب من الدين مساحة واسعة، فعمق الاتجاهات المادية وبرزت من ثم النظريات حول الإنسانية، والديموقراطية، والقومية، والوطنية[1]. .

ولما استولى هؤلاء الغربيون على البلاد الإسلامية في عهود الاستعمار[2] (colonization) اتخذوا من شعار التَّسَامُح مسوغاً في استيلائهم، ونادوا به بين أمم الأرض كافة على اختلاف مشاربها وعقائدها وأهدافها - ولا سيما المسلمون خاصة -[3].

ولهذا يمكن القول بأن أسس التَّسَامُح في الغرب[4] قد انطلقت عبر

---

(١) انظر: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص٨٢ - ٨٣.

(٢) الاستعمار: هذه اللفظة وما توحيه من معاني مجانبة للصواب في الحقيقة. وقد جاء في كتاب الله **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** [سورة هود: الآية: ٦١] بمعنى طلب منكم عمارة الأرض واستثمار خيراتها. وقد ادعى العداة الصليبيون حينما قدموا البلاد الإسلامية أنهم جاءوا لتعمير الأرض وتطويرها وسَمَّوها مستعمرات، وحقيقة الأمر أنهم أذلوا الشعوب، ونهبوا خيرات البلاد اقتصادياً وعسكرياً! ولهذا فإن استعمال لفظة الاستعمار ترجمة خاطئة والمعنى الصحيح هو الاستعباد والاستبداد.
انظر: المعجم الوسيط مادة (اعتمر) (٢/ ٦٢٧)، ومعجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، ص٤٦٣.

(٣) انظر: «التسامح: هل هو مفهوم محايد» لعلي أومليل ضمن: كتاب التَّسَامُح الثقافي - ندوة مشتركة لكتاب عرب وغربيين، ص١٠٦.

(٤) للاستزادة في موضوع التسامح في الغرب تراجع الكتب الآتية:
- رسالة في التسامح.
- التَّسَامُح الثقافي.

-Toleration: Philosophy And Practice, Jone Horton and Peter Nicholson.

-True Tolerance, J. Budziszewski.

-Freedom And Tolerance. Mieczslaw Maneli.

-Religious Tolerance and the Christian faith, Walter Bonar Sidjabat.

-on Toleration, Susan and Edward.

الجانب العقدي أولاً، ويؤيد هذا ما يقوله ثوماس مايكل: "فبالنسبة لنا نحن المؤمنين بالله لا يكون التَّسَامُح مؤسسا فقط على اعتبارات إنسانية؛ بل إنه مطلب من مطالب الأديان التي نقول إننا نؤمن بها"[(١)].

وحيث إن الجانب الأخلاقي مرتبط بالدين أيما ارتباط..؛ بل إن الدين في حد ذاته قوة أخلاقية موحدة، وعامل إيجابي في سبيل نشر التَّسَامُح، والوئام مع الآخرين..، وإن مجرد اللقاء الرمزي بين الناس الذين ينتمون إلى عقائد مختلفة يمكنهم التعايش جميعاً في سلام[(٢)].

ولهذا انطلاقاً من الأساسين العقدي والقيمي، برز الأساس العملي ضمن أسس التَّسامُح في الغرب؛ لما له من صلة كبرى في دعوى التَّسَامُح في بناء الحضارة وتشييدها، ولا سيما في القرن الرابع عشر الهجري (العشرون الميلادي). فقد ارتبطت دعوى التَّسَامُح بالقيم النصرانية من جهة، وَمَا جَدَّ في المجتمع الغربي من نظريات حول الإنسانية والديموقراطية.

ودونك أسس التَّسَامُح في الغرب ونقدها من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: الأساس العقدي ونقده.

المبحث الثاني: الأساس القيمي (الخلقي) ونقده.

المبحث الثالث: الأساس العملي (التطبيقي) ونقده.

---

(١) انظر: «التسامح: منظور مسيحي» لثوماس مايكل (الحوار الإسلامي المسيحي)، ص٢.

(٢) انظر: «مقدمة: ندوة الدين والتدافع الحضاري» لأوغو مفسود بونيتش، ص٩.

المبحث الأول
الأساس العقدي ونقده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأساس العقدي.

المطلب الثاني: نقد الأساس العقدي.



المطلب الأول
الأساس العقدي

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: وحدة الأديان.

الفرع الثاني: استدلالهم بنصوص من الإسلام تجيز التعامل والتلاقي بين المسلم وغيره.

الفرع الثالث: احترام المعتقدات وأماكن العبادة.

ودونك تفصيلها فيما يأتي:

الفرع الأول
وحدة الأديان

يزعم بعض النصارى بأن الأديان كلها واحدة تؤدي إلى غاية واحدة! وبهذا يمكنهم التعايش مع المسلمين جنباً إلى جنب، وكل يعبد إلهه!

ولا داعي للخصومة والنزاع، فالجنة ليست حكراً على من آمن بمحمد ﷺ إنما يكفي مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر وصفاء النفس من الأحقاد والأدران.

وقد نادى بدعوى التَّسامُح من خلال وحدة الأديان مجموعة من رجالاتهم؛ فمن أولئك:

- ما أصدره البابا[1] بولس السادس[2] من وثائق مهمة جاء فيها:

"إن كل من آمن بعد اليوم بالله خالق السموات والأرض، ورب إبراهيم وموسى، فهو ناج عند الله، وداخل في سلامه، وفي مقدمتهم: المسلمون"[3].

- وتحدث الباب يوحنا الثاني[4] إلى بني دينه من النصارى[5] في أنقرة

---

(١) البابا: أصل كلمة بابا Pope إغريقية الأصل من الكلمة Papas يعني أب Father، وقد شاع استخدام هذا اللقب في الكنيسة منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وفي الكنائس الشرقية يطلق على رئيس الكنيسة لقب بطريك. وفي الحولية السنوية ينعت البابا بعدة ألقاب؛ أسقف روما، ونائب يسوع المسيح، والحبر الأعظم لكنيسة العالم وغير ذلك. وهذه الألقاب لا يمكن فصلها عن منصب البابا، كما يزعمون، لأنها تمثل جزءاً من الدستور المقدس للكنيسة الكاثوليكية. والبابا هو صاحب السلطة الفعلية لمدينة الفاتيكان وفقاً لاتفاقية لاتران Lateran سنة ١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م. فالبابوية وظيفة شرف وولاية، وهذا ما لا يقره البروتستانت ولا الأرثوذكس. انظر: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص١٧. والموسوعة العربية الميسرة، ص٢٩٦.

(٢) بولس السادس: Paul VI ولد (١٣١٤هـ ـ ١٨٩٧م) تولى بابوية رومة (١٣٨٣ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٦٣ ـ ١٩٧٨م) عمل من أجل إعادة اللحمة بين الكنيستين الغربية والشرقية، توفي عام (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). انظر المورد، ملحق معجم أعلام حرف P، ص٦٧، والمنجد في الأعلام، ص١٤٩.

(٣) «مقال بمجلة العالم الإسلامي» لمحمد معروف الدواليبي، العدد ١٢٢٩، (الاثنين ١٢/٣/١٤١٢هـ الموافق ٩/٩/١٩٩١م)، ص٥، نقلاً عن: الحوار دائماً د. شوقي أبو خليل، ص٦٦.

(٤) يوحنا بولس الثاني (John Paul II): ولد في (١٣٣٨هـ ـ ١٩٢٠م) في فاروفتيس ببولونيا، تولى رئاسة أساقفة كراكوف (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)، وعين بابا الكاثوليك (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). تعرض للاغتيال (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). يقوم البابا بزيارات عديدة في مختلف القارات لنشر رسالة المسيح (النصرانية). انظر: المنجد في الأعلام، ص٦٢٣.

(٥) ضمن محاضرة للجالية الكاثوليكية في (١٠ محرم ١٤٠٠هـ الموافق ٣٠ نوفمبر ١٩٧٩م).

بتركيا، منبها إلى الأسباب الخاصة التي تحث معاشر المؤمنين على التَّسَامُح: ''إن الإيمان بالله الذي يدين به أحفاد إبراهيم ـ المسيحيون والمسلمون واليهود ـ عندما يعاش بإخلاص وعندما ينفذ إلى أعماق الحياة لهو الدعامة اليقينية لكرامة وأخوة وحرية الأفراد، وهو الأساس للسلوك الأخلاقي في الحياة الاجتماعية''. وقال أيضاً: ''خذوا بعين الاعتبار كل يوم الجذور العميقة للإيمان الذي يؤمن به كذلك إخوتكم المواطنون المسلمون حتى تؤسسوا على ذلك مبدأ التعاون الهادف لتقدم الإنسان، وتحري الخير في سبيل تحقيق السلام والأخوة في ظل التعبير الحر عن الذي يؤمن به كل منكم''(١).

ـ وما أجاب به كيرلس سليم بسترس(٢) في سؤال وجه إليه عن أهم نقاط التلاقي بين المسيحية والإسلام.. فأجاب إجابة طويلة، أورد ما له صلة بحديثنا عن وحدة الأديان:

''انطلاقاً من موقفي كمسيحي وكلاهوتي(٣) ينظر إلى الإسلام في تعاليمه الدينية. عندما أقرأ القرآن، ماذا أكتشف فيه من نقاط تلاق مع المسيحية.. على صعيد العقيدة:

١ ـ الإيمان بالله: وفي وصف الله في المسيحية والإسلام أمور كثيرة مشتركة، نقتصر على خمسة منها: الله الواحد، الله الخالق، والله الذي تكلم به الأنبياء، والله المحب الرحيم، والله المجازي والمحيي للأموات.

٢ ـ الأنبياء: إن قصص الأنبياء مشتركة بين التوراة والإنجيل والقرآن. وكأن القرآن جاء ترجمة عربية لقصص الأنبياء الواردة بالعبرانية والآرامية

---

(١) «التسامح: منظور مسيحي»، ص٢.

(٢) كيرلس سليم بسترس: رئيس أساقفة بعلبك للروم الملكيين الكاثوليك. انظر: العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٣١.

(٣) اللاهُوت: الألوهة. وأصله (لاهٌ) بمعنى إله زيدت فيه الواو والتاء مبالغة، وعلم اللاهوت: هو علم يبحث عن العقائد المتعلقة بالله تعالى، واللاهوتي: العالم بالعقائد المتعلقة بالله تعالى.
انظر: المعجم الوسيط (٢/٨٤١)، والمنجد مادة (لهت)، ص٧٣٥.

والسريانية في التوراة والإنجيل''[1].

ـ وما قاله نصري سلهب[2]: ''إن المسيحية والإسلام منزلان يدعوان إلى الله وإلى اليوم الآخر، وإذا كان هناك فوارق بينهما فلأن الله شاء ذلك، فالطرق إلى الله عديدة''[3].

ـ وأدباء المهجر ـ وجلهم من نصارى الشام ـ فهم من أوائل الداعين إلى وحدة الأديان بحجة كرههم التعصب الديني، والنعرات الطائفية..، فنادوا بالدين الإنساني، وبالإيمان الشامل، والدعوة إلى حرية المعتقدات والآراء والمذاهب..

فمن هؤلاء: أمين الريحاني[4]، حيث يقول: ''أليس في وسع المرء أن يعيش في هذا العالم دون أن تطبع روحه بطابع الملة، وتصطبغ بصبغة الطائفية''[5].

ـ وجُبْرَان خليل[6] حيث يصف أفكاره: ''تقول فكرتكم الموسوية ـ البرهمية ـ البوذية ـ المسيحية ـ الإسلام. أما فكرتي فتقول: ليس هناك

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٣١ ـ ٢٣٦.

(٢) نصري سلهب: نصراني لبناني، عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والنصرانية في لبنان ـ كما يزعم ـ وله العديد من المحاضرات والكتابات، من مؤلفاته: لقاء المسيحية والإسلام، وفي خطى محمد. انظر: قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل، ص٦٩.

(٣) لقاء المسيحية والإسلام، ص٢٠.

(٤) أمين الريحاني: (١٢٩٣ ـ ١٣٥٩هـ ـ ١٨٧٦ ـ ١٩٤٠م) كاتب خطيب، يعد من المؤرخين، ولد في لبنان ورحل إلى أمريكا ثم عاد. له مؤلفات عديدة. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي (٢/١٨ ـ ١٩)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة رقم ٣٠١٠ (١/٤٠٢).

(٥) انظر: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث لأنيس المقدسي، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٦) جُبْرَان خليل جبران: (١٣٠٠ ـ ١٣٤٩هـ ـ ١٨٨٣ ـ ١٩٣١م) شاعر، ناثر، نابغة الكتاب المعاصرين في المهجر الأمريكي، وأوسعهم خيالاً.
انظر: الأعلام (٢/١١٠ ـ ١١١)، ومعجم المؤلفين رقم ٣٥٤٩ (١/٤٧٢).

سوى دين واحد مجرد مطلق تعددت مظاهره، ظل مجرداً مطلقاً وتشعبت سبله مثلما تتفرع الأصابع من الكف"[١].

ـ وقام القسيس الإنجليزي إسحاق تيلور بالدعاية لتوحيد الإسلام والنصرانية على أساس فكرة التوحيد الموجودة في الإسلام والموجودة عند الكنيسة الإنجليكانية[٢].

ـ وزار أحد الفرنسيين مصر في أوائل هذا القرن الميلادي، وأخذ يفاوض أعلام الإسلام في فكرة توحيد الأديان، ويقول لهم: "إن الفروق بين الأديان لا تتجاوز ـ كونها ـ مسألة هينة غير أساس، وإن الغرض من الأديان كلها هو الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر"[٣].

ـ وصرح المنصر الإنجليزي لبسيوس ـ في مؤتمر المنصرين ـ بالقاهرة عام (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م): "بأن إله الجميع واحد"[٤].

الفرع الثاني

استدلالهم بنصوص من الإسلام تجيز التعامل والتلاقي بين المسلم وغيره

يحرص الغرب على مد جسور الاتصال والالتقاء مع العالم الإسلامي من أجل بناء علاقات إنسانية يسودها التَّسَامُح والتفاهم وتطوي بل تتجاهل الماضي والخلافات والنزاعات.

ولذا فقد درج الغربيون على الاستدلال بالنصوص الشرعية من القرآن

---

(١) قصة الأدب المهجري لمحمد عبد المنعم خفاجي (١/ ١٦٦).
(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين (٢/ ٣١٩).
(٣) المرجع السابق (٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٤) الغارة على العالم الإسلامي مؤلفه: أ.ل شاتليه، لخصها وعربها: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ص٢٠.

والسنة ـ بالمفهوم الذي يحلو لهم ـ التي تجيز التعامل والتلاقي بين المسلم وغيره، فمن ذلك:

ـ ما ذكره روديغر[1]: "من أن محمداً[2] عد النصارى مؤمنين وقد استدل بقول المولى ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[3]"[4].

ـ "وما ذكره أمين الريحاني حول التساهل الديني أي التَّسَامُح وقد استدل بالقرآن الكريم (بالآية السابقة)، وكذلك قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[5]. من أسلم وجهه لله وهو محسن، ما قال وهو مسلم أو مسيحي، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ما أجمل هذه الآية القرآنية.. إن هاتين الآيتين ذهبيتان عظيمتان.

إني أهبكم كل الكتب المقدسة بهاتين الآيتين:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[6]. أليس هذا هو التساهل.. ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[7]. أفي هذه شيء من التعصب..

التساهل هو الطريق وهو الحق وهو الحياة وهو روح الله. هو أول درجة في سلم العمران وآخرها"[8].

---

(١) روديغر براون: مستشرق ألماني بروتستانتي، معتقد بكنيسة بورنكين أي الولادة الجديدة. ويحضر رسالة بعنوان: الحوار الإسلامي المسيحي. انظر: الحوار دائماً، ص٦٥.

(٢) ﷺ.

(٣) [سورة البقرة: الآية ٦٢].

(٤) انظر: الحوار دائماً، ص٨٦.

(٥) [سورة البقرة: الآية ١١٢]، وقد أسقط (بلى) وذكر بأنها آية ١ من سورة البقرة، والصواب ما أثبتُّهُ.

(٦) [سورة المؤمنون: الآية ٩٦].

(٧) [سورة العنكبوت: الآية ٤٦].

(٨) «التساهل الديني: لأمين الريحاني»، ضمن أضواء على التعصب، ص٦٠ (بتصرف).

ـ وما ذكره نصري سلهب: "إن الآية التي أستطيب ذكرها هي التي تنبع سماحاً إذ تقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1]. إنها لعبارات يجدر بنا جميعاً، مسيحيين ومسلمين، أن نرددها كل يوم، فهي حجر الأساس في بناءٍ نريده أن يتعالى حتى السماء، لأنه البناء الذي فيه نلتقي والذي فيه نلقى الله، فحيث تكون المحبة يكون الله. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة، وأن أصلها عند الله، وهذا الأصل يدعى حيناً أم الكتاب وحيناً آخر اللوح المحفوظ أو الإمام المبين"[2].

ـ ويدخل في الاستدلال بما في الإسلام؛ ما يكون ضمن تأييد لقضية أو مبادئ وأهداف، وهذا ما قاله شمعون بيريز[3] أمام الصحافيين في حيفا: "إن القرآن الكريم يشجع التَّسَامُح والتعددية والسلام"[4].

ـ وقد وجه مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي الذي يمثل أول مجلس يضم بعض المسلمين والنصارى ـ نداء مشتركاً إلى كل الحكومات والدول في العالمين الإسلامي والنصراني ـ: "ناشدها بضرورة الالتزام بتطبيق مبادئ، وأهداف أسس الديانتين السماويتين من خلال الدعوة إلى تعزيز روابط المحبة، والتآخي، والتَّسَامُح، والتعاون المشترك، من أجل إقرار الحرية والعدالة والمساواة"[5].

---

(١) [سورة العنكبوت: الآية ٤٦].

(٢) لقاء المسيحية والإسلام، ص٢٢، نقلاً عن: قالوا عن الإسلام، ص٦٩.

(٣) شيمون بيريز: كان رئيساً للوزراء في إسرائيل عام (١٤١٦هـ ١٩٩٦م)، ثم رشح نفسه للرئاسة بعد مقتل رابين لكنه فشل.

(٤) جريدة القدس العربي، العدد ١٧١٤، (الجمعة ١٢/٧/١٤١٥هـ؛ الموافق ٢٣/١٢/١٩٩٤م).

(٥) «ملف الحوار الإسلامي المسيحي» مجلة الشاهدة، العدد الثالث (محرم ١٤١٤هـ ـ يوليو ١٩٩٣م)، ص١٨.

- ويقول بيل كلينتون[(١)]: "ما دام اليهود يقتلون لمجرد أنهم يهود أَوْ لأنهم مواطنو إسرائيل، فإن بلاء معاداة السامية ما زال حياً يرزق..، وإن ما نعيشه اليوم هو بداية السلام الموعود، هذا اليوم الذي يعيش فيه أحفاد إبراهيم وأحفاد إسحاق وأحفاد إسرائيل جنباً إلى جنب في سلام ووئام. إن هذا في الواقع هو رسالة النبي محمد[(٢)] الذي بعثه الله أيضاً إلى أتباع الديانات الأخرى حيث قال - بما معناه - ليس هناك بيننا وبينكم جدل، وسيجمعنا الله جميعاً وإليه المصير"[(٣)].

الفرع الثالث

احترام المعتقدات وأماكن العبادة

إضافة إلى ما سبق من الحديث عن وحدة الأديان، واستدلالهم بنصوص من الإسلام تجيز التعامل والتلاقي مع الآخرين أي غير المسلمين، يأتي احترام المعتقدات وأماكن العبادة بين الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام.

- وفي هذا يقول جون كين: "إن الدعوة إلى الإيمان بالخالق دون الاعتراف بوجود ديانات منزلة فشلت في خلق مجتمع متسامح يمكن فيه للبشر أن يتعايشوا على الرغم من اختلاف معتقداتهم"[(٤)].

- ويرى المطران جورج خضر[(٥)] ضرورة احترام المعتقدات وأماكن العبادة من أجل أن يبقى العالم في سَلاَمٍ وَوِئَام، منوها على أن الغرب

---

(١) بيل كلينتون: رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، خلف الرئيس جورج بوش، انتخب في عام (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

(٢) ﷺ.

(٣) «خطاب الرئيس»، زاوية بلا حدود، لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٢٦، السنة ٢٥ (١٩/٦/١٤١٥هـ الموافق ٢/١٢/١٩٩٤م)، ص٣٧ (بتصرف).

(٤) «الغرب والتحدي الإسلامي القادم»، زاوية موضوع الغلاف، مجلة المجتمع، العدد ١١٠٥، السنة ٢٥ (الثلاثاء ١٩/١/١٤١٥هـ الموافق ٢٨/٦/١٩٩٤م)، ص٢١.

(٥) جورج خضر: رئيس أساقفة جبل لبنان للروم الأرثوذكس.
انظر: العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٠٧.

يحترم المعتقدات وأماكن العبادة، بقوله: "فالمساجد والمراكز الإسلامية تبنى في كل مكان في العالم، والدعوة الإسلامية لا يعترضها أحد، والإسلام يدرس للتلامذة المسلمين وهم لا يزالون يحتفظون بجنسياتهم الأصلية كما أن رؤساء الكنائس في الغرب يصرون على حرية المسلم بعامة، والكنيسة الغربية تنقح كتب التعليم الديني عندها لتتكلم عن الإسلام بصورة منصفة!"(١).

- ويؤكد كيرلس بسترس على أن العلاقات النصرانية الإسلامية تفرض أولاً الاحترام المتبادل لعقائد الطرف الآخر، ولتعاليمه الأخلاقية، فيجب على كل ديانة أن تحترم اعتقاد الديانة الأخرى(٢).

- "وحصر شمعون بيريز مُستقبل الديانات بمدينة القُدس داخل أطر العبادات فقط، بإعطاء الحق لكل طرف في أن يقيم بعثة دينية داخل مدينة القدس ينصرف اختصاصها إلى ضمان ممارسة أتباعها من المؤمنين لشعائرهم الدينية. وأطلقت إسرائيل على مشروع السماح بإقامة بعثات دينية للديانات الثلاث السماوية في داخل مدينة القدس مسمى التَّسَامُح الديني الإسرائيلي"(٣).

المطلب الثاني
نقد الأساس العقدي

١ ـ وحدة الأديان:

مر معنا في الحديث عن الأساس العقدي بأن بعض النصارى يزعم بأن الأديان كلها واحدة تؤدي إلى غاية واحدة! وأن الأديان متحدة في

---

(١) العلاقات الإسلامية المسيحية، ص.٢٠٧

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) «التَّسَامُح الديني على الطريقة الإسرائيلية» لرضا محمد لاري، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٧١٣ (الأربعاء ١٢/٢/١٤١٥هـ الموافق ٢٠/٧/١٩٩٤م)، ص١١.

جوهرها في الإيمان بالله واليوم الآخر فكلهم أبناء إبراهيم (اليهود والنصارى والمسلمين) وقد قرر هذه المزاعم جماعة من كبار رجال الدين عندهم.

إن تلكم الأقوال السابقة قد تضمنت حقاً، وأخفت وراءها باطلاً كثيراً، فقد جعلوها مسوغاً على صحة إيمانهم واستحقاقهم الجنة.

فقد اجتمع الأنبياء والمرسلون على أصل الديانة ـ مع تطاول الزمان وتغير المكان ـ على دعوة لا إله إلا الله. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[2]، والآيات في هذا كثيرة. وعن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة"[3].

ـ قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ: "فَصْلٌ في توحد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها، وتوحد الدين الملّي دون الشرعي، وما في ذلك من إقرار ونسخ، وجريان ذلك في أهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار ـ ثم أورد بعض النصوص ـ كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[4]، وذكر دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[5]، وكذلك الأحاديث الصحيحة مثل

(١) [سورة الأنبياء: الآية ٢٥].

(٢) [سورة النحل: الآية ٣٦].

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة حمٓ عٓسٓقٓ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص (٢/ ٤٤٢).

(٤) [سورة البقرة: الآية ١٢٤].

(٥) [سورة النحل: الآية ٣٦].

ما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**))[1]»[2].

فقد أرسل اللَّهُ تعالى الرسلَ والأنبياءَ، وأنزل معهم الكتب، فإذا مات الرسل وحرفت الكتب واندرست معالمها أرسل الله رسلاً آخرين، إما لتجديد ما اندرس من الشريعة السابقة، أو لنسخ بعضها أو جميعها. مثل ما أرسل الله موسى ـ عليه السلام ـ بالتوراة، ثم بعث الله عيسى ـ عليه السلام ـ بالإنجيل.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، والقرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة المحفوظة بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3]. فنسخ جميع الشرائع السابقة، ولم يبق دين حق سوى الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾[4]. وبهذا يتبين لنا بطلان استدلالهم بأن الدين واحد، وأنه لم يحرف، وأنه لم ينسخ ببعثة نبينا محمد ﷺ، وأنهم على حق، وأنهم ناجون يوم القيامة ويستحقون الجنة.

وقد تصدى شيخ الإسلام ـ أيضاً ـ للنصارى المتقدمين الذين ادعوا أن القرآن سَوَّى بين جميع الأديان مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾[5]، فساوى

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤٨) قول الله: **﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾** بلفظ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، حديث رقم ٣٤٤٣، فتح الباري (٦/ ٤٧٨)، ورواه مسلم (بنحوه) كتاب الفضائل، باب (٤٠) فضائل عيسى عليه السلام، حديث ٢٣٦٥، صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٦ ـ ١١١) (بتصرف).

(٣) [سورة الحجر: الآية ٩].

(٤) [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

(٥) [سورة البقرة: الآية ٦٢].

بهذا القول بين سائر الناس اليهود والمسلمين وغيرهم.

فأجاب ـ رحمه الله ـ: "لا حُجة لكم في هذه الآية على مطلوبكم، فإنه يسوي بينكم وبين اليهود والصابئين، وأنتم مع المسلمين متفقون على أن اليهود كفار من حين بعث المسيح إليهم فكذبوه، وكذلك الصابئون من حين بعث إليهم رسول فكذبوه، فهم كفار. فإن كان في الآية مدح لدينكم الذي أنتم عليه بعد مبعث محمد ﷺ ففيها مدح دين اليهود أيضاً، وهذا باطل عندكم وعند المسلمين. وإن لم يكن فيها مدح اليهود بعد النسخ والتبديل، فليس فيها مدح لدين النصارى بعد النسخ والتبديل، وكذلك يقال لليهودي إن احتج بها على صحة دينه فعلم أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل، وإنما معنى الآية إن المؤمنين بمحمد ﷺ، والذين هادوا اتبعوا موسى قبل النسخ والتبديل، والنصارى اتبعوا عيسى قبل النسخ والتبديل، والصابئين أي الحنفاء من العرب قبل النسخ والتبديل"(١).

فهم اليوم يرددون وحدة الأديان وأصل الديانة، ويستدلون كما استدل أسلافهم ليسهل دخولهم لدى المسلمين وقبولهم، ولا بأس أن أُفَنِّدَ دعوتهم تلك من خلال كتبهم ـ بغض النظر عن كونها محرفة أم لا ـ فقد ورد في الإنجيل الذي بين أيديهم ـ: "لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً؛ بل سيفاً فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته"(٢).

فالإنجيل قد أوجب المقاطعة الحازمة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده، كما أنهم يرون أن من لم يتبع المسيح فهو هالك، والهالك لا يستحق الحياة والوجود، فكيف بمن يدين بدين غير دينهم؟

ولا أدري كيف يقر الفاتيكان بوحدة الأديان، مع رفضه الإيمان بالرسول محمد ﷺ الذي بلغ الإسلام؟

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ١٢١ ـ ١٢٤).

(٢) متى (١٠ : ٣٤ ـ ٣٧).

فالحقيقة المهمة هي أن رجال الدين النصارى مهما صرحوا به من مقولاتهم فيما يتعلق بوحدة الأديان، فإننا نجدهم يرفضون رفضاً تاماً أن يعترفوا بنبوة محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين، وإن اعترفوا به فيعدونه مرسلاً إلى العرب فقط.

- وها هو القسيس زويمر[1] يصف المولى - عز وجل - بالنقص والإزراء حيث يقول: ''إن المسلمين مهما يكونوا موحدين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين، لأن إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة''[2].

يقول الدكتور عبد الودود شلبي: ''إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعترف بحق اليهود والنصارى في الحياة وكرامة العيش والحماية وتوفير الأمن والعدل..، وأما اليهودية فلا تعترف للمسلمين ولا للنصارى بأي حق للحياة وتعد المسيح ومحمداً - عليهما الصلاة والسلام - أدعياء لا صلة لهم بالوحي، كما تنكر النصرانية على المسلمين دينهم الحق وتراهم وثنيين وكفاراً ما لم يؤمنوا بالمسيح الفادي المخلص، وبالمسيح الإله الذي عذب وصلب ومات ثم رفع''[3].

وأخلص بهذا إلى بطلان دعوى التَّسَامُح عبر ما ذكروه بوحدة الأديان، فقد خالفوا كتبهم المقدسة، وناقضوا أنفسهم صراحة.

وأذكر بعض الأدلة الشرعية التي تحكم على أولئك الداعين إلى ما يُسَمى بوحدة الأديان وتدمغ زيفهم، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ

---

(١) صموئيل زويمر (Zwemer): (١٢٨٨ - ١٣٧٣هـ الموافق ١٨٦٧ - ١٩٥٢) منصر أمريكي؛ زعيم الإرساليات البروتستانتية في الخليج، وحرر مجلة العالم الإسلامي، والتي عرفت بعدائها ضد الإسلام والمسلمين. انظر: (المستشرقون) (٣/١٣٨)، والمنجد في الأعلام، ص٢٨١.

(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ص٢٠.

(٣) رسالة إلى البابا، ص٦ - ٧ (بتصرف).

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾[1]، وقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾[2].

ـ وجاء في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **((والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌ وَلا نَصْرَانِيٌ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِن بِالَّذِي أُرْسِلت بِهِ إلا كَانَ من أَصْحَابِ النَّارِ))**[3].

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "قد ثبت في الكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر"[4].

٢ ـ ما يتعلق باستدلالهم بنصوص من الإسلام تجيز التعامل والتلاقي بين المسلم وغيره:

وذلك من خلال مد جسور الاتصال والالتقاء مع العالم الإسلامي من أجل علاقات إنسانية يسودها التَّسَامُح ونسيان الماضي.

فقد ردد الغرب عبارات التقريب، والتلاقي بين الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام وذلك بالاستدلال بالنصوص الشرعية كما مر معنا.

فينبغي مراعاة أن عبارة التقارب بين الأديان فيما يزعمون إنما هي خداع لا يعني في الحقيقة إلا أن يتزحزح المسلمون تدريجياً عن دينهم، وينزلوا به إلى مستوى الديانتين المحرفتين، فهم يريدون أن يُمَيعوا الإسلام، ويبعدوه عن منهج الحق[5].

وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في تفنيد هذه الدعوى

---

(١) [سورة البينة: الآية ١].

(٢) [سورة آل عمران: الآية ٦٤].

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم ١٥٣، صحيح مسلم (١/ ١٣٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٩٦).

(٥) انظر: الاستشراق، غراب، ص٦٧، ومعالم الدعوة لعبد الوهاب الديلمي (١/ ١٨٧).

الباطلة من أصولها حينما أثارها سلف هؤلاء النصارى "فقالوا: ثم وجدنا في هذا الكتاب ما هو أعظم برهانا مثل قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

والجواب: أما قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾ الآية، فهذه مذكورة بعد قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[2]. فقد أخبرنا أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ﴾ حق، فإن الله أمره وجميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ما أنزل الله وكذلك قوله: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾ فإن الله أمره أن يعدل بين جميع خلقه، وقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ﴾ هذه براءة منه لمن يخاطب بذلك من المشركين، وأهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾[3]"[4].

- وبخصوص استشهاد نصري سلهب بقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الآية، بأن الكتب المنزلة واحدة[5].

فيمكن مناقشة ما ذكره بأننا نحن المسلمين نؤمن حقاً أن أصل التوراة والإنجيل قد نزل من عند الله، ولكنهما قد حرفا ولم يتكفل الله

---

(١) [سورة الشورى: الآية ١٥].
(٢) [سورة الشورى: الآية ١٣].
(٣) [سورة يونس: الآية ٤١].
(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٥٣ - ٥٦).
(٥) يراجع، ص٩٩.

بحفظهما[١]، أما القرآن فقد تكفل المولى عز وجل بحفظه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٢].

"والعجيب المريب أن الذين ينادون بتآلف الإسلام مع الغرب كانوا هم أنفسهم الذين يوجهون إليه المطاعن الظالمة ويذيعون عنه التهم الباغية، وكانوا هم أنفسهم الَّذين يخوضون في دماء المسلمين، يد تمتد بالبطش والنهب، ويد تمتد بالسلام.. على أن الداعين بهذه الدعوات لو كانوا مخلصين حقاً لبدؤوا بإزالة وجوه الخلاف بين مذاهب المسيحية وطوائفها"[٣].

وعموما؛ فإن ما يستشهد به هؤلاء من اليهود والنصارى من نصوص في الإسلام بجواز التعامل والتلاقي بين المسلم وغيره، هو حق يراد به باطل، فهم يهدفون بذلك إلى حماية حقوقهم ومصالحهم عن طريق خداع المسلمين بالألفاظ الخلابة ذات الصبغة الدينية.

٣ ـ ما يتعلق باحترام المعتقدات وأماكن العبادة:

فالحديث في تفصيلها طويل، ولكن بحسبي الإيجاز.

فمن الإنصاف أقول إن غالب دساتير الدول الغربية تنص على مبدأ الحرية، وتقوم على أساس العلمنة، فكل فرد له أن يعتقد ما يريده، ويتعبد بالطريقة التي تحلو له.

لقد استفاد بعض المسلمين من تلكم الحرية المطلقة في بلاد الغرب، فإنه نظراً للتضييق والمحاربة الشديدة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين في بعض البلاد الإسلامية اضطر مجموعة من المسلمين إلى ترك بلادهم، والانتقال إلى بلاد الكفر إما فراراً بدينهم أَوْ رغبة في اكتساب سبل العيش، وطلب الرزق، وإما طلبا للتعلم والدراسة ثم مكثوا هناك.

---

(١) يراجع، ص٨١ ـ ٨٢.

(٢) [سورة الحجر: الآية ٩].

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) (بتصرف).

ويشاء المولى عز وجل أن يكون هؤلاء المتغربون عن بلادهم مصدر خير وبركة في انتشار الإسلام في أرجاء أوروبا وأمريكا على ما في ابتعادهم وغربتهم من أمور سلبية ـ ليس المقام هنا ما يستدعي الحديث عنها ـ.

ومما يجدر التنبيه إليه، أن دول الغرب لا تَكْتَرِثُ ولا تُبَالى بديانات وعقائد النازحين عن أوطانهم، ولا تمانع من بناء المساجد وأماكن العبادة والمراكز الإسلامية[١].

إلا أن هناك مسائل مهمة ـ فيما يخص احترام المعتقدات وأماكن العبادة ـ من أبرزها:

أ ـ أن الغرب قد سئم من عهود سيطرة رجال الدين النصارى في القرون الوسطى، لذا فالمجتمع الغربي منذ مطلع القرن العشرين قد ابتعد كثيراً عن حقيقة الدين[٢]. "وتشير الدلائل إلى أن قليلاً جداً من الغرب الذين يحترمون الإنجيل وينظرون إليه ككتاب سماوي منزه عن الخطأ، فأغلب المسيحيين ينظرون إلى الإنجيل بأنه غير صالح للحياة المعاصرة"[٣].

ويقول الفيلسوف الإنجليزي جود: "سألت عشرين طالباً وتلميذة كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم: كم منهم مسيحي بأي معنى من معاني هذه الكلمة؟

فلم يجب بنعم إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم: إنهم لم يفكروا في هذه المسألة أبداً، أما العشرة الباقية فقد صرحوا أنهم معادون للمسيحية"[٤].

ب ـ أن الصراع بين الحق والباطل باق مستمر إلى أن يرث الله

---

(١) من الملحوظ أنه في الآونة الأخيرة، قام الغرب بالتضييق على الجاليات الإسلامية وتسليط الاتهامات بالإرهاب والتطرف والأصولية وغير ذلك.

(٢) انظر: العلمانية، ص٤٩٧.

(٣) الإسلام في مواجهة الغرب، ص٥٣ ـ ٥٤ (بتصرف).

(٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي، ص١٩٨.

الأرض ومن عليها، وأن قُوَى الكفر ما برحت ولن تبرح تقاتل المسلمين بكل وسيلة ممكنة، وقد نص المولى عز وجل على ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(١). وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(٢).

وكيف ننسى الحروب الصليبية التي شنها النصارى على المسلمين؟

سفكوا الدماء واستباحوا الأعراض، وسرقوا الأموال، ونهبوا البلدان.

وهل ننسى ما عملته جيوش الاستعمار في العالم الإسلامي؟

والتاريخ يعيد نفسه فها هي البوسنة والهرسك تشهد أعظم مجزرة بشرية على مر العصور بأيدي النصارى في القرن العشرين!

ج ـ أن اليهود والنصارى يُرَدِّدُون الشبهات الماضية، والمطاعن الشديدة، ويصمون الإسلام بأشد عبارات الجمود والتخلف.

فمن ذلك: قول وليم موير: ''إن سيف محمد(٣) والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة والحرية''(٤).

ولئن قيل: إن المطران جورج خضر أشار إلى تنقيح كتب التعليم الديني عندهم لتتكلم عن الإسلام بصورة منصفة(٥).

فالواقع يخالف ذلك؛ بل إن الكنائس الغربية قد استغلت جهل الأوروبيين والأمريكيين بالإسلام وتعاليمه وتاريخه. فشوهت صورة الإسلام في نفوس رعاياها.

وأضرب مثالاً على ذلك:

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢١٧].

(٢) [سورة البقرة: الآية ١٢٠].

(٣) ﷺ.

(٤) الاستشراق لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبي ديب، ص١٦٨.

(٥) يراجع، ص١٠١.

فقد جرت محاورة بين الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ وبين رئيس الآباء اليسوعيين في إيرلندا الجنوبية أقتطف منها ما يلي:

"قال مصطفى السباعي: كان من حديثي مع رئيس اليسوعيين أن سألته، لماذا لا تزال كتبكم وبخاصة الكتب التي تدرس للطلاب في مدارسكم مليئة بالطعن البذيء الفاحش على نبينا محمد ﷺ؟

فأجاب إننا نحن المسيحيين لا نحترم رجلاً يعدد زوجاته.

فما كان من مصطفى السباعي إلا أن قال له: هل سليمان ـ عليه السلام ـ عندكم من الأنبياء المحترمين أَمْ لا؟

قال: بلى.

فقال مصطفى السباعي: إن التوراة التي بين أيديكم أثبتت أنه كانت له سبعمائة من الحرائر وثلاثمائة من الجواري، وهنا أفحم الأب اليسوعي!"[1].

وهكذا تبين لنا أن الغرب قد رفع شعار احترام المعتقدات وأماكن العبادة، كأحد الأسس العقدية ليخفي وراءه كثيراً من الباطل عبر دعوى التَّسَامُح.

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام لمحمد الصواف، ص١٠٤.

المبحث الثاني

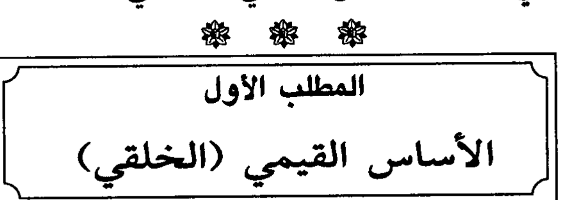
الأساس القيمي (الخلقي) ونقده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأساس القيمي (الخلقي).

المطلب الثاني: نقد الأساس القيمي (الخلقي).

❁ ❁ ❁



المطلب الأول

الأساس القيمي (الخلقي)

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: وحدة الأصل الإنساني.

الفرع الثاني: القومية والوطنية.

الفرع الثالث: الحرية.

ودونك إياها بالتفصيل فيما يأتي.

الفرع الأول

وحدة الأصل الإنساني

"إن معرفة أصل البشر، وهل هم عائدون إلى مصدر واحد، ويجتمعون في أصل واحد، وهل هم أفراد لأسرة واحدة أَمْ هُمْ فصائل شتى تختلف جواهرهم وأصولهم؟""[1].

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام لمحمد بن عبد الرحمن العمير، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، غير مطبوعة، (١/ ٢٤١).

إن معرفة هذا الأمر من الأهمية بمكان، فعلى ضوئه تتضح العلاقات بين البشر. فالتوراة والإنجيل متفقان على أن الله خلق آدم أبا البشر أول الخلق، وخلق منه حواء، فالبشر جميعاً ينتمون إلى أصل واحد، وتَنَاسَلَ الخلقُ منه جميعاً كما جاء في التوراة: ''ثم جَبَلَ الربُّ الإله آدمَ من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية''[١].

''فإن كل مجتمع بشري أو أمة تتألف اليوم من أشخاص ينتمون إلى أجناس وأديان وقبائل، وأعمار مختلفة، وكذلك من ذكور وإناث يتفاوتون في مستوياتهم الثقافية والتعليمية. والتَّسَامُح هنا يعني البحث عن السبل التي تضمن حقوق وكرامة كل فرد''[٢].

ويؤكد كيرلس بسترس ـ كرامة الإنسان من خلال الأساس الخلقي ـ بقوله:

''إن كرامة الإنسان تأتي من كونه خلق على صورة الله!''[٣].

وعلى مدى شغل البابا يوحنا الثاني ـ للكرسي البابوي ـ فقد كان كثيراً ما يؤكد فكرة التَّسَامُح كأساس للسلوك الأخلاقي في العلاقات الإنسانية في المجتمعات الحديثة. وأساس التَّسَامُح في نظر هذا البابا: ''يكمن في الوحدة الجوهرية للجنس البشري، والوعي بأن البشر مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والوطنية يكونون أسرة إنسانية واحدة،، خلقها إله واحد، وتعيش في عالم واحد، ومآلها الأخير واحد. وهذه الوحدة تستلزم وحدة الأصل الإنساني وكرامته، ونبذ الاختلافات بين أعضاء الأسرة الإنسانية''[٤].

ولهذا فإن قضية التَّسَامُح تحدد في سياق المبادئ العظمى كالاعتراف بالكرامة الإنسانية[٥].

---

(١) سفر التكوين (٢: ٧).

(٢) التسامح: منظور مسيحي، ص١.

(٣) العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٤٢.

(٤) التسامح: منظور مسيحي، ص١ ـ ٢ (بتصرف).

(٥) See: Justifying Toleration, Susan Mendus. 1981, P. 15.

فهم يؤكدون دعوة التَّسَامُح بين الأسرة الإنسانية، من خلال بعض مقولاتهم عن وحدة الأصل الإنساني وكرامته.

الفرع الثاني

القومية والوطنية

عندما ظهرت حركة التغيير في القرن التاسع والعاشر الهجريين تقريباً (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين)، تم القضاء على نفوذ الكنيسة، وانفرط العقد الذي كان يجمع الأمم النصرانية، فتحطمت الوحدة الدينية والسياسية وظهرت قوميات مستقلة، منفصل بعضها عن بعض، وبدأت لغة كل أمة وأدبها يتطور مستقلاً، وبدأت المصالح الاقتصادية لكل أمة تختلف عن مصالح الأمم الأخرى المجاورة لها. وهكذا بدأ تصور جديد للقومية على أسس عرقية سياسية اقتصادية وحضارية ثقافية[(١)].

وسادت المشاعر القومية في المجتمعات الغربية في القرون الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الهجري (السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الميلادي) وقامت نبتة الاستعمار على أرض الشعور القومي الذي أوجد لدى الإنسان الأوروبي إحساساً بالتفوق على الشعوب الآسيوية والأفريقية[(٢)].

وفي القرن العشرين تركزت الوطنية والقومية في الغرب كأساس خلقي لدعوى التَّسَامُح بين الشعوب والأمم، بحيث تذوب الفوارق الدينية والاجتماعية بين أبناء الوطن الواحد، والجنس الواحد.

ويجدر في هذا المقام أن أعرف القومية والوطنية ـ بإيجاز ـ قبل تناول شعاراتهما.

ـ فمعنى **القومية**: "أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن

---

(١) انظر: القومية بين النظرية والتطبيق لمصطفى الطحان، ص٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) انظر: القرن الواحد والعشرون لمحسن الموسوي، ص١٨ ـ ٢٠.

يكون ولاؤهم واحداً وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم، وإن كان معناها أيضاً السعي في النهاية إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل، فيكون الولاء للقومية مصحوباً بالولاء للأرض. ولكن الولاء للقومية يظل هو الأصل؛ ولو لم تتحقق وحدة الأرض"[١].

- ومعنى **الوطنية**: "أن يشعر جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له، أيا كانت أصولهم التي ينتمون إليها، وأجناسهم التي انحدروا منها. أي أن الولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس"[٢].

فمن شعارات القومية والوطنية في الغرب: "ألمانيا فوق الجميع، وأمريكا بلد الله، وإيطاليا هي الدين، الحكم الحق لبريطانيا، وبلدي بلدي سواء كان على حق أم باطل"[٣].

ولقد اتسمت الحركات القومية والوطنية في الغرب بميل بارز إلى التَّسَامُح الديني مستدلين بمقولة رجال الدين: "إن أبوة الله تشمل جميع الشعوب، وإن الأخوة تضم جميع البشر"[٤].

ويقول توماس مايكل: "التَّسامُح مبني على واقعية عميقة. فهناك اختلافات حقيقية دينية ووطنية وعرقية"[٥].

ومن المعروف أن الأسس الخلقية تقوم على مجموع الثقافات والأفكار التي تنتمي إليها قومياتها مع التَّسَامُح في تبادل الأفكار مع القوميات الأخرى. وفي هذا يقول فيكو Vico: "إنَّ الأفكار تنتشر عن طريق استكشاف كل أمة - أوثقافة - مستقلة غيرها لاحتياجاتها في أية مرحلة

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص٥٥٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القومية بين النظرية والتطبيق، ص٣٣٩.

(٤) التبشير والاستعمار، ص١٧٢.

(٥) التسامح منظور مسيحي، ص٢ - ٣.

من مراحل تطورها"[1].

ويقول جب[2]: "إن الثقافة المستعيرة لا بُدَّ أن تحس هي نفسها حاجتها خلال تطورها الداخلي إلى غذاء من الخارج، وكل ما تستعيره في هذا السبيل لن تنتفع منه إلا إذا استند إلى هذه العناصر من الثقافة القومية بشرط ألا تتعارض مع قيمتها الأساس"[3].

أي أن الغرب يدعو إلى التَّسَامُح في الاستفادة من ثقافات وأفكار الأمم الأخرى بشرط ألا تتعارض مع القوميات المختلفة.

لذا فقد أولت الدول الغربية جل اهتماماتها في نشر قومياتها على أساس من التَّسَامُح مع أبناء الشعوب الأخرى ليكونوا مواطنين غربيين. يقول جسب (Jessep): "من العناية الإلهية العظيمة أن المطبعة الأمريكية والمدارس الأمريكية في سورية كانت وسيلة لإعداد رجال ونساء كثار ليكونوا مواطنين أمريكيين"[4].

وحيث إن اللغة تعد إحدى الأسس التي تقوم عليها القومية؛ لذا فقد أنفقت فرنسا على مدارسها وعلى المدارس التي تعلم اللغة الفرنسية بسخاء[5].

وهكذا يبدو، كيف أن الغرب قد رفع شعار الوطنية والقومية؛ ضمن الأسس الخلقية للتسامح مع المسلمين؟

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٥٩٥.

(٢) جب هاملتون (Gibb Hamilton): (١٣١٢ ـ ١٣٩١هـ ـ ١٨٩٥ ـ ١٩٧١م) مستشرق إنجليزي من مواليد الإسكندرية في مصر، درس في جامعة لندن وجامعة أكسفورد وغيرهما، ويعد المستشرق جب خَلِيفَة المستشرق مرجليوث في أكسفورد، وله مؤلفات عديدة.
انظر: موسوعة المستشرقين د. عبد الرحمن بدوي، ص١٠٥، و (المستشرقون) (٢/ ١٢٩ ـ ١٣١).

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص٥٩٥.

(٤) التبشير والاستعمار، ص١٧٠.

(٥) انظر: المرجع السابق.

الفرع الثالث

الحرية

إن الحديث عن الحرية حديث طويل، ومتشعب الأطراف، ولست في مقام التفصيل ولكن أوجز الحديث في ما يتعلق بالحرية كأساس خلقي لدعوى التَّسَامُح في الغرب.

بالرجوع إلى معنى الحرية في اللغة الإنجليزية: Freedom, Liberty[(١)] نجدها تطلق على "المتسامح، والمتحرر، والمتساهل في التزام السنن والأشكال التقليدية"[(٢)].

ويعرف الدكتور محمد محمد حسين المتحرر بأنه: "هو الذي يذهب في التَّسَامُح الديني إلى درجة تكاد تنمحي معها الحدود الفاصلة بين المذاهب والنحل"[(٣)].

"والتحررية تتسم بأنها نزعة في السلوك أكثر مما هي مذهب عقلي في التفكير، ويقصد بها انسلاخ الفرد من كل ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين في رغباته وشهواته، ثم سيرته حسب ضميره ونزعته الخاصة"[(٤)].

وربما عرف الغرب شعار الحرية - بشكل واضح - لأول مرة في الثورة الفرنسية[(٥)] في (١٢/ ١/ ١٢٠٤هـ الموافق ١٢/ ١٠/ ١٧٨٩م) بشعارها الثلاثي: الحرية والإخاء والمساواة. والمقصود بالحرية في هذا الشعار المزعوم الحرية المطلقة في أن يعتقد الإنسان فيما يرغبه ويعمل ما يحلو له

---

(١) Arabic- English Dictionary, Edited by: J M. Cowan, P. 165.

(٢) المورد - حرف L، ص٥٢٥.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣٤٣).

(٤) الخطر اليهودي لمحمد التونسي، حاشية، ص١٠٤.

(٥) لليهود دور بارز في قيام الثورة واستغلالها لصالحهم بصورة لم تكن متاحة لهم من قبل. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص٨٦ - ٩١.

فليس هناك قيم أو أخلاق مرتبطة بالدين أو التقاليد.

فالمتأمل لفلسفة الحياة في الغرب وقيمها الخلقية يرى أن للحرية دوراً بارزاً في علاقة الغربيين مع الآخرين من خلال التَّسَامُح، يقول جون كرومنس[١]: "إن أعظم مبادئ التَّسَامُح هو تقرير المبدأ الأخلاقي أن الإله خلقنا أحراراً، وأن للجميع أن يتمتعوا بحرية في التعامل مع الآخرين"[٢].

وفي إحدى مؤتمرات الحوار بين الأديان، دعا فيتزا جرالد[٣] إلى: "ضرورة ضمان حرية الأديان والمعتقدات لجميع الأفراد والأقليات في كل الدول والمجتمعات مهما اختلفت ميولها وانتماءاتها.."[٤].

ويؤكد رافاييل ارتباط التَّسَامُح بالحرية بقوله: "إن التَّسامُح يملك قيمة إيجابية؛ لأنه يساهم في تعزيز الحرية"[٥].

بل إن المفكر الإنجليزي كارل بوبر (Karl Popper) يعد المجتمعات الغربية الديموقراطية هي المجتمعات الوحيدة التي تتمتع بقدر كبير من الحرية والتَّسَامُح[٦].

ويقول بيتر ب. نيكلو لسون: "عندما يرضى المتسامح طوعاً بالتَّسَامُح وبإدراك كاف لما يقدم عليه، لا يكون مقيداً لحريته بأي شكل من الأشكال بقدر ما يكون صانع خيار أخلاقي من ركائز الحياة الحرة"[٧].

---

(١) جون كرومنس (John K. Cormance): مفكر أمريكي معاصر صاحب كتاب (أسس التسامح وتجاربه وتطبيقاته).

(٢) Tolrance, Principles, Practices, Obstacles and Limits, p. 45-46.

(٣) فيتزا جرالد (Fitzgerald): ممثل بابا الفاتيكان ومستشاره في مجلس الحوار بين الأديان (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م). انظر: مجلة الشاهدة، العدد الثالث، مرجع سابق، ص٢١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) التسامح بين شرق وغرب، ص٣٧.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص٨٠.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص٤٣.

ويعلل ذلك ريتشارد نيكسون[1] بقوله: ''إن الحضارة الغربية ليست شكلاً ظاهرياً فقط ولكنها أسلوب، إنها الأسلوب الذي نتجه به إلى آفاق الحرية والابتكار وتحقيق الأهداف''[2]. ويقول أيضاً: ''تمثل أمريكا، ثلاث قيم لها أهمية كبرى هي: الحرية، والفرصة المتاحة، واحترام الإنسان نفسه''[3].

ـ ويؤكد ذلك ـ أيضاً ـ إدوارد دجيريجيان[4]: ''بأن الحرية الدينية والتَّسَامُح هما عنصران أساسيان في شخصيتنا الأمريكية القومية ونظامنا الدستوري. وفي الواقع إن الشعب الأمريكي يدرك ـ ربما أكثر من أي مجتمع آخر ـ معنى التنوع وفضائل التَّسَامُح''[5].

وهكذا فقد اتضح لنا أن المبادئ التي ينادي بها الغرب ـ من خلال بعض مقولاتهم! ـ قد أدركت أهمية الحرية؛ كأساس خلقي للتسامح، وضرورته للتقدم الإنساني، والأخلاقي.

المطلب الثاني
نقد الأساس القيمي (الخلقي)

١ ـ وحدة الأصل الإنساني وكرامته:

سبق الحديث عن وحدة الأصل الإنساني وكرامته كأساس خلقي للتسامح في العلاقات الإنسانية، وأوضحت أن التوراة والإنجيل متفقان على

---

(١) ريتشارد نيكسون (Richard Nixon): ولد عام (١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م) سياسي أمريكي. الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٣٨٨ ـ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٤م) اضطر إلى الاستقالة بسبب فضيحة وترغيت. انظر: المورد، معجم أعلام حرف N، ص٦٤.

(٢) الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة لمحمد مورو، ص٣١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) إدوارد دجيريجيان: مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأدنى، ومساعد وزير الخارجية بالنيابة لشؤون جنوب آسيا (عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

(٥) أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم د. عبد القادر طاش، ص١٥٩.

أن الله خلق آدم عليه السلام (أبا البشر) أول الخلق، وأن البشر جميعاً ينتمون إلى أصل واحد.

ولكن تقرير حقيقة وحدة الأصل الإنساني وكرامته تصطدم بمعتقدات أخرى عندهم تناقضها.

فقد حكى المولى عز وجل في كتابه الكريم اختيار بني إسرائيل وتفضيلهم على العالمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣﴾[1]، وبسبب كفرهم وعنادهم غضب الله عليهم ولعنهم. قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾[2].

لذا أصبح اليهود يتشبثون دائماً بعهد الاصطفاء الأول ويتشدقون به، ويغضون الطرف عما أحدثوا بعده من كفر وعناد، حتى أدى بهم إلى استحقاق اللعنة إلى يوم القيامة؛ بل إنهم يزعمون أنهم لا يزالون شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه[3]. ويستندون على ما جاء في توراتهم: "لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّس للرَّبِّ إلَهِكُمْ. فَإِيَّاكُمْ قَد اختَارَ الرَّبُّ إلَهُكُم مِنْ بَيْنِ جَمِيع شُعُوبِ الأرضِ لِتَكُونُوا شَعْبَهُ الخَاص"[4]. لا بل هم يشتطون في عصبيتهم لفكرة استعلاء الجنس اليهودي على سائر الأمم،

---

(١) [سورة الدخان، الآيات ٣٠ ـ ٣٣].

(٢) [سورة البقرة: الآيات ٨٧ ـ ٨٩].

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٠)، ورؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص٦٨ ـ ٦٩، ونظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري للشيخ عمر الخطيب، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٤) سفر التثنية (٧: ٦).

ويعتبرون الدنيا بما فيها ملكاً لهم، ويحق لهم التسلط على من عداهم بالتسخير والاسترقاق، ولهم مطلق التصرف في كل شيء. مستدلين بما جاء في تلمودهم: "على أن سائر الناس غير اليهود حيوانات في صورة إنسان، فهم حمير وكلاب وخنازير، فإذا ضرب واحد منهم إسرائيلياً فإنه يستحق الموت، لأن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، ويرون أن بيوت جميع الأمم غير اليهود نظير زرائب للحيوانات"[1].

وأما النصارى فإنهم وإن لم يغالوا كغلو اليهود إلا أنهم تأثروا نتيجة اعتناق الدولة الرومية للديانة النصرانية، وانحراف الكنيسة وتنكرها للمبادئ الأساسية لتعاليم المسيح ـ عليه السلام ـ فقد اصطبغت الكنيسة بالفكر الروماني في تقسيم البشر إلى سادة وعبيد بحكم الأصل والخلقة، وصبغت هذه النظرة بالصبغة الدينية[2].

لقد ارتكزت النصرانية على ما قررته الكنائس المختلفة من أن الإنسان مخلوق تلازمه الخطيئة الأولى، ويعنون بها خطيئة أكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهِيَا عن الأكل منها وأنهما ارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر، وبهذا فليس للإنسان بسبب ذلك كرامة ذاتية ما دام وارثاً لهذه الخطيئة، وليس يخلصه منها إلا الإيمان بالمسيح[3].

ولما قامت نظرية دارون[4] في الغرب: النشوء والارتقاء أو التطور عام (١٢٧٩هـ الموافق ١٨٥٩م)، تزلزلت العقائد الدينية جملة، وناقض

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: يوسف نصر الله، ص٦٦ ـ ٦٨.

(٢) انظر: نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، ص٦٢، ومفهوم المساواة، ص٥٦ ـ ٥٧، وحقوق الإنسان (١/ ٢٤٥).

(٣) انظر: نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، ص٦٠، والعلمانية، ص١٨٧.

(٤) دارون تشالس (Darwin): (١٢٢٠ ـ ١٢٩٣هـ ـ ١٨٠٩ ـ ١٨٨٢م) إنجليزي عالم بالطبيعة. صاحب نظرية التطور في الأجناس الحية. انظر: المنجد في الأعلام، ص٣٣٨.

الغرب إيمانه فيما ورد في التوراة والإنجيل من وحدة الأصل الإنساني وكرامته بأنه مخلوق على صورة الله.

ومهما قررت المجامع الدينية والمؤتمرات الكنسية في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري (العشرين الميلادي) وحدة الأصل الإنساني وكرامته، ونزوع الإنسان فرداً وجماعة إلى أصل واحد، فالواقع المشاهد يخالف ما يقولونه، فالاستعلاء على الشعوب الأخرى وقهرها، والزراية بالسود والملونين، واستعباد الشعوب الضعيفة عبر الاستعمار الحديث، وسحق ملايين البشر البائسين. كل ذلك وأشباهه شاهد على مخالفة تلك القرارات المزعومة.

- وأنقل هنا كلام جورج أورول الذي قاله في مراكش عام (١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م):

"حين تسير عبر بلدة كهذه، يوجد بها مائتا ألف من السكان، منهم على الأقل عشرون ألفاً لا يملكون سوى الأسمال[(١)] التي يقفون فيها، وحين ترى كيف يعيش الناس، وأكثر من ذلك بأي سهولة يموتون، فإن من الصعب دائماً أن تصدق أنك تسير بين كائنات بشرية وجميع الإمبراطوريات الاستعمارية في الواقع تؤسس على هذه الحقيقة. إن للبشر وجوها سمراء..

هل هم حقاً اللحم نفسه الذي هو أنت؟

هل لهم حتى أسماء؟

أم أنهم مجرد مادة سمراء غير متمايزة، أفراد بقدر ما النحل أو حشرات المرجان؟ إنهم ينبعون من الأرض، يعرقون ويعانون الجوع لبضع سنوات، ثم يغوصون عائدين إلى أكوام المقابر التي لا أَسْمَاءَ لها دون أن يلحظ أحد أنهم ذهبوا حتى القبور نفسها سرعان ما تنحل رجوعاً إلى التراب"[(٢)].

---

(١) الأسمال: الخلق من الثياب. انظر: لسان العرب مادة (سمل) (٦/ ٣٦٩).

(٢) الاستشراق، إدوارد، ص٢٥٧ (بتصرف يسير).

فأين ما يدعونه من تسامح خلقي على أساس وحدة الأصل البشري وتأكيد الكرامة الإنسانية.

ويحسن إيراد المنهج الإسلامي في هذا المقام، يذكر الله سبحانه الناس جميعاً بأنهم خلقوا من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[1]. والشريعة الإسلامية لا تُقِرُّ أيَّ نوع من أنواع التمييز، والاستعلاء، والكراهية بسبب العرق أَوْ الطبقة أَوْ اللون أَوْ القيم المادية[2].

٢ ـ القومية والوطنية:

ساد في الغرب أن الشعب والأمة والوطن فوق كل شيء، وأفضل من كل شيء، وأن الله لم يخلق أفضل من الشعوب الغربية، ولا أنجب منها، ولا أذكى ولا أقوى ولا أحق بالحكم والسيادة والولاية على الأمم، والرعاية للعالم منها.

والمتأمل في أسس الغرب عند البحث في القومية يراهم أبعد الناس عن التصريح بما يعرفون من حقائق القومية وصلتها بالدين النصراني.

"ولا شك أبداً في أن الدين عنصر من العناصر التي تتضافر مجتمعة على خلق القومية. والأمثلة كثيرة في الغرب، فالقومية البروتستانتية جزءٌ لا يتجزأ من القومية الهولندية والإنكليزية، بينما الأرثوذكسية جزءٌ أصيل في القومية اليونانية والبلغارية"[3].

"وقد جمعت النصرانية الأمم الأوروبية تحت لواء الدين وجعلت من العالم النصراني عشيرة واحدة، وأخضعت الشعوب الكثيرة للكنيسة اللاتينية فغلبت العصبية القومية والنعرة الوطنية، حتى إذا اضمحلت النصرانية نفسها

---

(١) [سورة النساء: الآية ١].

(٢) انظر: نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) التبشير والاستعمار، ص١٧٣ (بتصرف).

في أوروبا قويت العصبية القومية والوطنية"[1]. فكان الانحطاط الديني النصراني، وانتشار الفوضى الأخلاقية سبباً مهماً في رجحان كفة القومية والوطنية.

ويؤكد هذا الأمر لورد لوثين (Lord Lothiun): "إن الدين الذي هو المرشد اللازم للإنسان، والوسيلة الوحيدة لحصول الغاية الخلقية، والشرف المعنوي للحياة البشرية، كان نتيجة الانحطاط في سلطانه أن فتن العالم الغربي بمذاهب سياسية تقوم على أساس اختلاف الأجناس والطبقات وآمن ـ بتأثير العلوم الطبيعية ـ بأن الرقي المادي هو الغاية العليا، والوطر الأكبر، ولا يزال يزيد هذا الأمر في مشاكل الحياة وأثقالها وتكاليفها، وكان من نتائج ذلك أيضاً أنه صعب على أوروبا أن توفق بين روحها وحياتها توفيقاً ينقذها من القومية داهية هذا العصر الكبرى"[2].

وأما ما اتسمت به الحركات القومية والوطنية في الغرب من تسامح ديني، فيهدف من ورائه إلى نشر النصرانية في جميع الشعوب وسائر البلدان[3]. يقول محمد قطب: "لما برزت القوميات في أوروبا تلبست بالروح الصليبية تجاه المسلمين، فأصبح التنافس يتمثل في التنافس على استعمار العالم الإسلامي، ومحاولة تنصير أهله عن طريق الحملات التبشيرية التي صاحبت الاستعمار الصليبي دائماً، وحتى حين أصبحت تلك القوميات علمانية تماماً لم يؤثر ذلك في صليبية الحملات الاستعمارية"[4].

ـ وأما عن قيام الغرب بنشر القوميات والوطنيات وتصديرها إلى العالم الإسلامي بحجة التَّسَامُح في تبادل الأفكار والثقافات وتعليم اللغات، فالحقيقة ما هي إلا وسيلة من وسائل الغزو الفكري في محاربة العقيدة

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٢.

(٣) انظر: التبشير والاستعمار، ص١٧٢.

(٤) مذاهب فكرية معاصرة، ص٥٦٨.

الإسلامية، وتحويل حركات الجهاد إلى حركات وطنية وقومية، وتغريب المسلمين[1].

٣ ـ الحرية:

قبل الحديث عن نقد الحرية في الغرب؛ يجدر أولاً بيان أَنَّ منبت هذه الفكرة في الغرب هم اليهود، وقد شهدوا على أنفسهم بذلك، فقد جاء في البروتوكول الأول: ''كنا قديماً أول من صاح في الناس بالحرية والمساواة والإخاء كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر، وقد حرمت بتردادها العالم من نجاحه، وحرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التي كانت من قبل في حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة''[2].

وقد مر معنا بأن المقصود بالحرية هو: تحطيم القيود الأخلاقية والتقاليد الموروثة، ''وذلك أن الكنيسة قبل الثورة الفرنسية استبدَّت كثيراً، وصادرت الحريات. . ، والحرية الموجودة اليوم في أوروبا ليست نابعة من الدين النصراني، وإنما رد فعل لما أحدثته الكنيسة من الكبت والحجر على العقول، وإلا فروادها علمانيون نصارى بالاسم''[3].

''وببروز العهد الرأسمالي بكل مقوماته كثمرة من ثمرات الحرية تبين أن الحرية الفردية قد أصبحت وَهْماً لا حقيقة له في عالم الواقع؛ بل تحولت إلى حرية الاستغلال''[4].

وإذا كان المقصود بالحرية: أن ينسلخ الغرب من أية قيود دينية أو أخلاقية بحجة أن كل إنسان حر في تصرفاته الخاصة، فأي أخلاق يمكن أن

---

(١) للاستزادة في هذا الموضوع، انظر: المرجع السابق، ص٥٥٤ ـ ٥٨٨.

(٢) الخطر اليهودي، ص١١٠، وبروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: عجاج نويهض، ص١٨٦ ـ ١٨٧.

(٣) الحوار مع أهل الكتاب أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة لخالد القاسم، ص٩٣.

(٤) نحو مجتمع إسلامي لسيد قطب، ص١٩.

تكون، يقول باكنيون: "إن البالغين كافة يجب أن يصبحوا أحراراً ـ بشكل مطلق ـ بحيث يمارسون التعبير عن كل الآراء، حتى ولو كانت أغراضها غير أخلاقية؛ بل حتى من أجل الدعوة إلى تدمير الحرية"(١).

فأي أخلاق هذه التي تدعو لممارسة الرذيلة على أساس الحرية!

وأما ما يزعمونه من أن المجتمعات الغربية الديموقراطية.. هي الوحيدة التي تتمتع بالحرية والتَّسَامُح.

فالحقيقة إن الحرية المزعومة التي تقوم عليها المجتمعات الغربية هي حرية لا دينية تدفع الناس دفعاً إلى الإباحية والإلحاد(٢).

فكيف يقوم التَّسَامُح في المجتمعات الغربية مع المسلمين على أساس الحرية التي تدعو إلى الإباحية والإلحاد، والتي تناقض الحرية التي دعا إليها الإسلام المنضبطة بالقيم الأخلاقية؟

---

(١) «الحرية» (بيترب. نيكولسون ضمن: التسامح بين شرق وغرب)، ص٤٦.

(٢) انظر: العلمانية، ص٢٣٠ ـ ٢٣١.

المبحث الثالث
الأساس العملي ونقده

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأساس العملي.

المطلب الثاني: نقد الأساس العملي.

❁ ❁ ❁

المطلب الأول
الأساس العملي

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الدعوة إلى تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض.

الفرع الثاني: الدعوة إلى نشر العلم والثقافة والمدنية.

الفرع الثالث: المساعدات الإنسانية والخدمات الطبية.

وفيما يأتي أعرض كلا منها.

الفرع الأول
الدعوة إلى تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض

كانت الحروب الصليبية تستهدف القضاء على الإسلام قضاء مباشراً لذا كان الصراع بين النصرانية والإسلام محتدماً على الدوام منذ القرون الوسطى بصورة أو بأخرى، ثم نشأ تفكير ذكي اتعظ بالهزائم العسكرية المتلاحقة التي مني بها الصليبيون.

ونما هذا التفكير في خطة العمل الموحد المشترك بين اليهود والنصارى في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) عبر الاستعمار الحديث للبلاد الإسلامية. فنادى الغرب بالتَّسَامُح في العمل المشترك بين أمم الأرض كافة على اختلاف مشاربها وعقائدها وأهدافها من خلال الدعوة إلى تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض واستغلال الموارد الطبيعية.

ومن ضمن الشعارات المرفوعة رسالة الرجل الأبيض تجاه إخوانه من البشر، ورسالة التحضر الأوروبية.

ولما قامت حركات الاستقلال في البلاد الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)؛ حرص الغرب على تأكيد أهمية التَّسَامُح في بناء الحضارة الإنسانية، وذلك بأشكال وصور جديدة، فمن تلكم الصور التصنيع والتعاون التقني (التكنولوجي) والمعونة الأجنبية والتنمية الاقتصادية[1].

وفي هذا يقول كانتويل سميث[2]: ”لَمْ يعد التقسيم بين الحضارات المختلفة صالحاً الآن، فالحضارة الحديثة، بالرغم من أن نشأتها الأولى كانت في الغرب... هي التي تسود العالم كله اليوم مزيلة أمامها كافة الصور الثقافية والحضارية الأخرى.. إن ازدهار الشعوب المسلمة سيعتمد بصورة متزايدة على التقدم الاجتماعي المستقل عن الاعتبارات الدينية، لذلك لا بُدَّ من التَّسَامُح التام مع العلمانية“[3].

فهو يؤكد على المسلمين أن يقبلوا الحضارة الحديثة بكل صورها بغض النظر عن موافقتها أو مخالفتها لتعاليم الدين.

---

(١) انظر: الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين لمريم جميلة، ترجمة: طارق السيد، ص٩.

(٢) ولفرد كانتويل سميث: (Wilfred Cantwell Smith) مدير معهد الدراسات الإسلامية، وأستاذ الدين المقارن في جامعة ماكجيل بكندا. وهو مؤلف كتاب الإسلام في التاريخ الحديث.

(٣) الإسلام في مواجهة الغرب لمريم جميلة، ترجمة: طارق السيد، ص٤٩ (بتصرف).

نعم أقام الغرب حضارته على أساس التفاهم بين المدنيات المختلفة، وأن زمن العزلة قد مضى وفات، وأنه لا بدَّ من التعايش المشترك في ظل المدنية العصرية، وفي هذا يقول جب: "إن فكرة استقلال الحضارات قد ماتت، ولم يعد لها وجود في أيامنا هذه..، فقد عاشت كل حضارة من الحضارات في عزلة من قبل تربطها بالحضارات الأخرى صِلاتُ وُدٍّ أَوْ عِدَاءٍ.

وأما في أيامنا هذه، فعلينا أن نتعلم كيف نعيش متعاونين. والإسلام كغيره يجب أن يثبت قدرته على الخلق والابتكار"[1].

ومن هنا حرص الغرب على تزويد الدول الإسلامية بالخبرات والخدمات، وإنشاء العديد من الشركات والمؤسسات ويؤكد ذلك برنارد لويس: "إن التقدم التقني والاقتصادي (الذي شهدته الدول الإسلامية) من صنع الغربيين، فهم الذين بنوا الطرق وسكك الحديد والموانئ، وأحضروا القاطرات البخارية، ومن ثم القاطرات التي تسير بالبترول، وكذلك الغاز والكهرباء، والبرق والهاتف والراديو وبدأوا هم أول لبنة في التطور الصناعي"[2].

وبهذا يتضح لنا واقع الشعارات المرفوعة، والمقولات التي ينطلق منها الغرب للتسامح مع المسلمين، من خلال الدعوة إلى تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض واستغلال الموارد الطبيعية.

الفرع الثاني

الدعوة إلى نشر العلم والثقافة والمدنية

مر معنا ـ آنفاً ـ أنه لما قامت حركات الاستقلال في البلاد الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) اتخذ الغرب في صلاته مع العالم الإسلامي طوراً جديداً.

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، ص١٦٠.

(٢) الغرب والشرق الأوسط، ص٥٠.

كان منها مناداة الغرب بالدعوة إلى نشر العلم والثقافة والمدنية بين ربوع المسلمين الذين غلب عليهم الجهل وتفشت فيهم الأمية محاولاً إقناعهم بأنه يرغب في إخراجهم من ظلمة الجهل لإدراك ركب الحضارة والعلم والمعرفة.

ونظراً لما للعلم والثقافة والمدنية من أثر واضح في دفع المجتمعات ورقيها فقد ركز الاستعمار الغربي على تسيير المجتمعات الإسلامية نحو الوجهة التي هيمن عليها، فقام أساتذته وباحثوه بوضع مناهج مدروسة وخطط استراتيجية متعددة، وفتح مدارس على كافة المستويات، من رياض الأطفال حتى الجامعات، بالإضافة إلى التفاته إلى البعثات التي تفد إلى دياره، وذلك بغية فرض لغة المستعمر، وعلومه، وثقافته؛ بل ومدنيته، تيسيراً له في التعامل مع المسلمين، وتمهيداً لتغيير صورة الاستعمار بالجيش والعتاد والقوة والسلاح إلى أسلوب جذاب يعتمد حراسة مصالحه[١].

ـ فلسان حالهم ومقالهم يقول ـ: يجب على المسلمين باسم العلم والتطور أن يَكُونُوا غربيين في موقفهم من الحياة، وفي فهمهم للإسلام ديناً، وهم ليسوا بحاجة إلى أن يَكُونُوا نصارى باعتناق النصرانية ديناً وعقيدةً، بل يجب أن يكون سلوكهم وتحديد موقفهم من أحداث الحياة المتجددة سلوكاً غربياً صرفاً[٢].

وفي تضامن المسلمين مع غيرهم ـ أي مع الغربيين ـ لا يكفي أن يكون أحد الجانبين أو كلاهما متسامحاً؛ بل يجب أن يشترك الطرفان في إيجابية في تحقيق المثل والغايات الإنسانية والتضامن العالمي[٣].

فلا بد من التَّسَامُح التام مع معطيات الثقافة الغربية حتى يمكن للمسلمين مسايرة ركب الحضارة والمدنية والتطور.

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦١ ـ ١٦٤.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢١٩.

(٣) المرجع السابق، ص٢١٩.

ومما يدل على ذلك ويؤكده ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

ـ ما صرح به القائد الفرنسي الجنرال بييركيللر: ''فالتربية الوطنية ـ في البلاد العربية التي استعمرتها فرنسا ـ كانت بكاملها تقريباً في أيدينا. وفي بداية حرب عام (١٣٣٤ ـ ١٣٣٨هـ الموافق ١٩١٤ ـ ١٩١٨م) كان أكثر من اثنين وخمسين ألف تلميذ يتلقون دروسهم في مدارسنا''[١]. ويقول: ''إن كلية عينطورة في لبنان هي وسط ممتاز للدعاية الفرنسية..، وإن مؤسساتنا تعمل دون ملل لتغذية النفوذ الفرنسي مثل معهد الدراسات العبرية في القدس، ومعهد الدراسات الإسلامية في القاهرة، والمدرسة الإكليريكية الدومينيكانية في الموصل.. ـ إلى أن يقول ـ إن انتشار لغتنا، وإشعاع ثقافتنا وأعمالنا الإنسانية، وعظمة الأفكار والعبقرية الفرنسية، هي الأعمال المكملة لنا. وسوف لن نهملها أبداً''[٢].

ـ وقد أكد اللورد لويد (Lioyd) ـ المندوب السامي السابق لبريطانيا في مصر ـ أهمية نشر العلم والثقافة والمدنية في مصر، حين قال في كتابه الذي ألفه سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م: ''إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي. وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني ولا يصيبون إلا قدراً ضئيلاً جدًّا من مرونة التفكير والتقدير. فلو أمكن تطوير الأزهر ـ عن طريق حركة تنبعث من داخله هو ـ لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، فليس من اليسير أن نتصور أي تقدم طالما ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه الجامدة ولكن إذا بدا أَنَّ مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه، فحينئذ يصبح الأمل محصوراً في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر، حتى يتاح له الانتشار والنجاح''[٣].

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٨٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٨٦).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

هذه هي سياسة الغرب في العالم الإسلامي الذي رفع شعار الدعوة إلى نشر العلم والثقافة والمدنية ليكون أساساً في التَّسَامُح بين المسلم وغير المسلم.

الفرع الثالث

المساعدات الإنسانية والخدمات الطبية

لجأت الدول الغربية، إبان عهود استعمار الدول الإسلامية، إلى إنشاء استراتيجية جديدة محاولة تغيير أنماط الحياة، والإنتاج، والسلوكيات، بحجة تخليص النفوس من عصور الظلمات، فرفعت شعارات التَّسَامُح في التعامل مع الدول الإسلامية، على أساس المساعدات الإنسانية والخدمات الطبية.

وبعد قيام حركات التحرر الوطني بعد الحرب العالمية الثانية، ونشوء الاستقلال السياسي لدول العالم الإسلامي، تجددت التبعية للغرب مع الظروف التي عانتها تلك الدول، فَخِطَطُ التنمية التي وضعتها الدول الغربية للدول الإسلامية هي شرط أساس من شروط الاستقلال اصطدمت بعوائق عديدة، أهمها حاجة هذه الدول إلى الأموال والتقنية (التكنولوجيا)، فقامت الرأسماليات الغربية بتجديد سيطرتها على العالم الإسلامي واتخذت وجوها عدة أملتها حاجات مختلفة منها؛ القروض الطويلة الأجل، التي أملتها الحاجة إلى تمويل المشاريع، والحاجة إلى استخدام الخبراء، وشراء وسائل التقنية (التكنولوجيا) المختلفة[1].

فمن ذلك: ”عرض الولايات المتحدة الأمريكية على مصر تمويل بناء سد على النيل بأموال بعضها هبة، وبعضها قرض طويل الأمد..“[2]

- ومحاولة تنشئة أطفال المسلمين على منهج الغرب، كتب ألمر دوجلاس مقالاً عنوانه (كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر). ذكر

---

(١) انظر: «المشروع التعبوي في مواجهة الاستعمار الحديث» د. وجيه كوثراني (ندوة: الدين والتدافع الحضاري)، ص٤٥٢.

(٢) التبشير والاستعمار، ص١٩٦ ـ ١٩٧.

فيه: ''أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال أفريقية لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً''[1].

- ''ونظام تبني الأطفال البائسين مثل (نظام فوستر)[2] وفيه يتم التنفيذ باختيار الأطفال البائسين فيعرض على ذويهم السماح بتبنيهم من قبل محسنين في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا. ولا يعني هذا التبني إلا مجرد وجود من يكفل لأولئك الأطفال مهمة الإنفاق على أمور تعليمهم ومعاشهم مع بقائهم وسط أسرهم وأهليهم''[3].

وقد اتحد الغرب مع مؤسساته التنصيرية للعمل يداً واحدة في تقديم المساعدات لتأكيد الوجه الخير للاستعمار في العصر الحديث، وذلك لما حدث القحط والجفاف والمجاعة بمنطقة الساحل الأفريقي (في الستينيات من هذا القرن[4])[5].

ويتقرب المنصرون إلى المسلمين بإقامة المدارس، والخدمات الطبية، يقول أحدهم: ''كان التطبيبُ والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك. أما أعمال الإحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها. يجب أن تعطى الأموال أولاً للبعداء عن الكنيسة''[6].

ويقول جونسون ليندون[7]: ''إننا نوزع على العالم كله نسبة ٥٪ من

---

(١) التبشير والاستعمار، ص١٩٤.

(٢) نظام فوستر: أول من أحدثه المنصر فوستر، لترغيب النشء في الدخول في المسيحية.

(٣) حقيقة التبشير لأحمد عبد الرحمن ص،١٨٩، نقلاً عن (المستشرقون) لنايف آل سعود، ص١١٥.

(٤) حوالي ١٣٧٠هـ تقريباً.

(٥) انظر: الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين، ص٤٦ - ٤٧.

(٦) التبشير والاستعمار، ص٤٨.

(٧) جونسون ليندون (Johnson Lyndon): (١٣٢٥ - ١٣٨٩هـ - ١٩٠٨ - ١٩٧٣م) سياسي أمريكي، وهو الرئيس السادس والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٣٨٣ - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٣ - ١٩٦٩م) تولى الرئاسة بعد مصرع جون كندي. أدخل أمريكا في حرب فيتنام. انظر: المورد - معجم أعلام حرف J، ص٥٠، والمنجد في الأعلام، ص٢٠٨.

دخلنا القومي بشكل معدات عسكرية ومساعدات متنوعة، وهذا التوظيف ليس كرماً نبيلاً وحسب مفروضاً على دولة كبيرة كدولتنا، وإنما هو ضرورة سنخسر بدونها مكانتنا.. يجب علينا أن نساعد البلدان المتخلفة لأن رفاهيتنا تقتضي ذلك"[1].

المطلب الثاني

نقد الأساس العملي

مر معنا في الحديث عن الأساس العملي أن الغرب قد وضع هذا الأساس لما له من أهمية كبرى في بناء الحضارة الإنسانية وتشييدها، ولا سيما في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين (العشرين الميلادي). وقد أخفى هذا الأساس أموراً عديدة أتناولها بالنقد وفق الآتي:

١ ـ الدعوة إلى تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض:

نتيجة لضعف المسلمين وتفرقهم ونزاعاتهم فيما بينهم، والتدهور الفكري، والاضطراب السياسي فقد سيطر الغرب على معظم البلاد الإسلامية، ورغبة منه في أن يجد مبرراً ومسوغاً يخفي وراءه استيلاءه، فقد دعا إلى التَّسَامُح وعدم التعصب والمؤاخاة من خلال تضافر الجهود البشرية في عمارة الأرض.

"ذلك أن التفكير الغربي هو التفكير المادي الطبيعي الذي انتهى بالغرب إلى ذروة الاستعمار للبلاد الإسلامية،.. وهذا التفكير المادي يقوم جملة على تمجيد القوة المادية والمظاهر الحضارية الآلية والتفسير الاقتصادي للتاريخ البشري، كما يقوم على التقليل من شأن الروحية الدينية والمثالية الإنسانية، أو الدينية الأخلاقية"[2].

---

(١) القرن الواحد والعشرون، ص٨٦.

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٠٩ (بتصرف).

لقد انطلق التفكير الغربي الداعي إلى التَّسَامُح إلى استعمار العالم الإسلامي، وسلب الأموال، واستغلال الخيرات، وعاث في البلاد الفساد، يجمع قواه الحقد القديم على الإسلام الناشئ عن الهدف الصليبي، فهو يزعم بأن رسالة الرجل الأبيض تمثل ثقافة تحررية، وهي في الواقع ثقافة مليئة بالحرص على معايير الكاثوليكية[(١)].

ولكن حقيقة الأمر أن الاستعمار الغربي قد حال بين الناس في مستعمراتهم وبين الوصول إلى الأخذ بأسباب القوة، أو بعبارة أخرى الجانب المثمر من هذه الحضارة[(٢)].

ولقد صدق سارتر حين قال: "إن الغرب بنى جامعاته والكثير من مدنه مما سرقه من مستعمراته، وعلى حساب شعوبها الفقيرة"[(٣)].

ومع ذلك فبمقتضى العدل الذي أمرنا الإسلام يمكن القول:

إنه خلال فترة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية وما بعد ذلك أسهم الغرب في تطور الحياة وأساليبها في نواح شتى، فالصناعات والمنتوجات الغربية قد تدفقت بشكل كبير على البلاد الإسلامية، ولكن هذه الصناعات والمنتوجات والتطور كان على حساب إغلاق كثير من الحرف التي كان المسلمون يمتهنونها.

وفي هذا يقول عبد الله النديم: "قالت أوروبا إنكم متوحشون، لكونكم لا تحسنون صنع الأثاث واللباس، وإنكم في حاجة إلى مصنوعاتنا، ولا تصلون إليها إلا بعقد المعاهدات التجارية. وبذا تمكنت من إدخال مصنوعاتها في الشرق لتحول الثروة إليها، فأماتت ما كان يصنعه الشرقيون، وحجرت ما لا بُدَّ منه من صناعة الشرق"[(٤)].

---

(١) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦١، والاستشراق ـ إدوارد ـ، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩.
(٢) انظر: حصوننا مهددة من داخلها، ص١٠٤.
(٣) في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف د. نعمان السامرائي، ص٧٦.
(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/١٦٦).

ولم يختلف اثنان من مؤرخي الغرب المنصفين في أن أوروبا كانت (ولم تزل) تنظر إلى ثروات الشرق بعين الشراهة والحسد، وأن هذه الشراهة وهذا الحسد هما اللذان تحكما قروناً طويلة في علاقة الغرب بالشرق في الماضي والحاضر، فهم يقولون في إحدى التقارير السرية: ''إنهم عدوا غيرهم متخلفاً وخلوا من أية سمة حضارية غربية، فإنهم رأوا أنه من الواجب الإنساني أن يُحضِّروا هذه المجموعة من البشر التي لا تختلف إلا قليلاً عن الحيوانات''[1].

وتأكيداً لما مضى؛ بل أشد منه أنهم جعلوا غيرهم لا يستحق الحياة البتة.

يقول منوني الكاتب المتخصص بنفسية الاستعمار: ''إن الأوروبي يحب عالماً دون بشر''[2]. ولو قال منوني: ''إن الأوروبي يحب عالماً دون شهود على جريمته لكان هو الصواب''[3].

''ذلك أنه لو قام دارسون بكل بلد مسلم يبحثون عما فعله الإنسان الغربي المتمدن ببلادهم، لكشفوا عاراً وشناراً يخجل الإنسانية كلها''[4].

فأي جهود يمكن التضافر من أجلها، وأي تسامح يمكن العيش في ظلاله!

٢ ـ الدعوة إلى نشر العلم والثقافة والمدنية:

مر معنا أن الاستعمار قد اتخذ القوة سلاحاً لإحكام سيطرته، ومن ثم نادى بالتَّسَامُح عن طريق نشر العلم والثقافة والمدنية، لذا فقد أولى الغرب

---

(١) الاستشراق د. قاسم السامرائي، ص٥٣ (وانظر الحاشية: محتوى التقرير السري عن الوضع السياسي والاجتماعي والديني لأقليم أجي الأندونيسي من تقديم سنوك هورجونيه إلى الحاكم الهولندي العام وهو من وثائق المستعمرات الهولندية، ومحفوظ الآن في دار الوثائق الوطنية بمدينة آرنهم، ويقع في ١٣٧ صفحة).

(٢) في مهب المعركة لمالك بن نبي، ص٢٨.

(٣) «قراءة في فكر مالك بن نبي»، لمحمد العبدة، مجلة البيان، العدد ١٧ (شعبان ١٤٠٩هـ الموافق إبريل ١٩٨٩م)، ص٤٢.

(٤) في الحضارة وأمراضها، ص٩٣ (بتصرف).

هذا الأمر اهتماماً بارزاً، فافتتحت المدارس بمرسليها الدينيين، ومن تخلق بأخلاقهم، ليمهدوا له طريق الغزو والسيطرة[1].

ولا يمكن أن ينكر إسهام الغرب في تأسيس العديد من المدارس الحديثة، وكذلك تطويره لنظام التعليم، وإدخاله الأساليب الحديثة، ولكن هذه المدارس قد أسست لتتمكن من تربية أجيال المسلمين وصياغتهم حتى تدين بالولاء والطاعة للمستعمرين، وتقتبس المفاهيم والعادات الغربية.

"فَالغَرْبُ بادر إلى فرض الثقافة الغربية على المسلمين من خلال استيلائه على بلادهم ومصادر ثرواتهم، فأقبلت الناشئة على المعاهد الغربية..، وتعلمت فيها جميع النظريات والمظاهر العلمية التي كانت بروحها وشكلها مناقضة لثقافتنا الإسلامية"[2].

ولقد أدرك الغرب بطول ممارساته في العالم الإسلامي، وتحديد مواقع القوة والضعف، من خلال منظوره العلمي والثقافي، أنهم لن يستطيعوا القضاء على الثقافة الإسلامية وزعزعتها من النفوس إلا بجهود مضنية لاقتلاعها من جذورها ولا يتحقق هذا الهدف إلا بتربية جيل لا يعرف من الإسلام إلا اسمه وسلخه من المفهوم الصحيح الشامل لجميع مرافق الحياة البشرية.

ويتضح ذلك جلياً من قول جب: "ولا نستطيع الحكم على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسته للفكر الغربي وللمبادئ والنظم الغربية، وقد رأينا الأثر الذي أحدثه في عقول الزعماء العلمانيين"[3].

ولهذا فقد قاموا بوضع سياسة التعليم في العصر الحديث في مدارس وجامعات العالم العربي والإسلامي[4].

---

(١) يراجع ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦٣ (بتصرف).

(٣) وجهة الإسلام، ص٢١٤.

(٤) ما عدا المملكة العربية السعودية بفضل الله.

"وقد رسمت الأسس الآتية:

أ ـ التفريق في مناهج المدارس الحكومية والمدارس التنصيرية لإضعاف روح الدين.

ب ـ التمييز بين المواد الإسلامية والمواد الأخرى لسلخ الإسلام من شؤون المجتمع وشؤون الحياة.

ج ـ التمييز بين اللغة العربية واللغات الأوروبية، بحيث يتم ازدراء اللغة العربية واستعلاء اللغات الأخرى"(١).

فاستطاع الغرب بهذه السياسية التعليمية أن ينال من المسلمين منالاً كبيراً، وأن يلحق بهم ضرراً فادحاً، ولهذا فقد استأصلوا من عقول الأجيال المسلمة وقلوبها جذور الثقافة الإسلامية وغرسوا فيها جذور ثقافتهم الغربية(٢).

وكما ذكرت ـ سابقاً ـ أن الغرب قد وضع الدراسات والاستراتيجيات لتوجيه التربية والتعليم في العالم الإسلامي، إلا أن هناك مفارقات مهمة أذكر منها ما يأتي:

أ ـ "أن الاحتلال الإنجليزي قد ضيق حدود التعليم في العالم العربي. حيث لم تكن سياسته التعليمية تهدف إلى مواجهة احتياجات الوطن العربي التعليمية، ولكنها قامت بإعداد طبقة من الموظفين لتغطية احتياجاتهم فقط. وكان من نتيجة ذلك قصر التعليم على طبقة معينة دون باقي الشعب ووجود آلاف الأطفال دون مدارس. فزادت نسبة الأمية في البلاد وارتفعت سنة بعد أخرى"(٣).

ب ـ "أن دول الغرب استغلت تفوقها المادي في السلب والنهب،

---

(١) «مزالق التحدي العقدي وسبل التغلب عليها» د. محيي الدين الألوائي (ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي)، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦٣.

(٣) أصول التربية ونظام التعليم لأبي الفتوح رضوان وآخرون، ص٩، نقلاً عن: (المستشرقون) لنايف بن ثنيان آل سعود، ص١٩٧.

وحرصت أَلَّا تهب الشعوب المغلوبة قسطاً من المعرفة، وأَلَّا تنقل إليها مظاهر حضارتها إلا بمقدار ما تعلم أنه ينفعها وحدها، وتبقى الأرض المفتوحة وسكانها في أغلال رقٍّ مؤبد"[1].

وهكذا يتضح لنا تناقض الغرب في شعاراته المرفوعة بالدعوة إلى التَّسَامُح بين ثقافات الأمم كأساس عملي لنشر الثقافة والمدنية ومحاربة الجهل والأمية وبين ما رأينا من نتائج هذه السياسة التعليمية.

وبالنسبة إلى ما صرح به القائد بيير كيللر في ثنائه على المعاهدة الفرنسية وما حققته من أمور[2]، فالهدف من ذلك:

"هو تخريج قادة يستلمون بعد رحيله الذي لا بُدَّ أن يقع زمام التوجيه والتخطيط، لتحقيق مفاهيمه. .، وليكونوا مستخلفين من بعده على قومهم في تنفيذ المبادئ التي رباهم عليها، ونشر الثقافة التي تخدم مقاصده وأغراضه، والتي يعطيها ـ خداعاً وتضليلاً ـ صيغ العلاقات الطيبة والتفاهم المتبادل"[3].

وبعد هذا كله يجدر بنا نحن المسلمين أن نعي الأخطار المحدقة بنا عبر التَّسَامُح مع الثقافات الأخرى إلى حد فقدان الهوية الإسلامية.

٣ ـ المساعدات الإنسانية والخدمات الطبية:

حرص الغرب على إظهار الوجه الحسن تجاه الدول الإسلامية طيلة فترة الاستعمار؛ بل حتى بعد استقلال الدول.

ومن باب الإنصاف فإن الغرب قد أسهم في رسم خطط التنمية في الدول الإسلامية واحتياجاتها إلى المساعدات والأموال والتكنولوجيا.

ولكن الغرب نظر في مصالحه أولاً، ثم استنفاذ خيرات البلاد الإسلامية ثانياً.

---

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام لمحمد الغزالي، ص١٢٦.
(٢) يراجع، ص١٣١.
(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٧٧.

وبخصوص الأموال المقرضة فعليها فوائد ربوية تتضاعف في كل عام، وأما الهبات المزعومة فهي مشروطة بمصالح الدول المانحة. يقول سنكلر ـ وزير التجارة الأمريكي في حكومة الرئيس آيزنهاور[١] ـ: "وليس من الخفي على أحد أن هذه المساعدات لا تبذل إلا مع خبراء ينفذون في الدرجة الأولى اتجاه حكوماتهم في البلاد المتخلفة لاَ حَاجَات تلك البلاد المتخلفة"[٢].

وأما بشأن الأموال التي عرضتها الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، على مصر لبناء سد على النيل بأموال بعضها هبة وبعضها قرض طويل الأمد[٣].

فإن ذلك كان في مقابل شروط كثيرة اشترطتها أمريكا!

ثم أعلنت أنها لا تستطيع تمويل هذا السد لأسباب عديدة منها أنها تشك في أن مصر تستطيع أن تقوم بقسطها المالي طويل الأمد لإنجاز هذا السد! ونظراً للتواطؤ الغربي، ففي اليوم نفسه أصدرت بريطانيا بياناً تذكر فيه الصعوبات التي تحول دون مساهمتها في تمويل بناء السد العالي لأسباب لا تختلف عن تلكم الأعذار التي انتحلتها الولايات المتحدة[٤].

ومما يدل على أن المساعدات مشروطة بمصالح الغرب ما ذكره ريتشارد نيكسون: "إن إصرار أمريكا على تصدير قيمها الحضارية والسياسية والاجتماعية شرط لتقديم المعونة إلى أي دولة، فلا بُدَّ لتقديم المعونة

---

(١) آيزنهاور داويت دايفيد (Eisenhower Dwight David): (١٣٠٧ ـ ١٣٨٩هـ الموافق ١٨٩٠ ـ ١٩٦٩م) جنرال أمريكي، الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية (١٣٧٣ ـ ١٣٨١هـ الموافق ١٩٥٣ ـ ١٩٦١م). انظر: المورد ـ معجم أعلام حرف E ـ، ص٢٩، والمنجد في الأعلام، ص٩٣.

(٢) «مجلة الغرفة التجارية في الولايات المتحدة الأمريكية» العدد ٣، السنة العاشرة (١٣٧٢هـ) مارس ١٩٥٣م، نقلاً عن: التبشير والاستعمار، ص١٩٦.

(٣) يراجع، ص١٣٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٩٧.

الأمريكية إلى دولة ما أَوْ شعب ما أَنْ يقبل هذا الشعب أشياء من مثل السوق الحرة، أو الرأسمالية، واقتصاديات السوق، وغيرها من القيم الأمريكية والغربية عموماً"(١).

وهذا حال بريطانيا ـ أيضاً ـ حيث كانت تهتم بشكل أساسي بقطاعين مرتبطين بمصالحها السياسية والاقتصادية، القطاع المصرفي، وقطاع استثمار زراعة القطن وما بينهما قناة السويس والمواصلات. أي بتعبير آخر كان يهمها تنمية رؤوس أموالها بالدرجة الأولى(٢).

ونشر مكتب التمثيل التجاري المصري في واشنطن تقريراً مفصلاً في (١٣/ ١٢/ ١٤١٥هـ الموافق ١٢/ ٥/ ١٩٩٥م)، ومما ذكر فيه: "أن إجمالي المساعدات الاقتصادية التي قدمتها الولايات المتحدة لمصر خلال الفترة من ١٣٩٥هـ إلى ١٤١٤هـ الموافق ١٩٧٥م إلى ١٩٩٤م، بلغت حوالي ١٩,٣ مليار دولار، خصص الجانب الأكبر منها لمشروعات استفادت منها الولايات المتحدة، حيث إن غالب هذه المساعدات مشروطة ومخصصة"(٣).

"وقد استخدمت المساعدات الأمريكية التي قدمت لمعظم دول الشرق الأوسط لإخضاع هذه الدول، وإدخالها ضمن برنامج الولاء المطلق للمصالح الأمريكية، علاوة على استنزاف طاقات هذه الدول وتدمير اقتصادها"(٤).

وهكذا حال بقية البلاد الإسلامية الأخرى!

بينما نجد أن المساعدات الممنوحة إلى إسرائيل ليس عليها أية قيود أو شروط!

---

(١) الإسلام وأمريكا تحليل كتاب الفرصة السانحة لنيكسون، لمحمد مورو، ص١٧.

(٢) انظر: «المشروع التعبوي في مواجهة الاستعمار الحديث»، ص٤٥٧.

(٣) «فخ المساعدات الأمريكية للدول الإسلامية» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٥٣ (١٥/ ١/ ١٤١٦هـ الموافق ١٣/ ٦/ ١٩٩٥م)، ص٢١.

(٤) المرجع السابق (بتصرف يسير).

وما ذكره ألمر دوجلاس حول المساعدات الإنسانية عبر افتتاح ملاجئ في بعض البلاد الإسلامية[1]، ففي الحقيقة لم تفتح هذه الملاجئ إلا من أجل تنصير المسلمين وإبعادهم عن الإسلام[2].

وكذلك الشأن فيما يسمى (بنظام فوستر) فهو كفالة لترغيب النشء في الدخول في النصرانية[3].

وبالنسبة إلى المجاعة والقحط والجفاف الذي حدث في أفريقيا، ومسارعة الغرب عبر مؤسساته في تقديم المساعدات الإنسانية والخدمات الطبية.

فالحقيقة أن الدول الغربية هي التي تسببت في حدوث مثل هذه المجاعة والقحط والجفاف، وذلك بسبب لقاحات الماشية والحفر غير المميز المختلط للآبار مما أخل بالتوازن البيئي (الإيكولوجي) الدقيق، ومن ثم استدعت الشركات الاستعمارية الناهبة مؤسسات التنصير لتقدم العون ضماناً للاستيلاء المستمر على ذهب وثروات البلاد[4].

---

(١) يراجع، ص١٣٣.

(٢) انظر: التبشير والاستعمار، ص١٩٤.

(٣) انظر: (المستشرقون) ـ نايف ـ، ص١١٥.

(٤) انظر: الإمبرايالية الغربية تتوعد المسلمين، ص٤٧.

الفصل الثاني

أهداف التَّسَامُح في الغرب

تحدثت في الفصل السابق عن أسس التَّسَامُح في الغرب، وأوضحت ما له صلة كبرى في انبثاق دعوى التَّسَامُح في الغرب مع نقدها.

وآتي هنا للحديث عن أهداف التَّسَامُح في الغرب ونقدها.

فلا شك أن العداء بين الحق والباطل عداء قديم وباق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمنذ فجر الرسالة المحمدية ومؤامرات الأعداء لا تلبث الواحدة تلو الأخرى في الكيد لأتباع الله الموحدين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(١). يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ''أي هم مقيمون على أخبث ذلك، وأعظمه غير تائبين ولا نازعين''(٢). ويقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: ''إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين..، وتتنوع وسائل قتال الأعداء للمسلمين وأدواته ولكن الهدف يظل ثابتاً..؛ أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا. وكلما انكسر في يدهم سلاح انْتَضوا سلاحاً غيره''(٣).

ولقد مرت على الأمة الإسلامية أحقاب مظلمة، ورزايا مهولة، سجلها التاريخ بمداد الدماء الغزيرة، تعرض المسلمون فيها لهجمات وحشية،

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢١٧].

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٤).

(٣) في ظلال القرآن (١/ ٢٢١ ـ ٢٢٢).

وإبادات جماعية تشيب لها الولدان، فيها من التفنن في القسوة ما يندر وجود مثله في تاريخ البشرية.

فمن ذلك: لما دخل الصليبيون[1] الحاقدون بيت المقدس عام (٤٩٣هـ الموافق ١٠٩٩م). قتلوا أكثر من ستين ألفاً من المسلمين[2].

والأحداث في أمثال هذه الصورة أكثر من أن تحصى، يربطها شيء واحد؛ وهو محاربة هذا الدين، ومحاولة إطفاء نور الله في الأرض.

وفي العصر الحاضر جاء المستعمرون الغربيون بوجه جديد غزو فكري مركز على بلاد المسلمين، ولكن الغاية واحدة والهدف الذي ينطلقون منه واحد، هو نفس ما قررته الآية الكريمة السابقة، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ: "تكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم، وهذا الوصف عام لكل الكفار ولا يزالون يقاتلون غيرهم حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصاً أهل الكتاب من اليهود والنصارى ألفوا الجمعيات ونشروا الدعاة وبثوا الأطباء وبنوا المدارس لجذب الأمم إلى دينهم وإدخالهم عليهم كل ما يمكنهم من الشبه التي تشككهم في دينهم"[3].

فقد رفع هؤلاء الغربيون ـ ضمن ما رفعوا من شعارات ـ شعار التَّسَامُح بين أمم الأرض كافة، موهمين المسلمين للوقوع في شركه، فهو شعار مغلف، ووسيلة من وسائل حرب هذا الدين ـ كما أوضحت ـ وقد انبثقت عن هذا الشعار أهداف كثيرة في مجالات: (الدين، والثقافة، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد).

أتناولها بالكشف والتحليل والإيضاح، ثم أعقب عليها بالنقد، في خمسة مباحث فدونك إياها.

---

(١) استمرت الحروب الصليبية قرنين: (٤٩٠ ـ ٦٩١هـ ـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٥٦)، وحاضر العالم الإسلامي (٣/ ٢٠٨ ـ ٢١٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) (بتصرف).

المبحث الأول
الأهداف الدينية ونقدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهداف الدينية.

المطلب الثاني: نقد الأهداف الدينية.

ودونك بيانها فيما يأتي:



المطلب الأول
الأهداف الدينية

قد رفع الغرب شعار التَّسَامُح بين أمم الأرض كافة، وله في ذلك أهداف دينية انطلق منها هؤلاء الغربيون فإنه بالرغم من نزعتهم العلمانية، إلا أن الجانب الديني لم يبرح فيهم يُثيرُ كَوَامن أفئدتهم في مواجهة الإسلام، وحرب المسلمين.

وأتناول أبرز هذه الأهداف الدينية في ستة فروع هي:

الفرع الأول: محاولة جعل الإسلام دينا كهنوتيا.

الفرع الثاني: إضعاف عقيدة الولاء والبراء.

الفرع الثالث: تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم.

الفرع الرابع: التنصير.

الفرع الخامس: قيام دولة اليهود.

الفرع السادس: إسقاط مفهوم الجهاد.

الفرع الأول

محاولة جعل الإسلام دينا كهنوتيا

وقف الغرب بالمرصاد للشريعة الإسلامية، محاولاً تفريغ الإسلام من أحكام المعاملات وسائر شؤون الحياة، ونادى بأن الدين علاقة بين العبد وربه لا صلة له بالحياة. وادعى بأن الإسلام طقوس وشعائر روحية أو دين بالمفهوم الغربي الضيق، فلا دخل له بأمور الحكم والتربية والحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي.

وصارت مجموعة من المفكرين الغربيين تهاجم الإسلام بأن نظمه لا تساير العصور التي تتطور فيها ظروف الحياة الإنسانية الفردية والجماعية.

فمن ذلك:

- قول القسيس جان كلود بارو (Jean, Claude Barreau): "إنه لا بُدَّ من إعادة صياغة القرآن والسنة خلال عقد أو اثنين، بمفاهيم عصرية، أو على الإسلام أن يختفي"[1]. وقول آخرين منهم: "ما دام الإسلام عاجزاً عن مسايرة ركب الحضارة، وما دام الدين غير متفق مع العلم ولا يساير ركب الزمن فمن الواجب على الدولة الإسلامية أن تفصل الدين عن الدولة كما فعلت أوروبا في عصر النهضة والتطور"[2].

- ورددوا بأن المقولة التي تقول: إن الإسلام دين ودولة في آن واحد، إنما هي مبتدعة[3]. وأن الإسلام عقيدة تناسب الجزيرة العربية في فترة ماضية.

ويقول كرومر[4]: "إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل

---

(١) محاصرة وإبادة موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز، ص٢٥.

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص١١٠.

(٣) انظر: العلمانية، ص٥٤٦ - ٥٤٧.

(٤) كرومر (افلين بارينغ) (Cromer): (١٢٣٢ - ١٣٣٥هـ؛ الموافق ١٨١٤ - ١٩١٧م) =

كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي[(١)]، ولكنه مع ذلك أبدي لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني"[(٢)].

ثم يأخذ كرومر في مقارنة بين المسيحية والإسلام، ويحاول أن يبين فيها صلاحية المسيحية للعصر وتفوقها، عائباً على الإسلام نظمه وتعاليمه[(٣)]..

وهناك العديد من الأقوال الأخرى مؤداها؛ اعتبار الإسلام ظاهرة معينة في فترة زمنية محدودة، وليس له صلة بشؤون الحياة[(٤)].

الفرع الثاني

إضعاف عقيدة الولاء والبراء

مما لا شك فيه أن أهم هدف يحرص الغرب على تحقيقه، هو خلخلة عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين، وزعزعتها في النفوس.

فإن الغربيين أدركوا أثناء مواجهتهم للجيوش الإسلامية أن العقيدة الراسخة في نفوس المسلمين، هي التي تمنح القوة الكافية للصمود أمام المخالفين، والنهوض من جديد بعزيمة وقوة.

فقد ورث أحفاد الغرب وصية جدهم لويس التاسع: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده ـ فقد هزمتم أمامهم في معركة

= المندوب السامي لإنكلترا في مصر (١٣٠١ ـ ١٣٢٥هـ الموافق ١٨٨٣ ـ ١٩٠٧م) ومن مؤلفاته: مصر الحديثة، وعباس الثاني خديوي مصر. انظر: (المستشرقون) (٢/ ٦٧)، والمنجد في الأعلام، ص٤٦٢.

(١) الأول الهجري.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٤) للاستزادة: يراجع أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٨٥ ـ ٢٩١، والعلمانية، ص٥٤٦ ـ ٥٤٧.

السلاح ـ ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم"[1].

لقد كبر على أعداء الإسلام الغربيين أن يروا في تلك العقيدة جداراً صلباً وحاجزاً قوياً يقف أمام مخططاتهم ومحاولاتهم في القضاء على المسلمين ودينهم.

ولهذا لجؤوا إلى تشويه المفاهيم الإسلامية بكل صورة ممكنة، وركزوا اهتمامهم على تغيير المفاهيم الغربية بالمفاهيم الإسلامية، وإقصاء المسلمين عن العقيدة الإسلامية، وتقريبهم إلى الغرب بكل وسيلة.

فمن ذلك: قام الغرب باستبدال كلمة الأجانب بالكفار حتى يخف ويتميع في النفوس التميز العقدي في إطلاق لفظة الكفر عليهم إلى لفظة مرادفة أخرى[2].

ـ وتتضح رغبة الغربيين جليا في إضعاف عقيدة الولاء والبراء عبر ما يسمى بالدين العالمي الموحد! وفي هذا يقول كالفرلي: "وحينما يصبح الجميع أحراراً في تفكيرهم، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل، عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد. وإني سأكون سعيداً باتباع دين عالمي موحد، تنبع مصادره من حقائق التاريخ، وتشمل مبادئه العدالة الاجتماعية، وتقوم بفضله مظاهر الحب والإخاء على أنقاض الكراهية والخصومة"[3].

ويهدف الغرب من هذا إلى إضعاف الروابط الدينية لدى أجيال المسلمين بغية أن ينحلوا عن دينهم وقيمهم، ويتسنى السيطرة عليهم، وهذا ما أعلنه القس زويمر ـ في مؤتمر القدس سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) ـ مخاطباً بني جلدته المنصرين في العالم الإسلامي ومؤكداً عليهم إضعاف عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين بقوله: "إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في

---

(١) واقعنا المعاصر، ص١٩٦.

(٢) انظر: «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» د. عبد الستار فتح الله (ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي)، ص٢٢٣.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص١٢٣.

المسيحية ـ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ـ وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله''[(١)].

ويقول: ''إنكم أعددتم نَشْأً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار''[(٢)].

ومن أجل تشكيك المسلمين في عقيدتهم قام الغربيون ـ في عهود الاستعمار ـ بنبش الأرض في كل بلد إسلامي من أجل أن يقفوا على آثار الحضارات القديمة قبل الإسلام كحضارة البابليين والأشوريين والكلدانيين والفينيقيين والفراعنة[(٣)]..

وفي هذا يقول جب: ''وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة، التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن. فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا، وفي مصر، وفي إندونيسيا، وفي العراق، وفي فارس. وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها''[(٤)].

الفرع الثالث

تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم

كانت سياسة الغرب تدور حول خطتهم السياسية المشهورة: فرق تسد Divide in order to conquer[(٥)]، فعمدوا إلى التجزئة والتفتيت مستخدمين

---

(١) جذور البلاء، ص٢٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٦.

(٣) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩)، والعلمانية، ص٥٤٩ ـ ٥٥٠، والولاء والبراء في الإسلام، ص٤٢٠، وواقعنا المعاصر، ص٢٠٢.

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٤١).

(٥) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١١٣)، (٢/ ٣٩٠).

الاختلاف الديني، والاختلاف السياسي، والاختلاف العرقي، والاختلاف المذهبي وغير ذلك[1]، وغذوها جميعاً بدعوى التَّسَامُح مع الآخرين.

وقد اتخذت المخططات الغربية في تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم وسائل عملية كثيرة، استخلصوها بعد أن درسوا طبيعة الشعوب المسلمة، فاتخذوا الأساليب الملائمة، وجندوا الطاقات الضخمة في بذر التفرقة والضغينة والنزاعات في الأمة الإسلامية الواحدة.

"لقد دخل المستعمرون معظم البلاد الإسلامية، فكان أول عمل باشروه تجزئة الأمة العربية والإسلامية، إلى دويلات صغيرة، وأقاموا الحواجز المصطنعة، وحاولوا أن يغرسوا بينها تباينا في المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية، ثم تباينا آخر في القوميات والعصبيات الإقليمية مضافاً إلى ذلك إيجاد التنافر بين الكتل الطائفية.. إذ كانوا يأتون إلى الكتل الطائفية القليلة العدد، التي بدأت تنسى عزلتها الطائفية..، فيشجعونها على أن تعود إلى أصولها، وتوجد لنفسها تكتلا مضاداً حاقداً على المسلمين في البلاد، وذلك في ظل التَّسَامُح العام.."[2].

ومن أساليبهم أيضاً الاهتمام ببعث الحضارات القديمة البائدة، التي كانت قد سادت في البلاد الإسلامية، ومد عناصر الطوائف القليلة بالمساعدات المختلفة والتسهيلات الاقتصادية. وفي هذا تقوية الشعوبية في البلاد الإسلامية، وتعميق الخطوط التي تفرق بين الأوطان، ومن ذلك؛ الفتن الطائفية التي حدثت في لبنان والهند وغيرهما[3].

لقد فهم الغرب طبيعة الإسلام، وأدرك أنه متى اجتمعت كلمة المسلمين فستكون السيادة لهم والقوة والنفوذ، ولهذا فقد ركزوا جهودهم

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص٣٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٨ (بتصرف).

(٣) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٤١)، وأجنحة المكر الثلاثة، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

في مراقبة العالم الإسلامي، والتربص له، فوضعوا نصب أعينهم خطط التعامل مع المسلمين على المدى القريب والبعيد، وأولوها اهتماماً بالغا، كل ذلك من أجل تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم.

وأختم كلامي بمقولة للمستشرق الأمريكي روبرت بين (Robert Payne)، حيث يقول في مقدمة كتاب (السيف المقدس The Sacred Sword): ''إن لدينا أسباباً قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم. فقد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية''(١).

الفرع الرابع

التنصير

سبق أن أشرت إلى أن أهم هدف للغرب يطمح في تحقيقه تجاه المسلمين هو إضعاف عقيدتهم، وزلزلة الإيمان من نفوسهم، وأستأنف الحديث هنا عن هدف متمم له؛ بل هو نتيجة يأمل الغرب في تحقيقها بأي وسيلة، ذلكم هو التنصير، والحديث عن التنصير حديث طويل، ولست بصدد استقصاء ذلك، ولكن بحسبي الإيجاز.

كثيراً ما يتحدث المنصرون في دعوتهم إلى دينهم عن التَّسَامُح وعدم التعصب والمؤاخاة بين الناس ـ كما مر معنا في أسس التَّسَامُح ـ.

قد جاء تعريف النصرانية في الموسوعة الإنجيلية:

''بأنه القيام بدعوة الناس إلى تعليم الكتاب المقدس حتى القبول بفكر خلاص المسيح المخلص بواسطة المؤمنين رجالاً ونساء دون كلل أو ملل تنفيذا لأمر الرب العلي القدير''(٢).

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، ص٥٩٧.

(٢) نقلاً عن: «القدس عربية قبل ٥ آلاف عام» مجلة الرابطة، السنة ٣٣، العدد ٣٧٠ (شعبان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٢٢.

ويرى جون كوبي بأن التنصير: ''هو المهمة الربانية التي كلفنا الرب بنشرها وتوسعتها لكونها ضرورة الحياة الأبدية''[(١)].

وينبغي الإشارة إلى أن التنصير مختص بالنصارى فقط، لأن اليهود أمة منغلقة لا يدعون إلى دينهم لما فيه من الخصوصية ـ كما يزعمون! ـ من جهة أنهم لا يرغبون أن يشاركهم أحد في دخول الجنة.

وحجة النصارى في دعوتهم للآخرين إلى دينهم هو ما ورد في الإنجيل مما نسب إلى المسيح عليه السلام: ''اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا الخليقة كلها بالإنجيل، من آمن وتعمد خلص ومن لم يؤمن فسوف يدان''[(٢)]. وقوله: ''اذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انتهاء الزمان''[(٣)]. وأيضاً: ''اخرج إلى الطرق والسياجات وأجبر الناس على الدخول حتى يمتلئ بيتي''[(٤)].

فمن هذه النصوص وغيرها، استمد النصارى الدعوة إلى تنصير المجتمعات غير النصرانية[(٥)]، ونشر النصرانية في بقاع الأرض، وأطلق على ذلك مصطلح التبشير[(٦)]. (Evangelism).

وفي القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ركز النصارى جهودهم في عقد المؤتمرات[(٧)] والمجامع والخطط الاستراتيجية في الدعوة

---

(١) تاريخ المسيحية، ص٥، نقلاً عن: المرجع السابق.
(٢) مرقس (١٦: ١٥ ـ ١٦).
(٣) متى (٢٨: ١٩ ـ ٢٠).
(٤) لوقا (١٤: ٢٣).
(٥) مما يجدر التنبيه إليه؛ أن العمل التنصيري لا يقتصر على تنصير المجتمعات غير النصرانية فحسب؛ بل تعمل كل كنيسة بالتنصير بين أتباع الكنائس الأخرى، فالكنائس البروتستانتية تسعى لتحويل المجتمعات الكاثوليكية إلى مبادئها، وتعمل الأخرى على كثلكة من لا يؤمنون بسلطة البابا العليا. نقلاً عن: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص١٠.
(٦) بعض الكتاب المسلمين يستعملون مصطلح التبشير، والأولى أن يقال التنصير.
(٧) يأتي ذكر بعضها، ص٢٨٥.

إلى تنصير العالم، واتخاذ الأساليب الحديثة مع الإفادة من تجارب الماضي، وهم يهدفون من ذلك كله إلى تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية، أو إلى الإلحاد، حتى يكونوا أطوع للدول النصرانية الغربية في استعمار بلادهم، واستغلال خيراتها.

ومن مقولات الغربيين أنفسهم فيما يتعلق بالتنصير:

- ما ذكره زويمر عن سبب اختيار منطقة الخليج[1] والجزيرة العربية حيث جاءت الحملة التنصيرية الإرسالية الأمريكية مبكراً (١٣١٢هـ/ ١٨٩٢م):

"إن من بين الدوافع إلى العمل في المنطقة، الأسباب التاريخية. فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربية، التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا. . ، أن المسيحية كانت منتشرة فيها، في بداية عهدها!"[2].

- وما قاله القسيس لبسيوس: "إن الشرق يدعو الغرب لشد أَزْرِهِ، فَجُل ما نتوخاه أن نحرر الشرق بواسطة السيد المسيح ونخلص الكنائس المسيحية من ظلم الإسلام، ونفتح طريقاً للسيد المسيح بإرجاع هذه الكنائس المسيحية من ظلم الإسلام، ونفتح طريقًا للسيد المسيح بإرجاع هذه الكنائس سيرتها الأولى. هلموا إلى العالم الإسلامي، لنحرر فوز الصليب على الهلال"[3].

"ولا ريب في أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية"[4]. ومع أن التنصير يتناول غير المسلمين، إلا أن المقصود الأول بالجهود التنصيرية هم المسلمون بالدرجة الأولى، ويتمنى المنصرون أن ينصروا المسلمين كلهم[5].

---

(١) يأتي الحديث عن: الدعوة إلى النصرانية، والتنصير في الخليج بوجه خاص، ص٣٣٠.

(٢) صدمة الاحتكاك (حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢ - ١٩٢٥م) لخالد البسام، ص٢.

(٣) الغارة على العالم الإسلامي، ص٨٨.

(٤) التبشير والاستعمار، ص٤٥.

(٥) انظر: المرجع السابق.

ـ لقد ظهر كتاب في عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، اسمه (التفكير الجديد في أمر الإرساليات) أصدرته لجنة المنصرين وقد رأوا فيه: "ضرورة استمرار أعمال التنصير، ولكن يجب أن تتغير الوسائل والتأكيد على المنصرين بأن يكونوا مستعدين لأن يقبلوا بأمور تخالف العقيدة النصرانية، وأن يتسامحوا مع أصحاب العقائد الأخرى من أجل دعوتهم، والتقرب منهم"(١).

لذا فقد حرص المنصرون على التدرج في الدعوة إلى تنصير المسلمين فمن تلكم الوسائل: "الإرساليات الطبية من نساء ورجال، ورحلات المبشرين، والأعمال النسائية، ورجال التبشير يحتكون بالمسلمين، ويحاولون الحصول على مودتهم، ويستخدمون فريقاً منهم في مكاتب التبشير، ويدخلون معهم في المناقشات الدينية إلا أنهم لا يجرحون عواطفهم"(٢).

فالغرب يمارس التنصير بأشكال متنوعة، فتارة بالاستكشاف، وتارة بالطب، وتارة بالإغاثة وغير ذلك، لأنهم يعلمون يقيناً أنه يتعذر تنصير المسلمين مباشرة فلجؤوا إلى تلك الوسائل.

ـ وفي كتاب آخر اسمه ـ طرق العمل التبشيري بين المسلمين ـ يقول مؤلفه: "لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون في الدرجة الأولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم.. يجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه بين من يصغي إليها"(٣).

ـ ويقرر جون آدامز: "إن في المسلمين طيبة وبساطة، فإذا رغبت في امتلاكهم والسيطرة عليهم فاختر لهم من اللغة أعذب الكلمات واظهر أمامهم في صورة الضحية المتلهفة إلى الحماية والتجارة.."(٤).

---

(١) التبشير والاستعمار، ص٥١ (بتصرف).
(٢) الغارة على العالم الإسلامي، ص٣٧.
(٣) التبشير والاستعمار، ص٥٢.
(٤) الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، ص١٧.

ـ ولننظر إلى شاتليه وهو يصف نتائج المبشرين في بلاد العرب: ''إن من المتعذر تعيين نتائج هذه الأعمال الخيرية إلا أن مما يدعو إلى الاغتباط والسرور أننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا في كل منطقة من مناطق التبشير. فالأوهام تبددت وحل محلها التَّسَامُح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية، وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات من الكتب والكراسات والمجلاّت''[(١)].

ـ وضمن مخططاتهم في مؤتمر كولورادو (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، يذكرون بأنه: ''ثبت أن الإسلام أرض وعرة صلبة، وأن الطريق مسدود، وأن مواجهة الكتاب والسنة لم يأت بنتيجة، فلنبدأ الاختراق من الداخل بمعنى عدم مواجهة القرآن بل اختراقه..، ولنبحث عن المصطلحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية مثل: (روح الله.. كلمة الله.. المهدي)''[(٢)].

فهم لما رأوا أن بعض المسلمين ينظرون إلى النصرانية باعتبارها ديانة أجنبية، فمن ثم لا تلقى القبول، ولهذا أعدوا برنامجاً نصرانياً لرمضان، ويدعون لقبول مسجد عيسوي يصلي فيه النصارى أو المتنصرون، بركوع وسجود![(٣)].

الفرع الخامس

قيام دولة اليهود

خطط الغرب ضمن مخططاته الاستعمارية لبلاد المسلمين منذ مئات السنين على إقامة دولة اليهود في فلسطين مستهدفاً تذويب الهوية ومحو الانتماء لدى المسلمين باسم التَّسَامُح، والتعايش فيما بينهم وتحقيق السلام بين اليهود والمسلمين.

---

(١) التبشير والاستعمار، ص٣٦.

(٢) «الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين» د. محمد عمارة، مجلة المسلم المعاصر، العددان (٧١ ـ ٧٢) السنة الثامنة عشرة، ص١٦٨ (بتصرف).

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٦٩، وانظر: «تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين» لدونالدر ريكاردر (ضمن كتاب: التنصير)، ص٦٤٥ ـ ٦٤٦.

ولست بصدد دراسة تاريخية مفصلة فلها مجالاتها، ولكن حسبي أن أتناول هذا الهدف ضمن دائرة المخططات الدينية نظراً لارتباطه بالجانب الديني أكثر من غيره - فيما تبين لي - مع التركيز على العصر الحديث بإيجاز.

- ''كان الفاتيكان في خرائطه منذ ما قبل القرن (العاشر الهجري) السادس عشر الميلادي، يرسم قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا على شكل ثلاث دوائر بيضاوية تتصل أعناقها الثلاث بحلقة هي القدس''(١).

وقد تسربت بعض المعتقدات الدينية إلى الحركة البروتستانتية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، المتمثلة في أمور ثلاثة:

أولاً: أن اليهود هم شعب الله المختار.

ثانياً: أن الله أعطى نبيه إبراهيم عليه السلام وعدا سرمديا لإقامة وطن لليهود في فلسطين.

ثالثاً: أن المسيح المنتظر سيعود، وتكون المعركة الفاصلة هرمجدون(٢) بين اليهود ومعهم المسيح ضد المسلمين(٣).

- ''ولما ظهرت الصهيونية الأوروبية كفلسفة لحل مشكلة اليهود في أوروبا. كان المسلك بدلاً من إعطائهم حقوقهم كمواطنين التخلص منهم بدفعهم إلى فلسطين تحقيقاً لنبوءات دينية. وهذه النبوءات جمعت بين الفكر

---

(١) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر لمنير شفيق، ص١٠١.

(٢) هرمجدون (Aramageddon): كلمة إغريقية مأخوذة من العبرانية، التي من المحتمل أن تعني جبل مجدون في التوراة، ويطلق سفر الرؤيا اسم هرمجدون؛ على المكان الذي سيتقاتل فيه حكام العالم في المعركة العظمى الأخيرة بين الخير والشر كما توحي لهم كتبهم. ولم يتم التعرف على أي جبل باسم هرمجدون في القديم أو الحديث، ولكن هناك مدينة قديمة اسمها هرمجدون، تقع في الجبال الواقعة شمالي فلسطين المحتلة. انظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٦/٩٩)، وموسوعة المورد العربية لمنير البعلبكي (٢/١٢٦٠).

(٣) انظر: الأصولية الإنجيلية د. محمد السماك، ص٣٦ - ٣٧.

الديني اليهودي من جهة مما شجع اليهود على التجاوب مع عملية دفعهم من أوروبا إلى فلسطين، مع الفكر البروتستانتي الجديد من جهة على أمل التخلص منهم وتطهير المجتمع الأوروبي من الحضور اليهودي"[١].

ـ وجاء نابليون[٢] في حملته على مصر عام (١٢١٢هـ/١٧٩٨م)، يحمل معه مشروعاً يرمي إلى زرع اليهود في فلسطين، وإقامة قاعدة تشكل امتداداً لأوروبا فيها.

ـ وفي عام ١٣١٤هـ/١٨٩٧م، عقد اليهود مؤتمراً في بال بسويسرا برئاسة زعيمهم هرتسل[٣] نص فيه على أهم هدف لهم وهو: "إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام"[٤].

ـ وضمن مؤتمر كامبل بنرمان أو مؤامرة (١٣٢٣ ـ ١٣٢٥هـ/١٩٠٥ ـ ١٩٠٧م)، تم اتخاذ القرار الآتي: "إقامة حاجز بشري، قوي وغريب، يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة"[٥].

ـ وضمن اتفاقية سايكس ـ بيكو في ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، جاء فيها: "توضع فلسطين تحت إشراف بريطانيا"[٦].

---

(١) «تعقيب: ضمن ندوة الدين والتدافع الحضاري» د. محمد السماك، ص١٧٦ (بتصرف).

(٢) نابليون الأول (نابليون بونابرته Napoleon Bonaparte): (١١٨٣ ـ ١٢٣٦هـ ـ ١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) إمبراطور فرنسا. انظر: المورد ـ معجم أعلام حرف N ـ ص، ٦٣، والموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٨١٢).

(٣) هرتسل تيودور (Hertsel): (١٢٧٦ ـ ١٣٢١هـ ـ ١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م) كاتب مجري يهودي. أسس الحركة الصهيونية الحديثة. انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٩٤.

(٤) مؤامرة الغرب على العرب لياسين سويد، ص٤١.

(٥) المرجع السابق، ص٢٥.

(٦) المرجع السابق، ص٣٢.

فقد مهدوا الأمر بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

- "وإن مما هو جدير بالذكر أن النصارى عموماً يؤمنون بأسفار العهد القديم التوراة ويعتبرون العهد الجديد الإنجيل متمماً له، وينفرد البروتستانت - وما تفرع عنهم من فرق - بمزيد من التقديس لهذا الكتاب، مما جعلهم يعطفون على قيام دولة اليهود في فلسطين، ويعتبرون ذلك تنفيذاً لإرادة إلهية. وقد شارك الإنجليز الأمريكيون في هذا الأمر..، واشترك الشعبان وساستهما بدافع من إيمانهم الديني في تأييد النشاط اليهودي، وفي رعاية الدولة اليهودية من الخطوات الأولى لقيامها.."[1].

ولهذا فلا يستغرب أن إنجلترا قد ناصرت اليهود في إيجاد وطن لهم في فلسطين.

وأنقل ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية - حول هذا الأمر -: "إن الاهتمام بعودة اليهود إلى فلسطين قد بقي حيا في الأذهان بفعل النصارى المتدينين، وعلى الأخص في بريطانيا، أكثر من فعل اليهود أنفسهم"[2].

- وفي عام (١٣٦٧ - ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨ - ١٩٤٩م) بمؤازرة الغرب عموماً؛ أعلن اليهود عن إقامة الكيان الإسرائيلي في فلسطين.

- "وفي منتصف القرن العشرين، في الخمسينيات[3] على وجه التحديد قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن ترث النفوذين البريطاني والفرنسي في المنطقة لتحقق الأهداف نفسها التي كان يحققها هذان النفوذان"[4].

وبهذا فقد استولى اليهود في حرب (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) على القدس!

---

(١) أمريكا وإسرائيل لمعروف الدواليبي (مقدمة الكتاب: لمحمد الدولة)، ص١٧.

(٢) «تعقيب: ضمن ندوة الدين والتدافع الحضاري» د. محمد السماك، ص١٧٦ (بتصرف).

(٣) الموافق ١٣٧٠هـ.

(٤) «الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام» د. علي جريشة (ضمن مؤتمر الفقه الإسلامي)، ص٢٩٦.

وأخلص من هذا إلى أن الغرب قد خلق له قاعدة متقدمة في المنطقة العربية، ومد يد العون لكل ما يطلبه اليهود، ومن ثم منحهم وطناً قومياً في بلاد المسلمين، وأقيمت منظمات سرية ـ أمثال: بذور السلام، ومنظمة المبادرة من أجل السلام والتعاون في الشرق الأوسط ـ تعمل على تذويب الفوارق الدينية والأخلاقية والسياسية بين العرب واليهود، وأخرى علنية ـ مثل رابطة: أمريكيون من أجل السلام ـ تقوم على نشر السلام ودعوة العرب إلى قبول الأمر الواقع باسم التَّسَامُح مع الغرب، ودعوة المسلمين إلى قبول اليهود والتعايش معهم ونسيان نزاعات الماضي(١).

الفرع السادس

إسقاط مفهوم الجهاد

استمرت جيوش الاحتلال الاستعماري في البلاد الإسلامية تنام على أشواك الفزع والخوف والقلق، خشية من أي هجوم للمسلمين الذين رفعوا لواء الجهاد عالياً.

عندئذ فكر المستعمرون الغربيون في معرفة السر العظيم وراء مقاومة المسلمين الذين كدروا عليهم صفو راحتهم، وأقضوا مضاجعهم صباح مساء، فوجدوا أن الذي يحرك هؤلاء هو الجهاد في سبيل الله!

ولهذا فقد تضافر الغرب بأعوانه في محاربة فكرة الجهاد، وإسقاطها من دائرة أحكام الإسلام بأي صورة ممكنة، وإخماد جذوة العاطفة الدينية في قلوب المسلمين. وذلك بإزالة الحاجز العقدي الذي يذكر المسلم دائماً بأنه مسلم وأن أعداءه من الكفار يجب أن يجاهدهم ولا يسمح لهم باحتلال أرضه وبلاده(٢).

---

(١) انظر: «تذويب الهوية الإسلامية» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٢٠ (٦/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ١١/ ١٠/ ١٩٩٤م)، ص١٩.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٦٦، وواقعنا المعاصر، ص٢٠٦.

والغرب يخاف من الجهاد أيما خوف، لذا فقد بذلوا وما زالوا يبذلون ما في وسعهم لإسقاط كل ما يدعو إلى رفع المسلمين لهذا الشعار بأي وسيلة كانت.

"ولهذا قاموا بالقضاء على الحركات الجهادية الإسلامية: كحركة عمر المختار في ليبيا، وعبد القادر الجزائري وعبد الكريم الخطابي في المغرب العربي، وإسماعيل في الهند"(١).

واتخذوا أساليب متنوعة في إسقاط مفهوم الجهاد؛ فمن ذلك: إطلاق الشبهات بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأن الناس أكرهوا على الدخول فيه، وتفسير نصوص الإسلام حسب أهوائهم، ورفع شعارات الدفاع من أجل الوطنية والقومية والثورية. واصطناع الفرق العميلة محاولين نشر شعارات براقة، كشعار الأخوة الإنسانية، وعدم التفريق بين الأديان القائمة، والتعايش بين الجميع في ظل التَّسَامُح والمحبة والإخاء والتعاون(٢).

ولم ينته الأمر على ذلك فقط؛ بل إن الغرب كان يتهم المسلمين بسبب رفعهم لراية الجهاد بالخيانة وعدم الوفاء وعدم تقدير منافع الاستعمار!

- ومن أولئك الذين يحاولون إسقاط فكرة الجهاد - أندرسون(٣) الذي قال: "إن الجهاد اليوم ليس بفرض بناء على قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان". (٤) "فهو يرى أن الجهاد لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية. ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الإسلام، وأوضاع الحرية ورقي العقول لا يقبل فكرة تفرض بالقوة"(٥).

---

(١) العلمانية، ص٥٣٨.

(٢) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٦٦ - ٢٧٤.

(٣) اندرسون ج. ن. د (Anderson): مستشرق له مؤلفات عديدة في الفقه الإسلامي وغيره. انظر: (المستشرقون) (٢/ ١٢٢ - ١٢٣).

(٤) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص٩٥.

(٥) المرجع السابق.

ـ ’’وكان كرومر يدرك ما تنطوي عليه تعاليم الإسلام من الحث على الجهاد، وإعلاء مرتبة المجاهدين في سبيل الله، والحط من شأن القاعدين عن القتال، والدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة. حتى لقد وصف المسلمين بأنهم من أنصاف الهمج والمحبين للحروب، الذين لا تتسع صدورهم لأي تسامح، ووصف الإسلام بأنه قد جعل فكرة الانتقام والبغض أساساً لعلاقة الإنسان بالإنسان، ومستشهداً على ذلك بدعاء خطباء المساجد في ظهر كل جمعة على الكفار بخراب الديار وبالآيات: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[1]‘‘[2].

ـ وقد صرح ريجان ـ الرئيس الأمريكي الأسبق ـ[3] في حديث أدلى به لجريدة صنداي تايمز البريطانية ما نصه: ’’إن هناك احتمال نشوب حرب دينية في منطقة الشرق الأوسط، فقد عاد المسلمون إلى الفكرة القائلة بأن الطريق الوحيد إلى الجنة هو الاستشهاد في محاربة المسيحيين واليهود‘‘[4].

ـ وخاطب إسحاق شامير ـ رئيس وزراء إسرائيل ـ أعضاء الوفود العربية في مؤتمر مدريد في يوم الخميس (٤/ ٦/ ١٤١٣هـ الموافق ٣٠/ ١١/ ١٩٩٢م)، فقال: ’’أناشدكم أن توقفوا الجهاد ضد إسرائيل‘‘[5].

---

(١) [سورة محمد: الآيات ٤ ـ ٧].

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١١١ ـ ١١٢).

(٣) تولى في الفترة (١٤٠٠ ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨م).

(٤) مجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦)، السنة الثلاثون: شهر صفر ١٤٠١هـ، نقلاً عن: الموالاة والمعاداة (٢/ ٦٤١).

(٥) الإسلام على حلبة الصراع لأحمد الشريف، ص١٥٠.

المطلب الثاني

نقد الأهداف الدينية

١ ـ محاولة جعل الإسلام ديناً كهنوتيا:

فيما مضى أوضحت أن الغرب وقف بالمرصاد للشريعة الإسلامية محاولاً تفريغها من أحكام المعاملات ومن سائر شؤون الحياة، بدعوى أن الدين علاقة فردية بين العبد وربه، وآتي هنا إلى مجال النقد.

وقبل نقد محاولة الغرب بجعل الإسلام ديناً كهنوتيا، ينبغي أن ندرك حقيقة مهمة وهي أن المُوسَوِيَّة ديانة مخصوصة لأقوام معينين، وكذلك الشأن بالنسبة إلى المَسِيحِيَّةِ، فليس فيهما تشريع متكامل كالإسلام الذي جاء بتشريعات متكاملة لإصلاح الدين والدنيا، والفرد والجماعة، والناس أجمعين.

لقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ خاتماً للأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[1]، واقتضت حكمة المولى عز وجل أن يكون القرآن الكريم آخر الكتب المنزل، على هذه الأمة والمحفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[2]، فهو آخر الأديان السماوية والناسخ والمهيمن والشامل لسائر شؤون الدين والدنيا، والموافق للفطرة البشرية، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ولننظر ما قالته اليهود لعمر بن الخطاب ـ رضي الله

---

(١) [سورة الأحزاب: الآية ٤٠].

(٢) [سورة الحجر: الآية ٩].

(٣) [سورة المائدة: الآية ٣].

عنه ـ متمنين لو أن دينهم هو الذي شرف بالتعظيم والكمال والتمام! ولكن أَنَّى لهم ذلك وهم قد بدلوا وغيروا واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً! فقد ورد في تفسير هذه الآية: "أَنَّ اليهود قالت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً. فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت؛ يوم عرفة وإنا والله بعرفة"(١).

وأنقل كلاماً لبريتون حيث يقول: "إن الإسلام يعطي كلا من العالَمين ـ الدنيا والآخرة ـ حقهما، كما أن باب الاجتهاد مفتوح، والمسلمون يجتهدون اليوم ليثبتوا أن الإنسانية الصادقة والآداب القويمة والعقل السليم تلقى أرفع تعبيراتها في شريعة الإسلام وأحكامه"(٢).

وبخصوص مهاجمتهم للإسلام، ومحاولة تفريغه من مضامينه، وعزله عن شؤون الحياة، ولا سيما ما يتعلق بالأحكام المنظمة لمعاملات الناس وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونحو ذلك(٣). فالحقيقة أن هذا منهج يسلكه كثير من ساسة الغرب ومفكريه، من أجل محاولة إحلال أنظمة الغرب الوضعية وعزل الشريعة الإسلامية(٤). "ولهذا رفعوا عبارة: الدين لله، وجعلوها في معنى أن الأحكام الدينية هي الأحكام التي تتعلق بأمور العبادات، التي هي لله وحده، وأما الأحكام الأخرى التي تتعلق بتنظيم أحوال الناس الشخصية والعامة، فلا علاقة للدين بها، فالناس أحرار فيما ينظمون وفيما يتركون ويأخذون"(٥).

ومع وصف هؤلاء الغربيين بأن الإسلام دين كهنوتي، فإننا نجد البابا يتدخل في المسائل السياسية في العالم كأكثر السياسيين حركة؛ من خلال

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (٢) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾..، حديث رقم ٤٦٠٦، فتح الباري (٥/١٨٦).

(٢) الإسلام والغرب ـ أنور الجندي ـ، ص١١.

(٣) يراجع، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/٢٦٠).

(٥) أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٨٦.

عقد الاجتماعات مع العديد من الرؤساء، وكذلك التصريحات بين فترة وأخرى، وأسفاره المتعددة، ولم نسمع أحداً ينكر عليه بأن الدين لا علاقة له بالسياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد.

"ثُمَّ من قال إن حكومات أوروبا وأمريكا التي تتظاهر بالعلمانية قد طبقت فصل الدين عن الدولة..! إنها جميعاً تعنى بالدين عناية فائقة لدرجة التعصب، وتتمسك حتى بالطائفية الدينية. فلا يكون رئيس فرنسا ووزراؤها إلا من طائفة الكاثوليك، لأن فرنسا تفتخر بأنها تحمي الكثلكة في العالم. ولا يكون رئيس بريطانيا ووزراؤها وكبار القادة فيها إلا من البروتستانت، لأن بريطانيا تفتخر بأنها تحمي مذهب البروتستانت في العالم. وكذلك الأمر في ألمانيا ودول أمريكا الشمالية والجنوبية. إن حكومات تلك الدول التي تدين بالمسيحية ودستورها الأصلي: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، تُولي المسائل الدينية عنايتها التامة، وتتبارى في خدمة الدين والتمسك به وبالحرص عليه"[1].

٢ ـ إضعاف عقيدة الولاء والبراء:

إن الأمة الإسلامية أمة متميزة بذاتها، منفصلة عما سواها، لها تميزها الخاص بشريعتها وآدابها، ومن أصول عقيدتها الولاء لأهل الإسلام والبراء من أهل الضلال.

وكما مر معنا أن العداء بين الحق والباطل، أو بين الإيمان والكفر باق مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن رجال الغرب أحكموا الخطط والاستراتيجيات لضرب هذه الأمة في مقتلها، وهو ضربها في عقيدتها التي تميزت بها عن سائر العقائد والملل، وعمدوا إلى تشويه المفاهيم وإلباسها الألفاظ البراقة والشعارات الرنانة كاستبدال لفظ الأجانب بالكفار بدعوى التَّسَامُح في بناء العلاقات ومد الجسور، بل وصل الأمر في

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص٤١٢ (بتصرف).

ضرب الولاء والبراء أنهم جعلوا أنفسهم أصدقاء وحلفاء متناسين ما ارتكبوه في الماضي، وما يرتكبونه في الحاضر من مجازر وحروب بسبب المفاصلة في الدين.

وما رفعهم لشعار الدين العالمي الموحد، إلا أسلوب من أساليب ضرب عقيدة الولاء والبراء، وهو في الحقيقة هدم صريح للإسلام، والإسلام لا يقبل مثل هذه المساومات الباطلة، وقد تكلمت عن ذلك في أسس التسامح في الغرب في مبحث الأساس العقدي ونقده[1] وفي ذلك ما يغني عن التكرار.

ـ لقد ناقض زويمر نفسه حين قال: إن إدخال المسلمين في المسيحية هداية لهم وتكريم، لذا فهو يؤكد بأن مهمة المنصرين هي إخراج المسلمين من الإسلام ليصبحوا مخلوقين لا صلة لهم بالله البتة، فهو لما عجز عن إدخال المسلمين في النصرانية، أراد أن يكون البديل، إبعادهم عن دينهم بضربهم في عقيدتهم ليصبحوا حيارى كالذين استهوتهم الشياطين؛ لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.

وما اهتمام الغرب بالآثار ونبش الحضارات القديمة قبل الإسلام إلا رغبة في صرف المسلمين عن الاهتمام بتاريخ الإسلام ومصدر عزتهم إلى العناية بالحضارات البائدة كالبابلية والآشورية والفراعنة، حتى يتذبذب وَلاَءُ المسلم بين الإسلام وبين تلك الحضارات وتتهيأ النفوس لتقبلها. "وللأوربيين في الاهتمام بالآثار ونبش الحضارات؛ أسلوب ماكر، فهم يبدؤون التنقيب ببعوث من علماء الآثار الغربيين، حتى إذا حققوا ما يهدفون إليه من اهتمام كل بلد من هذه البلاد بتراثه القديم..، وتحمسه له، وغيرته عليه، ورأوا أن هذه الغَيْرَة تدفعه إلى منافسة الأجانب في هذا الميدان الذي يعتبر نفسه أولى به وأحق، بوصفه وارث هذه الحضارة، عند ذلك يتخلون عن مهمتهم ويتركونها في رعاية البلاد الإسلامية"[2].

---

(١) يراجع، ص٩٣ ـ ١٠٦.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٣٨) (بتصرف).

٣ ـ تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم:

مر معنا بعض من نقولات ساسة الغرب ومفكريهم حول تفريق المسلمين وإذكاء العداوة بينهم، منطلقين من سياستهم السابقة فَرِّقْ تَسُدْ، فقد هال أعداء الإسلام الغربيين ذلك التماسك القوي، والترابط الوثيق بين المسلمين على اختلاف أعراقهم ولغاتهم وألوانهم وبلدانهم، وبسبب الخوف الشديد من تجمع المسلمين ووحدتهم، فقد شنوا حملاتهم الضاربة في الحيلولة دون تجمعهم، ولهذا ما فتؤوا يزرعون العداوة والبغضاء بين الناس والجماعات والأمم بعضها مع بعض. لذا فقد سلكوا أسلوب التمسح بمسوح الدعوات الحديثة، كدعوى التَّسَامُح مع الآخرين، حتى يتمكنوا من بث النعرات القومية، والدعوات الشعوبية، وإشعال الفرقة والخصومة بإقامة الحواجز المصطنعة كالحدود والأجناس واللغة، واهتمامهم بالحضارات السابقة.

ولم يكتف الغرب بذلك؛ بل أخذ في دراسة الإسلام دراسة تحليلية عميقة؛ مستخلصاً منها خطط التعامل مع المسلمين على المدى القريب والبعيد[١].

فقد طارت شرارة عقول الغرب هلعاً من قيام حركات إصلاحية دينية تجدد في النفوس ما اندثر من أمر الدين، وتدعو إلى التضامن، وجمع الكلمة في ربوع المعمورة.

وأخلص إلى نتيجة مهمة وهي: ''إن الغاية لدى أعداء الإسلام واضحة مكشوفة يجاهر بها بعض ساستهم، ورجال الدين والفكر والاقتصاد، كما يحاول بعض هؤلاء أن يكتموا حقيقة أهدافهم، والحقيقة أن الغاية هي القضاء على الإسلام، وتمزيق المسلمين، واتخاذ كل وسيلة ممكنة لبلوغها''[٢].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦٩ (بتصرف).

وهذا الأمر ليس بغريب على من تأمل كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله محمد ﷺ وأحداث التاريخ الإسلامي.

٤ ـ التنصير:

تطرقت آنفا إلى بيان مؤامرة الغرب ـ عبر دعوى التَّسَامُح ـ في ضرب عقيدة الولاء والبراء، وأنتقل هنا إلى الحديث عن التنصير.

كثيراً ما يتحدث المنصرون عن التَّسامُح في دعوتهم إلى دينهم.

فيا ترى إلى ماذا يهدفون؟

"لا شك أن التَّسَامُح الذي ينادي به هؤلاء الغربيون؛ هدفه دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون جحافل التنصير، وما تستخدم في سبيله مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة"(١).

فقد اتخذ الغربيون وسائل جديدة ومتنوعة في سبيل الدعوة إلى دينهم، ولا تعدو جميعها أن تكون فخاخاً للصيد. ومن تلكم الوسائل؛ التأكيد على المنصرين بأن يكونوا مستعدين لأن يقبلوا بأمور تخالف العقيدة النصرانية تحت مظلة التَّسَامُح مع العقائد الأخرى!

فأي تسامح هذا الذي يخالف أصل دينهم وهم يقومون بالدعوة إليه! أَوَ لَمْ يكتف هؤلاء بالتحريفات السابقة في دينهم، حتى يقوموا هم بأمور جديدة بدعوى التَّسَامُح مع العقائد الأخرى!

وأما ما يتعلق بالوسائل الأخرى كالاستكشاف والطب والتجارة وغير ذلك، فهي أساليب مموهة مستترة كثيراً ما يستعملها هؤلاء؛ لكنهم في الحقيقة ينطلقون من منطلقات دينية؛ يقول ناظر معارف هولندا: "إن هولندا لم تذهب إلى الشرق لأجل التجارة بل لنشر حسنات الدين المسيحي"(٢).

---

(١) الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، ص٤٧ (بتصرف).

(٢) حاضر العالم الإسلامي (٣/ ٣٦٢).

ثم إنهم يأتون إلى بعض بلاد المسلمين فيستغلون ظروفهم واحتياجهم، ويمارسون الضغط على الفقراء وكذلك المرضى الذين لا يجدون علاجاً، فيرفضون معالجة أحد إلا إذا تنصر أو سمح لهم بأخذ ابنه الصغير ليعلموه ما يشاءون، وإلا فليمت من غير شفقة أو رحمة.

"كما أن المنصرين يقومون بخطف الأحداث وتعذيبهم وإخضاعهم للتنويم المغناطيسي، ولا يتورعون عن ارتكاب أخس الجرائم في سبيل تحقيق خططهم الآثمة"(١).

فأين التَّسامُح المزعوم!

وهناك أمر مهم ينبغي التنبيه عليه؛ وهو أن الكنائس في الغرب تبيع كثيراً من أماكن العبادة، وتقوم بطرد رجال الدين لديها إلى الخارج، وفي الوقت نفسه تنفق المليارات في الدعوة إلى التنصير في أرجاء العالم الإسلامي!(٢)

وهل الكنائس التي تبقى في بلاد المسلمين بغير رصيد لها من البشر النصراني تعني تطبيقاً لما يردده هؤلاء من التسامح.

وأما استعمالهم الألفاظ البراقة والجميلة كمحبتهم للمسلمين ومودتهم(٣)، فهو خداع وكذب، فهم يتمنون زوال المسلمين، فما برحوا يمكرون بالإسلام والمسلمين، وقد جاء في القرآن الكريم الآيات العديدة التي تبين ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾(٤)، وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾(٥).

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) انظر: التبشير والاستعمار، ص١٢١، والحوار دائماً، ص٧٧.

(٣) يراجع، ص١٥٤.

(٤) [سورة البقرة: الآية ٢١٧].

(٥) [سورة البقرة: الآية ١٢٠].

ويستغل الغربيون في مواجهة الإسلام بعض آيات الكتاب وبعض الآحاديث وبعض الأمور المشتركة بين الإسلام واليهود والنصارى وغير ذلك[1] فإن ذلك لمصالحهم.

ومع ذلك كله فإن المولى عز وجل قد تكفل بحفظ دينه ـ فلم تدخله تحريفات بشر كما دخلت تلك الأديان ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

والإسلام هو الدين الأول انتشاراً في العالم اليوم، وها هو البابا يوحنا الثاني، يهب مذعوراً من انتشار الإسلام، ويطالب الولايات المتحدة الأمريكية، بِدَعْم مَالِي كَبِيرٍ كَيْ يضاعف التنصير حيث يقول: ''فالإسلام هو الدين الوحيد الَّذي يتحدى انتشار المسيحية، وهناك تزايد في الإقبال على الإسلام، وانحسار في المناطق المسيحية في الشرق الأدنى وأفريقية، وهناك جسور للإسلام تتزايد في جنوبي أوروبا''[3].

وأختم كلامي بذكر شهادة اللورد هدلي الفاروق ـ والذي أسلم ـ حيث يتأسف لما تفعله البعثات التنصيرية من أساليب: ''إني لا أستطيع أن أجد مبرراً لهؤلاء الذين يحاولون التبشير بين قوم هم في الواقع أقرب منهم إلى تعاليم المسيح الحقيقية، وأقول أقرب إلى تعاليم المسيحية، وأعني ما أقول، لأن البِرَّ والسَّمَاحَة في عقيدة الإسلام أقرب من المسيحية''[4].

٥ ـ قيام دولة اليهود:

فيما سبق تطرقت ـ بإيجاز ـ إلى بيان المخططات الغربية الاستعمارية التي أعدت لإقامة دولة اليهود منذ مئات السنين:

---

(١) يراجع، ص١٥٥.

(٢) [سورة الحجر، آية: ٩].

(٣) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين د. شوقي أبو خليل، ص٦ ـ ٧.

(٤) لماذا أسلمنا، ص٤٧ ـ ٤٨.

فقد كانت العداوة التي أغرى الله بين اليهود والنصارى عداوة عقدية، لا تكاد تنفك بحال طيلة العصور الماضية، وكان النصارى يضطهدون اليهود بسبب اعتقادهم أنهم هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام، ولم يَنْعَمْ اليهود بالحياة الكريمة أبداً إلا في ظل الحكم الإسلامي(١). إلا أنه في العصر الحاضر ـ نتيجة للمصالح الاستعمارية في المنطقة ـ تحول الصراع العقدي التاريخي الدموي، بين اليهود والنصارى إلى تحالف استراتيجي..!

فأصبح اليهود الذين حاربوا المسيح، كما حاربوا الأنبياء ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ كافة أشقاء للنصارى وحلفاء لهم(٢).

وأما المسلمون المؤمنون بموسى وعيسى وبسائر النبيين والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فهم أعداء لليهود والنصارى.

لذا فقد حرص النصارى على دعم اليهود بإقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل حتى الفرات، لأن هذا الوجود والتوسع شرط لظهور المسيح في فلسطين، وقيامه بقيادة الجيوش النصرانية في معركة هرمجدون ضد الكفار (أي المسلمين)!

وها هو بابا الفاتيكان في المجمع الفاتيكاني الثاني عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، يعلن صك براءة اليهود من دم المسيح(٣)، مناقضاً عقيدة النصارى التي تدين اليهود وتنذرهم باللعنة والدمار والجحيم؛ وما كانوا يدينون به طيلة القرون الماضية!

بل إن البابا نفسه، قد أعلن أنه لا مانع من الاعتراف بالقدس عاصمة

---

(١) انظر: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص٧١، والعلمانية، ص١٧٤.

(٢) قام اليهود بإدخال بعض أبنائهم في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية، ومحاولة هدمها من الداخل؛ بتسريب بعض المعتقدات الدينية كالأمور الثلاثة ـ التي مرت معنا ـ (أن اليهود شعب الله، وأن ثمة ميثاقاً يربط اليهود بالأرض المقدسة، وربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح بقيام دولة اليهود). للاستزادة: يراجع ص١٥٦ ـ وما بعدها.

(٣) انظر: موقف الغرب من الإسلام ص٧٣، والإسلام وأمريكا، ص٧١.

موحدة لإسرائيل؛ بشرط حرية النصارى في زيارة الأماكن المقدسة[1].

وقد رفع الغرب شعار التَّسَامُح بين الأديان والشعوب والدول من أجل تمكين اليهود في المنطقة، وانطلقت التصورات الفكرية والسياسية والاقتصادية مؤكدة المفاهيم الغربية في ضرورة التفكير الجديد في التعامل مع الآخرين؛ في ظل الأمور المشتركة والتعايش السلمي.

وهكذا تخلصت أوروبا وأمريكا من اليهود، وقذفت بهم في قلب العالم الإسلامي بفتح باب الهجرة على مصراعيه إلى فلسطين.

فهم يبتغون بذلك تأجيج الصراع في العالم الإسلامي بين اليهود والمسلمين على مستوى العقيدة والاستراتيجيات الأخرى.

فهل يدرك الغرب فداحة ما يقترفه ضد المسلمين؛ بل ضد العقيدة التي يعتنقها!

وأما المنظمات السرية والعلنية ـ كبذور السلام وغيرها ـ التي يديرها الغرب؛ والتي تعمل على تذويب الفوارق الدينية والأخلاقية والسياسية. . ، بين اليهود والعرب فما هي إلا ضرب من الخداع والتمويه، باسم التَّسَامُح والتعددية والسلام[2].

وهناك أمر مهم أشير إليه إشارة عابرة، هو أن إسرائيل حتى الآن هي الدولة الوحيدة العضو بالأمم المتحدة التي ليس لها حدود واضحة المعالم، وتعتبر حدودها مفتوحة لحين تحقيق الحلم الإسرائيلي بإقامة إسرائيل الكبرى.

والغرب يسعى حالياً بقيادة أمريكا على إضفاء الشرعية[3] الدولية على

---

(١) انظر: النبوءة والسياسة لغريس هالسل، ترجمة: د. محمد السماك (مقدمة الناشر)، ص١٣ ـ ١٤، والإسلام وأمريكا، ص٧١.

(٢) انظر: «تذويب الهوية الإسلامية» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٢٠، (٦/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ١١/ ١٠/ ١٩٩٤) ص١٩. ومجلة القدس العربي، العدد ١٧١٤، (الجمعة ٢١/ ٧/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٩٤م).

(٣) استعملت لفظة الشرعية على لسانهم وإلا هي الجاهلية والإباحية والقرار للقوي.

محو فلسطين من خريطة الشرق الأوسط[1].

٦ ـ إسقاط مفهوم الجهاد:

مر معنا كيف أن الغرب وأعوانه قد فكروا كثيراً في محاربة شعيرة الجهاد في الإسلام بكل صورة متاحة حتى لا تتوحد كلمة المسلمين فيقفوا أمامهم، ولذلك تضافرت جهود الغرب في محاربته لهذه الشعيرة وإسقاطها.

فلا يكاد يوجد أمر يقض مضاجع الغربيين ويخيفهم خوفاً شديداً كخوفهم من الجهاد في سبيل الله. ولهذا قضوا على الحركات الجهادية التي تزعمها العلماء والدعاة المصلحون.

واتخذوا ضمن أساليبهم؛ الحرب الفكرية في طمس معالم الجهاد وتشويهه، وتصويره بأبشع الصور! فمن ذلك: قالوا إن الإسلام انتشر بالسيف وبإكراه الناس عليه.

ويكفي أن أفند هذه العبارة بما مر معنا في مبحث (ضوابط التَّسَامُح)[2] وما بينته من الحكمة في الدعوة والمعاملة، وأن الناس قد دخلوا في الإسلام في بلاد كثيرة لم تصلها جيوش، وأن الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله يلجأ إليها المسلمون في حالة الاضطرار، حين يقف الأعداء مانعين تبليغ رسالة الله إلى الناس في أرجاء المعمورة.

وأمّا ما يروجه بعض رجالات الغرب حول إسقاط مفهوم الجهاد عن طريق استشهادهم بالأدلة الشرعية، وضربت لذلك مثالاً ما ذكره أندرسون عن الجهاد اليوم أنه ليس بفرض بناء على قاعدة: تغير الأحكام بتغير الأزمان، وكذلك ما استشهد به كرومر من آيات كريمة. فما استشهاد هؤلاء بالأدلة الشرعية؛ إلا من أجل تحريف مفهوم الجهاد عن معانيه الصحيحة وخداع المسلمين.

---

(١) انظر: «خريطة جديدة للشرق الأوسط» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٧٢، (٢٩/٥/١٤١٦هـ الموافق ٢٤/١٠/١٩٩٥م)، ص٢٥.

(٢) يراجع، ص٣٨ وما بعدها.

بل إننا نجد الغربيين في الغالب يتحاملون على الإسلام ويتهجمون عليه؛ حينما تقرع آذانهم كلمة الجهاد(١).

وأضيف إلى ما سبقت الإشارة إليه: أن الجهاد شريعة ماضية، وهو باق إلى قيام الساعة، والأدلة في هذا أكثر من أن تحصى، أذكر منها.

- قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾(٢)، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾(٣).

- وبوب الإمام البخاري - رحمه الله - باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، وذكر فيه حديث عروة البارقي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قوله: ((**الخَيلُ مَعقُودٌ في نَواصِيها الخَير إلى يَوم القِيامَةِ: الأَجْرُ والمَغنَمُ**))(٤). قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "وفيه بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة، لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون"(٥). وقوله ﷺ: ((**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ، ظَاهِرِين عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرهُمُ المَسِيحَ الدَّجَّال**))(٦). قال الخطابي - رحمه الله -: "فيه بيان أن الجهاد لا ينقطع أبداً"(٧).

وأما ما يقال من أن الجهاد لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية، والمعاهدات الدولية، فهو كلام واه، يتشدق به الغربيون دوماً..، وأشير إشارة عابرة؛ إلى أن من شروط صحة

---

(١) انظر: الإسلام على حلبة الصراع ص١٥١.
(٢) [سورة التوبة: الآية ٤١].
(٣) [سورة الحج: الآية ٧٨].
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب رقم (٤٤) الجهاد ماض مع البر والفاجر، حديث رقم ٢٨٥٢ فتح الباري (٦/٥٦).
(٥) المرجع السابق.
(٦) معالم السنن للخطابي (٣/٣٥٧).
(٧) المرجع السابق.

المعاهدات مع غير المسلمين في الإسلام: "ألا تكون مؤبدة، بل تكون مؤقتة أو مطلقة[1] طيلة مدة الهدنة أو الصلح، وذلك لأن التأبيد يقتضي تعطيل الجهاد، والركون إلى الدنيا"[2].

وأما ما ذكره كرومر بأن المسلمين أنصاف الهمج والمحبين للحروب، الذين لا تتسع صدورهم لأي تسامح. فأحيل القارئ إلى الفصل الثاني من الباب التمهيدي: نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم[3] ليتضح له فساد هذا القول.

ويكفي أن أذكر بتسامح صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ مع النصارى في فتح بيت المقدس، وكيف عاملهم بالمن والعفو، ومقارنة بما فعلته ـ جيوش الاستعمار ـ لَمَّا اغتصبت فرنسا الجزائر وقتلت أكثر من مليون شخص، وما فعله الإنجليز لما دخلوا نيجيريا، حيث قتلوا كل زعماء المسلمين في الشمال في حرب بيافرا، وما فعلوه في مصر والشام والسودان والهند وآسيا وأندونيسيا وغيرها[4].

---

(١) «وإذا صح أن تكون مطلقة فمعنى ذلك أنه يجوز لأي من الطرفين أن يلغيها متى شاء». الأستعانة بغير المسلمين ـ حاشية ـ ص١٦٠.

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والمرجع السابق.

(٣) يراجع، ص٦٣ وما بعدها.

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٤)، وحاضر العالم الإسلامي (١/ ٢٣٩)، وأجنحة المكر الثلاثة، ص١٧٤ ـ ١٧٩، والاستشراق، غراب، ص٧٢.

المبحث الثاني
الأهداف الثقافية ونقدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهداف الثقافية.

المطلب الثاني: نقد الأهداف الثقافية.

ودونك تفصيلها فيما يأتي:



المطلب الأول
الأهداف الثقافية

تطرقت في المبحث الأول إلى الحديث عن أبرز الأهداف الدينية ونقدها، وآتي هنا للحديث عن أبرز الأهداف الثقافية.

وأتناولها في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه.

الفرع الثاني: توجيه التربية والتعليم.

الفرع الثالث: تحويل السلوك عن طريق التقليد والتبعية.

الفرع الأول
نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه

مر معنا (ضمن أسس التَّسَامُح في الغرب) الأساس العملي[1]،

---

(١) يراجع، ص١٢٧.

وتطرقت فيه إلى أهمية نشر العلم والثقافة والمدنية من وجهة الغرب، وآتي هنا إلى بيان هدف مهم متعلق بما مضى؛ هو نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه بمعنى نقل الفكر الغربي وحضارته إلى المسلمين.

فقد قام الغرب في عهود الاستعمار للبلاد الإسلامية بالسيطرة على زمام الأمور حين حاول عبر دعوى التَّسَامُح نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه في البلاد الإسلامية[1]، وإن كان تنفيذ هذا الأمر يحتاج إلى مراحل طويلة ولكن كما في المثل الإنجليزي المشهور: بطيء ولكنه أكيد المفعول (Slow But Sure).

يقول أحد دعاة الغرب: "إن العقل المصري وهو يتهيأ للأفكار الجديدة لا يزال مملوءا بتقاليد الماضي، ويجب علينا أن نُغير نفوس هؤلاء القوم، ونُعلم هذه العقول التي جففتها الشمس طريقة التفكير، وأن نَستميل بالحب هذه القلوب التي لم تعرف إلا الجشع ونَهب الأجانب، وأن نجبر مصر المدهوشة المذهولة على أن نرفع رأسها فوق الصحاري والبحار. إن هذا عملٌ جسيمٌ يحتاج إلى كثير من الصبر والتضحية وعدم الأثرة، كما يحتاج إلى وقت طويل ومجهود شاق ومحبة عظيمة!"[2].

وقد تمثلت مراحل هذا الفصل:

- "بسعي الغرب نحو التقريب بين الفكر الغربي والتعاليم الإسلامية بدعوى الملاءمة بينهما، وبدعوى أن الفكر الغربي الحديث أثبتت الحضارة الغربية قيمته ووزنه في الحياة، فلكي يعيش الإسلام أو لكي يبرهن الإسلام على وجود نفسه، يجب أن يسير في اتجاهه ويختبر نفسه بموازينه"[3].

- فهذا كينيث كراج[4] يزعم: "أن نجاح الحضارة العلمانية الغربية في

---

(١) يراجع، ص٩١.

(٢) في الأدب الحديث (٢/ ٩).

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص١١٦ (بتصرف).

(٤) كينيث كراج (Kenneth Gragg): منصر ومستشرق إنجليزي اشتهر بعداوته للإسلام والمسلمين، له مؤلفات عديدة من أشهرها: نداء المئذنة، والقبة والصخرة، =

غزو المسلمين يمثل عاملاً حاسماً في التقريب بينهم وبين المسلمين، ولذا فهو يشجع الغزو العلماني التغريبي بين المسلمين بدعوى التَّسَامُح في تبني الأنماط والنظم الغربية في التفكير والسلوك، وفي التربية والقانون، فيؤدي ذلك إلى خلق ظواهر وأساليب جديدة في حياة المسلمين''[1].

ـ ونظراً لغلبة الغرب وتفوقه العسكري والمادي فقد هيمن على المجالات الفكرية والثقافية، وقام بنشر أفكاره ومبادئه، وفي هذا يقول نيكسون مؤكداً أهمية الريادة الفكرية في نشر الثقافة والمبادئ في العالم: ''إن على أمريكا أن تقوم بدور الريادة في العالم لتنشر أفكارها ومبادئها وتكون مثلاً يحتذى بين دول العالم، وتثبت أنها لا تملك تطلعات إمبريالية أو استعمارية تجاه الدول الأخرى''[2].

ـ ونلاحظ كيف أن جب يتتبع ما حققته الحضارة الغربية من نجاح بين المسلمين من خلال نشر الفكر الغربي وترسيخه في كل بلد من العالم الإسلامي. فيتساءل:

''إلى أي مدى يُصبح العالم الإسلامي غربياً؟

ثم يجيب على ذلك:

بعرض الثقافة الغربية في العالم الإسلامي بلداً بلداً.

إن تركيا قد انقلبت إلى بلد غربي..

وأما في شبه جزيرة العرب، فإن النفوذ الغربي لم يستطع أن يضع قدمه بعد.

وفي شمال أفريقيا، بدأت حركة التغريب وهي ماضية في طريقها، وإن كان أثرها أبرز في تونس.

= وعيسى والمسلمون.

انظر: الاستشراق، غراب، ص٦٩ ـ ٧٠.

(١) الاستشراق، غراب، ص٧٠ (بتصرف).

(٢) الإسلام وأمريكا، ص١٦.

أما في مصر، فهي تتطور في هدوء بعيد عن العنف، ولكنها تتقدم تقدماً واضحاً في هذا الطريق.

أما في العراق وسوريا فهي تتبع خطوات مصر.

بينما تتبع إيران خطوات تركيا، وإن كانت أكثر منها اعتدالاً وتوسطاً.

أما أفغانستان فقد تراجعت في هذا السبيل..

ومن ثم نستطيع أن نقول: ـ حسب سير الأمور الآن ـ إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته"[1].

ـ ولم يغب عن الغرب ـ أيضاً ـ ما للترجمة من أهمية في نشر الفكر الغربي، والأمثلة في هذا كثيرة، فمن ذلك ما قاله كانتويل سميث في مؤتمر برنستون سنة (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، مؤكداً أهمية ترجمة الكتب اللاتينية: "إن وزارة التعليم في تركيا تعتبر الدراسات الإنسانية أساساً لحضارة هذا العصر، وقد اتخذت خطوات للنهوض بهذه الدراسات، بترجمة كثير من الكتب اليونانية واللاتينية القديمة، ونشر هذه المترجمات بصفة منتظمة"[2].

وبهذا الإيجاز اتضح لنا كيف أن الغرب لم يترك مجالا من المجالات إلا وحاول أن ينشر فيه فكره وحضارته، ويرسخ مذاهبه باسم التَّسَامُح في التقريب بين الفكر الغربي والتعاليم الإسلامية.

الفرع الثاني

توجيه التربية والتعليم

إذا كان الغرب قد قام بنشر فكره وترسيخ مذاهبه في العالم الإسلامي. فإن ثمة أمراً آخر قد قام به الغرب بالغ الأهمية، ذلكم هو توجيه التربية والتعليم.

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، ص١٠٥.

"فقد أدرك الغرب المستعمر الزاحف على المسلمين . . ، أن أكثر الوسائل جدوى وقوة وتأثيراً لتحقيق غايته هي التركيز على الجانب التربوي والتعليمي"[1].

ومن هنا قام بخطوات عملية:

- فبعد الاحتلال البريطاني - عُين اللورد كرومر أول معتمد بريطاني في مصر. وقد رأى كرومر أن الشعب المصري لا يمكن أن يقبل الاستعمار الإنجليزي إلا إذا أقبل على الثقافة الإنجليزية، وقد عمل الإنجليز عملاً مجدياً في سبيل التربية والتعليم[2]. فباسم التَّسَامُح في توجيه التربية والتعليم تم افتتاح العديد من المدارس المتنوعة، وتعميم المدارس في القرى والريف.

لقد وضع كرومر سياسة تعليمية سار عليها أمداً طويلاً، وجاء دنلوب[3] في سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) فورثها عنه ولَقِنَها منه، وعمل على تنفيذها؛ وتتلخص هذه السياسة في الأمور الآتية:

"١ - نشر التعليم بين الفتيات المصريات، وظن أن تعليم البنت وتلقينها الثقافة الإنجليزية يهيئ الفرصة لوجود جيل من الأبناء يحبهم ويعطف عليهم.

٢ - العمل على محو الأمية بين الفلاحين والطبقات الفقيرة بمصر.

٣ - إعداد فريق من الشبان المصريين لتولي الأعمال الكتابية والإدارية، والفنية المتواضعة في الحكومة.

٤ - مناهضة الثقافة الفرنسية، واللغة العربية في المدارس وإحلال

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٧٨.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢١٦، وفي الأدب الحديث (٢/ ١٦).

(٣) دنلوب دوجلاس مورتون (Dunlop, douglas Morton): ولد عام (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) في بيزلي في إنجلترا. عين المفتش العام للتربية والتعليم في مصر. عني أكثر ما عني بتاريخ العرب والفلسفة العربية وأسبانيا المسلمة وتاريخ الخزر.
انظر: (المستشرقون) (٢/ ١٣٩ - ١٤٠).

اللغة الإنجليزية محلها"[1].

"وقد صحب تلكم السياسة ضرب دعاة الطابع الإسلامي وعزلهم عن الحياة وحصرهم في أضيق نطاق، وتصفيتهم، وإبعادهم عن كل مجالات التأثير والتوجيه الحيوية"[2].

وعلى سبيل المثال ـ جاء في تقرير اللورد كرومر ـ بصدد مشروع القضاء الشرعي الذي وضعه الشيخ محمد عبده مع آخرين بتكليف من كرومر، والمشروع يعتمد بصورة كبرى على تربية جيل جديد من رجال الشريعة الإسلامية، على مناهج خاصة، جاء فيه: "كنت أتصل بين الحين والحين بالبارون كالي ـ حاكم البوسنة ـ لتبادل الرأي في الموضوعات، ذات الطابع المشترك، بقصد تخريج قضاة الشرع المسلمين في مصر..، عن طريق تزويد الطلاب، ببرامج ثقافية ذات طابع تحرري (A Liberal Character) لا تحصر الطالب في الدراسات الدينية الخالصة"[3].

"ولقد كان هذا العامل مقدمة لما يراود المحتلين من أماني في تطوير الأزهر كله، وتغيير معاييره ومفاهيمه الإسلامية، ليصبح شيوخه أكثر قبولاً للأوضاع الوافدة..، وكذلك حتى يتم التفاهم مع أجيالهم الحديثة لتُعايش العلمانية!"[4].

وهذا ما سار عليه البريطانيون في الهند أيضاً، فهذا اللورد ميكالي ـ رئيس اللجنة التعليمية بالهند ـ يقول: "يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين ملايين من رعيتنا، وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم، إنجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير"[5].

---

(١) في الأدب الحديث (٢/ ١٦).

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢٦٤ (بتصرف).

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧)، والإسلام والحضارة الغربية، ص١٠٢ (بتصرف).

(٤) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢٥٥.

(٥) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص١٧٣.

وكما مر معنا التساؤل الذي طرحه جب خلال المطلب السابق (نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه في العالم الإسلامي) نجده هنا يقرر أهمية توجيه التربية والتعليم في سبيل التجدد والتفرنج في الشرق اللذين هما خاضعان ـ من وجهة نظره ـ لمقياس نظام التعليم الغربي، ومدى سيطرته وتغلغله في المجتمع الإسلامي، حيث يقول: ”والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (الفرنجة) هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي. والأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي. هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره“[1].

الفرع الثالث

تحويل السلوك عن طريق التقليد والتبعية

انطلاقاً من الهدفين السابقين (نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه، وتوجيه التربية والتعليم) فقد انبثق هدف آخر مهم هو؛ تحويل السلوك عن طريق التقليد والتبعية.

دعا الغرب إلى التجديد والتقدمية ومسايرة العصر وغير ذلك، موهما المسلمين بأهمية اللحوق بركب الحضارة شريطة أن يغيروا كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم التي لم تعد موافقة لأسلوب الحياة وتطورها.

ولذا فقد كان تركيز الغرب ضارياً وعنيفاً في الولوج على المسلمين من خلال التقليد والتبعية، فهذا جب يوصي بني قومه بقوله: ”إذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح الذي نسبر به غور التأثير. .، يجب أن ننفذ أولاً إلى لباب الأمور، وأن ننفذ أولاً إلى الحركات التي تقوم على تشرب

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

الأفكار الغربية تشرباً يبعث على الابتكار، بعد استعداد داخلي قوي، وكل ما عدا هذا فهو سطحي ومهما شق الأمر، فلا بد من بذل الجهد لتبين تلك العناصر التي تكون حقاً صرح ثقافة جديدة''(١).

وقد صرح بذلك كرومر بقوله: ''إن الإسلام بطبيعة تعاليمه، عدو للحضارة الأوروبية، وأن المسلم غير المتخلق بأخلاق الأوروبيين، لا يقوى على حكم مصر في هذه الأيام، لذلك سيكون المستقبل الوزاري للمصريين المتربين تربية أوروبية''(٢).

لقد عمل الغرب من خلال التَّسَامُح على غرس مُثُلِ الحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره وطرائقها، وفلسفة حياتها في نفوس المسلمين حتى تتشربها قلوبهم، وتختلط بكيانهم ويتمثلوها خلقياً وفكرياً على المستوى الفردي والجماعي. ''ومحاولة طمأنة المسلمين والتربيت على أكتافهم بأَلَّا خوف على الإسلام ولا على القيم الخلقية ولا على المجتمع المسلم من الفكر الأجنبي، مهما اخترق العقول والنفوس، ومهما يكن من تمازج وتفاعل. وأن الخوف الموجود عند المسلمين إنما هو وهم لا حقيقة له''(٣).

وقد تبع ذلك أنهم وجدوها فرصة في محاولة تحويل سلوكيات المسلمين عن طريق التقليد والتبعية، من أجل أن يكونوا عالماً متسامحاً متفاهماً!(٤).

وهكذا سعى الغربيون في تحويل سلوكيات المسلمين عن طريق التقليد والتبعية بدعوى التَّسَامُح في اقتباس النظم الغربية والانتفاع بعلومهم وخبراتهم.

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢٦٨ (بتصرف).

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٥.

(٣) الثقافة والعالم الآخر، ص١٠٦.

(٤) See: Committee on Tolerance and Understanding, p.16.

المطلب الثاني

نقد الأهداف الثقافية

مر معنا نقد الأهداف الدينية، وآتي هنا للحديث عن نقد الأهداف الثقافية.

وأتناولها في ثلاث نقاط:

١ ـ نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه:

مر معنا كيف أن الغرب قد حاول السيطرة على زمام ثقافة الأمة الإسلامية عبر دعوى التَّسَامُح في نشر الفكر الغربي وترسيخ مذاهبه في البلاد الإسلامية، ومن خلال التخطيط الطويل المدى: الذي يصفونه بأنه بطيء لكنه أكيد المفعول، فهو بطيء في سريانه وفي تفاعله، ولكنه في الوقت نفسه أكيد في تأثيره ـ كما يزعمون ـ[(١)].

ـ فقد سعى الغرب نحو التقريب بين الفكر الغربي والتعاليم الإسلامية، بحجة أن الغلبة للحضارة الغربية، كما ادعى ذلك كل من:

كِينِيث بتشجيعه الفكر العلماني!

وَنِيكْسُون بنشر الثقافة والمبادئ!

وجِبْ بنشر الفكر الغربي العلماني (اللاديني)!

ويمكن الرد على هؤلاء من خلال نقطتين موجزتين:

الأولى: ''أن الحضارة الغربية قامت على أساس العنف والنهب، ولم تستطع في تطوراتها اللاحقة إلا أن تمضي في الاتجاه الذي حدده هذان الأساسان. وقد أثبتت أنها لم تستطع أن تقدم للعالم نموذجاً حضارياً''[(٢)].

---

(١) يراجع، ص١٧٦.

(٢) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص١٧١.

الثانية: أن هذه المزاعم والشعارات البراقة ما هي إلا من أجل مصالح الغرب بالدرجة الأولى؛ بغية استعمار البلاد الإسلامية ثقافياً بعد أن استقلت سياسياً.

ـ وما يتعلق بشأن الترجمة ـ كما مر معنا[1] ـ؛ فقد ترجمت العديد من الكتب القديمة، باسم التَّسَامُح في نقل الفكر الغربي إلى بلاد المسلمين، وهي في الحقيقة وسيلة للغرب لترسيخ مذاهبه، يقول الدكتور إبراهيم منصور: "إن الثقافة الغربية تؤثر في الثقافة الإسلامية في أمرين بارزين هما:

١ ـ العدوانية الشديدة: وذلك لارتباطها تاريخيا بالحروب الاستعمارية.

٢ ـ تجاهلها الثقافات الأخرى؛ فالثقافة الأوروبية لا تقبل سوى نفسها ولا تعترف إِلَّا بها، وهي تحارب وتحاول أن تسحق كل ما يعاصرها من ثقافات أخرى ويختلف عنها"[2].

ـ وأخيراً؛ لا شك أن بعض الكتب العلمية النافعة قد ترجمت، لكن المشكلة أن الجانب الكبير من حركة الترجمة سار في خط بعيد عن المفهوم الصحيح في الإفادة من علوم الغرب، فقد غلب عليها؛ ترجمة القصص والمسرحيات والكتب المناهضة للدين.

٢ ـ توجيه التربية والتعليم:

مما لا شك فيه أن الغرب قد جعل من أولى الأولويات التي هدف إليها في توجيه سياسة التربية والتعليم؛ إعداد جيل يدين للغرب بالولاء والطاعة[3].

---

(١) يراجع ص١٧٨.

(٢) «أزمة الازدواج الثقافي في العالم الغربي» لخلدون صبح، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٠ (شوال ١٤١٥هـ ـ مايو ١٩٩٦م)، ص٣٠ ـ ٣١.

(٣) انظر: غزو في الصميم لعبد الرحمن الميداني، ص١٤.

وأضرب لذلك مثالاً:

فقد كانت التربية والتعليم في مصر قبل الاحتلال البريطاني تقوم على أسس دينية، تمثلت في الأزهر ومعاهده المنتشرة.

وبعد الاحتلال البريطاني عين اللورد كرومر أول معتمد بريطاني في مصر. وفي الأيام الأولى من حكمه شكاه المنصرون إلى الحكومة البريطانية بدعوى أنه يضيق عليهم! فلما أرسلت الحكومة البريطانية الشكوى إليه ليرد عليها، جمع المنصرين وقال لهم: "هل تتصورون أنني يمكن أن أضيق عليكم، ولكنكم تخطفون الأطفال من الشوارع، وتخطفون الرجال لتنصيرهم، فتستفزون المسلمين فيزدادون تمسكاً بدينهم، ولكني اتفقت مع شاب تخرج قريباً في كلية اللاهوت بلندن (Trinity college) ليضع سياسة تعليمية ستحقق جميع أهدافكم"[١].

لقد قام كرومر بتعيين القسيس دنلوب مستشاراً لوزارة المعارف المصرية، فوضع السياسة التعليمية في مصر - بإشراف كرومر - هدفها إبعاد المتعلمين عن الإسلام، وتغذيتهم بالأفكار المناهضة للمفاهيم الإسلامية، وتربيتهم على السلوك الغربي القائم على التحلل من الضوابط الدينية والقيم والآداب والتقاليد، وقد نفذها هو وتلاميذه من بعده، ولا تزال لها آثارٌ وذُيولٌ سيئة في التعليم المصري، والتعليم في العالم العربي[٢].

فقد اجتمعت في دنلوب سوأتان، فهو قسيس اسكتلندي، وقد اشتهر أهل اسكتلندا بغلوهم الاستعماري، ونظرتهم إلى الشعوب الملونة نظرة ازدراء، واعتقاد أن هذه الشعوب لا تصلح أن تدير أمورها بأنفسها، وأنه لا بد لهم من قيادة غربية حتى تستقيم أمورها. وقد جاء دنلوب إلى مصر

---

(١) يقول الأستاذ محمد قطب: إنه قرأ هذا النص من كتاب: التبشير والإرساليات التبشيرية Mission & Missionaries انظر: واقعنا المعاصر، ص٢١٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢١٧، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢١٦، و(المستشرقون) وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، ص١٨٦.

بتعصبه الذميم، وحقده الدفين[1].

وقد مرت معنا بنود السياسة التعليمية السابقة[2]، فهم يرغبون من خلالها تحقيق الآتي:

١ ـ افتتان المرأة المسلمة، وإخراجها من عفافها وطهارتها إلى أن تصبح سلعة رخيصة لأهوائهم وملذاتهم.

٢ ـ لم يفكر المستعمرون ـ طبعاً ـ في إنشاء المدارس التي تعد الأجيال المستقبلة لميدان الحياة العملي، ولكن قصدوا بذلك تخريج دفعات من الوظائف الكتابية، وبإعداد طبقة من الموظفين لتغطية احتياجهم فقط، وقد اقتصر التعليم على طبقة معينة دون باقي الشعب، فزادت نسبة الأمية.

٣ ـ عمدوا إلى الغض من شأن اللغة العربية (لغة القرآن)، والحد من تعليمها، وإفساح المجال أمام اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات[3].

وأما عن التقرير الذي وضعه الشيخ محمد عبده مع آخرين بتكليف من كرومر، فقد أراد من ورائه تخريج قضاة الشرع المسلمين متأثرين بالنزعة التحررية، وهو ما أكده ـ أيضاً ـ كل من ميكالي وَ جب، حيث قررا أهمية التعليم وفق الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية.

وبعد هذا؛ فقد اتضح لنا كيف أن السياسة التعليمية التي وضعها المستعمرون الغربيون، هي من أجل بقاء السياسة الاستعمارية وهيمنتها على سائر الأمور.

٣ ـ تحويل السلوك عن طريق التقليد والتبعية:

مر معنا أن الغرب دعا إلى التجديد والتقدمية ومسايرة العصر؛ وذلك من خلال التَّسَامُح في غرس مُثُلِ الحضارة الغربية في العالم الإسلامي،

---

(١) انظر: في الأدب الحديث (٢/ ١٧ ـ ٢٠).

(٢) يراجع، ص١٧٩ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٥٩).

ومن أجل تكوين عالم متسامح متفاهم[1]. ومما لا شك فيه أن بين الإسلام ومُثُلِ حضارة الغرب الجاهلية تباينا عميقاً لا سبيل معه إلى الملاءمة كما يزعم الغرب، ولا سيما في الجوانب العقدية والتشريعية؛ بل حتى في الفكر والسلوك والأخلاق والتقاليد.

لقد قامت جيوش الاستعمار بالاحتكاك بالمسلمين، إما عن طريق الأعمال الوظيفية أو الجوار أو النوادي أو غير ذلك. وفي هذا يقول توينبي[2]: "لقد ظللنا نحن في الغرب نلهث خلف الرجل التركي ليقلدنا، فلما فعل ذلك احتقرناه"[3].

فالغرب قد استغل نزعة التقليد والمحاكاة حتى يتشبع المسلمون بتقليدهم ومحاكاتهم، فيصبح الإنسان المسلم تائها لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وصرح بذلك كرومر: "إن المصري المتحرر يسبق الأوروبي المتحرر في التنور، وحرية الفكر والحيرة، إنه يجد نفسه في بحر هائج لا يجد فيه سكاناً ولا ربانا لسفينته، فلا ماضيه يضبطه، ولا حاضره يفرض عليه الحواجز الخلقية"[4].

لقد تمخضت خطط الغرب في هذا الشأن عن نتائج مثمرة وغير متوقعة! ـ وقد مر معنا قول كل من جب و كرومر ـ وهذه النتائج التي تم تحقيقها؛ لم تكن لترضي الغرب حتى يصل إلى غاية هدفه، بإعداد المسلمين الذين يتشربون سلوكيات الغرب بكل سهولة، ويقلدونهم تقليداً تاماً، ومن ثم يسلمونهم مقاليد الأمور.

---

(١) يراجع، ص١٨١ ـ ١٨٢.

(٢) أرنولد جوزيف توينبي: ولد (١٣١٧هـ/١٨٨٩م) مؤرخ إنجليزي، عمل أستاذاً باحثاً ومديراً للدراسات بالمعهد الملكي للشؤون الدولية، له مؤلفات عديدة من أبرزها الحضارة في الميزان.
انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/٥٦٦).

(٣) «التغريب أم المعاصرة» الشرق الأوسط العدد ١٧٥٤، نقلاً عن: مجلة الأمة العدد ٤١ (جمادى الأولى ١٤٠٤هـ)، ص٩٢.

(٤) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ص٩٩.

وبداهة؛ لم يكن الغرب يرضى أن يتقدم المسلمون بهذا التَّسَامُح الظاهري، حتى يسلم الأمة الإسلامية زمام أمورها بهذه السهولة.

ولذا فإن المساومة التي هدف إليها الغرب في مقابل التَّسَامُح في اقتباس الحضارة الغربية؛ هي أن يتنازل المسلمون عن دينهم وانتمائهم، ويسلكوا طريقتهم في كل شيء. ويقتفوا آثارهم حذو القُذَّة بالقُذَّة.

ويجدر التنبيه إلى أمر مهم هو: أنه ليس معنى ذلك أني أنكر الإفادة من علوم الغرب ونظمه مطلقاً، ولكن لا بد من الضابط الشرعي فيما نأخذ من الغرب وفيما ندع.

المبحث الثالث
الأهداف الاجتماعية ونقدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهداف الاجتماعية.

المطلب الثاني: نقد الأهداف الاجتماعية.

ودونك الحديث عنها.



المطلب الأول
الأهداف الاجتماعية

تطرقت فيما مضى إلى الأهداف الدينية والأهداف الثقافية، وآتي هنا إلى الحديث عن الأهداف الاجتماعية في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية.

الفرع الثاني: إفساد المرأة المسلمة.

الفرع الأول
صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية

بدأت المجتمعات الغربية بالاحتكاك المباشر بالمجتمعات الإسلامية - في القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً) -

ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب بتقدمه المادي، وبتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي. "فقام بعض رجال السياسة وكثير من كتاب الغرب يُرددون أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام، ويقولون: إنه دين ساذج، إن صلح لتنظيم حياة نفر من البدو البدائيين، فهو لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد في العصر الحاضر"[1].

ومن هؤلاء: كرومر حيث يقول: "إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي. فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي)، ولكنه مع ذلك دين جامد لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني.. ، فهو يَحْرُمُ المرأة من كل حقوقها ويعتبرها أحط من الرجل"[2].

وقد شرع الغرب في تنفيذ خطته ـ صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة المادية ـ من خلال أمر مهم وخطير هو: أن يخلي الأجيال المقبلة من القيم الدينية الاجتماعية لاقتلاع الأعراف والتقاليد سواء بشكل مباشر أو غير مباشر[3].

فاستخدم شتى الطرق والوسائل، فمن ذلك:

ـ "الاختلاط جعلوه سمة من سمات التقدم، والعري جعلوه سمة من سمات الحرية والرقي، وأم الخبائث سموها بالمشروبات الروحية، والرقص والخلاعة سموها بالرشاقة والرياضة، والاختلاس والنفاق سموه بالذكاء.. ، وتم بهذا التضليل انقلاب الموازين"[4].

ـ وقامت إحدى المجلات الغربية بِعَدِّ الصفات التي يجب أن يتحلى بها الشاب العصري: "يجب أن يتعلم الشاب الرقص لأنه بجانب كونه

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/٢٥٩) (بتصرف).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٣) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٢١٢.

(٤) مجتمعنا المعاصر د. عبد الله المشوخي، ص٣١٤.

رياضة بدنية فهو فَنٌّ ينمي فيه الفضيلة ويعود النظر إلى الجنس اللطيف بعين مجردة عن الخسة والشهوات»[1].

ومن الأهمية بمكان التنوية بأن الغرب قد عقد العديد من المؤتمرات والندوات من أجل صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية، من ذلك: مؤتمر السكان العالمي الأول سنة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ومؤتمر السكان العالمي الثاني سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م).

ومن أواخر المؤتمرات المعقودة تحت إشراف الأمم المتحدة؛ المؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية بالقاهرة في الفترة من ٢٩ ربيع الأول إلى ٧ ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ٥ إلى ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م. وشارك فيه أكثر من ١٦٠ (مائة وستين) وفدا رسمياً من دول مختلفة. ومن أبرز الأمور التي تم إقرارها ـ ذات الصبغة المادية ـ ما يأتي:

١ ـ تسهيل وتنظيم التوعية الجنسية (الحرية الجنسية!).

٢ ـ تسهيل وتوزيع حبوب منع الحمل والعازل المطاطي على نطاق واسع لتسهيل الممارسات الجنسية قبل الزواج.

٣ ـ تسهيل عملية الإجهاض، وتهيئة المراكز الطبية في العالم.

٤ ـ حماية الأسر الشاذة، زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة، والرجل بالمرأة زواجاً غير شرعي.

٥ ـ رفع ولاية الآباء على أبنائهم وبناتهم من حيث الرقابة الأخلاقية والتربية السوية، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس بغير زواج.

٦ ـ الربط بين النسل والفقر، بدلاً من الربط بين الفقر وعدم التنمية أو استغلال الموارد.

---

(١) مجلة ريدرزديجست نقلاً عن: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين للشيخ مصطفى صبري (٢/ ٣١).

٧ ـ الدعوة إلى المساواة بين الذكر والأنثى في الميراث.

٨ ـ رفع الحد الأدنى لسن الزواج وتسهيل الاتصال بغير الزواج[١].

٩ ـ تشغيل المرأة المسلمة، وربط الدول الغربية الدعم المادي للبلاد الإسلامية بمثل المشاريع التي تراها حول المرأة[٢].

فقد زعم الغرب تحت ستار التَّسَامُح أنه بتحقيقه تلك الأمور سيؤول بالمجتمعات إلى التقدم والرقي.

الفرع الثاني

إفساد المرأة المسلمة

دأب الغرب على محاولة إفساد المرأة في المجتمع المسلم ونشر الرذيلة، وذلك من خلال تفتيت المُثُلِ الاجتماعية وقيمها عبر العديد من الوسائل الماكرة. فتارة يصفها بأنها نوع من التَّسَامُح والحرية، وتارة يؤكدها بأنها مرتبطة مع التقدم والتحضر.

فقد أدرك الغرب أنه لا بُدَّ لإحداث تغيير اجتماعي من اقتحام المسلمين في قعر بيوتهم بدعوى التَّسَامُح في تحرر المرأة المسلمة وتقليدها للمرأة الغربية.

وفيما يلي ألقي الضوء على مظاهر إفساد المرأة المسلمة (بإيجاز):

---

(١) انظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية د. الحسيني سليمان جاد ص٥٥ ـ ٦٣، ٦٨ ـ ٧٠، و«تكنولوجيا الدعارة والشذوذ الجنسي لمن» د. توفيق الواعي، مجلة المجتمع، العدد ١١١٧ (١٤/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٩٤م) ص٣٧، وانظر: ص١٧ ـ ٢٦ من المجلة نفسها. ومجلة الفيصل: «مؤتمر السكان ونصيحة الشيطان للإنسان» د. زيد الحسين، العدد ٢١٥ (جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٩٤م) ص٤ ـ ٥.

(٢) انظر: «تشغيل المرأة من أهداف المؤتمر الدولي للسكان والتنمية» لنبيل شبيب، مجلة المجتمع، العدد ١١١٣ (١٥/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٣/ ٨/ ١٩٩٤م) ص٣٢.

ـ بدأت سهام الغرب تنفذ في جسم المرأة المسلمة منذ حملة نابليون على مصر (١٢١٢ ـ ١٢١٥هـ/١٧٩٨ ـ ١٨٠١م). فقد استصحب معه عدداً من البغايا الساقطات، وأخذن يسرن في شوارع القاهرة حاسرات متخلعات، يثرن الفتنة، وينشرن الفاحشة، ويغرين النساء المسلمات بتقليدهن[(١)].

ـ ونشر زويمر كتاباً بعنوان (العالم الإسلامي اليوم) مؤكداً على أعوانه تحرير نساء المسلمين[(٢)]. وقد أخذ أحفاد الغرب بوصيته من بعده، فجعلوا نصب أعينهم التركيز على إفساد المرأة من خلال أسلوب التعليم.

ومن ذلك: ما قاله جسب (Henry Harris Jessup): "إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني. لقد شعرت دائماً أن مستقبل سوريا إنما هو بتعليم بناتها ونسائها. لقد بدأت مدرستنا للبنات ولكن ليس لها بعد بناء خاص بها، وها هي قد أثارت اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية"[(٣)].

ـ وما ذكره تروبريدج: "إن الحكومة سمحت عقب إعلان القانون الأساسي لخمس فتيات عثمانيات مسلمات أن يتعلمن في كلية البنات الأمريكية ليتهيأن لإدارة الأمور في مدارس الحكومة للبنات"[(٤)].

ـ ولهذا فقد كان اهتمام المنصرين الغربيين بالمدارس الداخلية للبنات أشد، فهم يقولون: "إن التبشير يكون أتم حبكاً في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة. إن المدرسة الداخلية تفضل المدرسة الخارجية لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيت غير مسيحي"[(٥)]. فهم يفرحون إذا

---

(١) انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧).

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، ص٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص٨٦ ـ ٨٧.

(٤) المرجع السابق، ص٦٧.

(٥) التبشير والاستعمار، ص٨٧ (بتصرف).

اجتمع في مدارسهن الداخلية بنات من أسر معروفة، لأن نفوذ هؤلاء يكون حينئذ في بيتهن أعظم، تقول أنا ميلغان Anna A Milligan عن أهمية استغلال مدارس البنات: "في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن بَاشَوَاتْ وبَكَوَاتْ. وليس ثمة مكان يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة"[1].

ولعل من المناسب أن أنوه بأن الغرب قد عقد العديد من المؤتمرات والندوات بخصوص المرأة عموماً؛ والتي تهتم بقضايا المرأة المسلمة - خصوصاً تحت إشراف الأمم المتحدة - من ذلك:

- عقد مؤتمر في مدينة مكسيكيو سيتي المكسيكية عام (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، والذي خرج بخطة تقضي بأن تكون السنوات العشرة من (١٣٩٥ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٥م - ١٩٨٥م)، هي عقد النساء، واستهدفت حسب الإعلان؛ تشجيع المساواة والتنمية والسلام بين الجنسين الرجل والمرأة.

- عقد مؤتمر لإزالة جميع الفوارق بين الرجل والمرأة عام (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

- عقد المؤتمر الثاني في كوبنهاجن بالدنمارك عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

- عقد المؤتمر الثالث في نيروبي بعنوان: استراتيجية النظرة للأمام في قضية المرأة، وذلك عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- عقد المؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية بمصر (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) - كما مر معنا -.

- ومن أواخر المؤتمرات - عقد مؤتمر المرأة في بكين (بالصين) في الفترة من ٩ إلى ٢٠ ربيع الآخر ١٤١٦هـ (الموافق ٤ إلى ١٥ سبتمبر ١٩٩٥م).

---

(١) التبشير والاستعمار، ص٨٧.

ويحسن أن أورد بعض الفقرات من التوصيات المستخلصة من المؤتمر:

- "تشير الفقرات: ٩، ٢٥، ٢٨، ٨٢ (F)، ٢٠٨ (c + d)، ٢٢٦ (D)، بصورة خاصة إلى الدين والروحانية والثقافة وكل الإشارات الواردة بشأن الدين والثقافة تحمل تعبيراً تحذيرياً مفاده أن الدين والثقافة يمكن أن يكونا عائقاً في تقدم المرأة.

- تناقش الفقرات: ٨٢ (G)، ٨٥ (S)، ٩٠ (B)، ٩٥، ٢٠٩ (I)، ٢٦٨، ٢٧٧ (A)، وضع الأم والأمهات والأمومة بصورة أساسية في إطار العمر.

فهم يزعمون بأن الأمهات الشابات أَو الأمومة المبكرة توصفان بأنهما حالة مشقة تلحق الضرر بالصحة، ويمكن أن تؤثر على الاستمرار في التعليم، وإتاحة فرصة العمل!"(١).

- تقول الفقرة (٩٧): "وتشمل الحقوق الجنسية: حق الفرد ذكراً كان أم أنثى في أن يتحكم في المسائل المتصلة بحياته الجنسية، وأن يتخذ القرارات المتعلقة بها دون إكراه أو تمييز أو عنف، وعلاقات المساواة بين الرجال والنساء في مسألتي العلاقات الجنسية والإنجاب، بما في ذلك الاحترام الكامل للسلامة المادية للجسم التي تتطلب القبول المتبادل والاستعداد لتحمل المسؤولية عن نتائج السلوك الجنسي"(٢).

- وعقد مؤتمر اسطنبول للإسكان والإعمار في ١٧ ـ ١٤١٧/٢/٢٨هـ الموافق ٣ ـ ١٩٩٦/٦/١٤م بتركيا.

وعموماً؛ فإن التوصيات والقرارات الصادرة عن تلك المؤتمرات فيما

---

(١) «مذكرة رابطة العالم الإسلامي حول توصيات مؤتمر المرأة ببكين» مجلة الرابطة، العدد ٣٦٩، السنة ٣٣ (رجب ١٤١٦هـ ـ ديسمبر ١٩٩٥م)، ص١٢ ـ ١٣.

(٢) «وثيقة مؤتمر المرأة في بكين دعوة صريحة للإباحية والشذوذ» لشعبان عبد الرحمن، مجلة المجتمع، العدد ١١٦١ (١٤١٦/٣/١١هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٨م)، ص٢٤.

يتعلق بالمرأة في إطلاق الحرية التامة لها، ومساواتها بالرجل وغير ذلك، تنصب في مجموعها في إفساد المرأة المسلمة، والتَّسَامُح في إدخالها في فعاليات تلك المؤتمرات الغربية.

المطلب الثاني

نقد الأهداف الاجتماعية

١ ـ صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية.

بدأت المجتمعات الغربية في الاحتكاك المباشر بالمجتمعات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً) ـ كما مر معنا ـ ومنذ اللحظة الأولى أحس الغربيون بتقدمهم المادي وتفوقهم الاجتماعي على العالم الإسلامي "الذي لا شك أنه كان لديه من الفضائل ما يفتقده الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لا تسمح بالرؤية الصحيحة عادة لا سيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها"[1].

ولم يتردد بعض رجالات الغرب أن يعلنوها صراحة؛ أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام، وقد نقلت مقولة كرومر: أنَّ الإسلام فاشل في كونه نظاماً اجتماعياً[2].

ويكفي أن أفند هذه الدعوى بذكر مقولتين لأناس من الغرب في هذا الجانب:

ـ فيقول كوفهي لال جابا: "إن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان في العصر الحاضر، فليس هناك أي دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة"[3].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢١١.

(٢) يراجع ص١٩٠.

(٣) رجال ونساء أسلموا (٦/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

ـ ويقول لويس سيديو[1]: "إن القرآن، وهو دستور المسلمين، رفع شأن المرأة بدلاً من خفضه، فجعل حصة البنت في الميراث تعدل نصف حصة أخيها مع أن البنات كن لا يرثن في زمن الجاهلية..، وجعل الرجال قوامين على النساء، وبين أن للمرأة حق الرعاية والحماية على زوجها"[2].

ـ بل قام الغربيون بنشر عاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم وأعرافهم في العالم الإسلامي ـ باسم التَّسَامُح الذي يرفعونه ـ مع أن هذه العادات والتقاليد والأعراف خاوية اجتماعياً، وفي هذا يقول كولن ولسن: "إن انعدام الجانب الروحي وعدم الأخذ بالتعاليم الروحية والأخلاقية في حضارتنا المادية جعلنا أكثر من مجرد خنازير مطيعة، وهل المسار الذي تسلكه الحضارة الغربية الآن لا يعتبر سوى تأكيد للمادية القاتلة"[3].

ـ وفي بيان فساد الغرب في الجانب الاجتماعي، يقول عبد الله النديم: "قالت أوروبا: إن وقوفكم على عاداتكم الشرقية، وتخلقكم بأخلاق آبائكم، بقاءٌ على الهمجية والتوحش. فلا بد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية، لتساوونا في الرتبة. وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر، وأباحت الزنا والقمار، ووسعت دائرة اللهو والخسران..، وهي تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية، وما هي إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة!"[4].

ـ وقد أقام الغرب العديد من المؤتمرات والندوات؛ من أجل صبغ المجتمع المسلم بالصبغة المادية بشكل مغلف تحت شعارات التَّسَامُح

---

(١) لويس سيديو (Louis. Sedillot): (١٢١٩ ـ ١٢٨٧هـ ـ ١٨٠٨ ـ ١٨٧٦م) مستشرق فرنسي عكف على نشر مؤلفات أبيه جان جاك، وقد عين لويس أميناً لمدرسة اللغات الشرقية، وصنف كتاباً بعنوان تاريخ العرب العام، وكتب العديد من الأبحاث والدراسات.
انظر: موسوعة المستشرقين، ص٢٣٦ ـ ٢٣٩.

(٢) تاريخ العرب العام نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ص١١٠.

(٣) مجلة المجتمع ـ مرجع سابق ـ عدد ١١١٧، ص٣٧.

(٤) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

والحرية والتقدم، ومن أواخرها: المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بالقاهرة - كما مر معنا -.

والحقيقة أن تسامح الغرب المزعوم لم يكن إلا وسيلة لنشر المادية في العالم، وصبغ المجتمع المسلم بالصبغة الغربية الجاهلية بوجه خاص، من خلال الآتي:

- إفساد الشباب المراهقين من الجنسين من خلال تسهيل الممارسات الجنسية قبل الزواج!

- الإباحية الجنسية وخلخلة نظام الأسرة، وتكريس أنموذج المرأة الغربية بكونها المرأة العالمية!

- تسهيل الإجهاض، وقتل النفس البريئة. وإيجاد المراكز الطبية في بلاد المسلمين لهذا الغرض!

- حماية الفساد الأخلاقي!

- التسوية بين الذكر والأنثى في كل شيء.

- عدم تكليف الرجل بالإنفاق على الأسرة وتحمل التبعات[١].

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن المجلس البابوي للحوار بين الأديان ودولة الفاتيكان، قد أصدرا بياناً يرفضان ما اتخذه المؤتمر من توصيات وقرارات؛ من ذلك: حرية الإجهاض، والتسيب الجنسي، وكذلك الدعوة للقضاء على مكانة الأسرة[٢].

"كما شارك ممثلون من جمعيات غربية عديدة في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية؛ وذلك من أجل مناهضة أفكار المنحرفين ومقاومتها، وتنبيه المسلمين إلى السموم التي يحملونها والتي دمرت المجتمعات الغربية، ويسعون الآن لنقلها إلى العالم الإسلامي"[٣].

(١) انظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية ص٥٥ - ٧٠، ومجلة المجتمع - مرجع سابق - العدد ١١١٧، ص٣٧، ومجلة الفيصل - مرجع سابق - العدد ٢١٥، ص٤ - ٥.

(٢) انظر: مجلة المجتمع - مرجع سابق - العدد ١١١٣، ص٣٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٧.

٢ ـ إفساد المرأة المسلمة:

مما لا شك فيه أن الغرب يتجه بقوة إلى طريق الفساد الاجتماعي، ولا يستطيع ولا يريد أن يقي نفسه منه؛ بل يريد أن يغرق العالم الإسلامي معه. وقد مر معنا أبرز وسائل الغرب في إفساد المرأة المسلمة العفيفة منها:

ـ نشر الشعارات البراقة الزائفة كالحرية والتحرر والمساواة في العالم الإسلامي، والحقيقة ما هذه الشعارات إلا خدعة مغلفة على المرأة المسلمة، فقد تحررت المرأة الغربية فعلاً، ولكن من ماذا!

من الدين والخلق والكرامة، وتساوت مع الرجل في العمل الشاق المرهق[١]، واضطرت في المجتمع الغربي المنحل أن تتبذل لتضمن الحصول على لقمة العيش، فأزالت حياءها وعفافها وزاحمت الرجل في المصنع والمعمل والحقل.

وأورد كلاماً لإحدى النساء الغربيات ترثي حالها إلى بني قومها حيث تقول:

‟لقد كان قانون العمل في أمريكا لا يجيز للمرأة أن تحمل ثقلاً خلال عملها يزيد عن ٢٥ رطلاً. ثم تغيرت الظروف في معمل جنرال موتورز بولاية أوهايو، والذي تعمل فيه أكثر من (٢٥٠٠) امرأة، فقد أصبحت المرأة تعمل أمام ماكنة ضخمة، وتقوم بتنظيف فرن معدني زنته أكثر من ٢٥ رطلاً، كان قد وضعه قبل لحظات رجل مفتول العضلات، وتقول في نفسها: أجد نفسي محطمة مليئة بالكدمات والجروح، وتضيف يجب علي أن أعلق بالرافعة كل دقيقة حزمة تتراوح وزنها ٢٥ ـ ٥٠ رطلاً‟[٢].

ـ استغلال التربية والتعليم مع التركيز على المدارس الداخلية: فقد قام

---

(١) في عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)، تبنت هيئة الأمم المتحدة نظاماً يعطي المرأة حق المساواة الكاملة بالرجل.

(٢) «الإسلام حفظ كافة حقوق المرأة» لنائلة حسن، مجلة الرابطة، العدد ٣٦٦، السنة ٣٣، (ربيع الآخر ١٤١٦هـ الموافق سبتمبر ١٩٩٥م) ص٣١ (بتصرف).

الغرب بافتتاح مدارس البنات في العالم الإسلامي ونشرها من أجل تخريج جيل من الفتيات المسلمات اللواتي لا يعرفن عن دينهن وتاريخهن شيئاً. "فبادر إلى إنشاء أول مدرسة للبنات في بيروت عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) - وقد انصرف اهتمامهم أولاً إلى الأطفال والبنات في سن مبكرة - ومن ثم فتحوا مدارس كثيرة في مصر والسودان وسورية والهند والأفغان"(١).

ولقد استغلت هذه المدارس في تنصير المسلمات، "ويؤيد ذلك أن المنصرين الأمريكيين قد طلبوا منذ عام (١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م)، مبلغ ثلاثين ألف دولار لمدرسة دينية للبنات في بيروت، وعللوا طلبهم هذا بقيمة المرأة في الحياة البيتية، وأن تلك المدرسة ستساعد على تنصير سورية في المستقبل"(٢).

- وأما استغلال المؤتمرات والندوات التي عقدها الغربيون - كما مر معنا - فالملاحظ ما يلي:

١ - أن هيئة الأمم المتحدة هي منظمة دولية ترعى السلم والعدل وتحقق الأمن على مستوى العالم - كما نص ذلك ميثاقها(٣) - فكيف جاز لها أَنْ تُدْخِلَ نفسها بما ليس من اختصاصها ولا من صلاحيتها(٤).

٢ - أن هذه المؤتمرات والندوات جميعاً تؤكد مفهوم التَّسَامُح الذي يهدف الغرب من ورائه إلى إفساد المرأة المسلمة؛ مصحوباً بإصرار كبير من الغرب على الهيمنة على العالم كله لينصهر في بوتقته ويكون على نسق حياته وعاداته وتقاليده؛ بل وأسلوب تفكيره بالشكل الغربي.

٣ - "أن الخطوة الرئيسة التي يسعى الغرب إلى تحقيقها في هذا

---

(١) التبشير والاستعمار، ص٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨٧ (بتصرف).

(٣) يأتي الحديث عن منظمة الأمم المتحدة في الباب الثاني ص٢٨٩ وما بعدها.

(٤) انظر: «مؤتمر السكان وبكين من بلاء القرن العشرين» لمحمد صالح الأيوبي، مجلة الرابطة، العدد ٣٦٩، ص٢٥.

الصدد هي؛ دمج المرأة في العالم كله في إطار الحياة الغربية، بعد خلعها من معتقداتها وقيمها التي تؤمن بها وتخليها عن أنوثتها، وإن كانت المحاولة تجري على المرأة بصفة عامة، فإنها تجري بتركيز دقيق على المرأة المسلمة بصفة خاصة؛ لأن التجربة تؤكد أن عملية تطويع المرأة المسلمة ليست من السهولة بمكان"(١).

٤ ـ أن واضعو وثيقة مؤتمر بكين ـ كما مر معنا ـ يرون أن الدين والثقافة عائقان كبيران في دور المرأة وتقدمها، وكذلك الزواج المبكر للمرأة يضر بتعلمها وتمكينها من فرص العمل!

لذا قاموا بطرح بعض البدائل المادية في مواجهة الدين والثقافة بما يسمونه معايير عالمية يسعون لترسيخها من خلال المؤتمر!

وحسبي في هذا المقام أن أشير إلى إحصائية صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية ـ ولا تختلف الدول الغربية الأخرى كثيراً عنها ـ "حيث بلغ مجموع الأطفال غير الشرعيين في عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، قرابة ٩,٦ مليون طفل، وهم يمثلون أكثر من ٥٤٪ من المواليد، وفي كل ست دقائق تتعرض امرأة للاغتصاب"(٢).

٥ ـ "أن نوعاً من الخبث والخداع يكتنف دائماً توصيات هذه المؤتمرات حيث تأتي العبارات فضفاضة يختلط فيها السم بالعسل، مثل عبارة: (السلام والتنمية والمساواة) فما معنى دس المساواة بينهما!

إنهم يريدون الهجوم على الإسلام المتهم لدى الغرب بأنه لم يحقق المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء وخصوصاً في الميراث، مع أن نظرة الإسلام للمرأة بصفة عامة ومنحه لحقوقها هي أسمى وأعدل من أية مواثيق أخرى"(٣).

---

(١) مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١٦١، ص٢٣ (بتصرف).

(٢) «مرأة مؤتمر بكين» د. زيد الحسين، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٧ (جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق/ سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٥م) ص٥.

(٣) مجلة المجتمع ـ مرجع سابق ـ العدد ١١٦١، ص٢٤.

فأين التَّسَامُح الذي يدعيه الغرب! وهم يسعون من وراء ذلك كله إلى إفساد المرأة المسلمة.

وعموماً؛ فإن المحاولات جارية على قدم وساق ـ عبر وسائل عديدة ـ من أجل إفساد المرأة المسلمة، وإن تلك المؤتمرات السابقة؛ كل منها امتداد للآخر، يطرق على مطرقته، ويصب في مصبه.

المبحث الرابع
الأهداف السياسية ونقدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهداف السياسية.

المطلب الثاني: نقد الأهداف السياسية.

ودونك بيانها فيما يأتي:



المطلب الأول
الأهداف السياسية

أتناول الأهداف السياسية في أربعة فروع وفق الآتي:

الفرع الأول: تقلد غير المسلمين المناصب المهمة في بلاد المسلمين.

الفرع الثاني: تشجيع الأحزاب المناهضة للدين.

الفرع الثالث: إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية (ضرب الوحدة الإسلامية).

الفرع الرابع: التبعية السياسية.

الفرع الأول

تقلد غير المسلمين المناصب المهمة في بلاد المسلمين

جاءت جيوش المستعمرين الغربيين تقودها عقليات غير العقلية البربرية الصليبية. فهي تتمتع بقدر كبير من الدهاء والمكر، واستولوا على مقاليد الأمور في البلاد الإسلامية، ففي المجال السياسي أصبح اللورد كرومر الحاكم العسكري في مصر. وفي المجال التعليمي عين دنلوب وزيراً للمعارف أيضاً في مصر. وفي المجال الديني أصبح كوك المسؤول الأول لدائرة الأوقاف في العراق، وقس على ذلك العديد من المجالات الأخرى[١].

وقام الغربيون بإخفاء هدفهم الأساس في تقلد المناصب والوظائف العليا والسيطرة عليها، بأمور عدة من أهمها ما يأتي:

١ ـ اتخذوا ذريعة وجودهم بأن المسلمين لا يحسنون قيادة الأمور وتصريف شؤون البلاد.

٢ ـ تظاهروا بدعوة المسلمين إلى الإسهام والتعاون معهم على قدم المساواة في بناء الدولة ومؤسساتها السياسية بدون تعيين مسميات دولة مسلمة أو دولة مسيحية، باعتبار هذه المسميات من مخلفات العصور الوسطى التي لم تعد ملائمة لظروف العصر[٢].

٣ ـ بادروا بالتدخل تحت مسمى حماية الأقليات النصرانية فإنه ''كان السؤال الذي يشغل بَال النصارى هو: كيف يضمنون حقوقهم بوصفهم أقلية في مجتمع إسلامي؟''[٣].

فمن هذا المنطلق بادرت الدول الغربية بتدخلها تحت مسمى حماية

---

(١) انظر: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص١٤٦، والعلمانية، ص٥٣٨ ـ ٥٣٩.

(٢) انظر: (العلاقات الإسلامية المسيحية تاريخاً وحاضراً ورؤية مستقبلية) بحث: لكيرلس سليم بسترس ـ ضمن كتاب: العلاقات الإسلامية المسيحية ـ ص٢٤٣.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص٥٧.

الأقليات النصرانية وقد أشار بيير روندو في كتابه (مصير النصارى في الشرق) إلى أنه: "باسم حماية الأقليات وَطَّدَ الغربيون أقدامهم في عالم الإسلام.."[١].

كما سارع النصارى إلى المطالبة بقيام الدولة العلمانية على الطراز الأوروبي بحيث تكفل حقوق المواطنين على اختلاف أديانهم، وتشملهم جميعاً في رابطة وطنية واحدة[٢].

٤ ـ كثيراً ما كان الغرب يُدَنْدِنُ حول تقلد غير المسلمين للوظائف والأعمال، ويتهم المسلمين بأنهم متعصبون ظالمون لرعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى، وتحت ستار نبذ التعصب والطائفية والدعوة إلى التَّسَامُح؛ قام الغرب بتمكين أبناء جلدته بتقلدهم العديد من المناصب الوزارية في بلاد المسلمين، واتخاذ أعوانهم من الأقليات المتوطنة أو الطارئة عن طريق تنظيم تلكم الأقليات والطوائف غير الإسلامية ممهدين لها السبيل لتولي المناصب المهمة[٣].

وفي هذا يقول جون اسبوزيتو[٤] (Jhon L. Isposito): "إن وضع غير المسلمين وأثر التعددية السياسية يظلان من القضايا الإسلامية المعاصرة، وبدون إعادة ترجمة وتوضيح نموذج الحكم الإسلامي فيما يتعلق بالأقليات غير الإسلامية والتي تعتبر أقلية محمية (ذميين) فإن أية دولة ذات توجه

---

(١) الإسلام والغرب، ص٢٣٦، وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٣، ٢٧)، (٢/ ١٢٦).

(٢) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، ص٥٧.

(٣) انظر: العلمانية، ص٥٤٠.

(٤) جون اسبوزيتو (Jhon Isposito): بروفيسور أمريكي تقلد العديد من المناصب المهمة، ويعمل حالياً أستاذاً لعلم الأديان ومديراً للدراسات الدولية بكلية الصليب المقدس، ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جورج تاون بواشنطن، وله العديد من الكتابات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات حول الإسلام في العالم الحديث، من أبرز كتبه: (التهديد الإسلامي حقيقة أم خيال؟/ The Islamic Thereat Myth Or Reality?). انظر: (المسلمون في أمريكا)، المحرر: إيفون حداد، ص٩.

(أيديولوجي)[1] إسلامي ستكون في أفضل حالاتها ديموقراطية محدودة ذات محتوى تعددي هش، بحيث لا يسمح توجهها الأيديولوجي بتولي غير المسلمين للمناصب القيادية في الدولة، كما لا يسمح إقامة أحزاب سياسية تمثل أيديولوجيات معارضة ذات توجهات علمانية أو شيوعية كما هو الحال مثل إيران وباكستان، ولعل من المفيد أن نتذكر أن المسيحية قد واجهت نفس الحاجة إلى إعادة ترجمة وإصلاح تقاليدها ومفاهيمها، لتتمكن من استيعاب المفاهيم الحديثة المتعلقة بالتعددية والتَّسَامُح''[2].

٥ ـ قام الغرب بالدعوة إلى تأكيد الكرامة الإنسانية ـ والتي سبق أن تناولتها ضمن الأسس الخلقية للتسامح ـ ولكن من منطلق التعاون في تقلدهم المناصب السياسية. فهذا كيرلس بسترس يدعو النصارى والمسلمين إلى التعاون في بناء الأوطان حيث يقول: ''من كرامة الإنسان أن يتاح لجميع الناس الإفادة أولاً من تقدم المجتمع البشري وازدهاره، والإسهام ثانياً على قدم المساواة في هذا التقدم وفي بناء الأوطان وتطوير مؤسساتها''[3].

الفرع الثاني

تشجيع الأحزاب المناهضة للدين

اتخذت الدول الغربية سياسة مد النفوذ تجاه العالم الإسلامي، والسيطرة عليه بشكل مستتر؛ وذلك عن طريق إثارة مشاعر الاستقلال والتحرر في شعوب العالم الإسلامي، وعن طريق تقديم المساعدات المالية والعسكرية لإشعال الثورات والحركات المناوئة لسلطة البلاد.

وكان من النصائح التي قدمها زويمر إلى قومه قوله: ''إن تبشير

---

(١) أيديولوجي Ideological: أي عقدي أو فكري أو تصوري. انظر: المورد، حرف I، ص٤٤٧.

(٢) «واقع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي» للبروفيسور جون اسبيزيتو، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٤ (٤/ ١١/ ١٤١٥هـ الموافق ٤/ ٤/ ١٩٩٥م) ص٣٦.

(٣) العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٤٣.

المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها''[1].

لذا فقد نفذ هؤلاء الغربيون هذه النصيحة الغالية في غالب البلاد الإسلامية، واستطاعوا أن يُكونوا من العناصر الضعيفة الإيمان قوى منظمة بعضها أحزاب سياسية كالجمعيات السرية الماسونية، وبعضها اتجاهات أخرى كالقومية والوطنية والطائفية، وقد عملت جميعها على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي[2].

لقد كان الغربيون يهدفون في سياسة تشجيع الأحزاب الوطنية المناهضة للدين إلى إقامة علاقة مستقرة معهم أساسها الود والتفاهم والتَّسَامُح، ويؤيد ذلك ما ذكره كرومر بقوله: ''يجب ألا ننسى أنه لسد النقص الناتج عن عدم الاشتراك في الجنس والعقيدة واللغة والعادات والتفكير، التي تكوِّن الروابط الأساسية للاتحاد بين الحاكم والمحكوم، يجب علينا أن نحاول ابتداع مثل هذه الروابط بين الإنجليزي والمصري واصطناعها حسب ما تقضي به الظروف. ومن أكثر هذه الروابط أهمية أن يكون هناك نظام مدبر لعرض وجهات النظر التي تبدي عطفا على المصريين. ولا يكون ذلك عن طريق الحكومة البريطانية وحدها؛ بل يجب أن يشارك فيه كل فرد إنجليزي يشتغل بالإدارة المصرية''[3].

وعموماً؛ فقد استهدف الغرب تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية ووطنية وأحزاب ممالئة للدين لصعوبة التفاهم معها قبل هذا التحويل[4].

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي، ص٣٠.

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٠٠)، والعلمانية، ص٥٤٢، وحاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٣٧.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧).

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص٥٧٨.

الفرع الثالث

إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية

دأب الغرب منذ أمد بعيد على إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية، فتارة يجاهر بذلك بعض ساستهم ورجال الدين والفكر والاقتصاد، وتارة يكتمون حقيقة هذا الهدف بأسلوب المراوغة والخداع، ورفع الشعارات البراقة كدعوى التَّسَامُح.

يقول الوزير الروماني دجوفارا في كتابه (مائة مشروع لتقسيم تركيا) حول تربص الغرب بإسقاط الدولة العثمانية الإسلامية: ”مدة ستة قرون متتابعة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانية. وكان الوزراء ورجال السياسة وأصحاب الأقلام يهيئون برامج تقسيم هذه السلطنة“[(١)].

”والواقع إن اهتمام الدول الغربية بإسقاط الدولة العثمانية الإسلامية كان ظاهراً لا يخفى. ولم يجمع خبراء الغربيين في الشؤون الإسلامية على شيء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية، التي يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها“[(٢)].

ذلك لأن الدولة العثمانية الإسلامية ـ مهما كان شأنها ـ تمثل الحزام الذي يجمع المسلمين في أقطار الأرض، تحت راية إسلامية سياسية واحدة، وهذا الأمر يقض مضاجع الأعداء ويكدر صفو سعادتهم. ”ولهذا فقد استعملت الدول الغربية منذ بدايات غزوها للبلاد الإسلامية؛ شعار التَّسَامُح بين أمم الأرض كافة بهدف كسر الرباط المعهود بين مختلف الطوائف الدينية والثقافية، ومحاولة تفكيك الوحدة السياسية للمجموعة العثمانية“[(٣)].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي (٣/ ٣٢٣) (بتصرف يسير).

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٤٠) (بتصرف).

(٣) التسامح الثقافي، ص١٠٦ (بتصرف).

ولست في مقام يسمح بالإطناب في الحديث عن إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية (ضرب الوحدة الإسلامية)، ولكن بحسبي أن أستعرض بعض مقولات الغربيين بهذا الخصوص، من ذلك:

١ ـ يقول أحد المنصرين في بدايات القرن العشرين ـ قبيل انهيار الدولة العثمانية ـ: ”إن أوروبا كانت تخشى دولة الرجل المريض لأن وراءه ثلاثمائة مليون من البشر على استعداد للقتال بإشارة من إصبعه“[١]. فإن كان هذا موقف دول الغرب من دولة الرجل المريض ـ السلطان عبد الحميد الثاني كما زعموا ـ فكيف يكون موقفها منه وهو قوي؟

٢ ـ ويقول لورنس براون (Lorence E. Browne) مبرزاً أهمية تفتيت الوحدة الإسلامية بإسقاط الدولة العثمانية الإسلامية: ”إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير“[٢].

٣ ـ ويذكر الكولونيل لورنس (العرب)[٣] في تقريره الذي رفعه إلى المخابرات البريطانية في (١٣٣٤هـ) كانون الثاني (يناير) ١٩١٦م: ”إن أهدافنا الرئيسة تفتيت الوحدة الإسلامية، بدحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها، وإذا عرفنا كيف نعامل العرب فسيبقون في دوامة الفوضى السياسية، داخل دويلات صغيرة حاقدة متنافرة غير قابلة للتماسك“[٤].

---

(١) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص١٨٩ (بتصرف يسير).

(٢) التبشير والاستعمار، ص٣٧.

(٣) لورنس تي إي (Lawrence, T.E): (١٣٠٥ ـ ١٣٥٣هـ ـ ١٨٨٨ ـ ١٩٣٥م) مغامر وجندي وباحث بريطاني بلغ رتبة مقدم في الجيش، وكان واحداً من أشهر الشخصيات المغامرة في الحرب العالمية الأولى. انضم إلى الثورة العربية ضد دولة الخلافة ـ وكان يطلق عليه لورنس العرب ـ، كما عمل في قطع سكة حديد المدينة ـ دمشق. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٥٧٤)، و(المستشرقون) (٢/ ١١٦ ـ ١١٧)، والموسوعة العربية العالمية ـ حرف اللام ـ (٢١/ ١٨٦).

(٤) «يا حكام الخليج اتحدوا» لنبيه عبد ربه، المجتمع، العدد ٢٣٦ (٢٩/ ١/ ١٣٩٥هـ الموافق ١١/ ٢/ ١٩٧٥م) ص٢٣.

٤ ـ ويقول توينبي: "إن إمكانية توحد المسلمين باسم الإسلام إمكانية مدمرة، سيكون للإسلام فيها ردود فعل عنيفة جداً ضد الغربيين.. ـ إلى أن يقول ـ صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ وعندها يمكن أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي، وأرجو أن لا يتحقق ذلك"[١].

٥ ـ ويقول أورمسي غو[٢] في عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م: "إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي أن نحذره ونحاربه، وليت إنجلترا وحدها هي التي تقول بذلك؛ بل فرنسا أيضاً. إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك!

إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ـ وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية، فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية"[٣].

ولقد فرضت دول الاستعمار الغربية على تركيا المسلمة شروطاً أربعة من أجل استقلالها وهو كما يلي:

"١ ـ إلغاء الدولة العثمانية الإسلامية نهائياً من تركيا.

٢ ـ أن تقطع تركيا كل صلة مع الإسلام.

٣ ـ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

٤ ـ أن يبدلوا الدستور العثماني القائم على الإسلام إلى دستور مدني بحت"[٤].

وبهذا فقد استطاع الغرب إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية (ضرب

---

(١) موقف الإسلام من المجتمع الجاهلي لإبراهيم السقا، ص٤٨.

(٢) أورمسي غو: وزير المستعمرات البريطاني، مكث ربع قرن شديد الاهتمام بالسياسة البريطانية في الشرق الأوسط.

(٣) هموم داعية لمحمد الغزالي، ص٩٤ ـ ٩٥ (بتصرف).

(٤) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص١٢٨.

الوحدة الإسلامية) بعد أن كانت رمزاً لوحدة المسلمين في أقطار المعمورة حتى عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)، في ظروف سياسية ـ تناولت بعضاً منها في المطلبين الأول والثاني ـ هيأت له المبررات للقيام بهذا العمل الخطير.

الفرع الرابع

التبعية السياسية

إن سياسة الاستعمار الغربي تقوم على إخضاع سائر الدول المستعمرة لها سياسياً حتى بعد رحيلها منها.

لذا فقد كَوَّنَ الغربُ عن المسلمين صورتين:

"الصورة الأولى: تراه ناقصاً في كل شيء، حيوانياً في كل شيء، شرهاً إرهابياً دموياً غير متحضر؛ لا يصلح إلا أن يحكم ويستعمر ويستعبد ويسير بالسوط والسيف.

والصورة الأخرى: تقول عكس ذلك تماماً أنه يمتلك عناصر الكمال والإنسان في كل شيء، وديع ولطيف وذو حضارة عريقة ينبغي التآخي والتعاطف والتراحم معه؛ من أجل سعادة الإنسانية"[(١)].

فمن منطلق الصورتين السابقتين:

"فقد دأب الغرب على محاولة نشر حضارته وتقاليده من أجل أن يهيمن على الشعوب والبلاد المستعمرة وتحت شعار: واجب الإنسان الأبيض، والشعور بالواجب الكبير في ترقية الشعوب والأمم التي دانت لهم وأدخلوها في حكمهم، شرعوا ينشرون أسباب الحضارة الغربية ويعممون طرق فوائدها؛ معتقدين الاعتقاد الراسخ كله أن امتداد السيطرة السياسية الغربية إنما هو الذريعة الفضلى"[(٢)].

---

(١) التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد لمحمد سليم قلالة، ص٩.

(٢) حاضر العالم الإسلامي (٤/ ٩) (بتصرف).

ومن أجل استمرار السيطرة السياسية الغربية، فقد دبرت مؤامرة تقسيم العالم الإسلامي إلى دول وفق مخطط سايكس - بيكو (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، بين فرقتين من الدول الاستعمارية، ومن ثم فقد ربطت الدول المستقلة حديثاً باستراتيجيات العالم الغربي سياسياً وعسكريا واقتصاديا[١].

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨ - ١٣٦٤هـ/ ١٩٣٩ - ١٩٤٥م)، تأثرت أوروبا بما أصابها من دمار أثناء الحرب، عندئذ قامت أمريكا بمحاولة سد الفراغ الموجود على الساحة العالمية، ساعدها على الهيمنة ما لديها من مال وسلاح ونفوذ.

وقد تزامن ذلك مع ما أعلنه أحد المنصرين وهو جوزيا سترونغ حيث يقول: "إن العنصر الإنجلوسكسوني قد اختاره الله لتحضير العالم"[٢].

فمن هذه المقولة انطلق رجل السياسة الغربي في معترك السيطرة وفرض الهيمنة على العالم. فهذا ولسون[٣] يرى "أن القيم القومية الأمريكية تتطابق مع القيم الشاملة للتقدم الليبرالي، وإنه ينبغي على أمريكا بحكم رسالتها الاستثنائية قيادة الإنسانية نحو نظام الغد العالمي"[٤].

والذي يهمني هو الإشارة إلى هدف الغرب في هيمنته على بلاد المسلمين ومد نفوذه فيها، فمن ذلك: ما ذكره سبيكمان - العالم الاستراتيجي الأمريكي -: "ضرورة فرض السيطرة على المنطقة التي يطلق

---

(١) انظر: إشكالية العلاقة بين الأقليات والخارج (ندوة التعددية الحزبية)، ص٢٧.

(٢) القرن الواحد والعشرون، ص٧٥.

(٣) ولسون وودرو (Wilson Woodrow): (١٢٧٤ - ١٣٤٢هـ/ ١٨٥٦ - ١٩٢٤م) سياسي وزعيم الحزب الديموقراطي ثم أصبح الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية (١٣٣١ - ١٣٣٩هـ/ ١٩١٣ - ١٩٢١م). وفي عهده دخل الأمريكيون الحرب العالمية الأولى، واشترك بمعاهدة الصلح في فرساي، وأراد أن يركز على السلام العالمي على نقاطه الأربع عشرة. وحصل على جائزة نوبل ١٣٤٧هـ - ١٩١٩م. انظر: المورد - معجم أعلام حرف W - ص٨٩، والمنجد في الأعلام، ص٦١٣.

(٤) القرن الواحد والعشرون، ص٧٦.

عليها الزملان وهي المناطق البرية والبحرية وتشمل جزيرة العرب والعراق وإيران وأفغانستان والهند وجنوب شرق آسيا..''[١].

وقد أشار مايكل ديور[٢] إلى الهيكل المثالي الذي يراد لمنطقة الخليج على المدى القريب أذكر ما له صلة بموضوعنا: ''استمرار الوجود الأمريكي والفرنسي والبريطاني في دول الخليج. واستمرارية فرض العزل والحصار على العراق..''[٣].

وضمن التبعية السياسية؛ فقد قام الغرب بنشر العملاء والوسطاء الإمبرياليين بحيث لا يسمح للعالم الإسلامي أبدا أن يتجه وجهته الخاصة أو ينفلت من السيطرة[٤].

المطلب الثاني

نقد الأهداف السياسية

١ ـ تقلد غير المسلمين المناصب المهمة في البلاد الإسلامية:

لو تأملنا مصدر إثارة هذا الهدف ـ كما مر معنا ـ في الحديث عن تقلد غير المسلمين المناصب المهمة في البلاد الإسلامية، لوجدنا أن الدولة الغربية ترغب في تحقيق مطامعها ومكاسبها في العالم الإسلامي.

فمن ذلك:

ـ قيام الغرب بالتدخل في العالم الإسلامي بحجة أن المسلمين لا يحسنون قيادة الأمور في بلادهم، وكذلك تظاهرهم بدعوة المسلمين إلى

---

(١) القرن الواحد والعشرون، ص٧٦.

(٢) مايكل ديور: كولونيل ورئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في لندن. انظر: مجلة المجتمع العدد ١١٠٨ (١٠/٢/١٤١٥هـ الموافق ١١/٧/١٩٩٤م)، ص١٣.

(٣) «استراتيجية الغرب تجاه استقرار الخليج» لهشام العوضي، المرجع السابق.

(٤) انظر: الاستشراق، إدوارد، ص٢٤٧.

الإسهام والتعاون معهم في بناء الدولة؛ من أجل أن يوجدوا مدخلاً ليبرروا من خلاله تدخلهم في العالم الإسلامي واستيلاءهم على زمام الأمور، ومن ثم السيطرة على العالم الإسلامي والهيمنة عليه[1].

ـ أو بحجة حماية الأقليات النصرانية، وكذلك اتهام المسلمين بالتعصب والظلم لرعاياهم من أصحاب الديانات الأخرى؛ بل على العكس فقد عاشت الأقليات غير الإسلامية (أهل الذمة) في العهود الإسلامية مصانة حقوقها، محفوظة كرامتها بشكل لا مثيل له ـ وقد أوضحت ذلك في (نماذج من تسامح المسلمين مع غيرهم) ـ وقد قال بذلك المنصفون الغربيون كتوماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام.

وأوجز الرد عليهم بنقل مقولة لأحدهم وهو بيير روندو: ''إن الإسلام لم يضطهد أهل الكتاب وأنه لاَ أَدَلَّ على تسامح المسلمين من السماح لهم بالاحتفاظ بهياكلهم ومعابدهم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي''[2].

ولهذا فإن الدول الغربية حينما تتذرع بالدين إلى المطالبة في حماية الأقليات النصرانية، فهي تفعل ذلك من أجل إثارة الفتن التي لا تنقطع، ورغبة منها في ضرب الدولة الإسلامية[3] فهم يخفون مطامعهم السياسية تحت ستار الدين ليس إلا[4].

ـ أو بخصوص كرامة الإنسان التي يرى كيرلس بسترس ضرورة أن يتاح لجميع الناس الإفادة من تقدم المجتمع البشري، وذلك بدعوة النصارى (بني دينه) والمسلمين إلى بناء الأوطان وتقلد الوظائف.

فقضية تقلد غير المسلمين للوظائف العامة من الوجهة الشرعية؛ يأتي

---

(١) انظر: «إشكالية العلاقة بين الأقليات والخارج لمحمد السماك»، ندوة: التعددية الحزبية والطائفية، ص٢٣.

(٢) الإسلام والغرب، أنور الجندي، ص٢٣٦.

(٣) يأتي إيضاح ذلك في النقطة رقم ٣، ص٢١٨.

(٤) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٧).

الحديث عنها في فصل لاحق[1]، ولكني أوجز الإشارة هنا؛ "بأن الوظائف العادية التي ليس فيها استطالة على المسلمين فيجوز إسنادها إلى الذمي عند الحاجة"[2].

وبعد أن ناقشت المقولات السابقة، آتي إلى بيان الواقع الحقيقي في سياسة الغربيين في التوظيف في عهود الاستعمار من خلال الملحوظتين الآتيتين:

الأولى: أن الغرب قد أقصى صفوة الناس عن أماكن القيادة والتوجيه في البلاد الإسلامية؛ لأن هؤلاء هم الذين يمثلون أسمى فضائل شعبهم، فالغربيون لا يحبذون في تقليدهم الوظائف، ولهذا فقد ملؤوا الوظائف والمراكز في البلاد الإسلامية التي يستعمرونها ـ عملياً أو نظرياً ـ بتعيينات هائلة في الشركات الأجنبية في البلاد الإسلامية، وتعدى الأمر حتى إلى الوظائف الحكومية، فقل أن تأخذ مسلماً، وإذا أخذته فللمناصب الثانوية فقط. ثم إن هؤلاء القلة في تلك الوظائف لا تلقى إليهم مقاليد المناصب الرئيسة أبداً[3].

الثانية: من خلال إيراد الأمثلة الآتية المؤيدة لتقلد غير المسلمين للمناصب المهمة في بلاد المسلمين ـ وقس على ذلك العديد من بلاد العالم الإسلامي ـ:

ـ في لبنان؛ ترى أن أعظم المناصب الوزارية في أيدي غير المسلمين.

ـ وفي إندونيسيا وهي دولة ذات أغلبية مسلمة، وأكبر بلد يقطنه المسلمون؛ فحدث ولا حرج عن سيطرة النصارى على مراكز العصب الحساس في أجهزة الدولة![4].

---

(١) يأتي الحديث عنها وبيان الحكم الشرعي، ص٣٦٩ ـ ٣٧٢.

(٢) الاستعانة بغير المسلمين، ص٣٨١.

(٣) انظر: التبشير والاستعمار، ص١٦١، والتعصب والتَّسَامُح بين الإسلام والمسيحية، ص٢٧٥، والانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين لعلي بن بخيت الزهراني، ص٨٥٩.

(٤) انظر: حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، ص٤٩ ـ ٦٣.

- "وفي الهند، فقد عمد البريطانيون إلى تشجيع الهندوس من الوثنيين وتقوية نفوذهم، ومن ثم تسليمهم تدريجياً مقاليد الحكم والإدارة في البلاد، وإلى تأليب الهندوس والطوائف الأخرى ضد المسلمين وحرمانهم من تولي المراكز ذات الأهمية، وعزلهم عن الدولة"(١).

- وفي بعض دول أفريقية أصبحت الحكومات فيها نصرانية تحكم شعوباً ذات أغلبية إسلامية.

٢ ـ تشجيع الأحزاب المناهضة للدين:

قام الغرب بتشجيع الأحزاب المناهضة للدين بشكل مستتر باسم التَّسَامُح وتحت شعار التعددية السياسية، فأمدها بالمال والعتاد لإشعال الثورات والحركات، وناصر زعماءها الذين يسيرون وفق رغبته ويسلكون أعماله! وبالمقابل قام الغرب بإقصاء صفوة الناس عن أماكن التوجيه والإرشاد في البلاد الإسلامية.

فإنه مرت معنا وصية زويمر إلى قومه بأن يوجدوا أناساً من المسلمين لصالح الغرب! فقد طبقها الغربيون جيداً، فكونوا الأحزاب السياسية في بلاد المسلمين التي نشأت على عين الغرب وسمعه؛ كأمثال: جمعية الاتحاد والترقي في تركيا، والأحزاب الوطنية في الشام ومصر، وشجعوا الأفكار والتيارات القومية المعارضة فيها.

وفيما يأتي نقد حقيقة هذه الأحزاب وبيانها:

أ ـ أن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صاف(٢).

وبالنسبة إلى جمعية الأتراك الشبان أو تركيا الفتاة، فيقول السلطان

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص١٧٤ ـ ١٧٥ (بتصرف).
(٢) انظر: العلمانية، ص٥٦٨.

عبد الحميد الثاني عنها: "لا بد للتاريخ يوماً أن يفصح عن مَاهِيَّةِ الذين سموا أنفسهم الأتراك الشبان أو تركيا الفتاة. وعن ماسونيتهم استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من الماسون وأنهم منتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل ولا بُدَّ للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية؟"(١). وبالنسبة إلى فكرة القومية الطورانية فقد تسربت من اللاجئين الغربيين الذين قدموا إلى تركيا(٢)، ومن ثم أعلنت عصبتهم الدستور الذي جعلوه أعظم الغايات، وجاء دستورهم معبراً عن أهدافهم الإلحادية إذ رفع شعارات الماسونية!(٣).

ب ـ أن الحقيقة بخصوص تكوين الأحزاب الوطنية؛ أن الإنجليز لما سمعوا النداء الوطني: مصر للمصريين. قالوا: "إن هذا يعني أن مصر للمسلمين"(٤).

فقد خشي هؤلاء ـ الإنجليز ـ من ظهور حركة إسلامية حقيقية فادعوا بأن الوطنية المصرية قد نشأت! وأرادوا أن يبعثوا الفرعونية من خلال حجارة الأهرام في مصر، ويطفئوا أَيَّةَ جذوة إسلامية ربما تنشأ لدى أهل مصر.

ج ـ أن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وانضم إليهم المسلمون، وهؤلاء النصارى كانوا جزءاً من أدوات أوروبا لإزعاج المسلمين وتقويض بناء الدولة العثمانية الإسلامية.

وعموماً؛ ما حدث في تركيا ومصر والشام بشأن تشجيع الغرب الأحزاب المناهضة للدين، فقد حدث في غالب البلاد الإسلامية، فباسم

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد تقديم وترجمة: د. محمد حرب، ص١١٥ ـ ١١٦، وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حاشية، (١/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) انظر: الغرب والشرق الأوسط، ص١٢٧.

(٣) انظر: العلمانية، ص٥٦٩.

(٤) التبشير والاستعمار، ص١٧٤.

التَّسَامُح في التعددية السياسية والتنوع السياسي كون الغرب أحزاباً سياسية مماثلة له، وقام بتحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية.

٣ ـ إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية (ضرب الوحدة الإسلامية):

"مما لا شك فيه أن الغاية لدى أعداء الإسلام واضحة مكشوفة يجاهر بها بعض ساستهم ورجال الدين والفكر والاقتصاد مجاهرة لا مواربة فيها، كما يحاول بعض هؤلاء أن يكتموا حقيقة أهدافهم بالمخاتلة والمراوغة، والحقيقة أن الغاية هي القضاء على الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين واتخاذ كل وسيلة ممكنة لبلوغها"[١].

وما استعمال الدول الغربية لشعار التَّسَامُح بين أمم الأرض كافة[٢]، إلا فخ ينصب لإيقاع المسلمين في شركه؛ بل إن روح العداء الغربي (الصليبي واليهودي) نحو إسقاط الدولة العثمانية الإسلامية وتفتيت وحدة المسلمين ظلت حية لم تخمد وستظل حية إلى الأبد.

وينبغي بيان أن شعار الوحدة ينطلق من معان راسخة في عقول المسلمين، فالوحدة تعني لهم: وحدة أبناء الشعب المسلم في سبيل غايات مشتركة تعود بالخير والكرامة على الأمة الإسلامية. والوحدة تعني لدى الغرب: إلغاء الحدود الوهمية بين الأقطار الإسلامية. ولذا جاء تركيز الغرب على ضرب هذه الوحدة[٣].

لقد كان الغرب مخادعاً في تعامله مع العالم الإسلامي! فقد أدرك تماماً مصدر وحدة المسلمين وقوتهم، ولهذا قام بتقسيم الأمة العربية إلى دويلات ظلت تصارع الاستعمار سنوات طويلة، وقد رافق هذه الأحداث الجسام سلسلة متعاقبة من حلقات الخداع السياسي، فاستغلوا به ضعف

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، ص١٦٩.
(٢) يراجع ص٩١.
(٣) انظر: بروتوكولات صهيون لحسن الباش، ص٩٥.

المسلمين وغفلتهم وجهلهم بالألاعيب السياسية وحيلها وأكاذيبها[1].

ولم يكتف بذلك؛ بل زرع في قلبها، كياناً غريباً يتعهده ويرعاه ـ دولة اليهود ـ لكي يكون حارساً لمصالحه[2].

وعن مقولات الغربيين ـ التي مرت معنا[3] ـ فيكفي أن يرد عليهم بمقولة دجوفارا التي تبين كيف أن الغرب قد استغل تسامح المسلمين ـ: "إن من أعظم عوامل انحلال الدولة العثمانية هو مشربها في إعطاء الحرية المذهبية والمدرسية التامتين للأمم المسيحية التي كانت خاضعة لها لأن هذه الأمم بواسطة هاتين الحريتين كانت تبث دعايتها القومية وتتماسك وتنهض وتتمالأ وتسير سيراً قاصداً في طريق الانفصال عن السلطنة العثمانية"[4].

ويعلق على ذلك شكيب أرسلان: "وسواء كان ـ دجوفارا ـ قد أعلن هذه الحقيقة أم لم يعلنها فإنها الحقيقة التي لا شائبة فيها"[5].

٤ ـ التبعية السياسية:

مما لا شك فيه أن الدول الغربية تحرص على إخضاع سائر الدول الإسلامية لها سياسياً حتى بعد استقلالها عنها.

وقد مرت معنا الصورتان اللتان كوَّنها الغرب عن المسلمين[6]؛

فالأولى: تؤكد التبعية السياسية بشكل تام لا يحتاج منا إلى زيادة بيان!

والأخرى: هي كلمة حق أريد بها باطل.

فكثيراً ما ينادي الغرب بمثل هذه الشعارات البراقة كالتآخي والتعاطف والتراحم والتَّسَامُح، وفي الحقيقة إن كل ذلك من أجل استمرار التبعية

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٢) انظر: مؤامرة الغرب على العرب، ص١٢.
(٣) يراجع ص٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٤) حاضر العالم الإسلامي (٣/ ٣٢٧).
(٥) انظر: المرجع السابق.
(٦) يراجع ص٢١١.

السياسية وبقائها في العالم الإسلامي. فمن الواضح أن الاستعمار الغربي يعتبر عنصراً مهماً في الفوضى التي وقعت في العالم الإسلامي وفي التبعية بشكل عام، وفي الجوانب السياسية بشكل خاص، وقد أبدع شكيب أرسلان في كشف السياسة الغربية أذكر من ذلك قوله: "إن سياسة الغرب لم تتبدل. بل إن مبادئ الحرية التي سادت في الغرب، ونودي بها في غالب القرن (الثالث عشر الهجري) التاسع عشر الميلادي، هبت عليها ريح هوجاء من المطامع السياسية..، فمزقتها شر ممزق وبددت صورها كل مبدد. إذ أخذ التزاحم يشتد والتنازع يوغر قلوب الدول الغربية، حتى طفح الكيل فاشتعلت الحرب الكونية العظمى. وكانت قد اشتدت نهمة أوروبا وجشعها للتوسع في الاستعمار ومناطق السيطرة ونيل الامتيازات، اشتداداً وحشياً غير مسبوق المثيل. فنجم عن ذلك أن باتت سيطرة الغرب على الشرق في صدر القرن (الرابع عشر الهجري) العشرين الميلادي غاية ما بعدها غاية في الإرهاق وشد الخناق"[1].

ويشهد بهذا الكاتب الإنكليزي المشهور سدني لو سنة (١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) حيث يقول: "ما أشبه غالب الدول النصرانية في سلوكها هذا الذي ما برحت سالكته منذ عدة سنوات إزاء الأمم الشرقية، بعصابة من اللصوص يهبطون على الحلل الآمنة،.. ما بال هذه الدول لا تنفك تدوس حقوق الأمم المجاهدة في سبيل النهضة، وعلام هذا العسف الذي تضرب به الشعوب المستضعفة، وهذا الجشع الكلبي لانتياش ما بين أيديها وما خلفها. إن هذه الدول الغربية النصرانية هي بعملها هذا مؤيدة للدعوى الباطلة أن القوي الشاكي السلاح يحق له الانقضاض على الضعيف الأعزل. إن هذه الدول قد تجردت عن كل حسنة في معاملة الشعوب الشرقية تجرداً لم يسبق له مثيل حتى بين أشد الجيوش الشرقية همجية في الزمن القديم"[2].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي (٤/ ١١ - ١٢) (بتصرف).

(٢) المرجع السابق.

المبحث الخامس
الأهداف الاقتصادية ونقدها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهداف الاقتصادية.

المطلب الثاني: نقد الأهداف الاقتصادية.

ودونك عرضها فيما يأتي.



المطلب الأول
الأهداف الاقتصادية

بالإضافة إلى الأهداف الدينية والأهداف الثقافية والأهداف الاجتماعية والأهداف السياسية تأتي الأهداف الاقتصادية وقد ركز الغرب كثيراً عليها.

وأتناول الأهداف الاقتصادية في ثلاثة فروع وفق الآتي.

الفرع الأول: إشاعة الربا.

الفرع الثاني: تطبيق النظام الرأسمالي والاشتراكي.

الفرع الثالث: التبعية الاقتصادية.

الفرع الأول

إشاعة الربا

من الحقائق المسلمة في جميع الشرائع السماوية أن الربا محرم.

ولكن يا ترى ما الذي أودى بالغرب إلى إشاعة الربا!

وقبل الإجابة على هذا التساؤل المطروح. يجدر بي أن أتطرق إلى ذكر مقتطفات من كتب اليهود والنصارى حول تحريم الربا، ومن ثم أوضح كيف أشيع الربا في الغرب، وكيف تم انتقاله إلى العالم الإسلامي؟

١ ـ الربا في العهد القديم:

جاء في كتاب اليهود التوراة: "إن أقرضت فقيراً من شعبي المقيم عندك فلا تعامله كالمرابي، ولا تتقاضى منه فائدة"[(١)]. وفي موضع آخر: "وإذا افتقر أخوك وعجز عن إعالة نفسه في وسطك، فَأَعِنهُ سواء كان غريباً أو مواطناً، ولا تأخذ منه ربا ولا ربحاً"[(٢)].

٢ ـ الربا في العهد الجديد:

جاء في كتاب النصارى الإنجيل: "وإن أقرضتم الذين تأملون أن تستوفوا منهم فأي فضل لكم، ولكن أحبوا أعداءكم، وأحسنوا المعاملة، وأقرضوا دون أن تأملوا استيفاء القرض"[(٣)].

٣ ـ إشاعة الربا في الغرب:

"أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها، كما اتفقت مجامعها على أن الربا محرم استناداً إلى التعليم الصادر من المسيح عليه السلام. وظلت هذه النظرة السائدة هي المذهب الوحيد في أوروبا طوال القرون الوسطى، ومن

---

(١) سفر الخروج (٢٥: ٢٢).

(٢) سفر اللاويين (٣٥ ـ ٣٦: ٢٥).

(٣) لوقا (٣٤ ـ ٣٥: ٦).

ثم أقرها القانون المدني الأوروبي في سنة (٢٠٣هـ/٧٨٩م) في مرسوم أبكس لاشبيل.

ولكنها بدأت تفقد مناعتها شيئاً فشيئاً منذ عصر النهضة، على أثر الاعتراضات المتكررة التي وجهت إليها بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين (السادس عشر والثامن عشر الميلاديين) من كالفن إلى مونتيسكيو. وكان لهذا الضعف مظهران: مظهر عملي، ومظهر تشريعي.

فأما المظهر العملي: فهو أن بعض الملوك والرؤساء الدينيين أنفسهم أخذوا يجترئون على انتهاك هذا التحريم علنا.

وأما المظهر التشريعي: فهو أنه (منذ أواخر القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر الميلادي) في سنة (٩٧٢هـ/١٥٩٣م)، وُضع استثناء لهذا الحظر في أموال القاصرين، فصار يباح تثميرها بإذن من القاضي.

أما الضربة القاضية التي وجهت إلى هذه النظرة الدينية التي تحرم التعامل بالربا فقد حملتها الثورة الفرنسية حيث احتضنت المذهب المعارض، وجعلته مبدأ رسمياً منذ أن قررت الجمعية العمومية في الأمر الصادر بتاريخ (١٢/١/١٢٠٤هـ الموافق ١٢/١٠/١٧٨٩م): «أنه يجوز لكل أحد أن يتعامل بالربا في حدود خاصة يعينها القانون»"[(١)].

وهكذا أقرت الثورة الفرنسية التعامل بالربا بعد أن كان مرفوضاً طيلة القرون الماضية. "وبذلك أصبحت القوانين الغربية - ولا زالت - تسير في خدمة المرابين الذين صار لهم أثر في السلطة لا ينكر، وها هم الآن يضعون مقادير الفوائد القانونية يزيدونها أو ينقصونها بين حين وآخر تبعاً لمصالحهم ولاستثمار أموالهم بالقروض الربوية"[(٢)].

---

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية د. محمد عبد الله دراز ص١٥١ - ١٥٢ (بتصرف).

(٢) «الإطار التاريخي والفكري لمشكلة الربا» لنور الدين عتر، مجلة النور، العدد ٢٤، السنة الثانية، (ذو الحجة ١٤٠٥هـ - سبتمبر ١٩٨٥م) ص٢٤ (بتصرف يسير).

٤ ـ انتقال الربا وإشاعته في العالم الإسلامي.

نتيجة للعلاقات المستمرة بين أجزاء العالم ـ بين الشرق والغرب ـ ولا سيما في عهود الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، فقد انتقلت هذه الفكرة المادية رويداً رويداً إلى خارج أوروبا، فلم يكن الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري ـ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ـ إلا وقد سرت عدواها إلى العالم الإسلامي(١).

فقد استهدف الغرب إشاعة الربا في العالم الإسلامي بدعوى أنه النظام الوحيد الذي يمكن عن طريقه تجميع المدخرات لتمويل التنمية الاقتصادية وعلى أساس التَّسَامُح في تبادل رؤوس الأموال وسرعة دورانها، وأن هذا هو السبيل لانتقال العالم الإسلامي من العصور المظلمة إلى عصر التنوير، ومن عصور التخلف والانحطاط إلى عصر النمو والتقدم والعلم كما يزعم أدعياء التقدم والتنوير(٢).

وفي ظل السيطرة الاقتصادية ـ في القرون الأخيرة (الثالث عشر والرابع عشر الهجري وإلى وقتنا الحالي، الموافق منذ أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر والعشرين الميلادي) قامت الدول الغربية بافتتاح العديد من المؤسسات الاقتصادية (المصارف الربوية) التي تعمل وفق النظام الغربي المالي ـ وذلك لتوظيف ذَهَبِ أوروبا الذي طفحت به خزائن بنوكها وأسبغ عليها ثوب الشرعية القانونية. فبدأ بعض المسلمين يتعاملون مع هذه المصارف بالربا شيئاً فشيئاً. حتى أصبحوا يتعاملون بالربا لا إقراضاً؛ بل اقتراضاً، فأكلوا السحت أولاً، ثم محي من أذهانهم ما كان من تمييز بين الحلال والحرام(٣).

---

(١) كان التعامل بالربا قبل الإسلام شائعاً ومتداولاً، ولما نزل الأمر بتحريمه امتثل المسلمون لذلك، وهذا ما جرى عليه المسلمون في بلاد الإسلام في الأزمان الماضية. وربما تعامل بالربا بعض المسلمين من ضعاف الدين، ولم يحدث أن عظم شأن التعامل بالربا واستفحل أمره في بلاد المسلمين كما في زماننا هذا ـ أسأل الله العافية ـ.

(٢) انظر: الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص١٤٩.

(٣) انظر: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، ص١٥٤، وحاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الفرع الثاني

تطبيق النظام الرأسمالي والشيوعي(١)

دأب الغرب دوماً على غزو ديار المسلمين بأشكال متنوعة؛ فقد حمل إليهم مذاهبه الاقتصادية وأفكاره، وأراد منهم أن يتبنوها ويأخذوا بها إذا أحبوا التقدم والتطور والمدنية، فمن ذلك النظام الاقتصادي الرأسمالي والنظام الاقتصادي الشيوعي (الاشتراكي).

١ ـ تطبيق النظام الاقتصادي الرأسمالي(٢).

جاء الاستعمار الغربي إلى البلاد الإسلامية، فاستولى على مقاليد الأمور الاقتصادية فيها، فقام بتحطيم البُنَى الاقتصادية القائمة، لا لأنها متخلفة ـ وإن ادعى ذلك(٣) ـ بل لينشر مذاهبه الاقتصادية ونظمه فيها باسم التَّسَامُح في تطوير النظام الاقتصادي، فمن ذلك:

ـ "عمل على إعادة تسجيل الملكيات العامة التي كانت تملكها القرى والجماعات والمشاعات، لتحول إلى ملكيات إقطاعية.

ـ إدخال البضائع الغربية والصناعات الحديثة، ومحاولة تغيير أذواق الناس الاستهلاكية في البضائع المحلية.

---

(١) سقط النظام الشيوعي (الاشتراكي) الشرقي الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي، وذلك في عام ١٤١١هـ الموافق ١٩٩١م. وحيث إن مجال الدراسة هو (تسامح الغرب في العصر الحاضر) فمن الأهمية أن أورد الحديث عن أهداف الغرب في تطبيق النظام الشيوعي (الاشتراكي) في بعض بلاد المسلمين.

(٢) الرأسمالية (Capitalism): النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة، ويطلق المجال لحريات الأفراد والمشروعات الخاصة، ويعتمد على الربح حافزاً أساسياً في التقدم الاقتصادي والاجتماعي. بدأت معالم الرأسمالية بالظهور منذ أواخر القرن (الثاني عشر الهجري) الثامن عشر الميلادي. . ، وبلغت أوجها في منتصف القرن (الثالث عشر الهجري) التاسع عشر، وكان من نتيجتها: انخفاض الأجور وسوء ظروف العمل وغير ذلك. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/ ٨٥٣).

(٣) يراجع مبحث: الأساس العملي: ص١٢٧ وما بعدها.

ـ احتقار اقتصاديات البلاد الإسلامية ووصفها بالتخلف والانحطاط واقتصاد الكفاف"[1].

وعموما؛ فإن الدول الغربية الرأسمالية ما برحت تعمل جاهدة من أجل إقامة نظام رأسمالي حر في كل أرجاء المعمورة، وقد مر معنا مقولة جوزيا سترونغ: إن العنصر (الانجلوسكسوني) قد اختاره الله لتحضير العالم[2]. فمن هذا النداء! وتحت شعار التَّسَامُح انطلق رجال الغرب في معترك السيطرة الاقتصادية، وفرض أنظمتهم على العالم بوجه عام، وعلى العالم الإسلامي بوجه خاص[3].

٢ ـ تطبيق النظام الاقتصادي الشيوعي[4] (الاشتراكي).

وأما عن تطبيق النظام الشيوعي (الاشتراكي) ـ قبل سقوطه عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ـ:

فأعيد الذاكرة إلى قيام الثورة البلشفية في ١٩/ ٢/ ١٣٣٦هـ الموافق ٧/ ١٢/ ١٩١٧م. فقد أصدر بعدها مجلس قوميسيري (الشعب البلشفي) نداء موجها إلى شعوب روسيا من المسلمين، كان من بين من وَقَّعَهُ لينين وستالين، جاء فيه: "إن إمبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً.

---

(١) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص٩٣ ـ ٩٤ (بتصرف).

(٢) يراجع ص٢١٢.

(٣) انظر: (القرن الواحد والعشرون)، ص٨٠ ـ ١٠٠.

(٤) الشيوعية (Communism): (مصطلح يصعب تحديد معناه) ويمكن القول بأنه مذهب فلسفي اقتصادي اجتماعي يقوم في أساسه على القضاء على الملكية الفردية، وتدخل الدولة الفعال في حياة الأفراد، وإخضاعهم لإشرافها وتوجيههم مادياً وروحياً. ويصعد إلى أفلاطون في جمهوريته، وينتمي إلى كارل ماركس وإنجلز في التاريخ المعاصر، وقد كتب للشيوعية أن تنتصر في روسيا في الثورة عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م، ثم تسقط عام ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. انظر: المورد ص١٩٨ ـ ١٩٩، والمعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية: ص١٠٤، والموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١١١٠ ـ ١١١١).

وفي وجه الأحداث الجسام، نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمي روسيا والشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل.

أيها المسلمون في روسيا.

أيها المسلمون على شواطئ الفولجا وفي القرم.

ستكون حرية عقائدكم، وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها طاغ، ولا يعتدي عليها معتد!"[1]

هذا فيما يتعلق بالاشتراكية تجاه المسلمين في عقر دارها!

وأما بالنسبة إلى تطبيق النظام الشيوعي (الاشتراكي) في بعض البلاد الإسلامية. فقد رفعت الشيوعية الشعارات البراقة، باسم الأماني الوطنية، والتخلص من الاستعمار الغربي، وزعمت أنها نصير الشعوب المستعمرة المظلومة، وأنفقت الأموال الكثيرة لأعوانها في داخل العالم الإسلامي.

"وقد تحرك الفكر الشيوعي (الاشتراكي الماركسي اللينيني) - وليد الصهيونية - في جسم الأمة الإسلامية فكريا، وواكبته حرب دموية!

وبدأت الاشتراكية في البلاد الإسلامية على شكل (موضة) بواسطة بعض الكتاب النصارى، وبعد ظروف إنهاء الدولة العثمانية وفدت الشيوعية إلى مصر يحملها يهود (سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م، وسنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م). وفي سوريا أسس الحزب الشيوعي يهود (سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)"[2].

ولقد حاول النظامان الرأسمالي والشيوعي (الاشتراكي) على ترسيخ مفاهيمهما الاقتصادية باسم التَّسَامُح في تطبيق أحدهما للآخر في العالم الإسلامي! إذ كان في ترسيخها ما يضعف من قوة المسلمين أو يعرقل انبعاثهم الحضاري.

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٣٥٥ - ٣٥٦ (بتصرف).

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٩٨ - ٩٩ (بتصرف).

فكما جاء في كتاب (مراحل التنمية الاقتصادية في البلاد المتخلفة) من تأليف والت روستو اليهودي - والذي يعمل في البيت الأبيض - ما خلاصته: "إن المنطقة[1] معرضة للشيوعية، بسبب فساد الحكم فيها، والفوارق الضخمة بين الطبقات، وانخفاض مستوى الدخل. ولا بُدَّ لعلاج الأمر من رفع مستوى المعيشة، وتقريب فوارق الطبقات، وإزالة الفساد الضارب أطنابه في الحكم. ولا يمكن رفع الدخل القومي إلا عن طريق التصنيع الثقيل. ولكن التصنيع الثقيل في البلاد المتخلفة لا يمكن أن يقوم به رأس المال الفردي. لأنه لا يحقق أرباحاً سريعة، وقد يظل يحقق خسائر لمدة عشر سنوات أو خمس عشرة سنة، مما لا يحتمله رأس المال الفردي. لذلك ينبغي أن تقوم به الدولة، وذلك بإنشاء قطاع عام يظل يتسع تدريجياً حتى يحتوي القطاع الخاص في داخله. ولا بُدَّ من إنشاء زعامات محلية قوية تلتف حولها الجماهير لكي لا تتجه ببصرها إلى روسيا. وبعد أن يرتفع الدخل القومي، وتقرب فوارق الطبقات، يمكن الرجوع إلى نشاط رأس المال الفردي الحر مرة أخرى!"[2].

وهكذا قام الغرب يترسيخ المفاهيم الاقتصادية، بدعوى التَّسَامُح في تطبيق النظام الرأسمالي الغربي والنظام الشيوعي (الاشتراكي) الشرقي في العالم الإسلامي.

الفرع الثالث

التبعية الاقتصادية

بالإضافة: إلى إشاعة الربا، وإلى تطبيق النظام الرأسمالي والاشتراكي. كان للغرب هدف آخر مهم متعلق بما مضى؛ بل هو نتيجة يأملون في تحقيقها، ذلكم هو التبعية الاقتصادية.

(١) يقصد ما يسمى بمنطقة الشرق الأوسط.

(٢) واقعنا المعاصر ص٣٥٣ - ٣٥٤.

يطلق تعبير التبعية الاقتصادية: ”على وصف حالة اقتصاد بلد من البلدان، ويعني بذلك مختلف أشكال الالتحاق والخضوع التي تميز علاقة هذا الاقتصاد باقتصاد أقوى يهيمن عليه. ويمكن اعتبار الاستعمار الاقتصادي بمثابة الحد الأقصى لعلاقة التبعية الاقتصادية“[1].

لا شك أن الاستعمار قد أخذ أشكالاً متعددة، وتلون بألوان مختلفة عسكرية وثقافية، واليوم تأتي الهيمنة الاقتصادية لتضيف نوعاً جديداً من أنواع الاستعمار والقهر والاستعباد.

والحديث عن التبعية الاقتصادية حديث يطول ـ ولست بصدد ذلك فله مجالاته المختصة ـ ولكن حسبي أن ألقي الضوء على أمور ثلاثة مهمة وهي:

١ ـ احتكار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية.

فعن طريق ما يسمى بالسوق العالمية احتكرت الدول الغربية التجارة الخارجية واستغلت أموال المسلمين وهيمنت عليها، ”فقد فرضت السوق العالمية سطوتها على جميع دول العالم بلا استثناء حتى تلك الدول التي أرادت أن تحيا مستقلة أو حتى تلك التي كانت تعادي الرأسمالية أصبحت منقادة للسوق العالمية!“[2].

وقد عمد الغرب إلى توطين أحفاده من اليهود والنصارى في البلاد الإسلامية عن طريق التجارة كما فعل في الجزائر والهند وإندونيسيا وأفريقيا وتركستان، فاستوطنوا فيها وتحكموا في اقتصادها في معظم التجارة الداخلية[3].

---

(١) قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسامي دبيان وآخرين، ص١١٣.

(٢) القرن الواحد والعشرون، ص٣١ (بتصرف).

(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٤٥.

٢ ـ محاربة الصناعات الوطنية في العالم الإسلامي:

اتجه الاستعمار إلى محاربة الصناعة الوطنية في العالم الإسلامي ليضمن تبعية البلاد الإسلامية له اقتصادياً كما تتبعه عسكرياً أو سياسياً، وليضمن تصريف منتجات مصانعه فيها. وقد زعم الغرب أن الصناعة تتطلب قدرة لم يصلوا إلى درجتها بعد![١].

ولما رحل الاستعمار عن بلاد المسلمين، ترك من خلفه الشركات الصناعية الاستعمارية الاحتكارية.

وقد اكتفى الغرب ـ في تلك الفترة ـ بتوجيه المسلمين إلى الاشتغال بالزراعة، فمن ذلك جعلت فرنسا الجزائر أرضاً زراعية لزراعة العنب، ويداً عاملة وفيرة بأجور منخفضة[٢].

٣ ـ إيقاع الدول الإسلامية الفقيرة في فخ الديون للبنك الدولي (World Bank) وصندوق النقد الدولي (International Monetary Fund):

قامت الدول الغربية بإنشاء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في أعقاب مؤتمر بريتون وودز بولاية نيوها مشاير بأمريكا عام (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م). وذلك للنظر في أوضاع الاقتصاد العالمي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، والتخطيط لقيام نظام اقتصادي دولي أكثر عدالة وأثبت استقراراً..[٣]

وهذا الجانب يمثل ثغرة مهمة تسلل منها الغرب من خلال فخ الديون للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي بتزيين القروض الربوية المؤجلة بحجة محاربة الفقر والتخلف.

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٤٥ (بتصرف).

(٢) انظر: تجارة الجزائر الخارجية لعبد الرحمن رزاقي، ص٦٩.

(٣) انظر: الموسوعة الثقافية ص٢٣٤، والقانون الدولي العام، ص٧٠٧.

المطلب الثاني

نقد الأهداف الاقتصادية

١ ـ إشاعة الربا:

تطرقت فيما مضى حول إشاعة الربا، وآتي هنا إلى بيان التحليل والنقد.

أ ـ أن الربا محرم عند اليهود في العهد القديم، ولكن واأسفاه نجد فيه نصاً آخر يقيد هذا التحريم ويجعله خاصاً بالشعب العبراني، بحيث يسوغ لليهودي أن يأخذ الربا من غير اليهودي: ''أما الأجنبي(١) فأقرضوه بربا''(٢).

فنحن المسلمون لا نسلم بأن هذا هو نص التوراة المنزلة على نبي الله موسى عليه السلام، وقد أشرت إلى أن الربا من الأمور المحرمة في جميع الشرائع السماوية، وهذا النص من العهد القديم تحريف للمقصد الأصلي من تحريم الربا. ويوجد طوائف منهم لا يتعاملون بالربا فيما بينهم ـ انطلاقاً من التعاليم الدينية ـ، وإن كانوا يحلونه مع غيرهم. فالنظام المالي الاقتصادي الحالي في إسرائيل يقوم على الاقتصاد الحر أي النظام الرأسمالي الربوي.

لقد نص المولى عز وجل في كتابه على تحريم الربا على اليهود. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ

---

(١) المقصود بالأجنبي في التوراة هم الأميون كما حكي المولى عز وجل في القرآن الكريم على لسانهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ وكانوا يعنون بالأميين العرب، وهم في الحقيقة يعنون كل من سوى اليهود. انظر: في ظلال القرآن (١/ ٤١١).

(٢) سفر التثنية (٢٠: ٢٣).

وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[1]، وقال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

ب ـ وقد حرمت الديانة النصرانية الربا لا على النصارى فقط بل وعلى غيرهم أيضاً وأجمعت على ذلك الكنائس.

ولكن الملاحظ مع أن الربا محرم في النصرانية، ومع شدة النكير عليه من رجال الدين، إلا أنه قد انتشر في أوروبا، وعن طريقها ذاع وشاع في كل بقاع العالم!

ولكن يا ترى لِمَ هذا الذيوع والانتشار للربا على الرغم من تحريمه؟

والإجابة عن هذا السؤال، أن هذا الانتشار يعود إلى أسباب عديدة من أبرزها ما يأتي:

"أولها: الروح المادية التي سيطرت على النصارى في معاملاتهم المادية، حتى لقد شاع بينهم أن الدين للمعابد ولا يتجاوزها. وأما المادة فإنه يسيطر عليها قانون الحياة، وكان ذلك تبعاً لما سموه: فصل السلطة المدنية عن سلطات الكنيسة.

ثانيها: أنهم في مبدأ الأمر كانوا يوهمون رجال الدين بأن الفائدة القليلة هي أجرة إدارة، أو نحو ذلك.

ثالثها: اعتقاد الاقتصاديين الذين أخذوا بنظرية الفائدة؛ أن الفائدة القليلة لا تتنافى مع الأخلاق، ولا تؤدي إلى الروح الاتكالية وتحكم رأس المال في الإنتاج.

رابعها: اليهود الذين استولوا على عرش الاقتصاد وسيطروا عليه..،

---

(١) [سورة النساء: الآية ١٦٠، ١٦١].

(٢) [سورة آل عمران: الآية ٧٥].

حتى حولوا العالم إلى عالم ربوي..»[1].

هذا وقد فطن إلى عيوب الربا بعض علماء الغرب وأساتذته الاقتصاديين، وهم قد نشؤوا في ظله، وفي مقدمة هؤلاء: شاخت Svhacht[2]، وكان مما قاله في محاضرة له في دمشق عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م): "إنه بعملية رياضية (غير متناهية) يتضح لنا أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين. ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية؛ بينما المدين معرض للربح والخسارة. ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد ـ بالحساب الرياضي ـ أن يصير إلى الذي يربح دائماً! وأن هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل. فإن معظم مال الأرض الآن يملكه ـ ملكاً حقيقياً ـ بضعة ألوف! أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك والشركات وغيرهم فهم ليسوا سوى أجراء يعملون لحساب أصحاب المال، ويجني ثمرة كدهم أولئك الألوف»[3].

ج ـ مر معنا أن الغرب هو الذي أدخل نظام المصارف الربوية في العالم الإسلامي بدعوى أنه النظام الوحيد الذي يمكن عن طريقه تجميع المدخرات اللازمة لتمويل التنمية الاقتصادية والتَّسَامُح في تبادل رؤوس الأموال وسرعة دورانها.

ومن باب العدل أعترف بما تقدمه المصارف (البنوك) من خدمات مالية وتجارية في حفظ الأموال وتبادلها وغير ذلك، ولكن ينبغي ملاحظة أن الأصل الذي تقوم عليه أعمال هذه المصارف هو الربا. وقد أوضحت ما في الربا من أخطار اقتصادية بمقولة أحد أساتذة الغرب[4]، وقد قامت بعض

---

(١) تحريم الربا لمحمد أبي زهرة، ص٤٧ ـ ٤٩ (بتصرف).

(٢) شاخت (Joseph Svhacht): (١٣١٩ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٠٢ ـ ١٩٦٩م) مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي، وله مؤلفات عديدة. انظر: موسوعة المستشرقين، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٣) في ظلال القرآن (١/ ٣١٥).

(٤) أرجأت بيان الوجهة الشرعية؛ الحكم الشرعي في الربا، ص٣٨٢.

المصارف العالمية مؤخراً بدراسة نظام البنوك الإسلامية بغرض تطبيقها والاستفادة منها، فلما اقتنعوا بنجاحها، بادروا بافتتاح أقسام وفق التعامل الإسلامي، وأضرب لذلك مثالاً:

"أعلن رئيس مجلس إدارة مصرف سيتي بنك عن اعتزام بنكه؛ على افتتاح بنك (سيتي بنك الإسلامي) وفق التعامل الإسلامي إيماناً منه أن الأدوات الإسلامية هي الأفضل وحتى يساهم في استقطاب جزء من السوق المالية الإسلامية التي تقدر رؤوس أموالها بحوالي ١٠٠ مليار دولار"(١).

ولا غرابة في قيام الغرب بافتتاح بنوك وفق التعامل الإسلامي فهم يبحثون عن مصالحهم المادية بالدرجة الأولى، وفي هذا يقول الأستاذ إبراهيم بولكي: "منذ عرفت أوروبا الإسلام ناصبته العداء، وعرفت أن في وجوده خطراً على ثقافتها، أما الآن فهي مستعدة لأن تفهم الإسلام وتتقبل وجوده بعد أن عرفت أنها تعتمد في وجودها الاقتصادي على الدول الإسلامية"(٢).

٢ ـ تطبيق النظامين الرأسمالي والشيوعي (الاشتراكي):

تعرضت بلاد المسلمين باستمرار من الطامعين الغربيين إلى أشكال متنوعة من الأهداف الاقتصادية، فمن ذلك: تطبيق النظامين الرأسمالي والشيوعي (الاشتراكي).

ولا يسمح المقام هنا بالإسهاب في نقد الرأسمالية والشيوعية، ولكن بحسبي أن أتعرض إلى نقد كل منهما فيما يتعلق بتطبيقها ضمن الأهداف الاقتصادية للتسامح في الغرب.

أ ـ تطبيق النظام الرأسمالي:

ذاق العالم بسبب النظام الرأسمالي ويلات كثيرة، وما تزال الرأسمالية

---

(١) «فخ المساعدات الأمريكية للدول الإسلامية» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٥٣ (١٥/١/١٤١٦هـ الموافق ١٣/٦/١٩٩٥م)، ص٢٧ (بتصرف يسير).

(٢) الإسلام والغرب (الجندي)، ص٩ ـ ١٠.

تمارس ضغوطها وتدخلها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض.

"عندما اجتاحت جيوش الغزاة الغربيين العالم الإسلامي، كان هناك نظام اقتصادي إسلامي كامل تحدر عبر مئات السنين، له أصوله وتقاليده وقوانينه، وله أنظمته بالنسبة إلى الملكية والإرث والبيع والشراء والتنمية والاستثمار وغير ذلك. فجاء الغرب ليحطم كل البُنى الاقتصادية القائمة..، وليحطم أسس اعتماد البلاد على ذاتها اقتصادياً..، فعمل على تحويل الملكيات العامة التي كانت تملكها القرى والجماعات والمشاعات إلى ملكيات إقطاعية[1]، فقد مارس الغرب ضغوطاً هائلة على الدولة العثمانية لتصدر قانون الأراضي لعام (١٢٧٨هـ/١٨٥٨م)، وما تلاه من قوانين وأنظمة من أجل تصفية الملكيات العامة وإفساح المجال للملكيات الإقطاعية الكبيرة، ومع ذلك فقد أمكن إنجاز هذه المهمة عموماً في ظل السيطرة الاستعمارية المباشرة فيما بعد. فالغرب وأعوانه صنعوا نظام الإقطاع والملكيات الإقطاعية، ثم راحوا يلصقون تهمة الإقطاعية بغيرهم!

والصناعات التي كانت تعتمد على السوق المحلية خربها الغرب، حين أدخل بضائعه إلى أسواق المسلمين وراح يتلاعب بأذواق الناس لينهي صناعة النسيج المحلية ويحطم الزراعة، عدا الزراعة الأحادية الجانب التي تخدم صناعاته وحاجات سوقه العالمية، ومنها على سبيل المثال القطن في مصر، والعنب في الجزائر"[2].

---

(١) نظام الإقطاع: هو شكل التنظيم الاجتماعي الذي ظهر في أوروبا الغربية، والسمة البارزة لهذا التنظيم هي اقتصاد محلي زراعي سياسي، وكانت الوحدة المعتادة لهذا الاقتصاد هي الضيعة والمزارعون (موالي الأرض) والسيد الذي كان يقدم حمايته لفلاحي الضيعة مقابل خدمات ومكوس شخصية.. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (١/ ١٨٥).

(٢) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص٩٣ ـ ٩٥ (بتصرف).

فأين التَّسَامحُ الذي يدعونه في تطوير اقتصاديات العالم وهم يحطمون صناعات البلاد الإسلامية!

ب ـ النظام الشيوعي (الاشتراكي):

كفى بالشيوعية (الاشتراكية) نقداً أنها قد سقطت في عام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، وتبرأ منها زعماؤها الذين كانوا بالأمس ينافحون عنها! فقد قامت بتخطيط اليهود، وكان لليهود دور في إسقاطها ـ أيضاً ـ.

وقد رفعت الشيوعية الشعارات البراقة، وادعوا بأنهم سيعطون المسلمين حرية العقيدة وكفالة الحياة الكريمة وغير ذلك، والحقيقة أن كل هذه الشعارات والنداءات لم تكن إلا من أجل خداع الشعوب الإسلامية وتخدير العقول ودغدغة العواطف؛ بالفردوس والأحلام الخيالية.

ولننظر إلى ما قاله الدكتور علي عبد الحليم حول تناقض الشيوعية في عام (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ـ قبل سقوطها بخمسة عشرة عاماً تقريباً ـ:

"وما وقع نظام من النظم في تناقض صارخ كما وقع النظام الشيوعي (الاشتراكي) فالتناقضات التي وقع فيها هذا النظام كافية لمحق مبادئه ونظرياته وما يدعو إليه، فلم يحقق الشيوعيون ولا الاشتراكيون نجاحاً في أخص ما يدعون إليه وهو النظام الاقتصادي وملكية الإنتاج وملكية الدولة لوسائل الإنتاج، فإن التخبط في هذا بلغ مداه حتى لتوشك هذه النظرية أن تعلن على الملأ إفلاسها"(١).

لقد توسعت الشيوعية (الاشتراكية) ـ في فترة ماضية ـ على حساب غيرها بالحديد والنار، وقد تضرر المسلمون منها كثيراً، فقتل الملايين من المسلمين وشردت شعوب بأكملها ومحيت شعوب من التاريخ!

وبعد هذا كله يريدون من العالم الإسلامي تطبيق النظام الشيوعي

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٥٣.

(الاشتراكي)، بدعوى التَّسَامُح الذي يفتقدونه في جميع مبادئهم الشيوعية.

وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين النظامين السابقين، إلا أننا نلاحظ أن أنصار كل منهما يعادون الإسلام معاداة شديدة، ويتخوفون من أن يسود نظامه، أكثر بكثير مما يعادون النظام المختلف مع نظامهم اختلافاً كلياً.

"فالاشتراكيون العلميون الذين يسيرون في طريق معاكس تماماً للرأسماليين، ويتخوفون من الرأسمالية؛ بل قد يشجعون الرأسمالية المفرطة في البلاد الإسلامية، لتكون مناخاً ملائماً لانتشار الاشتراكية العلمية، والرأسماليون كذلك يتخوفون من نظام الإسلام أكثر من تخوفهم من الاشتراكية العلمية؛ بل قد يشجعون إقامة النظم الاشتراكية في بلاد المسلمين، لكشف عيوبها، ولينفر الناس منها، ثم ليرتموا في أحضان الاستغلال الرأسمالي"[1].

ومن المهم بيانه أن محاولة نشر الاشتراكية في مصر كانت بهدف تطبيق الرأسمالية ـ كما أوضحت[2] ـ: أن التحول الاشتراكي كان بتوجيه من النظام الرأسمالي (من البيت الأبيض)!

ولم يكن هدف الرأسمالية هو تكريه شعوب المنطقة في الشيوعية على ضوء التجربة الاشتراكية المخفقة؛ بل الهدف الكبير من ذلك هو محاربة الإسلام بدعوى التَّسَامُح المزعوم![3].

وعموماً؛ لم يكن في وسع النظامين الرأسمالي والشيوعي (الاشتراكي) أن يوجدا مجتمع الكفاية والعدل اللذان يدعوان إليه، لذلك نشأت حرب الطبقات والظلم الاجتماعي والاستغلال الحزبي والاحتكار والفقر والبطالة إلى ما لا نهاية له من المشكلات اليومية[4].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص٤٤٠.

(٢) يراجع ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٣) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٥٦.

(٤) انظر: الإسلام وأوضاعنا القانونية لعبد القادر عودة، ص١٢٦.

٣ ـ التبعية الاقتصادية:

لقد أحكمت الدول الاستعمارية الكبرى الطوق على البلاد الإسلامية، فأصبحت بلدان المسلمين غنيمة يستغلها الغرب ويستنزف خيراتها ويتمتع بها.

"فالمستعمرون لما عرفوا أوضاع المسلمين، ودرسوا أحوال بلادهم، وما فيها من خيرات كثيرة، وما للأرض التي تمتد شعوبهم في أرجائها من فضائل وحسنات اقتصادية..، تطلعت نفوسهم شرهاً إليها، وطمعاً باقتناص خيراتها والاستيلاء على كنوزها، واستغلال كل ما أمكن استغلاله فيها، وتسخير الطاقات البشرية المسلمة التي تعيش عليها في خدمة أهدافهم الاستغلالية الاستثمارية، مع حجب الخبرات الفنية عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا"[(١)].

"فقد سعت حكومات الغرب لحجب الدراسة في العلوم التقنية والدقيقة عن أبناء العالم الإسلامي خوفاً من نقلها إلى بلدانهم واستفادة المسلمين منها...،في الوقت الذي ساهم العلماء المسلمون من المنتقلين إلى بلاد الغرب بقسط وافر في تطوير هذه العلوم، وهناك أبحاث وتجارب عالمية كثيرة في أدق الفروع العلمية مسجلة بأسمائهم"[(٢)].

ولم يختلف اثنان من مؤرخي الغرب المنصفين أن أوروبا كانت وَلَمْ تَزَلْ تنظر إلى ثروات الشرق بعين الشراهة والحسد، وأن هذه الشراهة وهذا الحسد هما اللذان تحكما قروناً طويلة في علاقة الغرب بالشرق في الماضي والحاضر[(٣)].

ومع ذلك فمقتضى العدل الذي أمرنا الإسلام به؛ أقول: إنه خلال

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص١٨٧ ـ ١٨٨ (بتصرف).

(٢) «حوار مع ديبلوماسي غربي» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١١٧ (١٤/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٩٤)، ص٢٧. (بتصرف يسير).

(٣) يراجع: مبحث نقد الأساس العملي (الباب الأول)، ص١٣٤ وما بعدها.

فترة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية وما بعد ذلك، أسهم الغرب في تطور الحياة الاقتصادية وأساليبها في نواح شتى، فالصناعات والمنتوجات الغربية قد تدفقت بشكل كبير على البلاد الإسلامية.

وحيث جاء الحديث حول التبعية الاقتصادية مركزاً على ثلاثة أمور مهمة، آتي هنا إلى نقدها:

أ ـ احتكار معظم التجارة الداخلية والخارجية للبلاد الإسلامية (التجارة الدولية):

وفي هذا أنقل مقولة لعبد الله النديم: ''قالت أوروبا إنكم متوحشون، لكونكم لا تحسنون صنع الأثاث واللباس، وإنكم في حاجة إلى مصنوعاتنا، ولا تصلون إليها إلا بعقد المعاهدات التجارية. وبذا تمكنت من إدخال مصنوعاتها في الشرق لتحول الثروة إليها، فأماتت ما كان يصنعه الشرقيون، وحجرت ما لا بد منه من صناعة الشرق الهندية وغيرها. فما يصنع في الهند والصين والعجم والأناضول وغيره، إنما ينفق ويباع على يد الأوروبي كما ينفق ويباع مصنوع بلاده. فالشرقيون أجراء يزرعون ويحصدون ويصنعون، ليروجوا تجارة أوروبا، ويعظموا ثروتها، ويؤيدوا قوتها الملكية بالإيرادات المالية. فَلاَ حَظَّ لهم من الوجود، ولا رغبة لهم في الملك، كأنهم أمام أوروبا جنس خلق لخدمتها، لتقاعدهم عن مجاراة أهلها''(١).

وقد قامت الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات)(٢) في عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٧م)، والتي فرضت على الدول الإسلامية فرضا،

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/١٦٦).

(٢) الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات GATT): هي عبارة عن هيئة متفرعة من هيئة الأمم المتحدة، وقد استهدفت وضع نظام من شأنه تشجيع التبادل التجاري بين شتى دول العالم، وإعادة النظر في الرسوم الجمركية. انظر: القاموس السياسي، ص٤٥١ ـ ٤٥٢. وقد حل محل اتفاقية الجات منظمة التجارة العالمية World Trade Organization (W T O).

وقد أفادت الدول الغربية من هذه الاتفاقية بنسبة أكبر من إفادة الدول النامية[١].

يقول الباحث الاقتصادي علاء الدين قنديل عن اتفاقية الجات: ''إن اتفاقية الجات تشكل امتداداً صارخاً لنفس السياسات التجارية الاحتكارية التي ينتجعها الغرب الصناعي منذ بضعة عقود، والتي كان من أبرز إنتاجها احتكار أسواق المنتجات الزراعية والمواد الأولية والمواد الخام بما فيها النفط، والأخطر أن تحول الجات من اتفاقية إلى منظمة عالمية للتجارة جعل قراراتها ملزمة قانونياً للأطراف المشاركة فيها أو الموقعة عليها..''[٢].

وإن المتأمل في اتفاقيات الجات، يجد أن مبدأ حرية التجارة الدولية! لا يمكن سريانه على العمالة، والبترول، والصناعات البتروكيماوية وغير ذلك، خاصة أن الدول الغربية المتقدمة ترفض ذلك، مما سيمكنها من الهيمنة على اقتصاديات البلاد النامية لا سيما وأن أكثرها من البلاد الإسلامية[٣].

وعموماً؛ فإن اتفاقية الجات لم تقتصر آثارها على الجوانب الاقتصادية فحسب؛ بل تشمل الأنظمة الداخلية ـ أيضاً ـ للدول! بمعنى أنه يتاح للدول الغربية المتقدمة الحق بالتدخل في الشؤون الداخلية لسياسات الدول النامية ـ الدول الإسلامية ـ تحت مسمى التحكم الاقتصادي![٤].

ويؤيد هذا أنه كلما قامت في بعض البلاد الإسلامية محاولات الخروج من التبعية الاقتصادية، ومحاولة استغلال أموالها بالأسلوب الذي ترغب فيه، بادرت الدول الغربية (المتربولات[٥] Metropoles) بالمسارعة

---

(١) انظر: مبادئ الاقتصاد الدولي المعاصر د. عمر زهير حافظ، ص١٦.

(٢) «اتفاقية الجات واقتصاديات الدول الإسلامية» ـ تقارير ودراسات ـ مجلة الإصلاح، العدد ٣٤٩، السنة الثامنة عشرة (٢٩/ ٢/ ١٤١٧هـ الموافق ١٥/ ٧/ ١٩٩٦م)، ص٣١.

(٣) انظر: منظمة التجارة العالمية: آلية إدارة اتفاقات الجات د. مصطفى سلامة، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٥) المتربولات: ـ في الأصل يقصد بها ـ الولاية الأم في مستعمرة ما، ويقصد بها هنا الدول الغربية الأم المتحكمة. انظر: المورد، حرف M، ص٥٧٥.

لاحتواء هذه المحاولات وضمها لصفها وجعلها تتحرك لمصلحتها وبالطريقة التي تريد[١].

ب ـ محاربة الصناعات الوطنية في العالم الإسلامي:

قامت الدول الاستعمارية بالسيطرة على معظم المواد الخام في العالم الإسلامي وذلك في فترة قصيرة، وقد برعت في الصناعات الاستخراجية كصناعة التعدين والصهر مما جعلها تحتكر المواد الأولية للطاقة والمعادن[٢].

وقد قام الغرب بإدخال المصنوعات الأجنبية، وتشجيع كل ما هو مستورد غربي، فضرب صناعات النسيج التقليدية وغير ذلك[٣].

وقام ـ أيضاً ـ برصد الصناعات في الدول الإسلامية في مجال التقنية والصناعات الدقيقة والتكنولوجيا، وموقفه واضح من ماليزيا البلد المسلم! فقد تآمر عليها وشن حرباً اقتصادية وسياسية ومارس ضغوطاً دولية[٤].

وأما بشأن اهتمام فرنسا بزراعة العنب في الجزائر، فذلك من أجل مصانع الخمور، لأن الخمور من أكبر الروابط التي تشد الأوساط التجارية والمالية الفرنسية إلى الجزائر[٥].

ج ـ إيقاع الدول الإسلامية الفقيرة في فخ البنك الدولي وصندوق النقد الدولي:

مر معنا بأن المهمة الرئيسة للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي؛ هي النظر في أوضاع الاقتصاد العالمي في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتخطيط لقيام نظام اقتصادي دولي أكثر عدالة وأثبت استقراراً!

---

(١) انظر: جريدة الطليعة الكويتية، العدد ١١٩٠ (٢٧/٣/١٤١٦هـ الموافق ٢٣/٨/١٩٩٥م) ص١٠.

(٢) انظر: القرن الواحد والعشرون، ص٩٥.

(٣) انظر: الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص٩٤.

(٤) انظر: مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١١٧، ص٢٧.

(٥) انظر: تجارة الجزائر الخارجية، ص٦٩.

هذا هو المعلن ولكن لنتأمل ما هو الواقع..، يقول إدوارد بيرنشتاين[1]: "لقد تحولت المؤسستان العالميتان إلى وسائل تنفذ ما تقرره بضعة مصارف مالية مركزية في بعض الدول"[2].

وخشية الإطالة أكتفي بكشف الصورة الباطنة لصندوق النقد الدولي:

"إن مهمة الصندوق السرية والعلنية هي تحقيق أهداف الدول الغربية الكبرى..! ـ لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التي يقع بها مقر الصندوق، والتي تمول الجانب الأكبر من مخصصاته ـ في التدخل والتأثير المباشر في السياسة الاقتصادية للدول التي تعاني ضعفاً اقتصادياً وقصوراً في مواردها المالية، وكذلك تقديم الدعم المصحوب بشروط مجحفة للدول التي لا تجد طريقاً لحل مشاكلها الاقتصادية، وقد استطاع الصندوق أن يوقع في براثنه عشرات الدول النامية والفقيرة،.. وقد بلغ عدد دول منطقة الشرق الأوسط والدول الأفريقية التي أصبح صندوق النقد يتدخل الآن بشكل مباشر في شؤونها العامة أكثر من خمسين دولة معظمها من الدول الإسلامية.."[3].

ومما يؤيد وقوع العديد من الدول في حمأة فخ الديون، ما جاء في إحدى التقريرات الاقتصادية: "إن الدول الأفريقية التي تقع جنوب الصحراء الكبرى، والتي تتعامل مع الصندوق قد أصبحت مديونياتها الآن أثقل مما كانت عليه قبل عشر سنوات، ففي عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، كانت مديونيات تلك الدول ٦٣,٥ مليار دولار أمريكي. أما في نهاية عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، فقد وصلت مديونيات تلك الدول إلى ١٣٢,٥ مليار دولار أمريكي!"[4].

---

(١) إدوارد بيرنشتاين: مدير أعمال صندوق النقد الدولي سابقاً، وأحد المشاركين في مؤتمر بريتون وودز.

(٢) «الجذور التاريخية للاستعمار المالي المعاصر» لنبيل شبيب، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٤ (٤/ ١١/ ١٤١٥هـ الموافق ٤/ ٤/ ١٩٩٥م)، ص٣٢.

(٣) «خمسون عاماً من الابتزاز» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١٥٦ (٦/ ٢/ ١٤١٦هـ الموافق ٤/ ٧/ ١٩٩٥م)، ص٢٧ (بتصرف).

(٤) مجلة جون أفريك الفرنسية ـ تقرير العالم اليوم ـ (١٢/ ٨/ ١٩٩٤م). نقلاً عن: المرجع السابق.

ولا يختلف الوضع المزري للمديونية الإفريقية كثيراً عن الوضع العربي، فقد نشرت الأمانة العامة للمؤتمر القومي العربي الذي عقد في بيروت تقريراً في (١٤١٤هـ/ مايو ١٩٩٤م) ذكرت فيه: "أن المديونية العربية بلغت ١٩٤ مليار دولار، وذلك في نهاية عام (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، وتبلغ الفوائد (الربوية) المقررة على هذه الديون ١٨ مليار دولار.

ولم يتوقف الأمر على التدخل والتأثير المباشر في السياسة الاقتصادية للدول الإسلامية؛ بل وصل الأمر إلى درجة الابتزاز العلني لعقائد المسلمين، فكان مما قدمه وفد صندوق البنك الدولي الذي زار صنعاء في عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، توصيتين مهمتين إلى الحكومة اليمنية، وذلك في مقابل منحها مساعدات تبلغ قيمتها ٢٨٠ مليون دولار.

أما التوصية الأولى، فهي: الحد من نفوذ التيار الإسلامي داخل المؤسسات الحكومية.

وأما التوصية الثانية، فهي: إلغاء قرار إنشاء البنك الإسلامي!"[(١)].

(١) المرجع السابق.

الباب الثاني

مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها وآثاره على المسلمين

الفصل الأول: مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها.

الفصل الثاني: آثار التَّسَامُح على المسلمين.



مقدمة تمهيدية:

عداء الغرب للإسلام وأهله منذ فجر الرسالة المحمدية

منذ بزوغ الرسالة المحمدية ومؤامرات الأعداء تحاك ضد الإسلام وأهله، وما الحملات الصليبية التي اجتاحت قلب العالم الإسلامي في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي) مروراً بالعهود الاستعمارية الغربية لمعظم بلاد المسلمين في القرن الثاني عشر والثالث عشر ومنتصف الرابع عشر الهجري (الثامن عشر والتاسع عشر ومنتصف القرن العشرين الميلادي)، وإلى عهدنا هذا، إلّا صورة للعلاقة بين الغرب والإسلام.

ولهذا فقد ساد العداء والصراع، والتوتر والحذر، وانعدام الثقة في العلاقات بين عالم الغرب وعالم الإسلام.

وخلال تلك القرون الماضية من الصراع الغربي الإسلامي كان الغرب هو الجاني، وكان عالم الإسلام هو الضحية، وكان الغرب هو الناهب، وكان عالم الإسلام هو المنهوب[1].

وفي العصر الحاضر؛ تبين للغرب أن القوة التي استخدمت خلال القرون الماضية لم تؤت ثمارها بالشكل المطلوب، ففكر في استخدام أساليب جديدة للهيمنة على العالم الإسلامي استمدها من أسس التَّسَامُح

---

(١) انظر: «الافتتاحية»، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثانية، العدد ٧، (١٤١٣هـ ـ صيف ١٩٩٢م)، ص٢ ـ ٦.

(العقدية والخلقية والعملية) المزعومة وأهداف التَّسَامُح (الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية) كما مر معنا.

لذا فقد اتخذ الغرب مجالات جديدة للتَّسَامُحِ مع المسلمين.

والحقيقة أنه لا يمكنني أن أجري حصراً دقيقاً لكل أوجه مجالات التَّسَامُح التي تمت من قبل الغرب تجاه العالم الإسلامي، ولكن حسبي إلقاء الضوء على أبرز مجالات التَّسَامُح في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين (العشرين الميلادي)، ومن ثم أبين الآثار الناتجة عن حقيقة تَسَامُحِ الغرب مع المسلمين في واقع الأمة الإسلامية.

وذلك في الفصلين الآتيين:

الفصل الأول: مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها.

الفصل الثاني: آثار التَّسَامُح على المسلمين.

الفصل الأول

مجالات التَّسامُح في الغرب ونقدها

"لقد أقامت الدول الغربية العلاقات الدولية على أسس ثلاثة على التوالي:

١ ـ فمنذ بداية العصر الاستعماري ـ في مفتتح القرن العاشر الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) حتى عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٥٦م) ـ بداية العصر الحديث كانت النصرانية هي الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الدولية.

وكان من شأن هذا الأساس عدم الاعتراف لجميع الدول بالشخصية الدولية إلا للدول النصرانية ـ وما يترتب عليها من الحق في تملك أقاليم الدول غير النصرانية بصفة خاصة ـ ولذلك لم تكن العائلة الدولية شاملة؛ بل كانت قاصرة على الدول النصرانية فقط. ولم يكن ثمة حرج في الاستيلاء على أراضي الدول الأخرى، واستعباد أهلها واستغلالها كما تشاء تلك الدول ولو اعتنق أهلها النصرانية بعد ذلك.

٢ ـ ثم اتخذت الدول الغربية بعد ذلك أساساً جديداً هو المدنية Civilization، بمعنى أن الدول المتمدنة يصح أن يعترف لها بالشخصية وأن يكون لها حق التملك، وأن تعتبر عضواً في العائلة الدولية. وكان السبب في العدول عن الأساس الأول؛ هو اضطرار الدول الغربية إلى قبول دولة الدولة العثمانية الإسلامية عضواً في العائلة الدولية، وذلك عام (١٢٤٦هـ/ ١٨٥٦م)، لاعتبارات تتصل بالتوازن الدولي.

٣ ـ ثم اتخذت الدول الغربية أساساً ثالثاً بعد الحرب العالمية الثانية عام (١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥م)، وهو السلام"[١].

"وهكذا كانت العلاقات السائدة ـ قبل ظهور مصطلح المجتمع الدولي ـ تمثل الدول كأفراد معنويين، والعلاقات محصورة بين الدول بعضها مع بعض ثم حدثت أحداث كثيرة حولت مفهوم مجتمع الدول إلى مفهوم المجتمع الدولي، ليكون أوسع وأشمل نظراً لدخول المنظمات الدولية في الساحة العالمية"[٢].

ولقد أصبحت العلاقات مرتبطة بشبكات Networks عدة من القنوات التي تربط مصالح العالم المشتركة، لتحقيق التَّسَامُح على مستوى الأفراد والدول والمؤسسات العالمية الكبرى.

ودونك دراسة مجالات التَّسَامُح في الغرب ونقدها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: التَّسَامُح في العلاقات الفردية ونقدها.

المبحث الثاني: التَّسَامُح في العلاقات الدولية ونقدها.

المبحث الثالث: التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية ونقدها.

المبحث الرابع: التَّسَامُح في العلاقات عند المنظمات ونقدها.

---

(١) مصنفة النظم الإسلامية (الدستورية والدولية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية)، د. مصطفى كمال وصفي، ص٢٨٠ ـ ٢٨١ (بتصرف).

(٢) المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي، د. عبد الرحمن الضحيان، ص١١١ (بتصرف).

المبحث الأول

التَّسَامُح في العلاقات الفردية ونقدها

أتناول الحديث عن التَّسَامُح في العلاقات الفردية في ضوء المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التَّسَامُح في العلاقات الفردية.

المطلب الثاني: نقد التَّسَامُح في العلاقات الفردية.



المطلب الأول

التَّسَامُح في العلاقات الفردية

"وتتمثل هذه العلاقات التي يدعو إليها الغرب في المناسبات التي تربط البشر بعضهم مع بعض عرضاً، أو تتيح لبعض الناس أن يعرفوا بعضهم الآخر. فالبشر عادة مقسمون حسب أعمالهم، فقلما يتاح للطبيب المنصرف إلى علمه وعمله أن يجتمع بالتاجر أو الصانع، وكذلك يتعذر على رجل من المدينة، أو من حي معين في المدينة، أن يجتمع برجل من مدينة أخرى أو من حي آخر في مدينته. فمن أجل ذلك يلجأ الناس عادة إلى خلق جو من العلاقات الاجتماعية يجمع بينهم في مناسبات مختلفة: في الحفلات الرياضية والخطابية، وفي الأندية الأدبية والسياسية، وفي الاتصال فيما بينهم عن طريق الصحف والمجلات وأعمال البِرِّ والإحسان، وفي الاجتماعات المختلطة بين الجنسين رجالاً ونساءً، فحياة الغربيين قائمة على هذا النمط

من العلاقات فأحبوا أن ينقلوه إلى بلاد المسلمين"(١).

ففي العصر الحاضر حدث تغير ملحوظ في وجهات النظر عند طائفة من أبناء الغرب تجاه العلاقة مع المسلمين، فانبثقت رغبة قوية في إقامة علاقات يتم فيها تبادل وجهات النظر فيما بينهم في جو يسوده التَّسَامُح والتعاون المشترك.

ولقد اتخذ الغرب عدة وسائل لتحقيق التَّسَامُح في العلاقات الفردية، من ذلك: (إرسال مجموعة من المسلمين إلى بلادهم، وإقامة الألعاب الرياضية المشتركة، وتعاطف الساسة الغربيين والمفكرين ونظرتهم نحو الإسلام) وأورد الحديث عنها ـ بإيجاز ـ:

١ ـ إرسال مجموعة من المسلمين إلى بلاد الغرب للاطلاع على عاداتهم وتقاليدهم:

وفي هذا يقول توينبي: "كنا نُحْضِر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بعض أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويرتدون السترات والسراويل، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو والاستقبال والاستدبار، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا نُدَبِّرُ لبعضهم أحياناً زيجة أوروبية، تلقنهم أسلوب الحياة بأثاث جديد، وطُرُز جديدة من الزينة، واستهلاك أوروبي جديد وغذاء أوروبي، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبة، ثم نرسلهم إلى بلادهم"(٢).

وهذا ما أكده نيسكون؛ بضرورة حقن أبناء المسلمين بالثقافة الغربية

(١) التبشير والاستعمار، ص١٩١ (بتصرف).

(٢) الإسلام والغرب والمستقبل لأرنولد توينبي، ترجمة: نبيل صبحي، ص٥٠ ـ ٥٣؛ نقلاً من مقال: «الإبداع والتقليد عند مقلدي الغرب»، لمحمد الأحمري، مجلة البيان، العدد الرابع عشر (صفر ١٤٠٩هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٨م)، ص٤٦.

ليصبحوا أدوات لنا في المستقبل[١].

٢ ـ التسلية بالألعاب الرياضية والنوادي وتشجيع التَّسَامُح في ميادينها:

وتحقق الألعاب الرياضية والنوادي أهدافها عن طريق الألعاب والحفلات الدورية التي تدعو إلى التَّسَامُح وإذابة الخلافات والنزاعات[٢].

وفي هذا يقول ولبرت سميث: "إن الألعاب تبرهن على أنها من أحسن الوسائل لتقريب وجهات النظر بين المختلفين؛ بل بين المتعادين"[٣].

ومثال ذلك: "لما أعلن العرب[٤] إضرابهم العام في القدس عام (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م)، احتجاجاً على ممالأة الإنكليز لليهود...، قامت جمعية الشبان النصرانية بحفلة تخدم بها التعاون الودي بين الفلسطينيين واليهود..، فأقامت مباراة في لعبة التنس كان اللاعبون فيها مسلمين ويهودا. وكان الحضور لفيفا من جماعات مختلفة فيهم الفلسطينيون والإنكليز والأمريكيون والألمان. وسادت الروح الرياضية، فكان اليهود يحيون كل نجاح يصيبه اللاعبون العرب، وكان العرب يردون التحية للاعبين اليهود إذا أصابوا نجاحاً، وتبع المباراة حفلة شاي حضروها فنعموا ساعة بكرم مضيفيهم النصارى"[٥].

فمن هذا المنطلق؛ نجد أن أولئك الغربيين يؤكدون على تحقيق التَّسَامُح في العلاقات الفردية مع المسلمين والعمل بها في جميع المجالات، فهي بذلك لا تقتصر على الرياضة فحسب!

---

(١) انظر: عبر وبصائر، د. عبد الله عزام، ص٩٦.

(٢) انظر: على مشارف القرن الحادي والعشرين، د. توفيق القصير، ص٢١٣.

(٣) التبشير والاستعمار، ص١٨٣.

(٤) أي المسلمين.

(٥) المرجع السابق.

٣ ـ الساسة الغربيون:

إن هناك أناساً كثيرين من أهل الساسة في الغرب يتعاطفون بقوة مع الإسلام ويظهرون عجبهم به، ويدعون إلى تكوين علاقات مع الإسلام وأهله مبنية على التَّسَامُح، فمن هؤلاء:

ـ مارغريت تاتشر[١] حيث تقول: "الإسلام ذو طبيعة سمحة وسليمة جداً، والتهديد ليس في الإسلام نفسه وإنما في التعصب. والمتعصبون موجودون في جميع الأديان ومثال ذلك: اليهودي الذي قتل المسلمين وهم يصلون في المسجد الإبراهيمي بمدينة الخليل"[٢].

ـ ومن الواضح أن الأمير تشارلز[٣] هو واحد من أولئك الذين يدعون إلى التَّسَامُح، فهو يرى أنه لا يمكن أن يعيش العالم الغربي والعالم الإسلامي منعزلين بعضهما عن بعض؛ بل يجب أن يتم التبادل في الخبرات وفي البناء على الأسس الإيجابية المشتركة في كلتا الثقافتين، وفي جو من التفاهم والتَّسَامُح[٤].

٤ ـ المفكرون:

مما لا شك فيه أن لرجال الفكر والتوجيه دوراً بارزاً في مجال العلاقات سواء الفردية أم الدولية، ونظراً لما يتمتع الغرب به من الحرية في

---

(١) مارغريت تاتشر (Thatcher): ولدت عام (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م)، رئيسة وزراء بريطانيا سابقاً. انظر: المنجد في الأعلام، ص١٦٥.

(٢) (صحيفة الأنباء بتاريخ ٢/ ٢/ ١٤١٦هـ الموافق ٣٠/ ٦/ ١٩٩٥م، ص٢٤، عن صحيفة الفيجارو الفرنسية)، نقلاً عن: «الإسلام ذو طبيعة سمحة» لعبد الله العتيقي، مجلة المجتمع، العدد ١١٥٩ (٢٧/ ٢/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٥/ ٧/ ١٩٩٥م)، ص١٣.

(٣) تشارلز: ولد في (١٠/ ١/ ١٣٦٨هـ الموافق ١٤/ ١١/ ١٩٤٨م)، ولي عهد التاج البريطاني، اشتهر بمواقفه الحسنة نحو الحضارة الإسلامية. انظر: الموسوعة العربية العالمية (٦/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) انظر: الإسلام والغرب (محاضرة مترجمة للأمير تشارلز في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا)، وجريدة (المسلمون)، العدد ٤٦١ (٢٠/ ٦/ ١٤١٤هـ الموافق ٣/ ١٢/ ١٩٩٣م)، ص٦.

طرح الأفكار والآراء بشكل عام، فقد برزت دعوات كثيرة من العديد من المفكرين الغربيين تدعو إلى التَّسَامُح وتلاقي الثقافات والحضارات وتؤكد على أهمية عَقْدِ صلات جديدة وعلاقات وثيقة مع جميع شعوب العالم عامة؛ والعالم الإسلامي بوجه خاص.

وأنقل كلاماً للمفكر الغربي باتريك بارنارمان ـ في كتابه نظرة إلى الإسلام ـ يؤكد ما ذكرته من أهمية عقد العلاقات والصلات بين الغرب والإسلام، حيث يقول: "إن كيفية تفكير غير المسلمين بأوضاع الإسلام هي التي تحدد الأسلوب الذي يتعاملون به مع المسلمين ونظرتهم لغير المسلمين"(١).

ـ ويعد جون اسبوزيتو أحد المفكرين الغربيين المحايدين ومن المنصفين(٢) ـ إلى حد ما ـ ومن البارزين في إرساء التَّسَامُح بين الغرب والإسلام وتدعيمه، حيث يقول ـ حول فلسفة التهديد الإسلامي في عقلية الأمريكان ـ: "لقد تركت العقود الماضية في أذهاننا ضرورة وجود تهديد، ولما سقطت الشيوعية وجدنا أن فراغاً اسمه التهديد قد حصل. . ، إن هناك محاولات لرسم ملامح العدو الجديد تحت عنوان آخر. . ، إن الإسلام والمسلمين ليسا هما الآخر، فهما جزء من تركيبة مجتمعنا اليوم"(٣).

ـ ويرى بول فندلي(٤) ـ أن على كل أمريكي وكل مسلم على حد

---

(١) «نظرة الغرب الخاطئة للعالم الإسلامي» للبروفيسور جون إسبوزيتو، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٥ (١١/١١/١٤١٥هـ الموافق ١١/٤/١٩٩٥م)، ص٤٢.

(٢) يراجع ترجمته ص٢٠٥، والدكتور جون إسبيزيتو هو مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي، حيث يقول: «لقد تم إنشاء هذا المركز للبحث في مسألة العلاقة بين الإسلام والمسيحية والعلاقة بين الإسلام والغرب». انظر: الندوات الثقافية لمهرجان الجنادرية (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م)، ص١٩٨، ومجلة المجال، العدد ٢٧٨، محرم ١٤١٥هـ ـ يونيو ١٩٩٤م، ص٤.

(٣) جريدة (المسلمون)، السنة التاسعة، العدد ٤٥٨ (٢٩/٥/١٤١٤هـ الموافق ١٢/١١/١٩٩٣م)، ص٤ (بتصرف)، وللاستزادة. انظر: الندوات الثقافية لمهرجان الجنادرية، ص١٨٧ ـ ١٩٩.

(٤) بول فندلي: مثقف ومحاضر وسياسي أمريكي، وهو مؤلف كتاب (من يجرؤ على الكلام)، كان رئيساً للجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس. انظر: أمريكا والإسلام، ص٨١.

سواء تصحيح المفاهيم الخاطئة عند كل منهما ـ: "إنني لمست رغبة حميمة لدى المسيحيين لمعرفة حقيقة الإسلام بشكل أكثر موضوعية باعتباره ديناً سماوياً ينطوي على قدر كبير من التَّسَامُح؛ وأن كُتَّاباً غير مسلمين هم الذين شوهوا صورته في الغرب. وبشكل عام يمكن القول؛ بأن هذا الأمر هو مجمل رأي الشعب الأمريكي في الإسلام، وهو الأمر الذي يدعونا إلى عمل مشترك من أجل بناء جسور من الفهم"(١).

- ويقول الكاتب بيتر ما نسفيلد: "إنني واحد ممن يتعاطفون مع الإسلام منذ اللحظة التي بدأت فيها اتصالاتي مع العالم الإسلامي. والناس من أمثالنا غير راضين إطلاقاً عما يناله الإسلام والمسلمون من دعاية مغرضة في الغرب. فنحن نعرف أن هناك أشياء تقال عن الإسلام والمسلمين لا تقال عن الديانات الأخرى وبالتأكيد عن المسيحيين أو اليهود"(٢).

وهناك العديد من الكتاب الغربيين يحملون هذا الاتجاه عن الإسلام والمسلمين ـ ويطول المقام في ذكر مقولاتهم ـ كأمثال: إدوارد سعيد(٣)، وماري شيميل(٤)، وبروس لورنس(٥)، ومايكل كولنز(٦)، وإيفون حداد(٧)،

---

(١) أمريكا والإسلام، ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) «مخاوف الغرب من الإسلام»، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٧١٧ (١٦/ ٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٤/ ٧/ ١٩٩٤م)، ص٥.

(٣) إدوارد سعيد: ولد في القدس ودرس فيها حتى التعليم الثانوي، ثم انتقل إلى أمريكا وأكمل دراساته الجامعية والعليا، وهو يعمل حالياً أستاذاً للأدب الإنكليزي والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك، له كتابات عن الإسلام والقضية الفلسطينية، ومن أشهر كتبه الاستشراق. انظر: ترجمته في المقدمة.

(٤) ماري شيميل: أستاذة ألمانية في العلوم الشرقية الإسلامية.

(٥) بروس لورنس: أستاذ علم الأديان في جامعة وول.

(٦) مايكل كولنز: بروفيسور وأستاذ الدراسات العربية المعاصرة، ورئيس تحرير مجلة (استيمت) نصف الأسبوعية في أمريكا.

(٧) إيفون يزبك حداد (Yvonne Yazbeck Haddad): دكتورة وباحثة أمريكية بجامعة ماساشوستس في امهيرايت، لها اهتمامات بالعلاقات الإسلامية المسيحية، وهي مؤلفة كتاب (التأثير الإسلامي). انظر: المسلمون في أمريكا، ص١٠.

وجون فول[١] وفرانسو بورغا[٢] وغيرهم.

ولكن بالمقابل فهناك الكثير من المفكرين والساسة الغربيين يحملون اتجاهاً مخالفاً مضادًا للتَّسَامُح مع الإسلام والمسلمين أمثال: برنارد لويس، وصموئيل هنتنغتون[٣]، وبريان بيدهام[٤]، ومارتن إنديك[٥]، ودانيال بايبس[٦] وغيرهم.

وإنما حرصت على إيراد نماذج من المقولات التي تدعو إلى التَّسَامُح لثلة من الساسة والمفكرين الغربيين، وذكر بعض الأسماء التي تحمل اتجاهاً ضد التَّسَامُح.

المطلب الثاني

نقد التَّسَامُح في العلاقات الفردية

منذ أن دخل المستعمرون الغربيون البلاد الإسلامية حرصوا على إقامة علاقات اجتماعية تتسم بطابع الصداقة والمودة التي تستتبع تبادل زيارات

---

(١) جون فول: رئيس قسم التاريخ بجامعة نيوها مبشاير، له مؤلفات منها (الاستمرار والتغيير في العالم الحديث) وكتب مقالات عديدة عن الإسلام في السودان وفي العالم الحديث. انظر: المرجع السابق، ص١١.

(٢) فرانسو بورغا: باحث فرنسي مشهور، له كتاب (الصحوة الإسلامية تجاهنا).

(٣) صموئيل هنتنغتون: أستاذ نظم الحكومات ومدير معهد ألن للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد، عمل في البيت الأبيض عام ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م كمنسق للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي، وله عدد من الكتب والمساهمات الفكرية فمن كتبه: النظام السياسي في المجتمعات المتغيرة. اشتهر لمقالته الشهيرة (الصدام بين الحضارات) المنشورة في دورية «فورين أفيرز Foreign Affairs, Summer, 1993». انظر: الندوات الثقافية، ص١٧٢، وصدام الحضارات، ص٧.

(٤) بريان بيدهام: صحفي في مجلة الإيكونوميست، تعمق في دراسة نظرية هنتينغتون (صدام الحضارات).

(٥) مارتن أنديك: المدير التنفيذي لمعهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى والمدير العام لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في مجلس الأمن القومي الأميريكي، له عناية كبيرة بشؤون الشرق الأوسط. انظر: صدام الحضارات، مجموعة من المؤلفين الغربيين والمسلمين، ص٩.

(٦) دانيال بايبس: يعمل بمركز بيجن، السادات الاستراتيجي.

عائلية، وجلسات فكاهة وسمر وأكل وشرب، ورحلات متنوعة[1].

فقد كان كثير من الغربيين يقومون بالأعمال الاجتماعية ويتظاهرون بها رئاء الناس ويقولون: "إنها أعمال الغرب المتقدم المتحضر في الشرق المتأخر، وإنها نعمة مسيحية بين مسلمين متقهقرين"[2].

وما قيام هؤلاء الغربيين بإرسال مجموعة من أبناء المسلمين إلى بلادهم للإطِّلاَعِ على العادات الغربية وتقاليدهم إلا من أجل تكوين جيل متغرب يخدم مصالحهم عبر العلاقات الاجتماعية المزعومة.

وكذلك الشأن بالألعاب الرياضية وتشجيع التَّسَامُح في ميادينها، فهم يرغبون من خلال لعبة كرة القدم معاً (اليهود والنصارى والمسلمون) مثلاً أن يوجدوا جواً اجتماعياً جديداً فيه من ضروب التَّسَامُح والتعاون بين الغرب والإسلام ما يساعدهم في حل مشكلاتهم الحاضرة[3]. فالغرب لا يجري مثل هذه العلاقات الاجتماعية ـ كما مر معنا ـ حباً لنا لكي تكون الصلات بيننا أوثق والحياة عندنا أكثر فائدة وأكثر مرحاً؛ بل ليتوصل منها إلى تمييع العلاقة الشرعية الصحيحة.

ومن الإنصاف أقول: إن موقف رجالات الغرب في علاقاتهم مع المسلمين تتفاوت بين التعصب والتَّسَامُح والانطواء والعزلة التامة، والذي يهمني إيضاحه هو الأولان منهما.

فمثال التَّسَامُح المقبول: قيام مجموعة من كبار مفكري ألمانيا وأساتذتها بتوقيع العرائض التي تطالب الحكومة الألمانية بالتدخل في قضية البوسنة والهرسك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فيها[4].

ومثال التعصب الممقوت: نظرة الكراهية الشديدة والعامة إلى الإسلام

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، ص٣٠٨.

(٢) التبشير والاستعمار، ص١٩٥ (بتصرف).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٤) انظر: الحوار دائماً، ص٧٧.

والمسلمين التي يوجهها رجال الدين ومفكروهم ومنظروهم وإعلاميوهم.

وأورد كلاماً لبعض الغربيين أنفسهم ـ حول نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين ـ.

١ ـ يقول الأمير تشارلز: ''ونتيجة لنظرتنا إلى تاريخنا في الغرب، فإن الإسلام غالباً ما يعتبر تهديداً، أي كفاتح عسكري في العصور الوسطى وكمصدر لعدم التَّسَامُح والتطرف والإرهاب في العصر الحديث...، فموقفنا من الإسلام ما يزال يعاني حتى الآن، لأن أسلوب فهمنا له اختطه التطرف والسطحيات، فكثيرون منا في الغرب ينظرون إلى الإسلام بمنظار الحرب الأهلية المأساوية في لبنان وأعمال القتل والتفجير!''(١).

٢ ـ ويقول ميتشال رونار(٢): ''بأن الكراهية للإسلام في فرنسا لا يبررها ديناميكية الدين الإسلامي، ولا وجود جالية مسلمة مقيمة على أرضها، وإنما تعود إلى ضغينة كاثوليكية جد قديمة!''(٣).

وهناك حقيقة ينبغي إيضاحها في معرض النقد لمجالات التَّسَامُح في الغرب هي: ''أن السطحية والمعالجة النمطية والتاريخ والتعصب الديني والفكري (Fanaticism) تعمي بصيرة أكثر الناس اعتدالاً وتعقلاً في الغرب عندما يتعاملون مع العالمين العربي والإسلامي، وبالطبع يمكن إثارة تعليقات مشابهة بالنسبة لتعامل بعض المسلمين مع الغرب''(٤).

فهذا جاك كلودبارو ـ رئيس مكتب الهجرة الدولية بفرنسا ـ يعلن في

---

(١) الإسلام والغرب، محاضرة، ص١٣ ـ ١٤.

(٢) ميتشال رونار: أستاذ العلوم السياسية وأحد المسؤولين في إذاعة المغرب العربي في باريس. انظر: مجلة المجتمع، العدد ١١٢٦ (١٩/٦/١٤١٥هـ الموافق ٢٢/١١/١٩٩٤م)، ص٣٣.

(٣) «الإسلام والغرب: المخاوف والواقع» لمحمد الغمقي، المرجع السابق.

(٤) «نظرة الغرب الخاطئة للعالم الإسلامي» لجون اسبوزيتو، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٥، مرجع سابق، ص٤٢ (بتصرف).

مقابلة صحفية: "إن الديانة الإسلامية هي الأكثر انغلاقاً وتشدداً بين الديانات، ومن ثم فهو يشترط على المهاجرين من المسلمين أن يتخلوا عن الإسلام كشرط لاستيعابهم في المجتمع الفرنسي"[١].

"فليس ثمة ما يشير إلى تغيير في استراتيجيات الغرب تجاه الإسلام. . .، ورغم وضوح التنظير الغربي المعادي للإسلام، فإن الجهل المعرفي الذي يتميز به المواطن الغربي عن العالم الإسلامي يجعل مهمة الإعلام والتنظير المعادي سهلة، ليظل الوعي الغربي ـ الأوروبي خاصة ـ محكوماً بعقدة الحروب الصليبية"[٢].

وكذلك نجد الإعلام الغربي يدعو إلى عدم التفريق بين الإسلام الدين والمسلمين الأفراد المتمسكين به، فكلاهما في نظره وجهان لعملة واحدة[٣].

---

(١) الإسلام وأمريكا، ص٤٩ ـ ٥٠.

(٢) «حوار مع الدكتور يوسف القرضاوي حول الإسلام والغرب» لحسن دبا، مجلة المجتمع، العدد ١١٧١ (٢٢/٥/١٤١٦هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٩٥م)، ص٢٠.

(٣) انظر: (مجلة الإندبندنت اللندنية ٤/٨/١٤١٥هـ الموافق ٦/١/١٩٩٥م)، عن: مجلة المجتمع، العدد ١١٤٥، مرجع سابق، ص٣٩.

المبحث الثاني
التَّسَامُح في العلاقات الدولية ونقدها

أتناول الحديث عن التَّسَامُح في العلاقات الدولية في ضوء المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التَّسَامُح في العلاقات الدولية.

المطلب الثاني: نقد التَّسَامُح في العلاقات الدولية.



المطلب الأول
التَّسَامُح في العلاقات الدولية

تبدو العلاقات الدولية في القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) أكثر وضوحاً وتسجيلاً وتوثيقاً - بشكل عام - سواء بين الدول الغربية بعضها مع بعض من ناحية، أو بين الدول الإسلامية بعضها مع بعض من ناحية ثانية، أو بين الدول الغربية والدول الإسلامية - بشكل خاص - وهو ما أنا بصدد إلقاء الضوء عليه.

فالغرب كان ينظر إلى العالم الإسلامي - دوما - على أنه عدو لدود، وقد كان يبيح لنفسه أن يتخذ مع هذا العالم الأسلوب الذي يروق له كما في عهود الاستعمار.

ولهذا فقد ظلت العلاقات بينهما مشوبة بالحذر ومحفوفة بالارتياب،

ولكن ما شهده ويشهده العالم المعاصر من تطورات وأحداث تنعكس على مصالح الدول الغربية الاستراتيجية دعاها إلى التفكير في عقد علاقات جديدة مع العالم الإسلامي رافعة شعار التَّسَامُح.

فقد قام الغرب بدعوة الدول الإسلامية إلى الالتحاق بالركب الحضاري الغربي والاندماج فيه، وأن الحضارة الغربية حضارة عظيمة ويجب أن تسود العالم، أو أنه لا أمل ولا فرصة للمواجهة، ومن الأفضل التعايش السلمي والتَّسَامُح في تبادل العلاقات في شتى المجالات.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الدول الغربية في علاقاتها مع الدول الإسلامية تتفاوت بين مد وجزر من دولة وأخرى، فهناك دول تهتم بإجراء علاقات وطيدة مع الدول الإسلامية، وهناك دول أخرى تظهر أموراً وتبطن أخرى!

وقد تزعمت الولايات المتحدة الأمريكية العالم الغربي في مجال العلاقات الدولية مع سائر العالم بوجه عام، والعالم الإسلامي بوجه خاص ـ عبر ما يسمى بالنظام الدولي الجديد ـ وهو ما يؤكده رجال الساسة ومفكروها ومن أولئك جون اسبوزيتو الذي يقول: "إن السياسة الأمريكية يجب عليها ـ باختصار ـ أن تنفذ في إطار الاعتراف بالاختلافات الأيديولوجية بين الغرب والإسلام والتعامل معها إلى أقصى حد ممكن من منطلق القبول أو على أقل تقدير من منطلق التَّسَامُح"(١).

ـ ويقول دجيريجيان: "إن الولايات المتحدة لديها علاقات مثمرة مع دول وشعوب من جميع الأديان في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك دول عديدة تستند أنظمة حكمها استناداً راسخاً إلى المبادئ الإسلامية. . .، إن الحرية الدينية والتَّسَامُح هما عنصران أساسيان في شخصيتنا الأمريكية القومية ونظامنا الدستوري. وفي الواقع إن الشعب الأمريكي يدرك ـ ربما أكثر من

(١) The Islamic Threat, P.209 نقلاً عن: «الإسلام والغرب» لأحمد يوسف، مجلة المجتمع، العدد ١١٧٧ (٦/٧/١٤١٦هـ الموافق ٢٨/١١/١٩٩٥م)، ص٤٩.

أي مجتمع آخر ـ معنى التنوع وفضائل التَّسَامُح''[1].

لذا فإن دجيريجيان يؤكد على ضرورة بناء علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع الإسلام على قواعد جديدة (أساس التَّسَامُح) في قوله: ''ربما أن الولايات المتحدة قد عبرت عن استعدادها للتعامل مع الإسلام السياسي[2] بصورة بناءة إلا أنها تواجه تحدياً كبيراً في وضع السياسات والبرامج تجاه الأقطار الإسلامية. ورغم ذلك فإن هذا التحدي الخاص بتطوير السياسات يمكن التعامل معه بصورة مؤثرة إيجابياً إذا ما أشبع واضعو السياسة عدة استراتيجيات منها:

ـ أن نوضح بجلاء التزامنا بالقيم الأساسية التي تمثلها هذه البلاد ـ أي أمريكا ـ مثل المشاركة الشعبية، والتعددية، والحلول الناتجة عن التنازل المشترك، واحترام حقوق الإنسان وحرية التعبير والفكر.

ـ دعوة العلماء المسلمين لزيارة الولايات المتحدة حتى يروا كيف تعيش المجتمعات الإسلامية وتنمو في مقابل التعددية الأمريكية.

ـ إيقاف الحديث عن الديموقراطية خاصة، وقد نظر إليها في الأقطار الإسلامية باعتبارها مفهوماً غربياً، وعليه فهي أجنبية، وبدلاً عن ذلك يمكن استخدام تعبير (المشاركة في صناعة القرار) وهو تعبير يستخدم بصورة أوسع عند المثقفين المسلمين.

ـ التركيز على المسائل المشتركة والقيم التي توحد الإسلام والمسيحية، وتفادي العوامل التي تفرق.

وهكذا بتبني هذه السياسات؛ سنجد أنفسنا في طريق حقيقي لنظام عالمي جديد..''[3].

---

(١) أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم، ص١٥٩، وانظر: مجلة المجال، العدد ٢٧٩ (١٤١٥هـ) (تموز ـ يوليو ١٩٩٤م)، ص٥.

(٢) مع عدم الموافقة على هذا المصطلح، وإن كان المقصود هو العلاقات الدولية.

(٣) Baltimore Sun-July 7. 1992: نقلاً عن: «مجلة شؤون الشرق الأوسط»، مقال، لأميل نخلة، العدد الأول، (صيف ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م)، ص٢٠٢ ـ ٢٠٦ (بتصرف).

والجدير بالذكر أن هناك زعماء لبعض الدول الغربية الكبرى وساستها نظروا إلى الإسلام نظرة احترام وتقدير، ونادوا بعقد علاقات جديدة مع العالم الإسلامي مبنية على التَّسَامُح؛ فمن هؤلاء:

- الرئيس الأمريكي الحالي بيل كلينتون الذي قال: "إن أمريكا تتفهم الإسلام دين السلام وتحترم العالم الإسلامي"(١).

- والرئيس الأسبق لأمريكا جيمي كارتر(٢) فيقول: "إن الإسلام لا يمثل خطراً على الغرب، وإن الذين يصورونه بأنه خطر غير منصفين"(٣).

- وهذا الرئيس الأسبق لفرنسا الجنرال ديغول(٤) يبدي رغبته في توطيد علاقات بلاده بالعالم العربي والإسلامي فيقول: "أعتقد أن اتصالنا بالمجتمعات العربية والإسلامية التي حافظت على تلك الروح الإنسانية التي فقدناها، سينقذنا من مغبات حضارتنا وسيكون مفيداً لنا جداً، ولهذا فإنني أحرص على تحسين علاقات فرنسا وتوثيقها بالعالم العربي والإسلامي"(٥).

- وهذا الرئيس السابق لفرنسا ميتران(٦) يعلن بعد احتفال فرنسا بعيدها المئوي الثاني (عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م): "إن فرنسا وصلت إلى عتبة

---

(١) «كلام معقول ومسؤول» لزين العابدين الركابي، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٦٨١، (٩/ ١/ ١٤١٥هـ الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٩٤م)، ص٧.

(٢) جيمي كارتر (Carter): ولد في (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م)، تولى رئاسة أمريكا في الفترة من (١٣٩٧ ـ ١٤٠١هـ/ ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠م). انظر: المنجد في الأعلام، ص٤٤٩.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، عدد ٥٦٨١، (مرجع سابق).

(٤) ديغول (شارل) (De Gaulle): ولد (١٣١٠ ـ ١٣٩٠هـ/ ١٨٩٠ ـ ١٩٧٠م)، الرئيس الأسبق لفرنسا. انظر: المنجد في الأعلام، ص٢٥٤.

(٥) المسلمون والبديل الحضاري، د. طه جابر العلواني، ص١٤.

(٦) ميتران (فرانسو) (Mitterrand): (١٣٣٦ ـ ١٤١٦هـ/ ١٩١٦ ـ ١٩٩٥م)، أمين عام الحزب الاشتراكي ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، ثم أصبح رئيساً لفرنسا عام ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٦١.

التَّسَامُح بخصوص موضوع الهجرة[1]"[2]. ويقصد بذلك إقامة المسلمين.

- ويقول الرئيس الحالي لفرنسا جاك شيراك: "إن فرنسا مصممة على تقوية علاقات الصداقة والتعاون مع العالم العربي والإسلامي، وإن الاعتراف الرسمي بالإسلام في فرنسا يترجم القيم التي تتمسك بها جمهوريتنا، وهي قيم مؤسسة على حرية الاعتقاد، وهذا ما يتمتع به ما يزيد عن أربعة ملايين مسلم يقيمون على أرض الوطن"[3].

- ويقول آل غور[4] عن علاقة أمريكا بالإسلام: "إن الولايات المتحدة الأمريكية تحترم الإسلام وتقدره فهو دين عظيم يدعو إلى السلام والعدالة والمحبة والتَّسَامُح والتعايش"[5].

- ويقول نيكسون - وهو أحد منظري العلاقات الدولية الحديثة -: "قليل من الأمريكيين يدركون مدى عراقة العالم الإسلامي. إنهم يذكرون فقط أن سيوف محمد[6] وأتباعه هي السبب في انتشار الدين الإسلامي في أفريقيا وآسيا وحتى أوروبا.. لقد تناسى هؤلاء أن الإسلام لا يقر الإرهاب وأنه لم تمض إلا ثلاثة قرون منذ آخر حرب دينية في أوروبا.. وبينما نطور سياستنا لنتعامل مع العالم الإسلامي علينا ألا نفرض عليهم آراءنا أو مفاهيمنا"[7].

- وينتقد بيليترو[8] النظرة السائدة في الغرب عن الإسلام، وأنه البديل

---

(١) الصواب أن يقال الانتقال.
(٢) وجاء الدور على الإسلام لرضا محمد العراقي، ص٢٠٥.
(٣) مجلة الرابطة، العدد ٣٦٨، السنة ٣٣ (جمادى الآخرة ١٤١٦هـ - نوفمبر ١٩٩٥م)، ص٦.
(٤) آل غور: نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
(٥) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٦٨١، مرجع سابق، ص٧.
(٦) ﷺ.
(٧) المرجع السابق.
(٨) روبرت بيليترو: مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

للعداوة الشيوعية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي فيقول: "إن سياسة الولايات المتحدة تعارض بحزم التعصب والتطرف، سواء كان دينياً أو علمانياً في طبيعته. إننا نعارض بحزم أولئك الذين يحرضون على عدم التَّسَامُح وانتهاك حقوق الإنسان، أو يسعون إلى فرض مشيئتهم على الآخرين بالعنف"(١). ويذكر ـ أيضاً: ـ: بأنه وكريستوفر وآخرين من الناطقين باسم الحكومة ينظرون: "إلى الإسلام باحترام كبير، فالإسلام هو إحدى الحركات(٢) الحضارية في التاريخ التي أغنت حضارتنا نحن. . .، فليس هناك أي معركة بين الإسلام وبين حكومتنا، فنحن نحترم الإسلام على أنه واحد من أعظم الأديان في العالم، ومن هنا فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعتبر الإسلام الأيديولوجية التالية للشيوعية التي تقف في مواجهة الغرب أو تهدد السلام العالمي"(٣).

ـ وقد دافع الرئيس الألماني رومان هيرتزوج عن أستاذة ألمانية ماري شيميل، حينما ناقشت الكاتب البريطاني الهندي سلمان رشدي، ومنحها جائزة لدورها في مد الجسور بين المسلمين والمسيحيين(٤)، وقال هيرتزوج: "لن نستطيع العيش معاً إذا لم نتبادل أطراف الحديث وعرفنا بعضنا بعضاً وأحسنا العلاقة بالإسلام والمسلمين"(٥).

المطلب الثاني
نقد التَّسَامُح في العلاقات الدولية

ينبغي علينا أولاً أن ندرك حقيقة مهمة ألا وهي أن العلاقات الدولية

---

(١) «وثيقة: خطاب بيليترو في ٢٠/٩/١٤١٤هـ الموافق ٢/٣/١٩٩٤م» مجلة المجال، العدد ٢٧٦ (نيسان ـ إبريل ١٩٩٤م) (غير مرقمة).

(٢) مع مخالفتنا لهذا المصطلح والصواب الأديان.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٦٨١، مرجع سابق، ص٧.

(٤) ذكرت المسيحيين على لسانه، وإلا الصواب النصارى.

(٥) «الرئيس الألماني يكرم أستاذة هاجمت سلمان رشدي» مجلة الرابطة، العدد ٣٦٩، مرجع سابق، ص٣٤ (بتصرف يسير).

في العصر الحاضر أصبحت شائكة ومعقدة، ولا سيما بين الدول الغربية والدول الإسلامية، فنجد الغرب تارة يتجه نحو الخداع والمجاملة، وتارة نحو القوة والهيمنة.

''ومن المعلوم أن العلاقات الدولية تسيطر عليها ثلاثة عوامل:

العامل الأول: المصلحة الخاصة، وهذا هو القانون الأصلي في هذه العلاقات الذي تغذيه عوامل الأنانية وتزكيه عوامل الغدر والحقد الذي اتسمت بها السياسة الدولية منذ عهد ماكيافيللي ـ انطلاقاً من أن الغاية تبرر الوسيلة ـ.

العامل الثاني: عامل السيادة، وهو قانون الدول القوية التي تحولت إلى كبرياء وتعال، حتى ربما تشن الحرب على من يخالفها في آرائها.

العامل الثالث: ضغط الظروف وتقبل الواقع، وهو قانون الدول الضعيفة التي لا حيلة لها''(١).

فلو تأملنا عداء الغرب (الأوروبي والأمريكي) للعالم الإسلامي لوجدناه عداء قديماً حديثاً ـ كما مر معنا ـ وأنقل هنا وجهة نظر غربية شاهدة على ذلكم العداء!

ـ تفسر شيرين هنتر(٢) أسباب تجدد عداء الغرب للإسلام والمسلمين بقولها:

''لقد عاش العالم الإسلامي على مدى المائتي عام الماضية عيشة سلبية يستقبل مؤثرات الثقافة الأجنبية التي انتشر بعضها على أنه جزء من التوسع الاستعماري..، إلا أنه خلال العقدين الماضيين بدأ هناك نمو واضح في الوعي الثقافي الإسلامي، وقام كثير من المسلمين بالارتياب من

---

(١) مصنفة النظم الإسلامية، ص٣٢٧ (بتصرف).

(٢) شيرين هنتر: نائبة مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن، ومؤلفة كتاب: النزعات السياسية في الإسلام (Politics Of Islamic Revivalism).

محاولات التبني الكامل للقيم والنظم الأجنبية المصدرة إلى الدول الإسلامية، وحرص بعض المسلمين المقيمين في الدول الغربية على ارتداء اللباس الإسلامي المحتشم..، فقامت الدنيا في فرنسا وتدخلت الحكومة في منع بعض الطالبات المسلمات من تغطية رؤوسهن. فعلى إثر هذه الحادثة أظهرت النوبة الحادة من الغرب، حدود التَّسَامُح الذي يمكن أن تسمح به الدول الغربية في التعامل مع الذين يرفضون الذوبان الكامل"[1].

ـ وبالنسبة إلى مقولات الزعماء والمسؤولين الغربيين[2]، فمنهم من يدعو إلى التَّسَامُح، ومنهم من في ظاهر قوله التَّسَامُح وله أهداف من وراء ذلك! ومنهم من يناقض قوله فعله!

ـ فأين ما أعلنه رئيس فرنسا ميتران في الاحتفال المئوي الثاني، بأن فرنسا وصلت إلى عتبة التَّسَامُح في منح المسلمين الحرية، ويقاس على ذلك ما ذكره جاك شيراك من تمتع المسلمين بالحرية[3].

والواقع خلاف ما يقولانه، فمشكلة الجاليات المسلمة أي قضية وجود المسلمين في فرنسا تحتل المكانة الثانية بعد البطالة، وقد ضُيق على الجاليات المسلمة أيما تضييق، واتخذت تدابير قانونية عديدة ضدهم[4].

---

(١) «المهاجرون المسلمون ومقاومة الذوبان في المجتمع الأمريكي» لفيصل أحمد، مجلة المجتمع، العدد ١١٦٠ (٤/٤/١٤١٦هـ الموافق ١/٨/١٩٩٥م)، ص٢٣ (بتصرف)، وانظر: «فرنسا معركة مع الحجاب أم مع الإسلام» لمحمد الناكوع، جريدة (المسلمون) السنة العاشرة، العدد ٥٠٨ (٢٣/٥/١٣١٥هـ الموافق ٢٨/١٠/١٩٩٤م)، ص٧.

(٢) يراجع ص٢٦٢.

(٣) يراجع ص٢٦٥.

(٤) انظر: «أبعاد حملة كلينتون ـ كريستوفر ضد العرب والمسلمين في أمريكا» لمحمد دلبح، مجلة المجتمع، العدد ١١٣٧ (٨/٩/١٤١٥هـ الموافق ٧/٢/١٩٩٥م)، ص٣٨ ـ ٤٠، و«بريطانيا تتجه لتقليص فرص الحصول على اللجوء السياسي» لهشام العوضي، المجلة نفسها، العدد ١١٧٧ (١٢/٧/١٤١٦هـ الموافق ٢٨/١١/١٩٩٥م)، ص٥٢.

ومن الإنصاف أوضح: "بأن موضوع الحجاب قد أثير أيضاً في إحدى المدارس البريطانية وبصورة جزئية حيث طلب من الفتيات المسلمات عدم ارتداء الحجاب في أثناء وجودهن بالمعامل، وقد حسم الموضوع في بريطانية بسرعة، وسمح للطالبات المسلمات بالحجاب في أي مكان"[1].

ـ وقد نقلت وكالة رويتر عن أحد أعضاء البرلمان في ولاية بادن فورتمبرج الألمانية عن الحزب الجمهوري قوله: "على المساجد أن ترحل من ألمانيا"[2].

ـ وأما بخصوص ما رفعه الغرب من أهمية الالتحاق بالركب الحضاري الغربي والاندماج في الحضارة الغربية.

فإنهم يهدفون من ذلك أن نتخلى عن ديننا وحضارتنا وقيمنا، أو على الأقل قصر علاقتنا به على العبادة الفردية والضمير، ولقد بذل الغرب شتى الطرق لإخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النصرانية ولكنه فشل إلى حد ما، من ثم غير سياسته إلى إِلْهَاء المسلمين عن دينهم باسم التطور والحضارة..، كما حاول أن يقف أمام انتشار المد الإسلامي في بلاد الغرب فاتهمهم بالإرهاب والتطرف والأصولية وغير ذلك.

كما أن تلك الدول الداعية إلى الاندماج في حضارتها لن تقبل منا الاندماج التام بها بأن نصبح جزءاً منها نستمتع بنفس الحقوق الحضارية التي يستمتع بها شعوبها؛ بل إنهم يعنون بالاندماج أن تظل الدول الإسلامية تابعة لهم في مصالحهم، وأن تظل مجالاً للنهب دون مقاومة. ففرنسا مثلاً التي أدمجت الجزائر فيها وجعلتها جزءاً منها ـ كما ادعت ذلك ـ لم تقبل أن تعطي الجنسية الفرنسية للجزائريين، ولم تقبل أن يكون لهم نفس حقوق الانتخاب التي للفرنسي![3].

---

(١) جريدة: (المسلمون)، العدد ٥٠٨، (مرجع سابق) ص٧.

(٢) (جريدة الشرق الأوسط ١٢/ ٤/ ١٩٩٢م)، نقلاً عن: الإسلام وأمريكا، ص٥١.

(٣) انظر: الإسلام وأمريكا، ص٧٦.

ـ أما بالنسبة لما يقوله نيكسون فهو يناقض نفسه بكلام آخر: "إن المسلم غير متحضر ودموي، وبعض الحكام المسلمين يسيطرون بالمصادفة على ثلثي بترول العالم، وأنهم قاموا بثلاثة حروب لمحو إسرائيل من الوجود، واحتجزوا الرهائن في إيران، وقام بعض الإرهابيين منهم بالهجوم على القرية الأولمبية، وقاموا بنصب مذابح لبنان وتفجير الطائرات بعد خطفها، وغزو الكويت الذي قام به صدام حسين تشبهاً بهتلر[(١)]"[(٢)].

كما أننا نجد التناقض بين كلام نيكسون وكلام دجيريجيان وبيليترو وَكِريستُوفَر وآخرين.

فنيكسون يصرح بحقيقة العداء نحو العالم الإسلامي، وذلك انطلاقاً من سياسة القوة والهيمنة والحقد الصليبي تجاه المسلمين.

أما دجيريجيان وبيليترو وكريستوفر وآخرون، فيؤكدون إجراء علاقات جديدة مع العالم الإسلامي، وينظرون إلى الإسلام نظرة إنصاف واحترام.

ـ وعموماً؛ فمن العدل الذي أمرنا الإسلام به أقول: لا يصح أن نعمم نظرتنا إلى الدول الغربية وندعي أنها جميعها تكن العداء البارز تجاه الدول الإسلامية؛ بَلْ يوجد المنصفون، وأقوال هؤلاء الزعماء والساسة تدل في ظاهرها على التعقل والإنصاف ـ إلى حد ما ـ.

"ويستبعد بمنهج تحليل المقولات السابقة، ومنطق تعدد القائلين، واختلاف مواقعهم وانتماءاتهم الحزبية أن تكون عفوية، أو مصادفة أو ارتجالاً. . .، وإن ما قاله أولئك الغربيون معقول ومسؤول. ونحن المسلمين نرحب به ونقدره، ونأمل أن يدخل في نسيج السياسات والاستراتيجيات التي يتوجه بها الغرب نحو العالم الإسلامي"[(٣)].

---

(١) هتلر أدولف (HITLER ADOLF): (١٣٠٦ ـ ١٣٦٥هـ الموافق ١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) زعيم ألمانيا النازية، أدت سياسته التوسعية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية، ثم انتحر. انظر: المورد، معجم أعلام حرف H، ص٤٤.

(٢) الإسلام وأمريكا، ص٥١.

(٣) جريدة الشرق الأوسط، العدد ٥٦٨١، مرجع سابق، ص٧ (بتصرف).

ـ ولكن تبقى مسألة أن القرن العشرين قد تميز بقيام الدول الغربية بتحقيق التَّسَامُح في علاقاتها مع بعضها ـ إلى حد كبير ـ وأما مع الدول الإسلامية فهي لا تتسامح معها؛ بل تطمح من وراء دعوى التَّسَامُح في تحقيق أهداف متعددة سواء (الأهداف العقدية والأهداف الثقافية والأهداف الاجتماعية والأهداف السياسية والأهداف الاقتصادية) ـ كما مر معنا[١] ـ ولهذا فالحذر مطلوب.

ـ وما قيام ما يسمى بالنظام الدولي الجديد إلا وسيلة لفرض وجهة النظر الغربية على العالم وتهميش دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وتُولِي الإدارةُ الأمريكيةُ وحلفاؤُها إدارةَ شؤونِ العالم، وتكريس ازدواجية الكيل بمكيالين خاصة في قضايا المسلمين مثل: البوسنة والهرسك والصومال وكشمير والشيشان ومعاقبة ليبيا والعراق والسودان[٢].

ـ وأضرب مثالاً حياً لما يقع في البوسنة والهرسك من مجازر وحشية تهول لها النفوس والأفئدة، والدول الغربية ـ عموماً ـ غافلة ومتغافلة عما يجري.

ولنأخذ هذا الوصف على لسان رجل من الغرب أنفسهم وهو شفارتز ـ عضو الحزب الديمقراطي النصراني الحاكم في ألمانيا ـ الذي يروي بعض فظائع الصرب في البوسنة تحت عنوان (ذلك كله رأيته بعيني):

"رأيتُ طفلاً لا يتجاوز عمره ثلاثة أشهر مقطوع الأذنين، مجدوع الأنف!

رأيت صور الحبالى وقد بقرت بطونهن، ومثل بأجنتهن!

رأيت صور الشيوخ وقد ذبحوا من الوريد إلى الوريد!

---

(١) يراجع (الفصل الثاني من الباب الأول)، ص١٤٣ وما بعدها.

(٢) انظر: «عام ٩٤م إعادة صياغة العالم» جريدة اليوم، العدد ٧٨٦٦ (٢٦/٧/١٤١٥هـ الموافق ٢٨/١٢/١٩٩٤م)، ص٢٥، عن: (نيويورك تايمز، ١٤١٤هـ ـ ديسمبر ١٩٩٣م، والجاردينال البريطانية في ٢٠/٦/١٤١٥هـ الموافق ٢/١١/١٩٩٤م).

رأيت الكثيرات ممن هتكت أعراضهن، ومنهن من تحمل العار ولم يبق لولادته سوى أسابيع!

رأيت صوراً لمن ماتوا ولم يبق عليهم البرد القارس بعد أن أخطأتهم رصاصات الغدر الصربية!

رأيت صوراً لم أرها على أية شاشات تليفزيونية غربية أو شرقية، وأتحدى إن كانت عند هؤلاء الجرأة والشجاعة لبثها!

إن ما رأيته لن أنساه أبداً"[1].

ـ وأنوه أيضاً بمقولة روديغر: "إن موقف الغرب موقف ظالم لا إنسانية فيه"[2].

فأين التَّسَامُح في العلاقات الدولية وهذه أعمال الغربيين شاهدة عليهم!

والشيء الممكن في العلاقات الدولية بين الدول الغربية والدول الإسلامية، هو التَّسَامُح في تبادل العلاقات على أساس استقلال كل منهما، وعلى انفراد كل منهما بخصائصها الذاتية المتميزة دون أن تحاول السيطرة في ظلم الأخرى أو نهبها.

والإسلام بالطبع يرحب بالتَّسَامُح ويدعو إليه من خلال الإحسان والبرِّ والقِسْطِ، ولا يتنافى هذا مع النصوص الشرعية في النهي عن موالاة غير المسلمين كما مر معنا.

---

(١) نشرة: منظمة البر الدولية، إدارة الدراسات والإعلام (١٦/٧/١٤١٣هـ الموافق ١٠/١/١٩٩٣م)، نقلاً عن: دروس من محنة البوسنة والهرسك لمحمد قطب، ص١٠.

(٢) الحوار دائماً، ص٧٧.

المبحث الثالث

التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية[1] ونقدها

أتناول الحديث عن التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية في ضوء المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية.

المطلب الثاني: نقد التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية.



المطلب الأول

التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية

مما لا شك فيه أن العلمانية الغربية لم تلغ تماماً الجذور العقدية للمجتمع الغربي. فها هم اليهود يقولون: إننا أحفاد موسى، وهم يعتزون بعقيدتهم وعنصريتهم، ويتفاخرون بتمسكهم بنصوص التوراة وشروح التلمود.

والنصارى يقولون: إننا ورثة الثقافة الموسوية ـ المسيحية Juedeo Christian Heritage، ويفخرون بانتسابهم إلى النصرانية، ويعتزون بثقافتهم

---

(١) ارتأيتُ تسميتهما بالطوائف أخذاً بما جاء في كتاب الله: ﴿أن تقولوا إنما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾ [الأنعام: الآية ١٥٦].

اعتزازاً شديداً، ويتحدثون بنبرة قوية عما يسمونه بالحضارة النصرانية[1].

وأتناول مجالات التَّسَامُح لدى المؤسسات[2] المنبثقة من تلك الطائفتين:

١ ـ المؤسسات اليهودية Judaism.

٢ ـ المؤسسات النصرانية Christianity.

١ ـ المؤسسات اليهودية:

وأتناول المؤسسات الدينية اليهودية من خلال الآتي:

أ ـ الماسونية[3] Freemasonry:

تعتبر الماسونية إحدى المؤسسات الدينية اليهودية، وهي ذات صبغة اجتماعية هدفها الظاهر التعارف والتعاون والتَّسَامُح المتبادل.

---

(١) انظر: «الإسلام والغرب» د. أحمد يوسف، مجلة المجتمع، العدد ١١٧٢، (٢٩/٦/١٤١٦هـ الموافق ٢٤/١٠/١٩٩٥م)، ص٤٨، ورؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص٢٢، ٦٦.

(٢) المؤسسات: مفردها مؤسسة وهي جمعية أو معهد أو شركة أسست لغاية علمية أو خيرية أو اقتصادية، يقال: مؤسسة علمية ومؤسسة صناعية. انظر: المنجد مادة (أسّ)، ص١٠.

(٣) الماسونية: أي البناء الحر أو البناء الصادق، وجاء في الموسوعة الكبيرة بأنها: مؤسسة بشرية اجتماعية ذات رابطة أخوية متأثرة بجمعيات القرون الوسطى، وتباينت آراء المؤرخين والباحثين حول نشأة الماسونية، ورغم كثرة ما كتب عن الماسونية في أنحاء متفرقة من العالم إلا أن ما خفي منها يظل أخطر بكثير مما نشر، فهي من أقدم الجمعيات السرية اليهودية، التي ما زالت قائمة حتى عصرنا الراهن، ولكن منشأها غامض ومجهول، والأمر الذي أجمع عليه المؤرخون والكتّاب الذين تناولوها بأن الماسونية: هي المسلك السري للأهداف الصهيونية، ويقدر مجموع أعضائها عشرة ملايين شخص، يخترقون معظم الإدارات الحساسة (المهمة) في العالم، وهم مكرسون في أكثر من ثلاثين ألف نادي ماسوني في العالم، وتعتبر باريس بفرنسا الآن المقر الرئيس لهم. انظر: الماسونية لبول تودون، ترجمة: نعمان لقمان، ص١٣ ـ ١٤، والموسوعة الدولية لتشارلز فرانك جوتسرل، ص٤٠٩، والماسونية والماسونيون في الوطن العربي لحسين حمادة، ص١٣ ـ ١٦، و«الماسونية تنتعش من جديد» لأحمد منصور، مجلة المجتمع، العدد ١١١٨ (٢١/٣/١٤١٥هـ الموافق ٢٧/٩/١٩٩٤م)، ص٢٩.

جاء في دستور محفل الشرق الأعظم الفرنسي: ''إن الماسونية الحرة طريقة غرضها الجوهري محبة الإنسان، والحكمة والفلاح، والتعاضد والإصلاح المادي والأدبي والإتقان وعمل الخير ومن مبادئها التَّسَامُح وحرية الضمير''[1].

وجاء في تعريفها في موسوعة المفاهيم: ''بأن الفكر الماسوني يؤيد أهمية التَّسَامُح الديني والإيمان بالحرية والإخاء والمساواة''[2].

ويهدف الماسونيون من وراء رفع شعار التَّسَامُح، تعزيز روح التفاهم الدولي وحب السلام، وفي هذا يقول أحمد أبو شادي الأستاذ الأعظم الماسوني!: ''إن الماسونية تعمل لتخفيف ويلات الإنسانية، والدفاع عن حقوق الإنسان وبناء الأخلاق، والمناداة بالحق الإنساني، وتقرير سلطة الأمة، ونشر الفضائل وحب السلام ومنع الحروب، وإزالة الفوراق بين البشر''[3].

ويرى شاهين مكاريوس الأستاذ الأعظم الماسوني! أن الماسونية تدعو إلى التَّسَامُح من خلال وحدة الأديان حيث يقول: ''إن غاية الماسونية إبطال التحزب في الأديان والآراء الوطنية لتجعل من العالم كله عائلة واحدة لا فرق بين أعضائها ولا انفصال، ومن شأنها أن تصلح ما فسد من عقائد الأديان''[4].

ومن المعلوم أن أهداف الماسونية منها المعلن وأكثرها السري، ولذلك تكمن خطورتها في إخفاء أهدافها، وفي هذا يقول ستيفن نايت في كتابه عن الحركة الماسونية، بأنها ديانة جديدة تحرص على السرية التامة

---

(١) الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية لمحمد فهيم أمين، ص٩٢.

(٢) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية، د. عبد الوهاب المسيري، ص٣٥٢.

(٣) الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية، ص٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص٩٧ (بتصرف).

خوفاً من إثارة المؤسسات الدينية الأخرى ضدها[١].

ولهذا فقد دأبت الماسونية بعد انتشار بروتوكولات حكماء صهيون ومخططات اليهود، على إيجاد واجهات تختفي خلفها، وتصطاد الأنصار من خلالها، كأندية الروتاري والليونز وغيرهما[٢].

الصهيونية[٣] Zionism :

بالرجوع إلى مصادر الصهيونية الرئيسة: التوراة، والتلمود، ومحاضر زعماء صهيون (بروتوكولات[٤] حكماء[٥] صهيون[٦]) يمكن أن أقرر - في حدود ما اطلعت عليه - حقيقة مهمة وهو أن الصهيونية لا تعترف بالتَّسَامُح

---

(١) انظر: «النشاط الماسوني تربة صالحة للجواسيس»، رسالة لندن، جريدة الجزيرة السعودية، العدد ٤١٤١ (الاثنين ٢٦/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ٣٠/ ١/ ١٩٩٤م)، ص٢٥.

(٢) انظر: الماسونية واليهود والتوراة، ص٦٩.

(٣) الصهيونية: كلمة اشتقت من لفظ صهيون الجبل الذي يقع في جنوب بيت المقدس. وقد ورد ذكره في التوراة - العهد القديم - ويقصد بالصهيونية: الحركة اليهودية التي تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود، فهي حركة سياسية عنصرية أحيت فكرة أرض الميعاد، وإقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين بحجة الحقوق التاريخية لليهود في تلك الأرض. انظر: خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، ص١٥٦ - ١٥٧، واليهودية والصهيونية، د. أحمد عبد الغفور عطار، ص٨ - ٩، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٨ - ٥٩، والصهيونية وخطرها على البشرية، ص١١ - ١٤.

(٤) البروتوكول (Protocol): مصطلح أجنبي يعني المسوَّدَة الأصلية، ويطلق على محاضر مؤتمر سياسي. انظر: المورد حرف P، ص٧٣٣. وهو عبارة عن ترجمة (المؤتمر الصهيوني الأول) المعقود في سويسرا عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م. وشاعت التسمية بالبروتوكول والأولى أن نستعمل مصطلح عربي: محضر والجمع محاضر.

(٥) حكماء والأفضل أن نطلق زعماء، لأن نعت اليهود بالحكماء لا يلائم حالهم الخبيث، وقد سماهم الله في كتابه بالسفه ﴿سَيَقُولُ السفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢].

(٦) تزعم الدعاية الصهيونية بأن هذا الكتاب مزور وملفق. انظر: الخطر اليهودي، ص٣٥. وهو عبارة عن ترجمة (المؤتمر الصهيوني الأول) المعقود في سويسرا عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٧م.

في مجال علاقاتها مع غير اليهود[١].

"ويظن الكثيرون أن الصهيونية تختلف كثيراً عن اليهودية، والحقيقة أنهما شيء واحد فالصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره. ولا يوجد يهودي واحد يعارض الصهيونية وأهدافها التي ترمي إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة يهودية خالصة، واليهود الذين يتظاهرون اليوم بأنهم يختلفون مع الصهيونية ويعارضونها إنما يفعلون ذلك بناء على خطة مرسومة"[٢].

ولا أدل على ذلك من اعتراف هرتسل في كتابه الدولة اليهودية قائلاً:

"نحن اليهود حينما نغرق نتحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينما ننهض تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مَالِ العالم في بنوك اليهود"[٣].

والصهيونية هي اليهودية العنيفة الطاغية الظالمة، ولذلك نجد الصهاينة اليهود يلجؤون إلى الحروب والقوة من أجل القضاء على الأمميين من غير اليهود[٤].

---

(١) ما عدا كلام نقله عبد الله التل في كتابه: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص١٧١: «إن خطباءنا سيباشرون مهمة تفسير المشكلات الكبرى وتأويلها حسب هوانا، تلك المشكلات التي قلبت الإنسانية رأساً على عقب، تأويلاً تخضع منه الإنسانية إلى حكمنا الصالح المتسامح» وقد أسنده إلى محاضرهم (بروتوكولاتهم) مترجم عن اللغة الإنجليزية، وبالبحث والتنقيب في بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، لم أجد ذلك النص. والحقيقة هذا ادعاء منهم بالتَّسَامُح من أجل خداع العالم في سبيل تحقيق دولة اليهود الكبرى. وقد تناقشت عدة مرات مع الدكتور أحمد الزغيبي ـ الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية ـ الذي بحث في رسالة الماجستير: الفكر الصهيوني وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر. والدكتوراه: آثار العنصرية اليهودية في المجتمع الإسلامي والموقف منها. فأفادني: بأن الصهيونية تنطلق من العنصرية والقوة والاستعلاء بشكل عام. لقاء مع فضيلته في يوم الاثنين ٢٢/١١/١٤١٦هـ في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض.

(٢) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص١٧١.

(٣) الأفعى اليهودية لعبد الله التل، ص٣٠.

(٤) انظر: المراجع السابقة، والصهيونية وخطرها على البشرية، ص١٤٦، وبروتوكولات صهيون من التنظير إلى التدمير، ص١٨.

المؤسسات النصرانية:

قامت المؤسسات النصرانية بفرقها الثلاث المشهورة: (الكاثوليك(١) Catholic، والأرثوذكس(٢) Orthodox، والبروتستانت(٣) Protestant) بالتركيز على التَّسَامُح في علاقاتها تجاه المسلمين في الوقت الحاضر.

وتمتاز هذه المؤسسات الدينية بأمور عديدة ساعدتها على تحقيق أهدافها منها:

- تجربة أسلافهم رجال الدين(٤).

---

(١) الكاثوليك Catholic: أتباع الكنيسة الكاثوليكية العامة، وهي أقدم الطوائف النصرانية وأكبرها (وتدعى أم الكنائس ومعلمتها) ومركزها في روما بإيطاليا ـ مقر دولة الفاتيكان ومركز البابوية العالمية ـ حيث يقوم البابا بمساعدة وكلائه من الكرادلة بإدارة شؤون الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عن طريق الكيوريا وهي الإدارة البابوية وتشبه الوزارات في الحكومات المدنية، وأكثر انتشارها ـ حالياً ـ في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال.

انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٤٨٩ ـ ١٤٩٠)، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص١١، ١٧.

(٢) الأرثوذكس Orthodox: وهم أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وهي كنيسة الروم الشرقية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان، كما يوجد منهم في الحبشة ومصر والشام وغيرها. وكان مركزها الأصلي القسطنطينية، وانفصلت عام (٤٤٦هـ ـ ١٠٥٤م) عن الكنيسة الكاثوليكية. والآن ليس لها مركز معين، ومجموعاتها الرئيسة أربع: (بطريركية إستانبول، وبطريركية الإسكندرية، بطريركية إنطاكية، والكنيسة الروسية) وعموماً؛ فكل كنيسة من كنائسهم لها صفة الاستقلال. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٤٨٧ ـ ١٤٨٨)، وملامح عن النشاط التنصيري، ص١١.

(٣) البروتستانت Protestant: ويتبعون الكنيسة البروتستانتية على أثر حركة الراهب مارتن لوثر عام (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) وتسمى كنيستهم الإنجيلية إذ أنهم يتبعون الإنجيل دون غيره وفهمه لديهم ليس مقصوراً على رجال الكنيسة، ولهم أسماء متعددة مثل الكنيسة البروتستانتية الأسقفية في أمريكا، وكنيسة إنجلترا وغير ذلك. انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٤٨٨ ـ ١٤٨٩)، وملامح عن النشاط التنصيري، ص١١، ١٩.

(٤) «كان رجال الدين النصارى ـ في القرون الوسطى ـ سابقين لعصرهم في الناحية التنظيمية؛ إذ كانوا مؤسسة تنظيمية مركبة تركيباً عضوياً دقيقاً من القاعدة العريضة الممتدة في كافة الأصقاع والأقاليم إلى قمة الهرم المتمركزة في روما» العلمانية ص١٢٤.

ـ الجانب الديني: حيث يمثل هؤلاء رجال الدين.

ـ الدعم المالي: حيث تقوم الدول والهيئات بدعمها بالتبرعات والهبات.

ـ تحالف الأفراد والمجتمعات الغربية ـ بمجموعها ـ على تأييدها ومناصرتها.

وفي الوقت الراهن سعت المؤسسات الدينية النصرانية الغربية بخطوات بارزة في مجال التَّسَامُح بين الشعوب والدول، فدعت إلى تكوين مرحلة جديدة في علاقاتها مع العالم الإسلامي، فمن ذلك:

ـ قيام البابا بولس السادس ـ بابا الفاتيكان السابق ـ بالدعوة إلى تحسين العلاقات بين النصارى والمسلمين، عبر إيجاد نمط جديد يرسم علاقة الكنيسة بالأديان غير النصرانية[1]، ففي عام (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) أصدر مجلس الفاتيكان العالمي الثاني المسكوني Councile Oecumenique Vatican II بياناً إلى جموع المسلمين جاء فيه: "تنظرُ الكنيسة بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم، الرحمن القدير، فاطر السماوات والأرض" وفي ختام البيان يدعو المجلس المسيحيين[2] والمسلمين إلى نسيان الماضي قائلاً: "وإن كان نشبت منازعات وعداءات غير قليلة بين المسيحيين والمسلمين على مدى الأجيال، فإن المجمع المقدس يهيب بالجميع أن ينسوا الماضي ويعملوا بإخلاص على إحلال التفاهم المتبادل بينهم، ويتعاونوا على حماية العدالة الاجتماعية وتعزيزها والقيم الأدبية والسلام والحرية للناس أجمعين"[3].

---

(١) انظر: قضايا عصرنا ـ مجموعة غربيين ـ ترجمة: د. نور حاطوم، ص٢٦٨، والمسلمون في أمريكا ـ مجموعة من المؤلفين الغربيين والمسلمين ـ ص٦٠، ٦٩، ويوم الله (الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) لجيل كيبل Gills Kepel، ترجمة: نصير مروة، ص٦٢ ـ ٦٤.

(٢) استعملت لفظة المسيحيين على لسان المجمع.

(٣) أوردت الترجمة الرسمية التي صادق عليها رؤساء الطوائف الكاثوليكية والمنشورة بالقاهرة سنة (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م) بعنوان: المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني وثائق =

- وفي عام (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) حمل البابا بولس السادس الكاردينال بنيدولي[(١)] رسالة إلى الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - عبر فيها عن تقديره لجلالته ورغبته في وحدة العالمين الإسلامي والنصراني اللذين يعبدان إلهاً واحداً، كما وجه إليه - أيضاً - دعوة مماثلة لإقامة علاقات دبلوماسية دائمة بين الجانبين[(٢)].

- وعلى مدى شغل البابا يوحنا الثاني للكرسي البابوي، فهو كثيراً ما كان يؤكد فكرة التَّسَامُح كصفة ينبغي أن تميز العلاقات الإنسانية في المجتمعات الحديثة، حيث يقول: ''خذوا بعين الاعتبار كل يوم الجذور العميقة للإيمان بالله الذي يؤمن به كذلك إخوتكم المواطنون المسلمون، حتى تؤسسوا على ذلك مبدأ التعاون الهادف لتقدم الإنسان وتحري الخير في سبيل السلام والأخوة في ظل التعبير الحر عن الدين الذي يؤمن به كل منكم''[(٣)]. والبابا في مطلع كل عام ميلادي[(٤)] يؤكد على أهمية التَّسَامُح في سياق التنوع والاختلاف الذي لا مفر منه بين الناس.

= علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية، ص١٥ - ١٦، نقلًا عن: الإسلام والنصرانية من الصدام إلى الحوار لسعد غراب، ضمن أشغال ملتقى واقع الإسلام وتحديات العصر، تونس ١٢ - ١٦/١١/١٩٨٤م، ص٨٢ - ٨٣، وانظر: مجموعة أعمال المجمع الفاتيكاني المسكوني، المطبعة البولسية، بيروت (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) (١/ ١٨٥ - ١٨٨)، والقانون الدولي والعلاقات الدولية في الإسلام، د. صبحي محمصاني، ص٦٤ - ٦٥، والتبشير والاستعمار، ص٢٥٩، والعلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٢٩، ٣٤٤ - ٣٤٥.

(١) بنيدولي (Pignedoli): رئيس غرفة أمانة سر الفاتيكان - ممثل البابا الشخصي - وكبير مدبر أمور الكنيسة الكاثوليكية (١٩٧٤م - ١٣٩٤هـ). انظر: ندوة الفاتيكان (مرجع لاحق).

(٢) انظر: ندوة الفاتيكان - حول الشريعة وحقوق الإنسان في الإسلام - رابطة العالم الإسلامي، ص١، والتوراة والإنجيل والقرآن والعلم، د. موريس بوكاي: ترجمة: حسن خالد، ص١٥، وقضايا عصرنا، ص٥٣٨.

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص١.

(٤) عبر الخطاب الذي تبثه وسائل الإعلام بمناسبة العام الميلادي الجديد.

- ويؤكد ثوماس مايكل - أيضاً على أهمية تعزيز التَّسَامُح - انطلاقاً من تعاليم الدين النصراني - لا سيما في هذه الأيام المليئة بالأزمات الدولية والتي تشهد تزايداً في الاستقطاب وانتشاراً واسعاً للريبة بين الشعوب[1].

- وضمن التَّسَامُح في مجالات العلاقات (التاريخية) بين النصارى والمسلمين يقول بطاركة الشرق الكاثوليك في رسالتهم الأولى في (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م): "إننا ننهل من تراث حضاري واحد نتقاسمه، وقد أسهم كل منا في صياغته انطلاقاً من عبقريته الخاصة. إنَّ قرابتنا الحضارية هي إرثنا التاريخي الذي نُصِرُّ على المحافظة عليه وتطويره وتجذيره وتفعيله كي يكون أساس عيشنا المشترك وتعاوننا الأخوي...، نحن مسؤولون بعضنا عن بعض أمام الله والتاريخ. ولذا يتحتم علينا أن نبحث بشكل مستمر عن صيغة لا للتعايش فحسب؛ بل للتواصل الخلاق والمثمر الذي يضمن الاستقرار والأمان لكل مؤمن بالله! بعيداً عن آلية الحقد والتعصب والفئوية ورفض الآخر"[2].

- ومن الأهمية بمكان أن ألحق أسماء بعض المؤسسات الغربية التي لها إسهام في تعزيز التَّسَامُح بين النصارى والمسلمين:

١ - معهد بونتيفيكو للدراسات العربية بروما في إيطاليا (Pontificio Instituto Di Studi Arab) ويعمل تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية.

٢ - مركز دراسات الإسلام في أفريقيا (Islam In Africa Project) ويعمل تحت رعاية عدة طوائف نصرانية.

٣ - مركز الدراسة النصراني في باكستان (Christian Study Center) ويعمل تحت رعاية عدة طوائف نصرانية.

---

(١) انظر: الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص١.

(٢) الحضور المسيحي في الشرق: شهادة ورسالة، ص٤٤، نقلاً عن: العلاقات الإسلامية المسيحية، ص٢٣٩ (بتصرف).

٤ ـ مركز دنكان ماكدونالد لدراسة الإسلام والعلاقات النصرانية الإسلامية بأمريكا (Duncan Black Macdonald Center For the Study of Relations/ Muslim Christianity). ويعمل تحت رعاية مؤسسة هاتفورد النصرانية(١).

المطلب الثاني

نقد التَّسَامُح في العلاقات عند الطوائف الدينية

أتناول نقد الطوائف الدينية من خلال المؤسسات اليهودية والنصرانية التي مرت معنا:

أ ـ المؤسسات اليهودية:

قبل الحديث عن نقد المؤسسات الدينية أوجه الانتباه إلى أن الصهيونية لا تعترف بالتَّسَامُح مع غير اليهود ـ وقد أوضحت ذلك في معرض الحديث عن مجالات التَّسَامُح في المؤسسات ـ لذا أقتصر في جانب النقد على الماسونية.

الماسونية:

مما لا شك فيه أن الماسونية انطلاقة يهودية قديمة تتجه نحو السرية، لذلك نجد الماسونيين يزعمون بأن مؤسستهم ذات صبغة اجتماعية تهدف إلى الحرية والإخاء والمساواة والتعارف والتعاون والتَّسَامُح المتبادل، وبأنهم دعاة محبة للإنسانية، ودعاة إصلاح مادي وأدبي وغير ذلك.

والحقيقة أن الماسونية مؤسسة خداعة، تعمل في خفاء على تحقيق مصالح اليهود وتأمين سيطرتهم على العالم فقد جاء في بروتوكولاتهم: ''إن المحفل

(١) انظر: التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص٦٨٨ ـ ٦٩٨.

الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة على أنه قناع لأغراضنا''[١].

ولقد تطور نفوذ الماسونيين ـ فعلا ـ وتغلغل سلطانهم في العالم وأعلنت بعض مبادئهم صراحة، ولا سيما في دول الكتلة الشرقية ـ بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ـ حيث يقوم المحفل الماسوني الفرنسي بالإنفاق على إحياء المحافل الماسونية في روسيا وبلغاريا، فيما ينفق المحفل الماسوني الألماني على إحياء الماسونية في يوغسلافيا وهنغاريا وسلوفاكيا..[٢].

ويفسر جوزيف أبو زهرة ـ الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر للبنانيين الأحرار! ـ سبب الظهور العلني للماسونية بقوله: ''إن دما جديداً دخل في الماسونية كله من الشباب، ولذا أحببنا أن تكون سنتا (١٤١٦ ـ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦م) متميزتين عن العهد السابق كله''[٣].

وكما مر معنا أن أهداف الماسونية منها المعلن وهو قليل، وأكثرها السري، ولذلك تكمن خطورتها في إخفاء كثير من أهدافها، وأما ما أظهرته من مبادئ وأهداف فإن من ورائه أموراً عديدة.

فهم يهدفون من مثل رفع شعار التَّسَامُح الديني والإيمان بالحرية، الإلحاد ونشر العقلانية، ومحاربة الأديان غير اليهودية، ومن شعار الإخاء محاولة التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لهم، ومن شعار المساواة اغتصاب حقوق الناس بالباطل وأموالهم وأعراضهم[٤].

ولهذا فقد سلكت الماسونية دروباً مغلفة ـ لا سيما بعد انتشار فضائحهم ـ كأندية الروتاري والليونز وغيرهما.

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، ص١٦٩ (بتصرف يسير).

(٢) مجلة المجتمع، العدد ١١١٨، مرجع سابق.

(٣) «الماسونية ترفع رأسها من جديد فهل من قاطع» لعبد الله العتيقي، مجلة المجتمع، العدد ١١٩٢ (٢٩/١١/١٤١٦هـ الموافق ١٩/٣/١٩٩٦م)، ص١٣ (بتصرف).

(٤) يراجع: الأساس القيمي (رقم ٣ ـ الحرية)، ص١١٢، ١١٧.

ففي هذه الأندية يجند الشباب في كل العالم من أجل خدمة مصالح اليهود دون أن يشعر أتباعها، وذلك عن طريق توفير أسباب اللهو والعبث والانغماس في الشهوات، وكذلك الدخول في الأحزاب السياسية لتسيير الاتجاهات السياسية في العالم.

- وأما ادعاؤهم بأن الماسونية تعمل على تخفيف ويلات الإنسانية!

فأجيب عنها بعرض هذه التساؤلات - بإيجاز -:

"ألم يجد الماسون ولو عملاً واحداً تقوم به إسرائيل يستحق الاحتجاج عليه؟ فأين مذابح دير ياسين؟

وأين اجتياح لبنان، وضرب المدن بالقنابل الفراغية والعنقودية؟

وأين قتل الفلسطينيين يومياً وإبعادهم؟"[1].

فأين التخفيف المزعوم؟

وأين الدفاع عن حقوق الإنسان المغتصبة؟ كما زعموا!

أَمْ تُرَى الإنسان عندهم هو اليهودي أو النصراني فقط، فأما المسلم فغير إنسان.

- وبشأن كلام شاهين مكاريوس: غاية الماسونية إبطال التحزب في الأديان.

فيفهم من كلامه أن الماسونية حزب سياسي يريد أن يحول الإنسان إلى مخلوق لا دين له ولا وطن، وكل ذلك من أجل أن يصبح - بسهولة - خادماً لأمة اليهود[2].

ومقولته: إن الماسونية تقوم بإصلاح ما فسد من عقائد الأديان.

فذلك أمر عجيب منهم، فالماسونيون اليهود يُعلمون الناس الإلحاد لكنهم يُعلمون أولادهم التوراة!

---

(١) الماسونية واليهود والتوراة، ص١٧ (بتصرف).

(٢) انظر: الماسونية واليهود والتوراة، ص١٨.

ب ـ المؤسسات النصرانية:

استفادت المؤسسات النصرانية الغربية بفرقها الثلاث المشهورة: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت ـ في العصر الحاضر ـ في تطوير مؤسساتها الدينية الحديثة من تجربة رجال الدين في القرون الوسطى، فقد أصبحت المؤسسات الدينية النصرانية ذات نفوذ بارز وقوي ـ ربما أقوى من بعض الدول ـ بل تستطيع أن تؤثر في توجيه كثير من السياسات الدولية والقرارت المصيرية.

ـ لقد رفعت تلك المؤسسات الدينية شعار التَّسَامُح المزعوم مع المسلمين في مختلف مجالات الحياة، وعززت التفاهم والتعاون من خلال بث مفاهيم معينة عن الإسلام والمسلمين، وشجعت الحوار المتبادل عبر ما يسمى بالحوار النصراني الإسلامي وما أشبه ذلك.

فأين التَّسَامُح الذي يدعيه هؤلاء، وقد عقدوا عشرات المؤتمرات والندوات من أجل حرب الإسلام والمسلمين بكل وسيلة متاحة! والتي من أبرزها ما يلي:

مؤتمر القاهرة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، ومؤتمر أدنبره باسكتلندا ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م، ومؤتمر لكنو بالهند ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ومؤتمر القدس الأول ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، والثاني ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م، ومؤتمر لوزان بسويسرا ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ومؤتمر كولورادو ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ومؤتمر ملبورن بأستراليا ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ومؤتمر السويد ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م، ومؤتمر التلفزيون الكاثوليكي في باريس، ومجلس الكنائس العالمي الفاتيكاني في إيطاليا وهولندا وسويسرا وغير ذلك.

وبالجملة؛ فإن تلك المؤتمرات والمجالس المنبثقة عن المؤسسات الدينية الغربية السابقة إنما كانت لأهداف معينة! فلم تكن لتخدم تحسين خط العلاقات بين النصرانية والإسلام! وإنما لخلق فرص جديدة للهيمنة على العالم الإسلامي وتشويهه.

فقد كان هؤلاء المؤتمرون يهدفون بالدرجة الأولى إلى الدعوة إلى النصرانية واتخاذ التدابير السريعة في المناطق الإسلامية لتشويه الإسلام، ومحاولة زرع بذور الخلاف بين المسلمين، وإيجاد تخاذل روحي وشعوري بالنقص؛ مما يؤدي إلى التبعية والخضوع للحضارة النصرانية والمدنية الغربية.

- وإذا كان قد يلاحظ أن أتباع الكنائس عموماً يُعلنون أنهم قد تخلوا عن تعصبهم القديم والمتأصل ضد الإسلام والمسلمين وأنهم نبذوا الجمود العقائدي وتبنوا السماحة والمرونة في مسائل العقائد الخلافية، والدعوة إلى نسيان الماضي، والعمل بإخلاص على إحلال التفاهم! ولم تعد تقدم التمسك بهذه الأمور الخلافية على أولوية الحوار والتقارب مع المسلمين[1].

فأقول؛ إن تلك التصريحات لها ظاهر براق جميل، وباطن خادع خطير. والخلاف الذي بيننا وبين النصارى هو خلاف عقدي في أصل الإيمان بالله وبالرسل عليهم الصلاة والسلام، فالنصرانية لا تؤمن بإله واحد، كما أنهم لا يقرون بنبوة نبينا محمد ﷺ وبأنه ناسخ لما قبله من الأنبياء والمرسلين.

ومن الإنصاف أقول: إن الفاتيكان ابتهج كثيراً بزيارة مندوب الملك فيصل ومن معه، وقد أعلنوه في إذاعاتهم بمختلف اللغات.

وقد قامت إسرائيل بمحاولة تعطيل تلك الزيارات فيما بين الوفود، إلا أن الفاتيكان وقف بحزم في صد محاولاتها[2].

ولا شك أنه يوجد من زعماء الفاتيكان كأمثال الكاردينال بنيدولي من يحملون رغبة في تحسين العلاقات مع العالم الإسلامي وتنميتها وهذه الأمور لا تنكر، ولكن الغالبية العامة في الفاتيكان ومن يمثلونه يتخذون هذه الشعارات من أجل الخداع والتضليل.

---

(١) انظر: «التعصب» لمحمد يحيى، جريدة (المسلمون) السنة التاسعة، العدد ٤٥٢، (١٥/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ١/ ١٠/ ١٩٩٣م)، ص٦.

(٢) انظر: أمريكا وإسرائيل، ص٤٤.

وها هو بابا الفاتيكان الحالي يرصد مبالغ قدرت بخمس مليارات فاصل ثلاثة، ويجند مليون ونصف من رجال الكنائس من أجل تنصير قارة أفريقيا ويقول: "ستكون لكم كنيسة أفريقية منكم وإليكم وآن لأفريقيا أن تنهض بمهمتها الربانية وعليكم أيها الأساقفة تقع مسؤولية عظيمة ألا وهي تنصير أفريقيا كلها في عام ٢٠٠٠م (ألفين) لتغني أفريقيا بأنشودة: رسالة الخلاص فاتحة الملكوت الوحيدة"[(١)].

ـ وأضرب مثالاً آخر على ذلك التَّسَامُح المزعوم تجاه المسلمين بأحداث البوسنة والهرسك، فهي مأساة بكل المعايير، بينما نجد كبير الأساقفة ورئيس الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية يبارك للمجرم الصربي كاراذيتش عن دوره في إبادة المسلمين![(٢)].

ـ ولقد نقل الإعلام المحلي والغربي المأساة الدموية التي تعرض لها مسلمو البوسنة على أيدي الصرب (الأرثوذكس) والكروات (الكاثوليك) حيث كانت الكنائس النصرانية تدعمهم بالمال والسلاح والتأييد والمناصرة بكل وسيلة متاحة، وتبارك أفعالهم الحربية والتقتيل والتعذيب!

فقد أسقط القناع عن وجه المؤسسات الدينية الغربية التي تزعم التَّسَامُح ومراعاة حقوق الآخرين وإمكانية التعايش بين مختلفي الأجناس والأعراق والأديان[(٣)].

ـ وبالنسبة إلى محاولات التَّسَامُح بين النصارى والمسلمين؛ عبر الحوار النصراني الإسلامي. فقد عقدت مؤتمرات كثيرة في بلاد الغرب وبعضها في بلاد المسلمين، وأُجْمِلُ القول فيها بأنها حق أريد به باطل؛

---

(١) «الزحف التنصيري المبرمج بين المسلمين في أفريقيا» لمحمد شهيد حسن، مجلة الرابطة، العدد ٣٦٨، السنة ٣٣ (جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ـ نوفمبر ١٩٩٥م)، ص١٦.

(٢) انظر: قضايا العالم الإسلامي، ص٢٢٩.

(٣) انظر: «التَّسَامُح الديني والتعايش العرقي بين المسلمين وغيرهم» لمحمد مورو، جريدة (المسلمون) السنة العاشرة، العدد ٤٨٨ (٣٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ الموافق ١٠/ ٦/ ١٩٩٤م)، ص٦.

فهي محاولة لإماعة العقيدة الإسلامية الصحيحة عبر ما يُسمى بالتقريب والتوفيق بين الأديان، وبخاصة ما يحرف بالأديان السماوية.

وعموماً؛ فإن الحوار والمناظرة والمجادلة مع المخالفين في الدين مشروعة على أن تكون وفق المنهج الشرعي[1].

---

(١) انظر: الثقافة والعالم الآخر، ص٩٨ ـ ٩٩.

المبحث الرابع
التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة ونقدها

أتناول الحديث عن التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة في ضوء المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة.

المطلب الثاني: نقد التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة.



المطلب الأول
التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة

امتاز القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين بقيام عديد من المنظمات الدولية على المستوى الإقليمي والمستوى العالمي بغرض تحقيق التعاون والعلاقات المتنوعة بين مجموعات من الدول أو بين دول العالم. "فالطابع لهذه المنظمات أنها تؤدي مهاماً ووظائف لا يمكن أداؤها عن طريق الاتفاقات القصيرة الأجل، إذ أن لها طابع الدوام والاستمرار"[1].

ومن هنا يمكن تعريف المنظمة الدولية بأنها: "هيئة تتفق مجموعة من

(١) المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية، د. حسين عمر، ص١٧.

الدول على إنشائها للقيام بمجموعة من الأعمال ذات الأهمية المشتركة، وتمنحها الدول الأعضاء اختصاصاً ذاتياً مستقلاً يتكفل ميثاق الهيئة ببيانه وتحديد أغراضه ومبادئه الرئيسة"[1].

ولست في مقام يسمح الاستطراد في الحديث عن المنظمات، لذا كان الاقتصار على التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة United Nations Organization، فدونكه بإيجاز:

- "في هذا العصر الذي كثرت معضلاته وأخطاره اتجه كثير من الدول والمهتمين بهذا الأمر إلى تكوين هيئات ونحوها لعلاج تلك المعضلات والأخطار"[2]. فقد استشعر العالم حاجته إلى الوفاق والوئام والتَّسَامُح والسلام، فأنشئت عقب الحرب العالمية الثانية منظمة الأمم المتحدة.

"وأطلقت على السنوات التي أعقبت الحرب تسميات مختلفة؛ كعصر الذرة وعصر الصواريخ وعصر الفضاء، وهناك من أطلق عليها - أيضاً - عصر العمل الدولي..، وذلك لما شهدته دول العالم من رغبة دولية لتنسيق الجهود في سبيل إيجاد حل للمشكلات المعقدة التي تعجز أية دولة عن حلها بجهودها الفردية، وهذا العمل الموحد إنما قامت به - ولا تزال تقوم به - الهيئات الدولية التابعة لأسرة الأمم المتحدة"[3].

فمنذ أن تم التوقيع على ميثاق الأمم المتحدة في ١٥/ ١١/ ١٣٦٥هـ الموافق ٢٤/ ١٠/ ١٩٤٥م، في نيويورك أخذت منظمة الأمم المتحدة بهيئاتها الرئيسة ووكالاتها المتخصصة تعمل بالتعاون مع حكومات الدول الأعضاء على المحافظة على السلم، والتقدم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي، وعلى تحقيق المساواة في حقوق الإنسان كل ذلك في ضوء التَّسَامُح والسلام وحسن الجوار[4].

---

(١) المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية، ص١٧.

(٢) الاستعانة بغير المسلمين، ص١٦٠.

(٣) المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية، ص٢٩ (بتصرف).

(٤) انظر: موسوعة المورد (١٠/ ٥٧)، والموسوعة العربية الميسرة (١/ ٢٢٦ - ٢٢٧)، والموسوعة الثقافية - مجموعة من الباحثين - ص١٢٩.

وقد نص في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة ما يأتي:

"نحن شعوب الأمم المتحدة. وقد آلينا على أنفسنا:

أن ننقذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب التي حدثت في خلال جيل واحد، وجلبت على الإنسانية مرتين أحزاناً يعجز عنها الوصف، وأن نؤكد من جديد إيماننا بالحقوق الأساسية للإنسان، وبكرامة الفرد وقدره، وبما للرجال والنساء والأمم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية.

وأن نبين الأحوال التي يمكن في ظلها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي.

وأن ندفع بالرقي الاجتماعي قدماً، وأن نرفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

وفي سبيل هذه الغايات اعتزمنا:

أن نأخذ أنفسنا بالتَّسَامُح وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار، وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي، وأن نتكفل بقبولنا مبادئ معينة، ورسم الخطط اللازمة لها بأَلَّا تستخدم القوة المسلحة في غير المصلحة المشتركة.

وأن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها" - كما حدد الميثاق جملة من الأهداف منها -:

"حفظ السلم والأمن الدولي. وتحقيقاً لهذا الغرض تتخذ الهيئة التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم وإزالتها. وتقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم.

- إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب، وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها.

- تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعاً، والتشجيع على ذلك''[1].

والأمم المتحدة كما تصفها إحدى نشراتها: ''ليست بمثابة دولة فوق مستوى الدول، فليس لها حق التشريع. ولكنها قد تدبر الوسائل التي تمكن الدول الأعضاء من التعاون في نطاق هيئة مؤلفة من أمم ذات سيادة يبلغ عددها الآن ١٥٢ دولة، والأمم المتحدة فضلاً عن ذلك هي المكان الوحيد الذي يجتمع فيه ممثلون لجميع الدول الأعضاء، الكبيرة منها والصغيرة، الغنية والفقيرة، القوية منها والضعيفة، لكي يتناقشوا في حرية كاملة بشأن الآراء السياسية والنظم الاجتماعية ومختلف الثقافات. وليس في وسع الأمم المتحدة أن تكون أقوى من الإرادة الجماعية للشعوب والحكومات التي تؤيدها. والعضوية في الأمم المتحدة متاحة لجميع الدول المحبة للسلام التي تأخذ نفسها بالالتزامات التي يتضمنها هذا الميثاق، والتي ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة فيه''[2].

ولست في مقام يسمح بالإطالة في الحديث عن الأمم المتحدة فله مجالاته المختصة. ولكن من الأهمية بمكان أذكر أنه في عام (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، وبناء على مبادرة منظمة التربية والثقافية والعلوم (اليونسكو) اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) سنة الأمم المتحدة للتسَامُح[3].

ومن المعلوم أن منظمة الأمم المتحدة تحوي وكالات وهيئات متعددة، أتناول منها ما له صلة مباشرة بمجالات التَّسَامُح في الغرب وهما:

أ ـ منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو).

ب ـ لجنة حقوق الإنسان.

---

(١) المادة الأولى من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ـ مقاصد الهيئة ومبادئها ـ.

(٢) المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية، ص٣١.

(٣) انظر: نشرة وثائقية عن اليونسكو (رسالتنا ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) الجزء ١، ورسالة اليونسكو ـ مجلة تصدر عن اليونسكو ـ (١٤١٤هـ ـ نوفمبر ١٩٩٣م).

أ ـ منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)[1]

Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO)

"منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو): هي إحدى المنظمات المتخصصة التي انبثقت من الأمم المتحدة في (٧/١٢/١٣٦٦هـ الموافق ٤/١١/١٩٤٦م)، وموقعها الرئيس في باريس، وهي تهدف إلى صيانة السلام العالمي عن طريق التعاون بين الأمم من خلال التربية والثقافة والعلوم بما يتفق مع مبادئ الأمم المتحدة وحقوق الإنسان"[2].

وقد جاء في ديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو[3] أنه: "لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام"[4].

فاليونسكو ـ كما مر معنا ـ هي التي بادرت برفع مقترح إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن تكون (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) سنة التَّسَامُح، وذلك في ضوء نمو الظواهر الآتية من جديد:

"ـ النزاعات القومية.

ـ التمييز ضد الأقليات.

ـ الأعمال المعبرة عن كره الأجانب، لا سيما ضد اللاجئين وطالبي اللجوء والعمال المهاجرين، والمهاجرين المقيمين.

---

(١) الاسم الموجز الذي اشتهرت به (اليونسكو) وهو مكون من الحروف الأولى للكلمات التي يتألف منها اسم المنظمة في اللغة الإنجليزية.

(٢) تقرير عن نشاط الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، ص٢٥، نقلاً عن: المنظمات الدولية، ص٤٧ (بتصرف)، وانظر: الموسوعة العربية الميسرة (٢/١٧٥٩)، والموسوعة الثقافية، ص٩٥٢.

(٣) انظر: ديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو لعام (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م).

(٤) رسالتنا الجزء ٢، وانظر: «اليونسكو والتربية من أجل السلام» مجلة مستقبليات ـ مجلة التربية الفصلية لليونسكو ـ رقم ٥٥ المجلد الخامس عشر، العدد ٣ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

- ظهور المنظمات والأيديولوجيات العنصرية وأعمال العنف العنصرية.

- التطرف الديني.

- أعمال العنف والتهديد التي يتعرض لها الكتاب والمفكرون وغيرهم من الأفراد الذين يمارسون حقهم في حرية الرأي والتعبير.

- التعصب الذي تغذيه الحركات والأيديولوجيات السياسية التي تزعم أن فئات معينة من المجتمع تتحمل المسؤولية عن بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، مثل الإجرام والبطالة وتدهور الصحة العامة والعنف...

- التعصب الذي يتجلى في تهميش الفئات الضعيفة أو استبعادها من المجتمع أو ممارسة العنف والتمييز ضدها"[(١)].

وعموماً؛ "فاليونسكو ترى أن التعصب يعد واحداً من أكبر التحديات التي تواجه البشرية على مشارف القرن الواحد والعشرين، وإلى جانب كونه مشكلة أخلاقية، فإن التعصب هو مشكلة سياسية"[(٢)].

ولهذا فقد قامت اليونسكو بمهمة التنسيق في إعداد البرامج من أجل سنة التَّسَامُح وتهيئتها، من ذلك: بعث الرسائل عبر وسائل الإعلام المختلفة، والقيام بأنشطة ميدانية، وتنظيم سلسلة من الندوات والمؤتمرات والمناقشات، ونشر العديد من المطبوعات في علوم مختلفة.

"وتركز استراتيجية اليونسكو من أجل سنة التَّسَامُح على عنصرين يستهدف أولهما؛ التأثير على الرأي العام لصالح التَّسَامُح؛ وذلك بإظهار الترابط بين التَّسَامُح والتعايش السلمي عن طريق تنظيم سلسلة من الأنشطة الثقافية والاجتماعية في مختلف أنحاء العالم.

أما العنصر الثاني: فيستهدف تقديم حلول متوسطة الأجل وطويلة الأجل إلى العاملين في مجال التربية من أجل التَّسَامُح"[(٣)].

---

(١) رسالتنا، الجزء ١.

(٢) المرجع السابق (بتصرف).

(٣) المرجع السابق، الجزء ٣.

ومن المؤتمرات التي عقدتها اليونسكو عن أهمية التَّسَامُح المؤتمر الدولي للتربية، والذي عقد بجنيف في (١٤١٥هـ/ أكتوبر ١٩٩٤م)، حيث اعتمد المشاركون إعلاناً يرتبط مباشرة بسنة الأمم المتحدة للتسامح، فقد تعهد مائة وزير للتربية والتعليم بتعزيز تربية قائمة على التَّسَامُح واحترام حقوق الإنسان، وعلى اتخاذ التدابير اللازمة لكي تصبح المؤسسات التعليمية أماكن مثالية لممارسة التَّسَامُح.

ويتضمن إطار العمل الذي يحدد الإجراءات اللازمة لتنفيذ الإعلان المذكور توصيات بإدراج دروس عن السلام، وحقوق الإنسان، وآثار العنصرية في المناهج الدراسية على جميع مستويات التعليم النظامي وغير النظامي، كما يدعو بصورة خاصة إلى تحسين الكتب المدرسية بهدف القضاء على القوالب الفكرية السلبية والآراء المشوهة عن الآخرين(١).

وصرح المقرر الخاص ـ عن التعصب الديني في مركز الأمم المتحدة ـ بقوله:

"إن كتب تعليم التربية الدينية ينبغي أن تركز على موضوعات ومواعظ مشتركة بين مختلف الأديان في العالم، ويجري تقويمها بطريقة محايدة قدر الإمكان"(٢).

كما قامت اليونسكو بنشر الصيغة النهائية للدليل التعليمي الخاص بالتربية من أجل التَّسَامُح، ويركز هذا المطبوع الذي يحمل عنوان: (التَّسَامُح عتبة السلام Tolerance The Threshold Of Peace) على تأكيد الاهتمام بالتربية كخطوة أولى في زرع التَّسَامُح في جميع المستويات التعليمية وفي جميع البلدان(٣).

وقامت ـ أيضاً ـ بالدعم العملي الميداني عن طريق شبكتها القائمة

---

(١) انظر: رسالتنا الجزء ٣.

(٢) المرجع السابق، الجزء ٦.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المعروفة باسم شبكة المدارس المنتسبة، واستغلال السينما وأشرطة الفيديو[1].

وقد أعلنت اليونسكو عن يوم خاص بالتَّسَامُح يحتفل به سنوياً في جميع أنحاء العالم ابتداءً من سنة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)[2].

ب ـ لجنة حقوق الإنسان

لجنة حقوق الإنسان هي إحدى اللجان المختصة بالأمم المتحدة، أنشئت في (٦/ ٢/ ١٣٦٨هـ الموافق ١٠/ ١٢/ ١٩٤٨م).

وقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ـ التي يحق لجميع الناس أن يتمتعوا بها ـ.

ونص ميثاق الأمم المتحدة على تحقيق التعاون الدولي من أجل تنمية احترام حقوق الإنسان، وكفالة الحريات الأساسية للجميع، وتنمية علاقات الصداقة بين الأمم على أساس احترام مبدأ المساواة في الحقوق، وحق الشعوب في تقرير مصيرها..

جاء في ديباجة وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ما يأتي:

"لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة..

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان"[3].

---

(١) انظر: رسالتنا، الجزء ٣.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ويحتوي على (٣٠) ثلاثين مادة.

ولست في مقام يسمح باستعراض مواد الميثاق الثلاثين ولكن حسبي لمحة موجزة عما له صلة بموضوعنا:

- تذكر المادة ١ من الإعلان: أن الناس يولدون متساويين في الكرامة والحقوق، وعليهم أن يتعامل بعضهم مع بعض بروح الإخاء. وفي المادة ٢: أن لكل إنسان أن يتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان دون تمييز، لا سيما في الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين، أو الرأي السياسي،.. ودون تفرقة بين الرجال والنساء.

ويعدد الإعلان بعد ذلك الحقوق والحريات فيقرر في المادة ٣: حق الفرد في الحياة والحرية وسلامة شخصه، وفي المادتين ٤ و ٥: عدم جواز الاسترقاق وتجارته والتعذيب، وأية عقوبة أو معاملة قاسية أَوْ وَحْشِيَّة أو حَاطة بالكرامة، وفي المادة ٦: حق الإنسان في أن يعترف له بشخصيته القانونية، وفي المادة ٧: مساواة الناس أمام القانون..، وفي المادة ٨: حق الشخص في اللجوء إلى المحاكم الوطنية..، وفي المادة ١٨: حرية التفكير والضمير، والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وممارسة الشعائر التعبدية..، وفي المادة ١٩: حق حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية..، وفي المادة ٢١: حق تقلد الوظائف العامة، وأن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة..، وفي المواد ٢٢، و ٢٣: حق الشخص في العمل الذي يرغب فيه..، وتحديد ساعات عمل معقولة..، وفي المادة ٢٦: حق الفرد في أن يكون التعليم بالمجان في مراحله الأولى على الأقل..، كما يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء تاماً، وإلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات العامة، وزيادة التفاهم والتَّسَامُح والصداقة بين الشعوب والجماعات العنصرية والدينية..، وفي المادة ٢٧: حق الفرد في الاشتراك الحر في حياة المجتمع الثقافي..، وفي المادة ٢٨: حق الفرد في التمتع بنظام اجتماعي عادل ودولي.

ويختم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بالمادة ٣٠: ليس في هذا

الإعلان نص يجوز تأويله على أن يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه[1].

المطلب الثاني

نقد التَّسَامُح في العلاقات عند منظمة الأمم المتحدة

ينبغي أن ندرك حقيقة مهمة وهي أن المنظمات الدولية المعاصرة ثمرة من ثمار انتهاء الحرب العالمية الثانية، فقد عكست هذه المنظمات إرادة الغرب، وتوزع الأدوار ضمن مؤسساته بالدرجة الأولى، ولا ننسى أن غياب أو تغييب الدولة العثمانية الإسلامية عن ثقل العلاقات الدولية أدى إلى فقدان المسلمين أي دور في صياغة التنظيم الدولي وبنائه[2].

إنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ التي كبدت البشرية أكثر من عشرين مليوناً من القتلى ـ صاغت الدول الغربية الكبرى المنتصرة في الحرب بنود المنظمات الدولية كي تحفظ بها مكاسبها التي خرجت بها من الحرب.

"إن المنظمات الدولية ـ في جملتها ـ أدوات تختفي وراء الأطماع الدولية، ومنابر للحرب الباردة، وليست أداة لإحقاق حق، ولا تحقيق عدل! وقد دعت إليها منازعات بين دول متكافئة القوى. ولكن كلما اختل هذا التكافؤ لم يعد للقوانين الدولية قيمة، ولا للمنظمات الدولية عمل ذو قيمة!"[3].

وفيما يأتي ألقي الضوء على منظمة الأمم المتحدة التي سبق عرضها، وما تفرع منها:

---

(١) انظر: المرجع السابق، ودراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، د. سعيد باناجة، ص١٦ ـ ١٩.

(٢) انظر: مستقبل العالم الإسلامي، السنة الثانية، العدد ٨ (١٤١٣هـ ـ خريف ١٩٩٢م)، ص٢.

(٣) في ظلال القرآن (٢/ ٧٢٨).

١ ـ منظمة الأمم المتحدة:

مضى على قيام الأمم المتحدة منذ إنشائها خمسون عاماً (نصف قرن).

ولا شك أنها قد أسهمت في حل كثير من المشكلات الدولية وإن كانت القضايا الكبيرة تترك للمفاوضات بين الدول الكبرى (نادي الدول النصرانية) مراعاة لمصالحها وتكريساً لهيمنتها وتحقيقاً لمطامعها، حتى لو تعارض ذلك مع مصالح الدول الأخرى وكان على حساب آمالها[1]، ولا يسمح المقام بتفصيل ذلك.

ولكن هناك العديد من الملاحظات على الأمم المتحدة أشير إلى أبرزها:

١ ـ ورد في ديباجة الميثاق: نحن شعوب الأمم المتحدة، وقد آلينا على أنفسنا، أن ننقذ الأجيال من ويلات الحرب.

فأين الأمم المتحدة من هذا العهد الذي قطعته على نفسها؟

وأين الدول الكبرى التي شكلت هذا الميثاق من المشكلات العالمية والأزمات المتلاحقة؟

إن هَا هُنا مثالين:

ـ "الأول: مع نشأة الأمم المتحدة عام (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م) إلى (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)[2]. نشبت ١٣٨ حرباً، نتج عنها خسائر بشرية قدرت بنحو ٢٣ مليون نسمة.

---

(١) انظر: الموسوعة الثقافية، ص١٢٩، و«ومضة» لمبارك عبد الله، مجلة المجتمع، العدد ١١٦٥ (١٠/٤/١٤١٦هـ الموافق ٥/٩/١٩٩٥م)، ص٥٦.

(٢) يلاحظ أننا في عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) وقد وقعت حروب عديدة قبل ذلك ولعل من أبرزها؛ حروب الصرب والكروات ضد البوسنة والهرسك، وحروب الصومال، والحروب التي وقعت في الجمهوريات الإسلامية في ما يسمى بالاتحاد السوفيتي قبل سقوطه.

ـ والثاني: في الفترة من عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) إلى (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م). استهلكت أسلحة تقليدية قدرت بنحو ٣٨٨ مليار دولار.

والأمم المتحدة تقف عاجزة؛ بل ومتعاجزة في مواجهة الخراب الدولي، والذي استخدم فيه حق النقض (الفيتو[١]) نحوا من ٧٩ مرة"[٢].

٢ ـ ورد في ديباجة الميثاق كذلك: أن نأخذ أنفسنا بالتَّسَامُح وأن نعيش معاً في سلام وحسن جوار، وأن نضم قوانا كي نحتفظ بالسلم والأمن الدولي.

فالواقع أن المشاهد على مستوى العالم لا يوافق على ذلك.

وقد مر معنا ما حدث ويحدث في البوسنة والهرسك؛ كمثال حي على تآمر الأمم المتحدة ـ بمجلس أمنها والأمين العام لها ـ قد ضمت أصواتها إلى أصوات الصرب المعتدين ضد مسلمي البوسنة والهرسك. وقامت بنزع سلاح المسلمين في المناطق التي أعلنت من خلال قرارات لها، أنها ملاذات آمنة تحظى بحماية المنظمة الدولية، بينما لم تنهض المنظمة (مجلس الأمن) بواجبات الحماية الإنسانية أو توفير الأمن كما ادعوا ذلك![٣].

والأدهى من ذلك والأَعْظم والأَمَر؛ "هو قيام جنود الأمم المتحدة في عمليات الاغتصاب الجماعي التي مُورست بوحشية ضد نساء مسلمي البوسنة وفتياتهم!

---

(١) حق النقض (الفيتو): أي نقض قرارات الأمم المتحدة حيث أعطت الدول الخمس هذا الحق (المزعوم) لنفسها وهي: الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا (بعد سقوط الاتحاد السوفيتي)، وإنجلترا، وفرنسا، والصين.

(٢) «الأمم المتحدة والأمم غير المتحدة» لعبد العزيز كامل، مجلة البيان، السنة العاشرة، العدد ٩٥ (رجب ١٤١٦هـ ـ نوفمبر ١٩٩٥م)، ص٨٦ (بتصرف).

(٣) انظر: «أكاذيب الأمم المتحدة» لزين العابدين الركابي، جريدة (المسلمون)، السنة العاشرة، العدد ٤٨١ (الجمعة ١١/ ١١/ ١٤١٤هـ الموافق ٣٣/ ٤/ ١٩٩٤م)، ص٥، و«أبعاد التآمر الغربي في البوسنة» لعبد المنعم جبارة، مجلة المجتمع، العدد ١١٦٢ (١٨/ ٣/ ١٤١٦هـ الموافق ١٥/ ٨/ ١٩٩٥م)، ص٣٠ ـ ٣١.

كما ثبت قيام الأمم المتحدة بتوزيع طعام إما فاسد أو انتهت مدة صلاحيته على اللاجئين والمشردين!"[١].

لقد كان رئيس وزراء البوسنة حارس سيلاجيتش صادقاً في اتهامه للأمم المتحدة عندما قال: "إن منظمة الأمم المتحدة عار على مجتمعنا العصري. لقد سلبت منا الحق الأساس في الحياة، وحق الدفاع عن أنفسنا!"[٢].

٣ ـ ورد في ديباجة الميثاق ـ أيضاً ـ: أن نرفع مستوى الحياة، وأن نستخدم الأداة الدولية في ترقية الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للشعوب جميعها.

فلنتأمل حال الدول النامية ـ والتي غالبها من بلاد المسلمين ـ.

"تشير التقارير إلى أن عدد الفقراء في الدول النامية قد زاد في العشرين عاماً الماضية بنسبة ٤٠٪! وهذا الأمر يعد مؤشراً على فشل معظم برامج الإصلاحات والمساعدات التي تبنتها منظمات الأمم المتحدة..، حيث إنها محكومة بتوجهات الدول الكبرى"[٣].

٤ ـ كما أن موقف الأمم المتحدة من المسألة الاستعمارية موقف غير جاد حيث دارت في مواد الميثاق البالغة (١١١) مادة، (١٩) مادة فقط حول الاستعمار، بالرغم من أن الحركة الاستعمارية كانت لا تزال طاغية في وقت صدور هذا الميثاق[٤].

٥ ـ وقس على ذلك؛ موقفها من مسائل التسلح، وتآمرها مع اليهود

---

(١) «مجازر البوسنة عار في جبين الغرب والأمم المتحدة»، الافتتاحية، مجلة المجتمع، العدد ١١٥٩ (٢٧/٢/١٤١٦هـ الموافق ٢٥/٧/١٩٩٥م)، ص٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مجلة البيان، عدد ٩٢، مرجع سابق، ص٨٧ ـ ٨٩ (بتصرف).

(٤) انظر: «الأمم المتحدة علينا» لعبد العزيز كامل، مجلة البيان، السنة العاشرة، العدد ٩٦ (شعبان ١٤١٦هـ الموافق يناير ١٩٩٦م)، ص٤٩.

ضد العالم الإسلامي، ومواقفها من قضية فلسطين والصومال والبوسنة والهرسك.

فأين دعواهم إلى الأخذ بالتَّسَامُح مع شعوب العالم أجمع!

٦ ـ وأما ما جاء في إحدى النشرات: من أن الأمم المتحدة؛ هي المكان الوحيد الذي يجتمع فيه ممثلون لجميع الدول الأعضاء، الكبيرة والصغيرة، لكي يتناقشوا في حرية كاملة في جميع الأمور.

فلن أناقش هذه الدعوى من وجهة نظري حتى لا أُوصف بالتعصب والتحامل على الأمم المتحدة؛ بل أذكر رأياً، بل اعترافاً لأحد المفكرين الغربيين[١] مفسراً وجود منظمات الأمم المتحدة منذ ميلادها، حيث يقول:

"أنشأنا لكم مسرحاً كبيراً أسميناه الأمم المتحدة، واخترنا له ممثلين يجيدون الحديث والإلقاء. وألحقنا بالمسرح الكبير مسارح صغيرة، وهي اللجان المختصة، ومنظمات متخصصة، وزعناها على مراكز التأثير والعواصم الكبرى في العالم، ولها فروع، ومكاتب إقليمية ولجان وطنية وشبكة كبيرة من اللجان والأوراق والكلمات. ـ إلى أن يقول ـ حاول أن تدرك العلاقة بين المسارح الفنية، وهذه المسارح السياسية؛ الملابس الأنيقة والخطب الرنانة والألوان عند أخذ الأصوات.

(موافق). (غير موافق). (ممتنع عن التصويت). (جمع أصوات). (أخذ قرارات). . ، ويعود الذي لا يقدر على الحرب إلى بلده ومعه ورقة هي: قرار من الأمم المتحدة، أو من لجنة، أو من منظمة متخصصة. . ، ورقة تسجل انتصاراً على الورق في حرب الورق.

أما مجلس الأمن فهناك الفيتو، والكلمة فيه للقوة. . . ، وإن قرارات الجمعية العامة إذا صعدت إلى مجلس الأمن كانت توصيات لا أكثر.

---

(١) توفي الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل، رحمه الله، راوي الحادثة، فلم أستطع التعرف على اسم المفكر الغربي.

توصيات لا رصيد لها في بنك القوة. توصيات على ورق لمن سلاحه الورق. أما الذي يستطيع أن يستخلص حقه فأمامه القوة، وعلى الذي لا يستطيع. .، أن يذهب إلى المسرح الكبير الأمم المتحدة!''[1].

٧ ـ ومن المعلوم أن قيام ما يسمى بالنظام الدولي الجديد، قد جعل الفرصة سانحة لفرض وجهة النظر الغربية على العالم، وتهميش دور منظمات الأمم المتحدة والمنظمات الأخرى.

فقد قامت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها بإدارة دفة شؤون العالم، فأمريكا لها القرار الأول فيما تراه ملائماً لمصالحها المباشرة ومن ثم حلفاؤها[2].

كما أن اختيار الأشخاص الذين يشغلون المراكز القيادية في المنظمة وهيئاتها، يتم مباشرة من الدول الخمس الكبرى والتي لها حق النقض[3].

فأما المسلمون فيصدق عليهم قول الشاعر:

ويُقْضَى الأمرُ حِينَ تَغِيبُ تَيم ... ولا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُم شُهُودُ

فما أصدرته الأمم المتحدة من قرارات فيما يتعلق بالمسلمين: كقضية فلسطين والبوسنة والهرسك والصومال وكشمير والشيشان، ومعاقبة ليبيا والعراق والسودان. . .، نجد فيها سياسة الكيل بمكيالين!

''وإلا كيف نفسر بقاء العالم الإسلامي المكون من ثمانين دولة (جلها

---

(١) التحدي الحضاري الخليجي، حوار بلا أسوار، د. عبد العزيز كامل (ندوة التحديات الحضارية)، ص٤٠ ـ ٤١ (بتصرف).

(٢) تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بفرض هيمنتها على منظمات الأمم المتحدة عبر تغطيتها لثلث ميزانيتها واختيار المسؤولين، فالأمين العام لا بُدَّ أن يحظى بموافقة أمريكا قبل أن يرشح نفسه لهذا المنصب. انظر: القرن الواحد والعشرون، ص٨٢.

(٣) انظر: «خمسون عاماً من الأمم المتحدة سن الرشد أو اليأس»، د. عبد الله العويشق، مجلة اليمامة، العدد ١٣٨٠ (الأربعاء ١٥/٦/١٤١٦هـ ـ الموافق ٨/١١/١٩٩٥م)، ص١٧.

أعضاء في الأمم المتحدة) محروماً ـ تحت مظلتها ـ من أي وزن أو ثقل عالمي مؤثر: سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً أو حتى إعلامياً‘‘[1].

أ ـ منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو):

مما لا شك فيه أن لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) إسهاماً واسعاً في توثيق عرى التعاون بين الأمم، فهي تركز على إنماء التبادل الثقافي بين الدول، وتجعل الأعمال الفنية والأدبية والفلسفية في متناول الشعوب[2].

’’ويمكن التأكيد بأن اليونسكو تحولت بسرعة لتصبح اليوم أكبر وأهم منظمة متخصصة داخل عائلة الأمم المتحدة، حيث إن ساحتها، منذ إنشائها قبل حوالي خمسين سنة، كانت ولا تزال مؤشراً للعلاقات الدولية المعقدة وميداناً للصراعات السياسية والأيديولوجية والثقافية بين الدول الأعضاء فيها‘‘[3].

’’فأمريكا وبريطانيا هما خلف إنشاء منظمة اليونسكو، وبالمقابل فهما اللذان انسحبا منها ولجآ إلى الضغوطات المباشرة وغير المباشرة عليها وعلى العديد من أعضائها!

والواقع الذي لاَ جِدَالَ فيه هو أن الولايات المتحدة الأميركية، وهي أحد الأعضاء المؤسسين لليونسكو عام (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)، رأت أن في إنشاء المنظمة ما يشكل نجاحاً مهماً لدبلوماسيتها الجديدة المتحركة، فَقِسْمُ العلاقات الثقافية الخارجية الأمريكية تحولَ لاحِقاً إلى مركز مهم لإعداد برامج اليونسكو الأولى، وبهذا رأت أمريكا أن في ذلك فرصة كبيرة لتمرير أفكارها وتصوراتها إلى الأجيال الطالعة في مختلف بلدان العالم عن طريق اليونسكو‘‘[4].

---

(١) مجلة البيان، العدد ٩٦، مرجع سابق، ص٤٨.

(٢) انظر: اليونسكو ضوء في آخر النفق لعزيز الحاج، ص٢٢ ـ ٣٠، والموسوعة العربية الميسرة (٢/ ١٧٥٩)، والموسوعة الثقافية، ص٩٥٢.

(٣) اليونسكو والصراع الدولي حول الإعلام والثقافة، د. إسكندر الديك، ص١٠.

(٤) المرجع السابق (بتصرف).

فكما أشرت في معرض النقد لمنظمة الأمم المتحدة أنها تدور في فلك الدول الكبرى وسيطرتها، وتدور اليونسكو في الفلك نفسه!

ولقد مر معنا في ديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو عبارة: لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام.

فأين نتائج الجهود المبذولة من اليونسكو في بناء حصون السلام منذ إنشائها قبل خمسين عاماً؟

"فقد شهد العالم نشوب ما لا يقل عن ٩٠ نزاعاً مسلحاً بين سنتي (١٤١٠هـ ١٩٨٩م) إلى (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، وفقاً لإحصاءات قسم بحوث السلام والنزاعات بجامعة أوبسالا في السويد. ومن بين هذه النزاعات، دارت أربعة فقط بين دول. أما النزاعات ال (٨٦) الأخرى فقد اندلعت داخل أراضي الدول، وشملت حروباً أهلية لأسباب جغرافية أو سياسية، ونزاعات قومية أو دينية"[١].

لقد قامت اليونسكو بمبادرة الرفع إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن تكون سنة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) (سنة التَّسَامُح) إيماناً منها بأهمية هذا الجانب.

وبنظرة عامة لما اتخذته اليونسكو في عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) سنة التَّسَامُح، وكذلك تخصيص يوم للتسامح يحتفل به في العالم.

فإن ما أَعْلَنَتْهُ من أمور حول التَّسَامُح هي في طور التنفيذ، وليس من اليسير أن نحكم على شيء لَمَّا يُطَبَّق بعد، ولكن تبقى حقيقة مهمة أَلا وهي أنه ينبغي الحذر الشديد مما أعلنته اليونسكو حول شعار التَّسَامُح لأن الدول الغربية هي التي توجهها.

وبهذا نخلص إلى أن لليونسكو وجهتها الخاصة فيما تطرحه من أمور مندرجة تحت شعار التَّسَامُح.

---

(١) رسالتنا، الجزء ٢.

ب ـ لجنة حقوق الإنسان:

ليست قضية حقوق الإنسان قضية جديدة، فهي قديمة قدم التاريخ، عنيت بها الأديان السماوية التي اعترفت بأن الله كرم بني آدم وفضلهم على كثير من مخلوقاته، واعتنت بها أيضاً القوانين الوضعية.

ولكن ربما كان التعبير عنها هو الذي اتخذ عدة أشكال، فقد كان يشار إلى هذه الحقوق في الماضي باسم الحقوق الطبيعية، نسبة إلى القانون الطبيعي، ثم تغيرت في الغرب من كلمة The Right of Man. وأصبحت في النهاية Human Rights حقوق الإنسان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وإنشاء هيئة الأمم المتحدة سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م)(١).

فمعظم دساتير دول الغرب لم تنص على حقوق الإنسان حتى صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م). حيث كان الإنسان في الماضي في كثير من الدول معرضاً لضروب من الاعتداءات والمعاملة القاسية والعقوبات الشديدة والتعذيب والسجن التعسفي(٢).

ولقد نص ميثاق الأمم المتحدة ـ كما مر معنا ـ على كفالة الحريات الأساسية للجميع، وعلى تحقيق التعاون الدولي من أجل تنمية احترام حقوق الإنسان، وزيادة التفاهم والتَّسَامُح والصداقة بين الشعوب.

ومن العدل الذي أمرنا الإسلام به القول: إن للجنة حقوق الإنسان دوراً بارزاً في التأكيد ـ إلى حد ما ـ على دول العالم بضرورة صيانة حقوق الإنسان وعدم انتهاكها دون النظر إلى الأديان أو الأوطان أو الأجناس.

ولكن ينبغي مراعاة الوجهة التي تنطلق منها هذه اللجنة ـ فهي شبيهة بأسوتها منظمة الأمم المتحدة. . ـ مباينة لمعالم الإسلام في رعاية حقوق الإنسان، ولو ادعت ما ادعته من شعارات براقة كالاعتراف بالكرامة والحرية والمساواة وغير ذلك.

---

(١) انظر: «حقوق الإنسان»، لمحمد حقي، مجلة المجال، العدد ٢٦٥ (١٤١٤هـ ـ إبريل ١٩٩٣م)، ص٢٥.

(٢) انظر: دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ص٤٠.

فقد حوى التقرير السنوي لمنظمة العفو الدولية[1] عام (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) على حقائق مريعة حول تدني مستوى حقوق الإنسان في العالم، فقد ذكر التقرير بأن حقوق الإنسان تنتهك في ١٥١ دولة من دول العالم التي تتجاوز ٢٠٠ دولة، من بين هذه الدول دول تدعي التحضر واحترام حقوق الإنسان مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا. وذكر التقرير بأن عمليات التعذيب صارت (روتينية) في أقطار كثيرة، وأن دوافع الدول الغربية في اللجوء إلى التعذيب وإساءة معاملة المعتقلين غالباً ما تكون عنصرية.

فأين لجنة حقوق الإنسان من تلك الانتهاكات؟

وأين تلك الدول التي تنادي بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة؟

وعموماً؛ فإن البشرية ستظل تتخبط بين القوانين الأرضية في البحث عن حقوق الإنسان وإقرارها حتى تجد من يرفع الحقوق الشرعية في الإسلام.

بل إننا نرى كثيراً ما تقوم لجنة حقوق الإنسان بانتقاد البلاد الإسلامية - ولا سيما المملكة العربية السعودية - في ظل تطبيقها للشريعة الإسلامية - تحت دعوى عدم ملاءمة الأحكام الشرعية القاسية والهمجية لظروف الزمان، ولا بد من انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة والتَّسَامُح والتحرر من رواسب الدين ومخلفاته القديمة في ظل الإعلان العالمي

---

(١) منظمة العفو الدوليّة Amnesty International Organization: أسسها المحامي البريطاني بيتر بنسون Peter Beniesen في عام (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) في مدينة لندن، وغاية الجمعية؛ السعي لإطلاق سراح من أسمتهم (بسجناء الضمير) والسعي لتوفير المعاملة الحسنة لهم، وهم أولئك الذين حبسوا بسبب انتمائهم الجنسي أو العرقي أو بسبب عقائدهم الدينية أو السياسية، شرط أن لا يكونوا قد استعملوا العنف أو الدعاية له. انظر: أركان حقوق الإنسان، ص١٥٥، و The Human Rights Handbook, p.2.

لحقوق الإنسان ـ والذي شاركت في وضع نظامه كثير من دول العالم[1]، وأقرته الأمم المتحدة.

والأمثلة على محاربة الحدود والقصاص كثيرة، فعلى سبيل المثال:

ـ "في الصومال ـ قبيل وبعيد خروج قوات هيئة الأمم المتحدة ـ أقيم بإجماع شعبي نظام المحاكم الشرعية وهي فقرة من فقرات المشروع الإسلامي في الصومال، وقد بلغ عدد المحاكم الشرعية الآن ثماني محاكم منتشرة في أكبر المدن من الشمال إلى الجنوب، ومع انتشارها ووجود العوز والفقر والحرب والفتن الداخلية لم تسجل إلا حدا واحداً، وبعد تنفيذه بيوم واحد خرجت الصحف الغربية بالعناوين الكبيرة تتحدث بأن هناك استياء عالمياً من كل لجان حقوق الإنسان حول إقامة الحد"[2].

ولكننا لو رجعنا إلى النصوص التشريعية، لرأينا مقدار حرص الشريعة الإسلامية على حقوق الإنسان الأساسية، ومقدار عنايتها بها، ولم يتخذ الإسلام من هذه النصوص مواعظ أخلاقية مجردة؛ بل أوامر تشريعية، وأقام إلى جانبها جميع النصوص التشريعية اللازمة لضمان تنفيذها، وهذا ما لم تصل إليه بعد نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولا غيرها[3].

لذا فالشريعة الإسلامية تحرص كل الحرص على أن لا تهبط هذه الحقوق إلى مستوى التوصيات التي لا ضامن لها؛ بل إنها قد اتخذت في

---

(١) ومما ينبغي الإشارة إليه أن المملكة العربية السعودية، لم تنضم إلى الموقعين على الإعلان، كما أنها تحفظت على بعض مواده، فمن ذلك:
ـ تحريم زواج المسلمة من غير المسلم، وزواج المسلم من الوثنية.
ـ تحريم تغيير المسلم لدينه.
ـ التحفظ من حق العمال في تكوين النقابات وحقهم في الإضراب..
ـ الحرص على ألا تهبط هذه الحقوق مستوى التوصيات إلى القرارات.
انظر: ندوات علمية، ص٣٦ ـ ٤٠.

(٢) «الكليات الخمس والحدود» د. جاسم مهلهل الياسين، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٨ (٣/١٢/١٤١٥هـ الموافق ٢/٥/١٩٩٥م)، ص٤٨ (بتصرف).

(٣) انظر: ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام، ص٣٥.

حماية تلك الحقوق كافة الضمانات والإجراءات لتنفيذها في الدنيا على أساس الجزاء العاجل في الحياة الدنيا، والعقاب الآجل في الآخرة[1].

"ولهذا فقد كان للإسلام في حفظ حقوق الإنسان منطق خاص في سبيل دعم كرامة الإنسان، وفي سبيل حماية حرية الإنسان، وفي سبيل الدعوة للسلام بين جميع بني الإنسان"[2]. فهذه هي الأسس والضوابط التي ينطلق منها التَّسَامُح في حقوق الإنسان في الإسلام - كما مر معنا[3] -.

(١) انظر: الفرد والدولة في الشريعة، د. عبد الكريم زيدان، ص٢١.
(٢) ندوات علمية حول الشريعة، ص٣١.
(٣) يراجع الباب التمهيدي: ضوابط التَّسَامُح، ص٣٨ وما بعدها.

الفصل الثاني

آثار التَّسَامُح على المسلمين

بعد أن طوفت في الحديث عن تسامح الغرب مع المسلمين، وتجلت حقائق هذا التسامح وما قام عليه من أسس، وما انطوى عليه من أهداف يراد تحقيقها على المدى القريب والبعيد. آتي هنا لأتحدث عن آثار التَّسَامُح على المسلمين.

لقد أدرك الغرب ومفكروه ـ في العصر الحاضر ـ أهمية إيجاد علاقة مع المسلمين خاصة على أساس من التَّسَامُح وفق الوجهة الغربية المخالفة لتعاليم الإسلام.

وبالفعل ـ كما أوضحت ـ فقد تعامل الغرب مع المسلمين على هذا الأساس!

ومن العدل أقول: لقد أفاد المسلمون من تسامح الغرب في تنمية بلدانهم وتطوير حياتهم المادية، وإدخال النظم الحديثة وغير ذلك. إلا أن هناك آثاراً سلبية قد خلفتها هذه الدعوى على المسلمين، وبسبب المسلمين أنفسهم.

يقول الدكتور زيد الحسين: "إن هناك في الدواخل يسكن بعض النفوس إحساس عميق بالنقص والدونية يدفعها إلى إنكار تراثها الحضاري، والنظر إليه على أنه من أسباب التخلف، في حين تنظر هذه النفوس إلى الحضارة الغربية بإجلال وإكبار مغيبة ما في هذه الحضارة من سلبيات. وأصحاب هذه النفوس المسكونة بالشعور بالنقص لا يرون طريقاً للتقدم والرقي إلا ما سلكته حضارة الغرب، فهم يرون في قيمها وكلياتها معايير

القبول التي يتم وفقاً لها النظر إلى المواريث الثقافية والفكرية، ويحكمون في رؤيتهم للإنسان والكون والحياة"[1].

وإن المتأمل في جميع الأقطار الإسلامية ـ دون استثناء ـ يجد أن هناك صراعاً فكرياً؛ بل معركة فكرية بعبارة أصح، فهي معركة بين الأفكار والقيم الإسلامية وبين الأفكار والقيم الغربية؛ وهي المعركة الحاسمة الحقيقية التي يخوضها المسلمون في الوقت الحاضر[2].

فيا تُرى أي موقف يتخذه المسلمون إزاء هذه الأفكار والقيم الغربية!

لقد أجاب علماء المسلمين عن هذا التساؤل في القديم والحديث موضحين الوجهة الشرعية الصحيحة دون غبش أو انهزام، وأنقل كلاماً نفيساً ـ مجيباً على هذا التساؤل ـ لعلمين بارزين أحدهما من سلف الأمة والآخر من المعاصرين:

ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "فالانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا جائز، كما يجوز السكنى في ديارهم ولبس ثيابهم واستخدام سلاحهم..، وأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه؛ بل هذا أحسن، لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة"[3].

ـ ويقول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ:

"والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصراً عقلياً لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة نافعها وضارها.

---

(١) «الإعلام بالإعلام وأثره» مجلة الفيصل، العدد ٢٣٧ (ربيع الأول ١٤١٧هـ/ يوليو ـ أغسطس ١٩٩٦م)، ص٥.

(٢) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١١٤) (بتصرف).

الثاني: أخذها كلها ضارها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها.

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحداً صحيحاً بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة: فالأول منها تركها كلها ـ النافع والضار ـ ووجه بطلانه واضح، لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾[١].

القسم الثاني: من الأقسام الباطلة أخذها ـ كلها الضار والنافع ـ لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع القيم الروحية والمثل العليا للإنسانية أوضح من أن أبينه.

والقسم الثالث: من الأقسام الباطلة هو أخذ الضار وترك النافع ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تمييز.

فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار، وهكذا كان ﷺ يفعل، فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب...، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار»[٢].

ويمكن القول بأن المسلمين لم يعملوا بالموقف الصحيح من الغرب؛ بل أقبلوا على حضارته يأخذون الضار والنافع منها دون وعي ولا تمييز، وربما تغلب الضار دون النافع أحياناً!

---

(١) [سورة الأنفال: الآية ٦٠].

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

ولهذا فقد برز لتسامح الغرب مع المسلمين في الوقت الحاضر آثار عديدة ـ وما تزال ممتدة ـ حيث دخل التَّسَامُح معظم جوانب الدين والحياة ـ بل كلها ـ.

ولست في مقام الحصر لكل آثار التَّسَامُح التي تبدو في صور شتى سواء في المجالات العقدية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، إنما يعنيني أن أشير إلى نماذج من المحصلة النهائية والإجمالية لآثار التَّسَامُح على المسلمين[١]، فدونك إياها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الثقافية.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.

المبحث الرابع: الآثار السياسية.

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية.

---

(١) مما ينبغي التنبيه إليه؛ هو أنني لم أفرد مبحثاً للنقد هنا كما جريت على ذلك في الفصول السابقة؛ بل جعلت عنوان الفصل (آثار التَّسَامُح على المسلمين) فهو في حد ذاته تحليل نقدي في ضوء الإسلام؛ لما فيه من الكشف عن حقيقة آثار هذا التسامح الذي وقع المسلمون فيه نتيجة عدم فهمهم الصحيح لمفهوم التَّسَامُح وتطبيقاته الشرعية.

المبحث الأول
الآثار الدينية

أتناول أبرز الآثار الدينية للتَّسَامُح وفق الآتي:

المطلب الأول: إماعة عقيدة الولاء والبراء.

المطلب الثاني: الدعوة إلى عزل الشريعة الإسلامية.

المطلب الثالث: الدعوة إلى النصرانية.



المطلب الأول
إماعة عقيدة الولاء والبراء

مما لا شك فيه أن العقيدة الصحيحة هي أسمى خصال المسلم التي يتمسك بها، ومن جملة هذه العقيدة الحب في الله والبغض في الله. ولذا جاء الولاء والبراء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مؤكداً أيما تأكيد، وذلك لما ينبني على اختلاله من خطورة بالغة في الدنيا والآخرة.

وقد عرضت بعض الأدلة على ذلك في الباب التمهيدي: التَّسَامُحُ في الإسلام.

ذلك أن عقيدة الولاء والبراء أصل أصيل لا يقوم إيمان العبد إلا بتحقيقه، فقد نهى المولى عز وجل عباده؛ عن موالاة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار، وبَيَّنَ أن موالاتهم تنافي الإيمان، يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ: "إن الذين

يحاولون تمييع عقيدة الولاء والبراء، باسم التَّسَامُح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التَّسَامُح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله. والتَّسَامُح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي - إلى أن يقول - وفي القرآن كلمة الفصل، فليحذر المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين!"[1].

ولكن للأسف الشديد فقد وقع بعض المسلمين من جراء الانسياق وراء شعار (التَّسَامُح الديني) في أَشْرَاكٍ خادعة، حملتهم على التشكيك في بعض ثوابتهم أو التنازل عنها، وهذه أمثلة منها:

١ - إضعاف مفهوم الولاء والبراء:

لا شك أن عقيدة الولاء والبراء هي من أهم الأمور التي يجب على المسلم أن يعتقدها ويطبقها في جميع شؤون الحياة، فيحب عباد الله المؤمنين ويواليهم، ويبغض الكافرين ويعاديهم. قال الشيخ العلامة حمد بن عتيق - رحمه الله -: "فليس في كتاب الله حكم فيه من الأدلة أَكثر ولا أَبين من هذا الحكم (أي الولاء والبراء) بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"[2].

وعلى رغم أهمية هذا الأصل العظيم ووضوحه إلا أنه قد انخدع جمهرة من رجال العلم والفكر الذين اختلطت عليهم دعوة السماحة - التي هي طابع الإسلام - فظنوها دعوة الولاء - التي يحذر منها القرآن -[3]، فقاموا بإضعاف الولاء والبراء من خلال التَّسَامُح مع غير المسلمين.

ومع أن الحق قد يكون مُرّاً؛ إلا أَنِّي مضطرٌ إلى ذكر بعض الحقائق - وإن كانت مُرَّةً - لاستجلاء مواقف بعض المخدوعين، إذ الحق أحب إلي منهم. ويأتي في مقدمة هؤلاء الشيخ محمد عبده - رحمه الله -.

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٩١٢) (بتصرف).

(٢) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، ص١٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن (٢/ ٩١٠).

ـ يقول أحد الكتاب: ''قد يكون أخطر آثار الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ إضعافه لمفهوم الولاء والبراء ـ إذ كان الشيخ ـ رحمه الله أعظم من اجترأ على الولاء والبراء من المنتسبين للعلماء ـ لا بتعاونه مع الحكومة الإنجليزية فحسب، ولكن بدعوته الصريحة إلى موالاة الإنجليز وغيرهم، بحجة أن التعاون مع الكفار ليس محرماً من كل وجه''(١). بل إن الشيخ ـ نفسه ـ قد جعل الأصل السابع من أصول الإسلام؛ مودة المخالفين في العقيدة!(٢).

ـ وبعضهم أخذ يدعو عبر التَّسَامُح إلى التعايش السلمي والتعاون الودي، وتحقيق الاندماج التام مع غير المسلمين، وذلك من خلال تطويع بعض النصوص الشرعية؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(٣). ''فالجنة ـ كما يقول أحدهم ـ ليست وقفاً على من آمن بمحمد ﷺ، وإنما يكفي مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر. وأن التفاضل والجزاء هو بالعمل الصالح ومنه التعمير والتكنولوجيا والكشوف العلمية!''(٤)(٥).

ـ وجاء أستاذ الجيل! أحمد لطفي السيد ليقول أمراً عجباً: ''إن الإنجليزيين أولياء أمورنا في الوقت الحاضر! ولا ينبغي أن نحاربهم

---

(١) العلمانية، ص٥٧٨.

(٢) جعل الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ أصول الإسلام ثمانية، ولم يجعل منها ركناً من أركان الإيمان أو أركان الإسلام! انظر كتابه: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، تعليقات: الشيخ محمد رشيد رضا، ص٨٨ ـ ٩٠.

(٣) [سورة البقرة: الآية ٦٢].

(٤) العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال، ص٣٠.

(٥) من هؤلاء:
ـ الشيخ عبد العزيز جاويش. انظر: (العصريون معتزلة اليوم)، ص٣١.
ـ د. وهبة الزحيلي. انظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص٧١، ١٣٩.
ـ الشيخ أحمد كفتارو. انظر: الدعاة والدعوة (٢/ ٦٧٨ ـ ٦٨١).

ونقاومهم! إنما واجبنا أن نتعلم منهم، ثم نتفاهم معهم بعد ذلك لتصفية ما بيننا وبينهم من خلافات!"[1]. وهذا الكلام يشبه ما ذكره ميرزا غلام أحمد القادياني عن الإنجليز في الهند![2].

- وبسبب الخلط في مفهوم التَّسَامُح الصحيح مع غير المسلمين، ربما قام بعض المسلمين بتشييد الكنائس والمعابد وإعمارها![3].

فمن ذلك؛ ما فعله أحد المسؤولين[4] في المركز الإسلامي - بمنطقة أيفري بفرنسا - حينما قام باسم المركز الإسلامي بالمساهمة في بناء كنيسة مجاورة للمركز، بحجة أن ذلك دليل على اندماج المسلمين وتسامحهم في بناء المجتمع الفرنسي![5].

٢ - وحدة الأديان:

زعم بعض اليهود والنصارى بأن الأديان كلها واحدة تؤدي إلى غاية واحدة! ونادى كثير من رجالاتهم بوحدة الأديان - كما مر معنا[6] -.

وتجاوب بعض المفكرين المسلمين والمنتسبين إلى العلم فانخرطوا في هذا المنزلق الخطير؛ داعين إلى القول بوحدة الأديان أو زمالة الأديان وتقاربها، أو الأديان السماوية كلها على حق، واستدلوا بأدلة شرعية بعد تحريفها عن معانيها الصحيحة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ

---

(١) واقعنا المعاصر، ص٣٠٧.
(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٤٩.
(٣) أوردت هذه الحادثة، ويأتي حديث خاص عن بناء الكنائس والمعابد، ص٣٣٠.
(٤) هو: خليل مروان.
(٥) انظر: «من يمثل المسلمين في فرنسا» لمحمد الغمقي، مجلة المجتمع، العدد ١١٣٥ (٢٣/٨/١٤١٥هـ الموافق ٢٤/١/١٩٩٥م)، ص٣٩.
(٦) يراجع ص٩٣.
(٧) [سورة البقرة: الآية ٦٢].

سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

- ولعل أول من تأثر بتلك الدعوات الهدامة (القول بوحدة الأديان أو زمالة الأديان وتقاربها) - في العصر الحاضر - ودعا إليها هو جمال الدين الأفغاني، ثم حملها من بعده تلميذه محمد عبده - مؤسس المدرسة العقلية في العصر الحديث -[3] وتلاميذه[4].

فقد قام - الشيخ محمد عبده - بتأسيس جمعية سياسية دينية سرية[5] كان الهدف منها؛ التقريب بين الأديان الثلاثة، وإزالة الشقاق بين أهلها، وإحلال التعاون بدل الفرقة والخصام، فهو يقول: "إن القرآن هو منبع الدين، يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظن المتأمل فيه أنهم لا يختلفون إلا في بعض أحكام قليلة!"[6].

- وفي رسالة وجهها الشيخ محمد عبده إلى القس إسحاق تيلور، جاء فيها: "إنا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتباً متوافقة، وصحفاً متصادقة، يدرسها أبناء الملتين ويوقرها أرباب الدينين، فيتم نور الله في أرضه ويظهر دينه الحق على الدين كله"[7].

- وفي رسالة للشيخ مصطفى المراغي - بعث بها إلى مؤتمر الأديان

---

(١) [سورة الحج: الآية ٧٨].

(٢) [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

(٣) انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (١/ ١٢٤).

(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم (١/ ٣٤٥ - ٣٥٢)، والعلمانية، ص٥٧٨، والاستعانة بغير المسلمين، ص٤٤٠، والولاء والبراء في الإسلام، ص٣٤٩.

(٥) اشترك معه: ميرزا باقر، وبير زاده عارف أبي تراب، وجمال بك - نجل رامز بك التركي -، ثم انضم إليها حسن خان، مستشار السفارة الإيرانية بإستنبول، وغيرهم. انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر، د. حمد الجمال (١/ ٢٥٤).

(٦) المرجع السابق (١/ ٢٤٦).

(٧) الأعمال الكاملة لمحمد عبده، جمعها وحققها وقدم لها: د. محمد عمارة (٢/ ٣٦٤).

العالمي في موضوع الزمالة الإنسانية ـ يقول فيها: ''اقتلع الإسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى، وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري، ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنباً إلى جنب''[(١)].

ـ وزعم أحدهم أن الإيمان بالتوحيد متحقق في اليهود والنصارى كالمسلمين!: ''نحن في منطقة الشرق الأوسط نؤمن بطريقة أو أخرى. وأقولها واضحة يستوي في هذا الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي تختم بإله واحد. هذه منطقة توحيد والصور تختلف وتفسيرها الفلسفي يختلف''[(٢)].

ـ وفسر أحدهم الإسلام الذي لا يقبل غيره في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٣)]، ''هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن، فأي امرئ كان هذا حاله فإنه مسلم سواء كان مؤمناً بمحمد[(٤)] أَوْ كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين''[(٥)].

ـ وهذا مصطفى القاياتي ـ أحد المدرسين في الأزهر ـ ''يأخذ الصليب ويضعه في محراب الأزهر، فيقوم خطيباً بالدعوة إلى اتحاد الإسلام والنصرانية القبطية، ودعا الحاضرين إلى صلاة ركعتين جميعاً مع وضع الصليب في المحراب، وكَبَّرَ، وصلى ركعتين والصليب أمامه يصلي له والله معاً ـ في زعمه ـ!''[(٦)].

---

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص٦٣.

(٢) الإسلام والعصر، د. عبد العزيز كامل، ص١٩٤، نقلاً عن: (العصريون معتزلة اليوم)، ص٣١.

(٣) [سورة آل عمران: الآية ٨٥].

(٤) ﷺ.

(٥) نظرات في الدين لعبد اللطيف غزالي، ص١٦، ٣٦، نقلاً عن: (العصريون معتزلة اليوم)، ص٣٣.

(٦) مطابقة الاختراعات العصرية لأبي الفيض أحمد بن الصديق، ص٨٤.

ـ وما الحوار الداعي إلى الوحدة الإبراهيمية الذي يتبناه رجاء جارودي[1] إلا أنه دعوة صريحة إلى المسلمين واليهود والنصارى في أن يضعوا أيديهم بعضهم مع بعض باعتبارهم إخوة، ودينهم واحد ـ جميعاً ـ هو دين أبيهم إبراهيم[2]، وتحديد القواسم المشتركة فيما بينهم[3].

ـ وعموماً؛ فإن مجمل آراء أولئك الداعين إلى وحدة الأديان أو زمالة الأديان وتقاربها، أن الاختلاف في أصول الديانات كالاختلاف في فروعها، ودين الله على ألسنة جميع الرسل دين واحد، وكلهم يدعو إلى العدل والإحسان، وما إلى ذلك من القيم الرفيعة، وقد حمل هذه الأفكار بعض أهل العلم والحكام والمفكرين[4].

---

(١) رجاء جارودي: دكتور فيلسوف فرنسي ماركسي شيوعي دخل في الإسلام منذ سنوات إلا أنه لم يفهم الإسلام ولا معنى لدخوله في الإسلام! فصار يدعو إلى مثل تلك الدعوات الإبراهيمية وحوار الحضارات. ولبعض أهل العلم كلام حول إسلامه، انظر: ما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في جريدة الشرق الأوسط، العدد ٦٣٤٤ (الخميس ٢٤/١١/١٤١٦هـ الموافق ١١/٤/١٩٩٦م)، ص١٠، وجريدة (المسلمون) (الجمعة ٢٥/١١/١٤١٦هـ الموافق ١٢/٤/١٩٩٦م) ص١، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الرياض فتوى رقم ١٩٤٠٢، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٠، ص٤٥ ـ ٥٤، وأقول: ينبغي أن يبين الإسلام بكل نصاعة ووضوح لمن يرغب الدخول فيه، ومن ثم يتدرج معه حسب مستواه، ولا ينبغي للدكتور رجاء جارودي وأشكاله أن يتحدثوا عن قضايا شرعية كبرى هي من اختصاص العلماء وأهل العلم.

(٢) عليه الصلاة والسلام.

(٣) انظر: الإسلام في الغرب، د. رجاء جارودي، ص٨، ١٦٩ ـ ١٧١.

(٤) من هؤلاء:

ـ الشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه حرية الفكر في الإسلام، ص١٧.

ـ الشيخ أحمد كفتارو. انظر: الدعاة والدعوة الإسلامية (١/٥٢٦ ـ ٥٣٠، ٥٤٧)، (٢/٦٨٢ ـ ٦٩٧).

ـ الشيخ عبد العزيز جاويش ود. عبد العزيز كامل وعبد اللطيف غزالي ومحمد العشماوي.

انظر: (العصريون معتزلة اليوم)، ص٣٠ ـ ٣٣.

ـ أنور السادات. انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص١٢١، =

وقد أوضحت في معرض حديثي عن نقد أسس التَّسَامُح[1] بأن كل من زعم أن في الأرض دينا يقبله الله سوى الإسلام فإنه كافر لا شك في كفره، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2]. وفي حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**وَالَّذِي نَفْسُ مُحمدٍ بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌ ولا نَصْرَانيٌ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤمنْ بِالَّذِي أُرسِلْتُ بِه إلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**))[3].

ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "قد ثبت في الكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافر"[4]. ويقول الشيخ محمد بن عثيمين: "إن كل من زعم أن في الأرض دينا يقبله الله سوى الإسلام فإنه كافر لا شك في كفره لأن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[5]"[6].

= و(الأيديولوجيا والتَّسَامُح الثقافي) لروبرتو شبرياني (ضمن: التَّسَامُح الثقافي)، ص٧١.
ـ محمود رية. انظر: المدرسة العقلية الحديثة في ضوء التفسير (٢/ ٧٦٤)، و(العصريون معتزلة اليوم)، ص٣٤.
ـ للاستزادة انظر ما ذكره صاحب كتاب: الحوار مع أهل الكتاب، ص١٢٦، وكتاب: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، ص٣٧١ ـ ٣٨٥.

(١) يراجع ص١٠٦.
(٢) [سورة آل عمران: الآية ٦٤].
(٣) سبق تخريجه، ص١٠٦.
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/٤٩٦).
(٥) [سورة آل عمران: الآية ٨٥].
(٦) الصحوة الإسلامية، ترتيب علي أبو لوز، ص١٩٩.

المطلب الثاني

الدعوة إلى عزل الشريعة الإسلامية

ويراد بعزل الشريعة الإسلامية؛ أي عزل الإسلام عن مجالات الحياة، وحصره في أضيق نطاق، بحجة الملاءمة بين الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة، والمساواة المطلقة بين المسلمين وغيرهم، كل ذلك باسم التَّسَامُح مع غير المسلمين!

ودونك إيضاحها من خلال النقاط الآتية:

١ ـ الملاءمة بين الإسلام والحضارة الغربية:

مر معنا أن كرومر رأى أن أفضل وسيلة في عزل الشريعة الإسلامية؛ هو تفريغ المحاكم الشرعية من محتواها، وذلك بأن يتولاها علماء؛ تتم تربيتهم بإشرافه هو والشيخ محمد عبده وآخرين من أهل العلم، في معهد خاص لقضاة الشرع.

فقد ظهرت بوادر التَّسَامُح والتساهل في مشاركة الشيخ محمد عبده وآخرين من أهل العلم في وضع ذلك المعهد! وتمخض عنه أخذ بعض قوانين الكفار ونظمهم الجائرة، ومن ثم تطبيقها في معظم بلاد المسلمين.

لقد كان لتلك المشاركة! أعظم الآثار في تربية جيل جديد من رجال الشريعة الإسلامية، على مناهج خاصة وتخريج قضاة الشرع المسلمين بعد أن تم تزويدهم ببرامج ثقافية ذات طابع تحرري.

"وكان الشيخ محمد عبده على مَا لَهُ من حسنات في الدفاع عن الإسلام وإصلاح مناهج التعليم وتقريب الدين إلى الجيل الجديد، كان من رواد الدعوة للتجديد، والدعوة إلى الملاءمة بين الإسلام وبين الحياة في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، والتقدير الزائد للقيم

الغربية، ومحاولة التقريب بينها وبين الإسلام، والحرص على تفسير الفقه الإسلامي وأحكام الشريعة تفسيراً يتناسب مع مطالب المدنية الجديدة، والجيل الجديد، يقرب في ذلك كثيراً إلى أحمد خان في الهند، وتتجلى هذه النزعة في تفسيره وفي فتاواه وفي كتاباته، وكل من جاء بعده من دعاة التجديد؛ اقتبس من علمه واغترف من بحره"[1].

منهم؛ نجد الشيخ مصطفى المراغي ـ أحد تلاميذه ـ يطلب من اللجنة المشكلة لعمل قانون الأحوال الشخصية، أن يضعوا القوانين مع ما يرونه متمشياً مع روح العصر، وبعدها سيقوم هو بتوفيق النص الفقهي من أحد المذاهب الفقهية![2] حيث يقول: "ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان. وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم"[3].

وهكذا نجد بعض أبناء المسلمين الذين نفذ الاستعمار في قلوبهم فاستهواها، قد سعوا في سبيل الملاءمة مع القوانين الوضعية الغربية فأحلوها محل الشريعة الإسلامية، وتم ذلك كله "في ظل الخواء الروحي والتخلف العقدي من ناحية، وفي ظل الغزو الفكري من ناحية أخرى، وقد تلازما في الحقيقة لارتباط الأخير بالأول"[4].

وما أعظمها من جريمة!

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ "ومن أعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنة رسوله وإحداث ما خالفهما"[5].

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٩٥.
(٢) انظر: (المجددون في الإسلام) لعبد المتعال الصعيدي، ص٥٤٨.
(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حاشية، (٢/ ٢٧٢).
(٤) واقعنا المعاصر، ص٣٤٣.
(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٤٠٥).

٢ ـ المساواة العامة المطلقة في الحقوق والواجبات بين المسلم والكافر!

للكافر المقيم بدار الإسلام حقوق كثيرة؛ وعليه في مقابلها واجبات، ولكن ذلك لا يعني المساواة مع المسلم من كل وجه. ولقد كان من آثار التَّسَامُح المطلق، وسوء الفهم لمبدأ المساواة، تبني فكرة المساواة العامة والمطلقة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين مسلمهم وكافرهم[١]، بحيث لا يميز بين المسلم والكافر!

ولقد نصت بعض دساتير الدول الإسلامية على ذلك، فعلى سبيل المثال:

نص الدستور في مصر في مادته السابعة: "المواطنون لدى القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة"[٢].

وكذلك الحال في العراق في مادته التاسعة[٣] ومثلهما كثير في الدول التي تعتمد القوانين الوضعية.

٣ ـ تحريف معنى الجهاد:

كما مر معنا لقد أدرك الغرب ما تنطوي عليه تعاليم الإسلام من الحث على الجهاد وإعلاء مرتبة المجاهدين، ولهذا سعى في إضعاف مفهوم الجهاد وتشويهه وإحباطه بكل وسيلة.

من ذلك؛ وصفه الإسلام بأنه انتشر بالسيف وبإكراه الناس عليه، وكذلك بالهمجية والوحشية وخلوه من الرحمة، وانتهاك حرية الاعتقاد، وعدم التَّسَامُح مع الآخرين[٤].

---

(١) للمسلمين من الحقوق ما ليست للذميين كالولايات العامة، وعليهم من الواجبات ما ليس على الذميين كالزكاة. انظر: الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٣٥.

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٨٣.

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) بينت في الباب التمهيدي: التَّسَامُح في الإسلام ضوابطه وخصائصه في معاملة غير المسلمين، ص٣٥ وما بعدها.

وكان رد الفعل لهذا في أوساط كثير من المسلمين مزيجاً من الخجل أو التبرير أو التسليم بهذه الأباطيل والانخداع بها، ومتابعة أعداء الإسلام في القول بها، والدعوة إلى فهم جديد للإسلام![1].

ومن أبرز الآثار في تحريف معنى الجهاد ذروة سنام الإسلام:

ـ دعوة أحمد خان في الهند وقيامه بتحريف معاني آيات القتال، وإضعافه من فرضية الجهاد في الوقت الحاضر تجاه الإنجليز، ثم جاءت القاديانية ـ من بعده ـ فأعلنت صراحة إبطال الجهاد المعروف على عهد الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين[2].

ـ وكذلك تلك التفسيرات الجديدة التي تفسر الجهاد في الوقت الحاضر بأنه دفاعي محض[3]، وهي بهذا تجرد الإسلام من أصله الأصيل في الدعوة إلى دين الحق بتبليغ لواء التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولذا فقد قاموا بمحاولة الرد على تلك التهم الموجهة ـ بأن الإسلام لا يرحم ولا يتسامح مع غيره ـ من منطلق إماعة موقف الجهاد في الإسلام، ومحاولة إبراز التَّسَامُح من خلال التفسيرات الجديدة بليِّ أعناق النصوص الشرعية لتوافق ما زعموه دفاعاً عن الإسلام. فكان مما ذكروه؛ بأن المسلمين لا يقاتلون ولا يهاجمون ولا يعادون أحداً مطلقاً، ولكن يدافعون عن أنفسهم فقط إذا ما هوجموا من عدوهم، وأن معارك الإسلام جميعها لم تتخط هذا المنطلق، وأخذوا يلتمسون المبررات لكل معركة خاضها المسلمون، فها هي بلاد جنوب شرق آسيا وأفريقيا وغيرها، دخلها الإسلام بواسطة التجارة والمخالطة.

واستدلوا ببعض الآيات منها: قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ

(١) انظر: الغزو الفكري، ص٢٣٥، وأجنحة المكر الثلاثة، ص٢٦٧.
(٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص٤٤، ٤٧.
(٣) بالمعنى الضيق لمفهوم الدفاع، المتمثل بالدفاع عن الوطن والنفس.

﴿ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[1]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾[3]، وأمثال هذه الآيات، مُغفِلين الآيات الأخرى الصريحة في الجهاد، كقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[4]. أو مؤولين لها على ضوء الأحكام المرحلية في بداية الدعوة الإسلامية، ولعل معظمهم صدروا فيما وقعوا فيه من حسن نية[5][6].

ولهذا فقد انتشرت فكرة حصر الجهاد في الإسلام ـ في العصر الحاضر ـ بقتال الدفاع! كما أنه بسبب الانفتاح السياسي الواسع ـ دون مراعاة الضوابط الشرعية ـ بين دول العالم الإسلامي وبين دول الكفر؛ أصبحت العلاقة السلمية هي الأصل، وأقيمت معاهدات دولية ومؤتمرات

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٥٦].

(٢) [سورة البقرة: الآية ١٩٠].

(٣) [سورة الأنفال: الآية ٦١].

(٤) [سورة التوبة: الآية ٢٩].

(٥) انظر: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي لعمر عبيد حسنة، ص٦١ ـ ٦٥، وأجنحة المكر الثلاثة، ص٣٦٨، وافتراءات حول غايات الجهاد لمحمد نعيم الياسين، ص١١٣ ـ ١٣٠.

(٦) من هؤلاء:
ـ الشيخ محمود شلتوت في كتابه القرآن والقتال، ص١٢٦ حيث يقول: «يتبين جلياً أن الرسول لم يقاتل إلا من قاتله، وإلا دفعاً للظلم، ورداً للبغي والعدوان، وقضاء على الفتنة في الدين». نقلاً عن: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٥١١).
ـ عمر الفرجاني في كتابه أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص١١ حيث يقول: «جميع غزوات الرسول ﷺ كانت ذات طابع دفاعي»، المرجع السابق.
ـ د. وهبة الزحيلي حيث يقول: «الموقف الدفاعي هو الذي سار عليه النبي ﷺ والمسلمون من بعده» آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص١١٠، وانظر: ص٩٠ ـ ٩٥، ١١٨.

عديدة من أجل تعطيل ركن الجهاد، شاركت معظم البلاد الإسلامية فيها! وقد حصل هذا بالفعل!

وتحت مسمى التعايش السلمي ونبذ العداوات التاريخية وعهود السلام! تم تغيير مناهج التربية والتعليم في بعض البلاد الإسلامية، وذلك بحذف الآيات الدالة على الجهاد وتحريف معانيها! "مع أن الجهاد فريضة إسلامية والمسلمون بحاجة شديدة إليه، مما فوت على المسلمين مصالح كثيرة؛ فخسروها فجنى عليهم في الوقت ذاته كوارث ومصائب لا حصر لها حيث أفسحوا المجال لأعداء الإسلام يتلاعبون في شعوب العالم ويذلونها ويفرقون بينها ـ خاصة الشعوب الإسلامية نفسها ـ"(١).

وما حدث ـ ويحدث ـ في فلسطين وكشمير والصومال والبوسنة والهرسك ولبنان وغيرها، ما هو إلا بسبب تحريف معنى الجهاد وغياب المسلمين عن تأدية واجبهم ولقد كان من نتيجة ذلك وقوع الذلة والمهانة فيهم.

فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وتَرَكْتُمُ الجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُم ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلى دِينِكُم))**(٢).

ولهذا فقد ترتب على تحريف معنى الجهاد إسقاط بعض أحكامه المتعلقة به؛ فمن ذلك: إسقاط الجزية في الوقت الحاضر! أو إنكارها أو تأويلها على غير معناها الصحيح(٣).

---

(١) الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٥٩.

(٢) رواه أبو داود، كتاب البيوع، حديث رقم ٣٤٦٢، سنن أبي داود (٣/ ٧٤٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢/ ٦٦٣)، والسلسلة الصحيحة، حديث رقم ١١.

(٣) يعد الأستاذ المودودي في كتابه (الجهاد في الإسلام)، والأستاذ سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) هما من أفضل من تصدى لشبهات الأعداء والمرجفين حول الجهاد وأحكامه.

وأقول: إن كون المسلمين في ضعف وتفرق لا يعفيهم من أن يقوموا بكل ما يستطيعون في تطبيق أوامر الله، وليس من حق أي إنسان أن يسقط حكماً شرعياً ثابتاً لهوى في نفسه، وإلا لكانت الشريعة عرضة للزيادة والنقصان. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

المطلب الثالث

الدعوة إلى النصرانية

لقد كان الحلم الكبير الذي يطمح المنصرون الغربيون في تحقيقه، هو إقامة قنوات ثابتة ـ معابد وكنائس ـ يقوم عليها بعض أبناء البلاد الإسلامية.

أما اليوم فقد أصبح ذلك الحلم حقيقة مشاهدة في معظم البلاد الإسلامية[2] نتيجة التَّسَامُح مع دعاة النصرانية، في الدعوة إلى دينهم وبناء العديد من المعابد والكنائس، ووجود البعثات والجمعيات التنصيرية.

إنَّ الإسلام وإنْ تسامح مع غير المسلمين في تركهم على عقيدتهم ودياناتهم المحرفة والضالة يزاولونها بمعزل عن المسلمين، فإنه لا يمكن التَّسَامُح معهم في إطلاق حرية الدعوة لهم إلى الكفر والضلال بالوسائل الظاهرة والخفية[3].

غير أن المسلمين لم يفقهوا معنى التَّسَامُح الصحيح مع غير المسلمين، فاختلط عليهم وسمحوا لغير المسلمين بالحرية في الدعوة إلى

(١) [سورة المائدة: الآية ٣].

(٢) عدا المملكة العربية السعودية ـ بحمد الله ـ فلا توجد بها معابد ولا كنائس ولا بعثات تنصيرية معلنة.

(٣) انظر: الموالاة والمعاداة (٢/ ٦٦٣).

دينهم، ويطول بي المقام في الحديث عن الدعوة إلى النصرانية ـ فهو موضوع يحتاج إلى رسائل علمية ـ.

لذا فأقتصر على ما له صلة بالموضوع ـ ضمن آثار التَّسَامُح ـ في الدعوة إلى النصرانية في منطقة الخليج العربي فقط ـ مع عقد مقارنة بغيرها من البلاد الإسلامية إذا اقتضى المقام ذلك ـ، وقبل الحديث عن الدعوة إلى النصرانية أرى من الأهمية بمكان أن أبين الوجهة الشرعية من بناء المعابد والكنائس في بلاد المسلمين بشكل عام، وفي منطقة الخليج العربي بشكل خاص، مراعياً الإيجاز[1]:

ـ بناء المعابد والكنائس:

أ ـ البلاد التي أقامها المسلمون من المدن والقرى مثل الكوفة والبصرة وبغداد ونحوها، فلا يجوز إحداث المعابد فيه لغير المسلمين البتة[2].

ب ـ البلاد التي فتحها المسلمون عنوة مثل مصر والقسطنطينية وغيرهما، فلا يجوز إحداث شيء من المعابد والكنائس فيها، وإن كان يجوز ترك ما هو موجود فيها على الرأي الراجح من أقوال الفقهاء[3].

ج ـ البلاد التي فتحها المسلمون صلحاً بينهم وبين سكانها، فإن جرى الصلح على أن الأرض لنا ويبقون بالخراج، فالحكم هنا بحسب الاتفاق، فإذا اتفق على الإحداث فلهم ذلك وإلا فلا[4]، وكذلك إقرار المعابد السابقة[5].

د ـ جزيرة العرب: "فهي وقف في الإسلام على أهل الإسلام؛ على

---

(١) للعلماء تفصيلات في هذا الموضوع؛ طوي الحديث عنها للإيجاز، ومراعاة لطبيعة التخصص العلمي.

(٢) انظر: المغني (١٣/ ٢٣٩)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ٦٨٦)، وأحكام الذميين والمستأمنين، ص٩٦.

(٣) انظر: المغني (١٣/ ٢٤٠)، وأحكام أهل الذمة (٢/ ٦٨٩)، وأحكام الذميين والمستأمنين، ص٩٦.

(٤) انظر: المغني (١٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وأحكام أهل الذمة (٢/ ٦٩١ ـ ٦٩٣)، وأحكام الذميين والمستأمنين، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٥) انظر: فقه الاحتساب على غير المسلمين، د. عبد الله الطريقي، ص٤٩.

من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وقام بحقها. وهي وديعة النبي ﷺ إلى أمته، التي استحفظهم عليها في آخر ما عهده إليهم"[١].

لعموم الأدلة الشرعية؛ من ذلك قول النبي ﷺ: ((**أَخرِجُوا المُشرِكِين مِنْ جَزِيرَةِ العَرَب**))[٢]. وقوله ﷺ: ((**لأُخرِجَنَّ اليَهُودَ والنَّصَارى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ حَتَّى لاَ أَدَع فِيها إلا مُسْلِماً**))[٣].

فالحكم الشرعي يقضي منع إقامة الكنائس والمعابد في الجزيرة العربية، وعدم جواز أن يوجد ذميون فيها مطلقاً بحيث يستوطنونها ويقيمون فيها إقامة دائمة ويتملكون فيها[٤].

ومن المعلوم أن وجود الكنيسة يضفي على العمل التنصيري طابع الدوام والاستمرار، لذا فقد كان من أولى أوليات المنصرين هو؛ إقامة كنائس وطنية[٥] في البلاد الإسلامية عامة، والخليج العربي بصفة خاصة، لأنهم يطمحون في أن يقوم أبناء تلك البلاد بأعمال التنصير.

ولقد تغافل أكثر حكام اليوم وتغاضوا عن بناء الكنائس وانتشار سدنتها من الكافرين والمفسدين في الأرض، وأصبحت الكنائس في البلاد الإسلامية تضاهي في علوها مآذن المساجد!

---

(١) خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر أبو زيد، ص٣٤.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب (٦) إخراج اليهود من جزيرة العرب. . ، حديث رقم ٣١٦٨، فتح الباري (٦/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، ورواه مسلم، كتاب الوصية، باب (٥) ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، حديث رقم ١٦٣٧، صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب (٢١) إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حديث رقم ١٧٦٧، صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٨).

(٤) انظر: فقه الاحتساب، ص٤٨.

(٥) تعني كلمة الكنيسة الوطنية (المحلية) (The Indigenous Church): أن من تنصر من أهل البلاد يتولون بأنفسهم الشؤون الكنسية والتنصيرية التي ينتمون إليها. انظر: التبشير في منطقة الخليج العربي، د. عبد الملك التميمي، ص٢٢٧، وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص٨١، والتبشير والنصرانية في جنوب السودان ووادي النيل وكلاهما للدكتور إبراهيم عكاشة، ص٢٩١.

فقد دعا أحد الحكام المسلمين وليام متن ـ وزير البحرية الأمريكية السابق ورئيس مجلس إدارة شركة نيفالي ـ من أجل وضع أساس لكنيسة تقام في جبل سيناء![1].

كما يوجد من الحكومات في بلاد المسلمين من تعين المساجد والكنائس على قدم المساواة، وتقوم بتشييد الكنائس من بيت مال المسلمين![2]. وبعض المسلمين يتسامح كثيراً ولا يرى ما يشين في بناء الكنائس ووجودها في البلاد الإسلامية، وفي الجزيرة العربية على حد سواء[3]، فتنافس بعضهم ـ ناقصو الإيمان ـ في إعمار بعض الكنائس والمعابد سواء في بلاد المسلمين أو حتى في بلاد الغرب!

وأضرب مثالاً ـ على ذلك ـ من بلاد الخليج العربي:

ـ عندما قامت إحدى البعثات التنصيرية بحملة للتبرع في توسعة كنيسة بالكويت في عام (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م). جاءت معظم التبرعات من المسلمين! بل قال أحد كبار المتبرعين ويدعى الجنعي! للقس دونالد ماكنيل: "إن بيت العبادة هو بيت السلام"[4].

ومما يجدر الإشارة إليه؛ أن في هذه الكنائس تؤدى الشعائر الدينية، وتقام فيها الأعراس والجنائز والتعميد، وسائر الأعمال المتعلقة بالديانة النصرانية. وهي كارثة ابتليت بها أجزاءٌ كثيرةٌ من بلاد المسلمين، وهي في ازدياد ملحوظ! فقد أسس المنصرون العديد من الكنائس (الوطنية) في الخليج العربي منها على سبيل المثال:

ـ الكنيسة الإنجيلية الوطنية في المنامة سنة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م).

---

(١) «السادات يعود بجائزة من النصارى» مجلة المجتمع، العدد ٤٨٠، السنة الحادية عشرة، (٢٨/ ٦/ ١٤٠٠هـ الموافق ٣/ ٥/ ١٩٨٠م)، ص١٥.

(٢) انظر: الموالاة والمعاداة (٢/ ٦٩٤)، والإسلام والحضارة الغربية، ص١٤٥.

(٣) انظر: (القسم الثاني: من ندوة وقائع التحديات الحضارية والغزو الثقافي)، ص٤٥٢ ـ ٤٦٦، وموقف الإسلام من بناء الكنائس في بلاد المسلمين، لأحمد الحصين، ص٩.

(٤) انظر: أصول التنصير في الخليج العربي، هـ. كونوي زيقلر، ترجمة: مازن مطبقاني، ص١٥٧ ـ ١٥٨.

- الكنيسة الإنجيلية الوطنية في البصرة سنة (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م).

- الكنيسة الإنجيلية الوطنية في الكويت سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).

- الكنيسة الإنجيلية الأمريكية في ماترا ومسقط بعمان[(١)] وغيرها كثير.

وأما البعثات التنصيرية؛ فمما ينبغي التنبيه إليه؛ أن النصارى أنفسهم يؤكدون على حجب إصدار معلومات عن الإرساليات العاملة في الخليج العربي خشية إلحاق الضرر بنشر كلمة المسيح في الشرق الأوسط[(٢)].

وقد نجحت البعثات التنصيرية - إلى حد ما - في إقامة جمعيات وهيئات دائمة في معظم البلاد الإسلامية فعلى سبيل المثال:

- في الجزيرة العربية (الخليج العربي) فسكانها مسلمون (مائة في المائة) فقد انتشرت الجمعيات والبعثات التنصيرية حيث يوجد في الإمارات العربية المتحدة (٥٤) أربع وخمسون بعثة تنصيرية. وفي الكويت مجلس اتحاد الكنائس لدول منطقة الخليج![(٣)].

ومن المعلوم أن الكويت وغيرها من دول الخليج داخل في مفهوم الجزيرة العربية، ويشملها النهي الذي نهى عنه نبينا محمد ﷺ عن إقامة المشركين في الجزيرة العربية - كما أوضحت -.

وبعد؛ فقد اتضح لنا كيف يؤثر الخلط في مفهوم التَّسَامُح والتساهل مع غير المسلمين لا سيما مع المنصرين؛ وما جر إليه من تشييد العديد من الكنائس والمعابد وإقامة البعثات والجمعيات التنصيرية وتملك العديد من المشروعات في البلاد الإسلامية!

---

(١) انظر: التبشير في منطقة الخليج العربي، ص٢٢٧. وملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص٨١، والتبشير والنصرانية في جنوب السودان ووادي النيل، ص٢٩١.

(٢) انظر: ملامح عن النشاط التنصيري، ص٨٢.

(٣) انظر: «مذكرة تفصيلية عن الوجود النصراني في الخليج»، موضوع الغلاف، مجلة المجتمع، العدد ٥٥٣، السنة الحادية عشرة (٢٦/ ٢/ ١٤٠٢هـ الموافق ٢٢/ ١٢/ ١٩٨١م)، ص٢٠ - ٢٣.

فالواجب على المسلمين ـ حكومات وشعوب ـ أن يقفوا من المعابد والكنائس والبعثات والجمعيات التنصيرية، الوقفة الشرعية، وأن يقيموا شرع الله في أرضه، فليس في دين الله هوادة؛ أو تنازل باسم التَّسَامُح والتقارب والحرية الدينية؛ أو أي مسمى كان، فالحق أحق أن يتبع[(١)].

وبذا يتبين أن للجزيرة العربية خصائص، وأنها للمسلمين خاصة. وأما الكفار ـ مهما كان دينهم أو صفتهم ـ فيمنعون من الاستيطان والقرار فيها، وليس لهم إحداث كنيسة فيها، ولا بيعة، ولا صومعة ولا تملك عقار ونحو ذلك، وليس لإمام الإذن بشيء منها، ولا الإبقاء عليه؛ محدثاً كان أو قديماً[(٢)].

وأنقل هنا كلاماً لابن القيم ـ رحمه الله ـ يرد فيه على أولئك الذين تسامحوا وتساهلوا في الدعوة إلى النصرانية[(٣)] حيث يقول ـ بعد أن بين أقسام الكنائس في الإسلام ـ: "فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمره الله به، وما هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله، وقمع أعدائه، وإتمام ما فعله الصحابة من إلزامهم بالشروط عليهم..؛ ولا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول: إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[(٤)]، وإذا كان فوروز في مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق"[(٥)].

---

(١) يكفي أن يعلم أن عدد الذين تنصروا في إندونيسيا فقط، أكثر من خمسة عشر مليون شخص ـ إلى الله المشتكى ـ انظر: صيحة تحذير من دعاة التنصير، ص١١٩.

(٢) انظر: خصائص جزيرة العرب، ص٣٥ ـ ٣٦.

(٣) انظر: (القسم الثاني: من ندوة وقائع التحديات الحضارية)، ص٤٥٢ ـ ٤٦٦.

(٤) [سورة الحج: الآية ٤٠].

(٥) أحكام أهل الذمة (٢/ ٦٨٨).

المبحث الثاني
الآثار الثقافية

مر معنا في الحديث عن الأهداف الثقافية بأن الغرب الزاحف على المسلمين قد أدرك أن أكبر الوسائل جدوى وقوة وتأثيراً لتحقيق غايته؛ هي التركيز على الجانب التربوي والتعليمي.

ومن العدل أقول: إن الغرب قد تسامح مع المسلمين ـ إلى حد ما ـ فنادى بالدعوة إلى أهمية التربية والتعليم ونشر الثقافة في ربوع المسلمين ـ الذين غلب عليهم الجهل وتفشت فيهم الأمية ـ وقد أسهم في تأسيس العديد من المدارس الحديثة، وتطويره نظام التعليم، وإدخال الأساليب الجديدة في المدن والقرى والريف.

وأتناول أبرز الآثار الثقافية للتسامح في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الانبهار الشديد والتبعية الثقافية للحضارة الغربية.

المطلب الثاني: علمانية التربية والتعليم.

المطلب الثالث: الحرية الفكرية والحرية الشخصية.

المطلب الرابع: نبذ الدين الإسلامي.



المطلب الأول

الانبهار الشديد والتبعية الثقافية للحضارة الغربية

لعل من أخطر الآثار الثقافية للتسامح التي تأثرت بها معظم المجتمعات الإسلامية الراهنة؛ هو انبهارها الشديد وتبعيتها الثقافية للحضارة الغربية؛ التي شكلت شخصية مجموعة من أبناء المسلمين على نمط شخصيات أبناء الغرب ـ وغيرت عقلياتهم ـ إلى حد أن عقولهم أصبحت لا تستطيع أن تستسيغ الإسلام الصحيح، فانسلخ أناس من الإسلام وارتموا في التبعية الغربية التامة.

لقد نبغ كتاب وشعراء وقفوا على بعض البحوث العلمية الغربية، وأعجبوا بها وسحرتهم، ومن ثم أخذوا يهيئون الأذهان لقبولها في مقالاتهم وقصائدهم، غير مصرحين بها لغير أمثالهم ـ هذا في البداية ـ ثم أخذوا شيئاً فشيئاً يجهرون بأفكارهم وثقافاتهم داعين بالتبعية التامة للغرب[١].

"لقد كانوا من الذين فتنتهم الحضارة الغربية المزدهرة، حين عاشوا في البلاد الأوروبية، أو نشؤوا في مدارسها المنبثقة في أنحاء الشرق، واستمدوا مُثُلهم العليا في حياتهم من ثقافة الغرب التي لا تمت إلى الحضارة الإسلامية أو العربية بسبب من قريب أو بعيد، فهم يعرفون عن تاريخ إنكلترا وفرنسا أضعاف ما يعرفون عن تاريخ المسلمين أو العرب، وهم يعرفون تاريخ الكنيسة الأوروبية وما بين مذاهبها من خلاف أكثر مما يعرفون عن أعلام الحضارة الإسلامية والعربية، وهم بعد ذلك يعيشون في بيوتهم حياة تحاول أن تقلد في مظهرها الحياة الغربية، وربما وكلوا إلى بعض المربيات الأجنبيات تنشئة أبنائهم والقيام على تربيتهم. وبذلك توثقت

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم (٤/ ٤).

الصلات الثقافية والفنية والروحية بينهم وبين الغرب!"[1].

"لقد كان موقف المسلمين من الغرب وحضارته موقفاً مضطرباً اتصف بالذهول وعدم الوعي والتمييز بين ما عنده من منافع وأضرار، وكان الواجب اقتباس ما عنده من منافع، وترك ما عنده من أضرار ومفاسد"[2].

أما الذي حدث بالفعل كان غير ذلك، فقد وقفوا من النافع والفاسد موقفاً مختلفاً! "فأما الأشياءُ النافعة فقد اتجهوا إليها ولكن بجهد متقاعس متخاذل متعثر الخطوات، وأما الفساد فقد سارعوا إليه فاستوعبوه كله، وعبوا منه عبا كأنما هو الزاد"[3].

ولهذا فإن هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام قد أصبحوا لا يرون الحياة إلا بمنظار الغرب وثقافته وفلسفته وفكره وروحه، فمنهم من يزعم: بأنه لا يقرأ كتاباً عربياً وآخر يقول: إنني أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية![4].

- وزعم بعض الكتاب[5] أنه لا مفر للمسلمين من السير وفق الغرب في كل شيء، رضينا أم أبينا، وإلا فمآلهم إلى الاضمحلال لا محالة! فما علينا إلا أن نختار إحدى طريقتين، إما أن نقبل الحضارة الغربية أو نظل مستعبدين لقوى الغرب[6].

- ودعا طه حسين إلى أن نحتذي بالغرب حذو القذة بالقذة، ومن زعم خلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع، إذ يقول: "لا بد أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقتهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٥٩) (بتصرف يسير).
(٢) الانحرافات العقدية والعلمية، ص٩٠٨.
(٣) واقعنا المعاصر، ص٣٤٤.
(٤) انظر: الإسلام والغزو الفكري، د. محمد خفاجي، ود. عبد العزيز شرف، ص٧٢.
(٥) مثل: ضياء كوك ألب وسامي الجرديني. انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٠١).
(٦) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص٤١.

يحمد منها وما يعاب''[1].

ـ وبلغ الإعجاب بالغرب بأحد الكتاب المسلمين (المستغربين) مبلغاً متناهياً ـ دعاه فيه إلى القول ـ: ''بأنه لا يستطيع أن يتصور نهضة لأمة شرقية لا تخضع للمبادئ الأوروبية في الحرية والمساواة والدستور''[2].

ـ وقرر بعضهم بأن العالم لا يحتمل إلا مدنية واحدة، وأن المدنيات الشرقية قد أخذت في الاضمحلال، وأن الحرب قد تكشفت عن فوز المدنية الغربية. وهم بها يتنبؤون بأن العالم الشرقي سائر إلى المدنية الغربية لا محالة[3].

وبعد؛ فلم يستطع كثير من المسلمين أن يضعوا لأنفسهم موقفاً رشيداً ـ يؤدي بهم إلى الاحتفاظ بمنهج الإسلام العظيم ـ في تعاملهم الثقافي مع غيرهم من الأمم، وذلك بأخذ علوم الحضارة الغربية النافعة مثل علوم الطب والهندسة والإدارة، وترك الضار منها كالإلحاد والأفكار الهدامة وهو أمر ممكن التطبيق؛ بل هو اللائق بالأمة التي تحترم نفسها وتعتز بشخصيتها، وقد أخذت به بعض الأمم الكافرة مثل اليابان ـ مع مراعاة الفارق في انطلاقتهم العقدية ـ.

وأدعو الله بالمغفرة؛ لأولئك الذين انبهروا بالحضارة الغربية فوقعوا في تلك الأخطاء، وألتمس لهم بعض العذر في انبهارهم الشديد بكل ما هو غربي نتيجة للضعف المزري الذي أَلَمَّ بالمسلمين في تلك الحقبة ـ خصوصاً ـ.

ولكن ينبغي ملاحظة أننا نحن المسلمين؛ لنا قيمنا الثابتة الراسخة

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر (١/ ٤١).

(٢) «التبعية وأزمة المصطلح» ـ زاوية إطلالة ـ د. زيد الحسين، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٥ (ربيع الأول ١٤١٦هـ ـ أغسطس ١٩٩٥م)، ص٤ (بتصرف).

(٣) من هؤلاء: الأستاذ أحمد أمين، انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

والمتميزة؛ التي لا يصح أن تميل أو تتأرجح مع أي تطور أو انبهار.

- وفي مقابل هؤلاء؛ فقد انتقد بعض كتاب الغرب - أنفسهم - الحضارة الغربية ومدنيتها، وقاموا بالكشف عن حقيقتها وفسادها - من هؤلاء:

- ما كتبه المؤرخ الإنجليزي المعاصر توينبي (Arnold Toynbee) في كتابه الحضارة في الميزان Civilization on Trial، وكتابه الحضارة والغرب Civilization and the West، وهو يقول عن أولئك المقلدين من أبناء المسلمين: "لقد ظللنا نحن في الغرب نلهث خلف الرجل التركي ليقلدنا، فلما فعل ذلك احتقرناه"[(١)].

المطلب الثاني
علمانية التربية والتعليم

مما لا شك فيه أن من أعظم أهداف أعداء الإسلام في غزوهم الثقافي للعالم الإسلامي هو؛ نشر العلمانية[(٢)]، وذلك من خلال التركيز المباشر على علمنة التربية والتعليم منطلقين من مصر[(٣)]، باعتبارها مركز التوجيه والنقل - بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية ووجود الجامع الأزهر[(٤)] - كما ركزوا تركيزاً شديداً على تركيا بصفتها مركز

---

(١) يراجع: ص١٨٧.

(٢) العِلْمَانِيّة (أو العَالَمانية): ترجمة خاطئة مزيفة لكلمة Secularism التي تعني إقامة الحياة على أسس غير دينية، والأولى أن تسمى اللادينية. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص٣٤٥، والعلمانية، ص٢١.

(٣) ما حدث بمصر حدث مثله أو شبيهاً منه في أكثر بلدان العالم الإسلامي. انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٠٦، ٢٣٩.

(٤) وكان مما أوصى به مؤتمر القاهرة التنصيري المنعقد سنة (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م)؛ إنشاء جامعة علمانية على نمط الجامعة الفرنسية، تقوم بدور بارز في تغريب العالم الإسلامي وذلك لمزاحمة الجامع الأزهر، ولهذا فالمتأمل لمناهج التعليم في الجامعة المصرية، =

القيادة (الدولة العثمانية الإسلامية) ومحط أنظار المسلمين.

ولئن سعى الغربيون ـ في عهود الاستعمار ـ نحو التقريب بين الفكر الغربي والتعاليم الإسلامية بدعوى الملاءمة بينهما، وبدعوى أن الفكر الغربي الحديث أثبتت الحضارة الغربية قيمته ووزنه في الحياة! فقد جاء بعدهم من أبناء المسلمين من أكمل مهمة الغربيين في علمنة التربية والتعليم؛ وكان أكثر منهم إخلاصاً! ولا سيما المبعوثون الذين عادوا من بلاد الغرب.

لقد ارتفعت دعوات صارخة حملها العلمانيون في البلاد الإسلامية بأن النسبة إلى الدين سبة، وأنه هو السبب في تأخر المسلمين حضارياً، وكما كان الدين في الغرب عائقاً للتقدم، ولم يتقدم الغربيون إلا بعد أن قاموا بتغيير مناهجهم التربوية والتعليمية، وقذفوا المناهج القديمة التي كانت تتحكم فيها الأفكار الدينية، فكذلك الأمر فيما يتعلق بالشعوب الإسلامية؛ فإن سيطرة الدين في مناهج التربية والتعليم؛ هو السبب الأول والأخير في تأخر هذه الشعوب، فإذا أردتم التقدم والتفوق فاطرحوا الدين جانباً عن الحياة[1].

وطولب بتربية الأجيال الجديدة تربية لا صلة لها بالدين بحجة أن الدين من رواسب الماضي التي ينبغي أن تستبدل!

وأنقل فيما يأتي بعض نصوص من نشرة مؤتمر التربية العربي المسمى (الحلقة الدراسية العربية الأولى للتربية وعلم النفس): "يجب أن تعمل التربية العربية على خلق خصائص جديدة في الشخصية العربية الناشئة بحيث تستأصل منها رواسب العصر التركي والاستغلال الاستعماري..، فالمواطن

= لا يجد من بينها شيئاً من علوم الإسلام! وما برح بعض أساتذتها في بث الدعوات الإلحادية في نفوس الطلاب. انظر: الغارة على العالم الإسلامي، ص٧، ١٩، والعلمانية، ص٦٠٧، وحكم الجاهلية للشيخ أحمد شاكر، ص١٦٧.

(١) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٣١ ـ ٢٣٢، و«دور التربية الإسلامية الحضارية في مواجهة التحديات والغزو الحضاري» د. مقداد يالجن ـ ندوة التحديات ـ ص٧٣ ـ ٧٤، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣١٢).

العربي يجب أن يكون شخصاً تقدمياً يؤمن بفلسفة التغير والتطور. يجب أن يعتبر نفسه مسؤولاً عن المستقبل لا عن الماضي، ومسؤولاً أمام الأجيال القادمة لا أمام رفات الموتى»[1].

بل إن المتأمل ـ اليوم ـ لمناهج التربية والتعليم في غالب العالم الإسلامي، يجد العلمنة هي السائدة فيها، فجامعاته ومدارسه ـ على ضرب المثال ـ تدرس نظرية فرويد[2] في التحليل النفسي، ونظرية دوركهايم[3] في علم الاجتماع، ونظرية ماركس[4] في علم الاقتصاد، ونظرية فريزر[5] في علم مقارنة الأديان!

ولست في مقام يسمح بالتفصيل في علمانية التربية والتعليم[6]، فأكتفي بالإشارة إلى ثلاثة أمور:

١ ـ محاصرة دروس المواد الدينية:

وذلك بوضعها في آخر اليوم الدراسي، وإعطائها لأهرم المدرسين

---

(١) العلمانية، ص٦٠٠.

(٢) فرويد سيغمنت (Freud): (١٢٧٢ ـ ١٣٥٨هـ الموافق ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م) طبيب نمساوي، مؤسس علم التحليل النفساني. انظر: المنجد في الأعلام، ص٤١٣، والمورد ـ معجم أعلام حرف F ـ ص٣٥.

(٣) دوركهايم أميل (Durkheim): (١٢٧٤ ـ ١٣٥٣هـ الموافق ١٨٥٨ ـ ١٩١٧م) فيلسوف فرنسي، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. انظر: المنجد في الأعلام ص٢٤٨، والمورد ـ معجم أعلام حرف D ـ ص٢٧.

(٤) كارل ماركس (Marx): (١٢٣٣ ـ ١٣٠٠هـ الموافق ١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) فيلسوف اجتماعي ألماني، أشهر كتبه (رأس المال). انظر: المنجد في الأعلام، ص٥١١، والمورد ـ معجم أعلام حرف M ـ ص٥٩.

(٥) فريزر، سير جيمس جورج: (١٢٦٩ ـ ١٣٣٥هـ الموافق ١٨٥٤ ـ ١٩٤١م) أنثروبولوجي اسكتلندي، معروف بكتابه (الغصن الذهبي) ١٢ مجلد، وهو دراسة في السحر والدين..
انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص١٢٩٨.

(٦) للاستزادة يراجع: علمانية التربية والتعليم وأثرهما في العالم الإسلامي لعبد العزيز السديس، رسالة ماجستير (غير مطبوعة) في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وأعجزهم، وحصرها في استظهار مجموعة الآيات ـ بلا شرح ولا تفهيم ـ ومجموعة من النصوص لا تستجيب لشيء في عالم التلاميذ، واعتبار المواد الدينية هامشية لا تتضمن النجاح والرسوب، وحذفها في آخر العام من جدول الصيف المختصر بوصفها مواد إضافية هامشية![1].

بل وصل الأمر في بعض الدول المنتسبة إلى الإسلام إلى أن قامت باستبعاد تدريس العلوم الشرعية استبعاداً كلياً[2].

هذا في الوقت الذي تسمح دول أخرى للبعثات التنصيرية بافتتاح المدارس التنصيرية في تعليم أبناء المسلمين! يقول عبد القادر عودة ـ رحمه الله ـ "إن بعض الأقطار الإسلامية التي تسمي نفسها إسلامية، تبيح للمنصرين من الغربيين (عموماً) أن ينشئوا مدارس للتنصير خاصة بدينهم في بلاد المسلمين حتى تفتن أطفال المسلمين عن الدين الإسلامي، وهي في الوقت نفسه تمنع تعليم الدين الإسلامي في المدارس الحكومية!"[3].

وهذه من الطوام الكبار التي تسامح المسلمون فيها عن تعليم دينهم، فماذا بقي لهم بعد من دينهم، وماذا سيتربى عليه الأبناء إذا لم يتربوا على تعاليم الدين الحنيف!

٢ ـ إجحاف اللغة العربية ومعلميها والازدراء بهم في المدارس:

يبدو هذا الأمر واضحاً من خلال اتهام اللغة العربية بأنها لغة غير علمية، والغض من شأن لغة القرآن الكريم، والحد من تعليم العربية في سائر العلوم[4]، ومحاولة إحلال اللغات الأجنبية محلها، وإفساح المجال أمام تلك اللغات عن طريق ترجمة الكتب الأجنبية ونشرها بصورة منتظمة.

---

(١) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٢٢ ـ ٢٢٤.

(٢) انظر: الموالاة والمعاداة (٢/ ٦٧٨).

(٣) الإسلام وأوضاعنا القانونية، ص٧٥ (بتصرف).

(٤) كان يتقاضى أساتذة العلوم الشرعية واللغة العربية أجوراً زهيدة، بينما يتقاضى أساتذة اللغات الأجنبية أجوراً باهضة.

وأنقل كلاماً للدكتور طه حسين؛ لنتبين كيف كان ازدراؤه باللغة العربية وأن كل من يتكلم اللغة العربية فله حق التصرف فيها! وقيامه بالاستهانة بعلماء الأزهر! حيث يقول: "فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون أنفسهم أو يخدعون الناس، وليس ينبغي أن تقوم حياة الأمم على الخداع كما أن الدين بريء من تقييد الحرية والجمود، واللغة العربية ليست ملكاً لرجال الدين[1] يؤمنون وحدهم عليها، ويقومون وحدهم من دونها، ويتصرفون وحدهم فيها. ولكنها ملك للذين يتكلمون جميعاً من الأمم والأجيال. وكل فرد من هؤلاء الناس حر في أن يتصرف في هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التي تبيح له هذا التصرف. وإذن فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر والأزهريين.. هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم"[2].

- "وقد علل أحمد لطفي السيد تأخر مصر وتقدم الغرب بأن مصر تستعمل لغتين: لغة للثقافة وأخرى للتخاطب، وهو يطالب بنزول الفصحى إلى مستوى العامية حتى يتم مع الزمن توحيد اللغتين في لغة واحدة - هي بالطبع - العامية"[3].

- ودعا عبد العزيز فهمي إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينية[4].

٣ - الاختلاط بين الذكور والإناث:

بدأ الاختلاط بين الذكور والإناث في الجامعة المصرية وتبعتها معظم

---

(١) رجال الدين: تعبير غربي دخيل، ولا يصح أن يطلق على أهل العلم في الإسلام، للاستزادة انظر: معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد في الألفاظ، للشيخ بكر أبو زيد، ص٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) مستقبل الثقافة في مصر (٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦) (بتصرف).

(٣) العلمانية، ص٦٠٦ (بتصرف).

(٤) انظر: المرجع السابق.

جامعات العالم الإسلامي[1] تحت مسمى الحرية والتطور والمدنية وفلسفة السلوك والأساليب الحديثة وغير ذلك! ”كما أدخلت التقاليد الغربية المنافية للإسلام في صلب النظام الجامعي، إذ شيدت في إطاره معاهد عليا للرقص والتمثيل والنحت والموسيقى“[2].

المطلب الثالث

الحرية الشخصية والحرية الفكرية

رفع بعض الكتاب المسلمين شعار الحرية الشخصية والحرية الفكرية في كل شيء، حتى ولو كان في تغيير الدين!

وكان دعاة الحرية الشخصية والحرية الفكرية متأثرين بشعارات الثورة الفرنسية: الحرية والإخاء والمساواة وبآراء مفكريها وزعمائها.

فباسم الحرية الشخصية يستطيع كل إنسان أن يختار أي عقيدة يريدها! فله أن يصبح مسلماً ويمسي يهودياً أو نصرانياً أو شيوعياً أو أي ملة من الملل والنحل والمذاهب! ويكون ملحداً لا دين له.

وباسم الحرية الفكرية لكل إنسان أن يقول ما يريده وينشر ما يراه!

فلسان حال أولئك ومقالهم: ”ما أحوجنا إلى التَّسَامُح والتساهل! وما أحوجنا إلى آراء غيرنا وإن صدمت جدتها ما استقر عليه ذهننا من التقاليد. يجب أن ندرك أننا لا نحيا بالقديم وحده. وأنه لا بُدَّ لنا من جديد يعيننا على التكيف وفقاً لمقتضيات الحياة المتجددة بلا انقطاع، فما أحرانا إلى

---

(١) عدا المملكة العربية السعودية وقطر، وهناك محاولة لمنع الاختلاط في جامعة الكويت، وقد صوت على اقتراح منع الاختلاط عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) في مجلس الأمة الكويتي بالأغلبية والحمد لله، أسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان.

(٢) العلمانية، ص٦٠٨.

حرية فكرية عامة في كل شيء!""[1].

ويصف الدكتور محمد محمد حسين دعاة الحرية هؤلاء - بأنهم كانوا -: "أصحاب الشهوات والمأجورين والمخدوعين ومطايا الشياطين من الفاسدين والمفسدين يروجون ما عندهم تقديساً للوهم الذي أقامته الثورة الفرنسية اليهودية، وزخرفت له اسماً خداعاً خلاباً فسمته حرية الرأي أو حرية النشر أو حرية الفرد، وما هو في حقيقة الأمر إلا وسيلة اليهودية لإفساد الجماعات وهدم كل الأديان""[2].

وأورد الصورتين الآتيتين لتجلية هذا الأمر:

الأولى: قيام بعض الكتاب بالدعوة - جهاراً - إلى الإلحاد من خلال الحرية الشخصية والحرية الفكرية! وأن المسلم إذا كفر أو ارتد عن الإسلام، فلا بأس من تقبل التَّسَامُح معه، لأن الحكم بقتله مخالف لسماحة الإسلام الذي يدعو إلى الحرية! وهذا الذي يقول به كثير من مفكري اليوم[3].

والأخيرة: أراد بعضهم تعطيل الحدود الشرعية بحجة التَّسَامُح والرفق، وأن الدين لا يصح أن يعتمد فيما يعتمد عليه في إصلاح المجتمع على العقوبة! وبأن نفوذ الدين وأثره في مكافحة الرذيلة يكون أرسخ قدماً وأقوم سبيلاً، حين يسلك طريقه إلى النفوس بالتَّسَامُح والرفق![4].

---

(١) «التَّسَامُح»، قصة رمزية مترجمة، جريدة الهلال (١٧ - شوال - ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٦م)، ص٨٠١ - ٨٠٢، نقلاً عن: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٠٢) (بتصرف).

(٢) حصوننا مهددة من داخلها، ص٤٤ (بتصرف).

(٣) كأمثال:
- عبد المتعال الصعيدي في كتابه: حرية الفكر، ص٧٢ - ٧٣.
- محمد فتحي عثمان في كتابه: الفكر الإسلامي والتطور، ص٢٦٦ - ٢٧٠، نقلاً عن: تجديد الدين بسطامي سعيد، ص١٦٩ - ١٧٠، وانظر: الإسلام كبديل، ص١١٧.
- محمد منير أدلبي له كتاب بعنوان: قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام.

(٤) انظر: الإسلام في مواجهة الغرب، ص١٣٢ - ١٣٨.

ـ ومما ساعد على ظهور مثل هذه الآراء (الحرية الشخصية والحرية الفكرية)؛ هو ظهور كتابي: الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرزاق (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، ثم كتاب في الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م).

المطلب الرابع

نبذ الدين الإسلامي

زعم بعض المتغربين من أبناء المسلمين بأن الدين من رواسب الماضي الذي لم يعد ملائماً للحياة الراهنة!

فما أحرانا أن نسلك مسلك التَّسَامُح في حياتنا المعاصرة، وأن لا يكون الدين عائقًا في تقدمنا!

فصار بعض المفكرين؛ يرددون مقولة أن بناء الأمة يقوم على عناصر قد يوجد الدين من ضمنها وقد لا يوجد(١).

ويقول آخرون: "إننا مطالبون بالتخلص من تراكمات الماضي، وما تربينا عليه لتحقيق ما نتمنى فكلنا يحتاج إلى التَّسَامُح"(٢).

وقذف الشيطان في قلوب جماعة من أولئك فقالوا: "ما للدين ونظام المجتمع، ما للدين والاقتصاد، ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالدولة، ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة، ما للدين والحياة، ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الأرض"(٣).

---

(١) انظر: «التَّسَامُح هل هو مفهوم محايد» لعلي أمليل (ضمن كتاب: التَّسَامُح الثقافي)، ص١٠٧.

(٢) «العصرانيون العرب والتسول الثقافي» د. عبد الرحمن الزنيدي، جريدة (المسلمون)، السنة العاشرة، العدد ٥٠٠ (الجمعة ٢٦/ ٣/ ١٤١٥هـ)، ص٦.

(٣) هل نحن مسلمون لمحمد قطب، ص١١٠.

ومثل هذا الكلام هناك العديد من المقالات التي تدعو صراحة إلى العلمانية، وتنادي بعزل الدين، وإبقائه في حدود ضيقة (في الشعائر التعبدية) فحسب! من ذلك:

- ما كتبه عبد القادر حمزة في مقال يدعو فيه إلى اقتفاء أثر أوروبا في نبذها للدين، وينكر فيه - أيضاً - على من يحاولون إقحام الدين في كل شيء. ومما جاء فيه: "إن من أخطر الأشياء أن نستنجد بالدين في كل شيء، بعد أن صار إلى ما صار إليه، وبعد أن أصبح مجموعة من العادات والتقاليد أنتجها الفهم السيِّئ والتغالي المضر" - ولهذا فهو يطالب - "بأن يترك الدين بيننا في ثوبه الحقيقي، ذلك الثوب الأبيض الطاهر، وأن لا ننفر الناس منه بإقحامه فيما ليس من شأنه، منادياً بأن القرآن لم ينزل إلا بقواعد عامة للناس جميعاً. ولكل أمة أن تتصرف في مدلولات هذه القواعد بما يتناسب زمانها ومكانها دون تقيد أو حجر على الأفهام، إلا فيما يخرج عن الدين"[١].

لقد زعم الكماليون بأنهم لا يمكن أن يتقدموا إلا إذا نبذوا الدين وراء ظهورهم واتخذوه سخرياً؛ وساروا وراء الغرب خطوة خطوة، وقام زعيمهم مصطفى كمال أتاتورك بأعمال مشينة عديدة في نبذه للدين، ولعل من أبرزها؛ رميه للقرآن في وجه أحد المشايخ، وهو يقول: "نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا، ولكن نريد شرعاً فيه قلنا ونقول"[٢].

ثم يجيء بعدهم خلفهم من الزعماء، لمتابعة قافلة الشر، مع تنويع الوسائل، داعين إلى نبذ الدين الإسلامي، من أمثال: محمد زياد بري - الرئيس الصومالي السابق - الذي قال ما نصه: "إن محمداً ﷺ نسخ نصف القرآن في حياته لأنه لا يتمشى مع الحياة، وبإمكاننا نحن الآن أن ننسخ ما لا يتلاءم مع مسيرتنا"[٣]. والحبيب بورقيبة - الرئيس التونسي السابق -

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/٢٧٨ - ٢٧٩).

(٢) حاضر العالم الإسلامي (٣/٣٤٣)، والعلمانية، ص٥٧١.

(٣) «المسؤول الأول عن جماعة الإصلاح الإسلامية في الصومال يتحدث إلى المجتمع» مجلة المجتمع، العدد ٥٢٤ (٩/٦/١٤٠١هـ الموافق ١٤/٤/١٩٨١م)، ص٢٩.

الذي يرى أن في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله العقل، وله آراء عديدة تنافي كمال الدين وشموله[1]. والدكتور طه حسين ـ زعيم الجامعة المصرية ـ: ”إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة لأنها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة. فإننا أبناء القرن (الرابع عشر الهجري) العشرين (الميلادي) أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا“[2].

ويطول بي المقام في ذكر ما عمله أولئك المستغربون كأمثال؛ الزعيم سعد زغلول، والدكتور محمد أحمد خلف الله، والأستاذ عبد العزيز فهمي (باشا)، وأستاذ الجيل! أحمد لطفي السيد، وصادق العظم، وإسماعيل مظهر، والدكتور فؤاد زكريا، والكاتب نجيب محفوظ، وأنيس منصور، والدكتور نصر أبو زيد وغيرهم كثير.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مفكري الغرب أنفسهم قد لاحظوا هذا التغيير الكبير في ثقافة المسلمين، فها هو جب يصف أثر النشاط التعليمي والثقافي على المسلمين، بقوله: ”فإلى عهد قريب، لم يكن للمسلم من عامة الناس اتجاه سياسي، ولم يكن له أدب إلا الأدب الديني، ولم تكن له أعياد إلا ما جاء به الدين. ولم يكن ينظر إلى العالم الخارجي إلا بمنظار الدين. كان الدين هو كل شيء بالقياس إليه. أما الآن فقد أخذ يمد بصره إلى ما وراء عالمه المحدود. وتعددت أنواع نشاطه الذي لم يعد مرتبطاً بالدين. . ، وأصبح الرجل من عامة المسلمين يرى أن الشريعة الإسلامية لم تعد هي الفيصل فيما يعرض له من مشاكل، ولكنه مرتبط في المجتمع الذي يحيا فيه بقوانين مدنية قد لا يعرف أصولها ومصادرها، ولكنه يعرف على كل حال أنها ليست مأخوذة من القرآن. وبذلك لم تعد التعاليم الدينية القديمة صالحة لإمداده في حاجاته الروحية، فضلاً عن حاجاته الاجتماعية الأساسية“[3].

---

(١) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص١٤٢ ـ ١٤٨.
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٢٢٨).
(٣) المرجع السابق (٢/٢١٨ ـ ٢١٩).

وبعد؛ فحري بنا نحن المسلمين أَلَّا نفتتن بالغرب باسم التَّسَامُح الثقافي وأَلَّا نتلقف كل ما صدر ويصدر عنه، كما أن هناك أمراً مهماً ينبغي تجليته؛ وهو أنه ليس كل ما في الفكر الغربي والثقافة الغربية شراً محضاً؛ بل على العكس فيهما أشياء تستحق الإطلاع.

(فالحِكْمَةُ ضالَّةُ المُؤْمِن أَنَّا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) مع مراعاة الحذر الشديد فيما نأخذ من الغرب بالرجوع إلى أهل العلم الثقات فيما يشكل علينا من أمور.

المبحث الثالث
الآثار الاجتماعية

لما كثر التردد بين الشرق والغرب للتجارة والأسفار والبعثات التعليمية المختلفة. ونتيجة لاحتكاك الغرب المباشر وغير المباشر بالمسلمين ـ عبر دعوى التَّسَامُح ـ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلادي) ـ كما مر معنا ـ فقد ظهرت آثار اجتماعية عديدة على المسلمين؛ حتى بدا لكثير منهم تفضيل أنماط الحياة الاجتماعية الغربية.

وقد رأينا كيف كان تأثر المسلمين في المجال الثقافي.

وبدهي أن يَتْبَعَ الآثَارَ الثَّقَافِيَّةَ آثَارٌ اجتماعية، وهذا ما حصل بالفعل.

وأبين أبرزها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تقليد الغرب والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم.

المطلب الثاني: تحرير المرأة.

المطلب الثالث: الزواج من الكفار والكافرات.



المطلب الأول
تقليد الغرب والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم

مر معنا أن الغرب عني بالتقليد والمحاكاة، واستطاع أن يميز بين المسلم المتفرنج وبين المسلم المحافظ على دينه، فأعطى رعايته واهتمامه بالمتفرنجين؛ مما حَدَا بكثير من المسلمين أن ينضموا إلى قافلة السباق في

التقليد والمحاكاة للغرب في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ فأصبحوا نسخة منهم لا تكاد تفرقهم عنهم.

كل ذلك باسم التَّسَامُح في اقتباس نظم الحياة الاجتماعية الغربية المتقدمة!

فغدا كثير من المجتمعات الإسلامية لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، لما ذاع فيها من تفسخ وتحلل اجتماعي، واختلاط بين الجنسين، وانغماس في الشهوات والملذات، وبُعدٍ عن الأخلاق والآداب الإسلامية[1].

وربما كان هذا الميل إلى تقليد الغرب نتيجة الشعور بالنقص إذ الضعيف بطبعه يعتمد على القوي ويحاكيه وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده...، حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها، فيسري إليهم من هذا التشبه، والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس.. مع أمم الجلالقة[2]"[3].

وهذا ما حصل بالفعل من جَرَّاء قيام المسلمين بتقليد الغربيين وتبعيتهم لهم حذو القذة بالقذة، نتج عنه آثاراً اجتماعية خطيرة؛ بل إن التقليد في الظاهر مؤشر على اقتناع عقلي وقلبي، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال. وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع"[4].

وفي تقليد الغربيين والتشبه بهم في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم،

---

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٤٧.
(٢) الجلالقة: النصارى الذين كانوا بالأندلس.
(٣) مقدمة ابن خلدون (الفصل: ٢٣)، ص١٤٧.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٧٩ ـ ٨٠).

يقول محمد أسد: ''فإذا حاكى المسلم أوروبة في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوروبية، مهما كانت دعواه التي يعلنها. وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعة من غير إعجاب بروحها، وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني، وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً''[١].

لقد بدأ التَّسَامُح بالتقليد في مظاهر اللباس والعادات والتقاليد ثم عَمَّ أموراً كثيرة في بلدان كثيرة؛ لهذا كانت حُمَّى التقليد ـ في بلدان كثيرة ـ كما يصور ذلك أحد المفكرين: ''تجتاح الناس، وقد وقر في نفوسهم أن كل ما يفعله الغربي حسن، وأن كل ما ورثنا من عادات وتقاليد هو من بقايا الهمجية، ومن مخلفات عصور البلادة والخمول. وكان من مظاهر هذا الوهم الذي استبد بالناس وبلغ حد المرض، أن أصبح جهل الواحد منهم بما تواضع عليه هؤلاء الغربيون من آداب الاجتماع التي يسمونها (الاتيكيت) يعتبر ضرباً من سوء الأدب والانحطاط الذي يحرج صاحبه ويخجله بين الناس. وأصبح الذين يجاهرون بالإفطار في رمضان، والذين يشربون الخمر على قارعة الطريق، والذين لا يستحون من جهلهم بقواعد دينهم وقواعد لغتهم وتاريخ أمتهم، يتصبب وجه أحدهم عرقاً لأنه أساء استعمال أدوات المائدة (الغربية)، أو لأنه أخطأ في اختيار الثوب الذي يوافق هذه المناسبة أو تلك، حسب ما تواضع عليه الغربيون في الأمور الاجتماعية''[٢].

بل لقد زعم بعض المسلمين أننا في حاجة إلى التقليد والتبعية لهؤلاء الغربيين في كل شيء، نعتاد عاداتهم ونلبس لباسهم ونأكل طعامهم! من ذلك:

ـ ما كتبه الأستاذ محمد فريد وجدي ـ مدير مجلة الأزهر ـ: ''إن الأمم الإسلامية لفي حاجة إلى تقليد الغربيين في كل شيء حتى ملاهيهم

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ص٨٣.
(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠) (بتصرف).

ومراقصهم وإلحادهم إن أرادت أن تبلغ شأوهم في حلبة الحياة!»[1][2].

فهل بعد ذلك من هزيمة وانسلاخ من الدين!

إن المسلم - بل المجتمع المسلم - ذو تميز واضح في كل شيء، وإن عليه أن يسلك المنهج القويم - منهج رسول الله ﷺ وأصحابه - يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: «من كان مستنا فليستن بمن قد مات: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم»[3].

المطلب الثاني

تحرير المرأة

ركز الغرب جهوده في إفساد المرأة المسلمة - كما مر معنا[4] - يقول جان بول رو: «إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب المجتمع الإسلامي رأساً على عقب لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة، وهذا ما تم التركيز عليه في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)»[5].

وفيما يلي أعرض لأبرز الخطوات العملية في التَّسَامُح من خلال تحرير المرأة.

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١/ ٣٦٩).

(٢) دعا أحدهم بأن نقلد الغربيين ونتشبه بهم حذو القذة بالقذة - لدرجة مخجلة - يقول آغا أوغلي أحمد، من كتاب أنقرة: «إنا عزمنا أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئتيهم والنجاسات التي في أمعائهم» المرجع السابق، في الحاشية.

(٣) شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٤).

(٤) يراجع ص١٩٢.

(٥) الإسلام في الغرب، ص١٧٨ (بتصرف).

- بدأت سهام الغرب تنفذ في جسم الأمة المسلمة منذ حملة نابليون على مصر، ووصول الإرساليات الأجنبية.

- ومنذ أيام محمد علي باشا ابتدأت حركة الابتعاث إلى الدول الغربية، وكان من أشهر المبتعثين الأوائل الشيخ رفاعة الطهطاوي، الذي غرس البذور الأولى - غير المباشرة - لتحرير المرأة المسلمة في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، وذلك حينما تكلم عن عادات الغربيين في اختلاط الرجال بالنساء، وأكد على أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعياً إلى الفساد، وأن مَرَدَّ الأمر كله إلى التربية! بقوله: ''إن وقوع اللخبطة[1] بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة أو الخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين''[2].

- ''وقريب من وصف رفاعة الطهطاوي لعادات الغربيين ما وصفه أحمد فارس الشدياق بأسلوبه المقامي الخاص الحياة الغربية ووضع المرأة فيها، في كتابه (الساق على الساق)''[3].

- وجاء بعد ذلك قاسم أمين الذي ابتعث إلى فرنسا، ثم عاد إلى مصر بفكر جديد (تحرري) ليكون أكثر جرأة، فصار يدعو إلى تعليم المرأة وتحريرها، وقد اقترن باسم: قَاسِمْ أَمِين لقب (محرر المرأة) حيث ألف كتابين عن المرأة: الأول: تحرير المرأة[4] سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م)، والآخر: المرأة الجديدة سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م).

---

(١) لعله يريد الاختلاط.

(٢) تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص٣٠٥.

(٣) العلمانية، ص٦٢٦.

(٤) شاع بين الناس وقتذاك أن مؤلف تحرير المرأة هو الشيخ محمد عبده، ولعل ذلك يعود إلى أن حركة قاسم أمين مقرونة بتأييد الشيخ الذي قدم الكتاب. انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣٠١)، وموقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١/ ٣٥)، وواقعنا المعاصر، ص٣١٠.

ـ أما كتاب تحرير المرأة، فقد ركز المؤلف فيه على التدليل على ما زعمه من أن حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام، وهو يتناول مسائل من أبرزها: تربية المرأة، وحجاب النساء، ودور المرأة في الأمة، وتعدد الزوجات، والطلاق...، وعموماً فهو نحى في عرضه لتلك المسائل منحى الغربيين، ولهذا طالب بإدخال نظام الحياة الاجتماعية الغربية![١].

وقد أثار كتاب تحرير المرأة موجة من المعارضة الشديدة وشنت عليه الحملات، ثم ظهر له كتاب آخر في العام التالي؛ وهو كتاب المرأة الجديدة، الذي بدا فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً. فالتزم فيه مناهج البحث الأوروبية الحديثة؛ بل إنه يرى أن عاداتنا فيما يتعلق بالنساء هي موروثات أجيال بمرور الزمان الطويل فليس لها صلة بالدين![٢].

ويدعو قاسم أمين في آخر كتابه (المرأة الجديدة) صراحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية بقوله: "هذا هو الداء يلزم أن نبادر إلى علاجه. وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها. وإذا أتى ذلك الحين ـ ونرجو أن لا يكون بعيداً ـ انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسساً على العلوم العصرية"[٣].

وما دعا إليه قاسم أمين هو بعينه ما دعا إليه رفاعة الطهطاوي، إلا أن الفارق بينهما؛ صراحة قاسم أمين وجرأته في المجاهرة بأقواله وآرائه وطبيعة الناس (المدعوين[٤])! فالفاصل الزمني بينهما وتمكن الغزو الفكري المستمر، كان له أثر كبير في نفوس الناس، لذا لم تقابل دعوة قاسم أمين بالاستنكار

---

(١) انظر: الصفحات من الكتاب ٤١، ٧٧، ١١٧، ١٣٩، ١٤٨، ١٥٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٠ ـ ٢٣، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣٠٢).

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٣١٠).

(٤) انظر: الانحرافات العقدية والعلمية، حاشية، ص٩١٣.

الباث الذي قوبلت به دعوة رفاعة الطهطاوي، ولم تُوءَدْ في مهدها كما وئدت الدعوة الأخرى من قبل[1].

- وقد نَاصَرَ قاسم أمين وأيده كثير من الزعماء والأدباء والصحفيين منهم - مع من ذكرت - سعد زغلول[2]، والشاعر ولي الدين يكن والشاعر العراقي الزهاوي[3]، والشاعر علي الجارم بك[4] وغيرهم.

- وهكذا استطاع قاسم أمين أن يصنع للمرأة المسلمة في مصر قضية، ولم يكن باستطاعته أن يصنع ذلك لولا وجود آثار التَّسَامُح العقدية والثقافية - كما مر معنا -.

- "وبعد أن صار للمرأة قضية، فلا بد للقضية من تحريك، إذ تبناها فريق من النسوة على رأسهن هدى شعراوي، وفريق من الرجال المدافعين عن حقوق المرأة. وأصبح الحق الأول الذي تطالب به النسوة هو نزع الحجاب والسفور والتبرج، وأن تخرج المرأة في النهاية عارية في الطريق، ومساواتها بالرجال"[5].

كما أن لوسائل الإعلام المختلفة (الكتاب والصحيفة والمسرح والسينما والإذاعة)[6] دوراً بارزاً في تحرير المرأة وافتتانها عن دينها - وهذه الوسائل لا تقل خطراً إن لم تكن أخطر من مناهج التربية والتعليم - وكذلك الصالونات[7] الثلاثة في مصر (صالون مي زيادة، وصالون هدى شعراوي، وصالون نازلي فاضل)!

---

(١) انظر: واقعنا المعاصر، ص٢٥٣.
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر: العلمانية، ص٦٣.
(٤) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين (١/ ٣٦).
(٥) واقعنا المعاصر، ص٢٥٧ (بتصرف).
(٦) هذا قبل اختراع التلفاز والفيديو ووجود البث المباشر فيا ترى كيف يكون الحال الآن!
(٧) الصالون: مكان يستقبل فيه الناس من عشاق لون معين من ألوان الفن أو الفكر أو الثقافة.
انظر: واقعنا المعاصر، ص٣٠٩.

ـ ولعل من أبرز الأمور المهولة في ما يسمى بتحرير المرأة ـ القشة التي قصمت ظهر البعير ـ ما تمثل في المظاهرة النسوية عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، حين خرجت قرابة (٣٠٠) امرأة في مصر[١] متظاهرة، وعلى رأسهن صفية زغلول وهدى شعراوي ومعهن الفتاة اليهودية فورتينيه ليفي، فأقمن المظاهرة النسوية في ميدان قصر النيل بحجة مشاركة المرأة في مواجهة الإنجليز! ثم بتدبير سابق، ودون مقدمات ظاهرة! خلعن الحجاب، وألقين به في الأرض، وأحرقنه في ميدان عام، وبَدَيْنَ سافرات أمام كتائب الجيش الإنجليزي. هاتفات بالحرية ضد الاحتلال![٢].

وتدريجياً في ظل الحرية المزعومة؛ سقط الحجاب! ومن ثم قامت الدعوة المعلنة بأن الاختلاط أمر اعتيادي لا يؤثر على المرأة العفيفة؛ ثم طولب بتعليم المرأة بدءاً بالتعليم الابتدائي حتى الجامعي، ثم طولب بخروجها إلى ميدان العمل. وقد أخذت هذه الخطوات تتطور تطوراً سريعاً، ''فقد خلعت المرأة النقاب، ثم استبدلت المعطف الأسود بالحَبَرَة[٣]، ثم لم تلبث أن نبذت المرأة المعطف وخرجت بالثياب الملونة. ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي الأكمام وفي الجيوب[٤]، ولم يزل يجور عليها فيضيقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم إنها تجاوزت ذلك

---

(١) كانت هناك جهود شيطانية لإفساد المجتمع المصري بالذات، وتصدير الفساد منه إلى بقية المجتمع الإسلامي. انظر: المرجع السابق، ص٢٦٤.

(٢) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/ ٢٥٠)، وعودة الحجاب لمحمد بن إسماعيل (١/ ١١١).

(٣) الحَبَرَةُ والحِبَرَةُ: ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع باليمن، وهي ملاءة من الحرير كانت ترتديها النساء بمصر حين خروجهن، وكان يتخذ من قماش أسود ويتكون من قطعتين، تدور إحداهما حول الخصر وتنسدل إلى أن تغطي الساقين، وتنزل الأخرى من فوق الرأس فتغطي الصدر والكتفين وتنتهي إلى ما تحت الخصر، وقد اختفى هذا الزي الآن أو كاد. انظر: المعجم الوسيط (١/ ١٥١ ـ ١٥٢)، والاتجاهات الوطنية (٢/ ٣٤٩).

(٤) الجيوب: جمع جيب؛ أي جيب القميص والدرع، وهو ما يدخل منه الرأس عند لبسه. انظر: لسان العرب مادة (جيب) (٢/ ٤٣٣)، والمعجم الوسيط مادة (جاب) (١/ ١٤٩).

كله إلى الظهور على شواطئ البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئاً''[1].

حتى غدا الاختلاط باسم العلم والتطور والتَّسامُح والمدنية أمراً مألوفاً في العاصمة أولاً ثم القرى والأرياف!

بل وادعوا أن الاختلاط ضرورة عصرية. ذلك كله ما قد أصبح ظواهر غير مستغربة في كثير من بلدان المسلمين. والتي عصم الله منها بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية ـ بفضل الله ـ.

وعلى رغم ما تحقق من أمنيات المستغربين فما زالت صيحاتهم قائمة ''فقد كتب أنيس منصور في إحدى مقالاته في أخبار اليوم أنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة. قال: فقلت في نفسي متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط! لكي تراه عيون أهل الصعيد، وتتعود عليه!''[2].

وزعم عبد العزيز المقالح: ''إن المطالبة بعزل الطالبات عن الطلاب مخالفة للشريعة!''[3].

ولا شك أن الدعوة إلى ما يسمى بتحرير المرأة بهتان على الشريعة الإسلامية. فالإسلام قد دعا إلى تعليم المرأة بدون أن يكون ذلك مدعاة إلى السفور والاختلاط وغير ذلك، وقد كرمها الإسلام ورفع من شأنها وأمرها بالستر والعفاف والحشمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٢٤٩).

(٢) واقعنا المعاصر، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٣) الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره لمنصور الخريجي، ص١٢٤.

(٤) [سورة الأحزاب: الآية ٥٩].

أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[١]

وعموماً؛ فلم تكن الدعوة إلى ما أسموه بتحرير المرأة إلا مؤامرة رهيبة على المجتمع المسلم لتدميره من أساسه وهو البيت، تحت تلك الشعارات الجوفاء السابقة!

المطلب الثالث

الزواج من الكافرات

تناولت في الباب التمهيدي: التَّسَامُح في الإسلام، وأوضحت خصائصه؛ ومنها الرحمة، وما اختص به أهل الكتاب في الإسلام؛ من إباحة الزواج بنسائهم المحصنات العفيفات، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾[٢]، فقد جاءت الآية مؤكدة للحل الوارد في العموم[٣].

---

(١) [سورة النور: الآية ٣١].

(٢) [سورة المائدة: الآية ٥].

(٣) مسألة الزواج من الكتابية، وما يترتب على ذلك مسألة خلافية للفقهاء فيها قولان:
الأول: جواز زواج المسلم بالكتابية وهو رأي الأكثرين ولهم أدلتهم.

الثاني: الأولى عدم الزواج من الكتابيات ولهم أدلتهم.

وكره الزواج من الكتابيات إذا كن حربيات.

انظر: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢١٠)، والمدونة الكبرى للإمام مالك (٢/ ٢٩٨)، ومغني المحتاج للشربيني الخطيب (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٨)، وروضة الطالبين للنووي (٥/ ٤٧٢، ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، والمغني (٩/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦).

والحكمة في إباحة الإسلام نكاح الكتابيات ـ والله أعلم ـ:

١ ـ إظهار محاسن الإسلام عن طريق الزوج، وقد يساعد ذلك على دخولها في الإسلام.

٢ ـ أنه أبيح للمسلم الذي يدين الله تعالى بما أمر به من العدل والرحمة أن يحترم عقيدة زوجته الكتابية، ولا يمنعها من القيام بعبادتها.

على أن الإسلام اشترط لصحة النكاح بغير المسلمات شرطين[١]:

١ ـ أن تكون الزوجة كتابية.

٢ ـ أن تكون محصنة أي عفيفة.

والمتأمل اليوم يجد أن من الآثار الاجتماعية الخطيرة التي انتشرت في المجتمعات الإسلامية ـ نتيجة التَّسَامُح مع الغرب ـ الزواج من نسائهم الكافرات، من غير تحفظ، ولا نظر في العواقب.

فاتخاذ قرار الزواج ـ بالنسبة لهؤلاء ـ له دوافع عديدة من ذلك:

١ ـ "استظراف الجمال الغريب، وإن كان في بعض الأحيان أقل قدراً من الجمال المألوف. حيث إن الأسيوي الأسمر يميل إلى الأوروبية المهقاء[٢] أو التي أُوتيت بسطة في الجسم وإن كانت بنت جلدته أحسن منها في الناحية الروحية والألفة في الحياة البيتية وتوفير السعادة"[٣].

٢ ـ وتارة يكون الزواج ـ بعد ـ عقد صداقات وعلاقات غير شرعية محرمة! كما أن أغلب هؤلاء المتزوجين بالكتابيات ليسوا ملتزمين بالإسلام، فمنهم من لا يحافظ على الصلوات، ومنهم من ينتهك المحرمات. ولهذا فهؤلاء لا يمثلون الصورة الإسلامية في الزواج من الكتابية[٤].

---

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (٤/ ٢١٠)، والمدونة الكبرى للإمام مالك (٢/ ٢٩٨)، ومغني المحتاج للشربيني الخطيب (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٨)، وروضة الطالبين للنووي (٥/ ٤٧٢، ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، والمغني (٩/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦).

(٢) المهقاء: هي البيضاء الخالصة البياض. انظر: لسان العرب مادة (مهق) (١٣/ ٢٠٨).

(٣) التبشير والاستعمار، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) انظر: الموالاة والمعاداة (٢/ ٧٥٦).

وينبغي ملاحظة أن العلاقات الاجتماعية عند الكفار متسيبة إلى أبعد الحدود؛ نظراً لأن قضية العرض عندهم قضية شخصية خاصة(١).

"وقد فشل كثير من المتزوجين بالكتابيات فشلاً ذريعاً في هذا العصر حيث انسلخ معظمهم من دين الإسلام، بعد أن قضت زوجته الكافرة على البقية الباقية من التصور الإسلامي لديه"(٢). ورحم الله سيد قطب الذي حذر من الزواج بالنساء الكتابيات أيما تحذير ـ ولا سيما في واقعنا المعاصر ـ قائلاً: "ها نحن نرى اليوم أن هذه الزيجات شر على البيت المسلم، فالذي لا يمكن إنكاره واقعياً أن الزوجة اليهودية أو المسيحية(٣) أو اللادينية تصبغ بيتها وأطفالها بصبغتها وتخرج جيلاً أبعد ما يكون عن الإسلام"(٤).

ـ وقد كثرت ظاهرة الزواج من الكتابيات في أوساط المثقفين الذين تعلموا علومهم في الغرب، وقد أدى هذا الوضع بكثير منهم إلى أحد أمرين ـ أحلاهما مر ـ:

"إما أن يغادروا بلدانهم الإسلامية إلى بلاد زوجاتهم الكافرة ـ بلا رجعة ـ. وإما أن تغادر زوجاتهم عائدات إلى بلادهن!"(٥).

وينبغي ملاحظة أن هناك آثاراً اجتماعية(٦) سلبية عديدة ناشئة عن الزواج من الكافرات الغربيات أجملها فيما يأتي:

١ ـ الابتعاد عن القيم والعادات ونمط العلاقات الاجتماعية الإسلامية. والالتصاق بالمفاهيم الغربية.

٢ ـ عدم تنشئة الأطفال النشأة الإسلامية ـ ناهيك ـ عن ضعف لغتهم العربية أو الأصلية.

---

(١) انظر: حكم الجاهلية، ص١٨٢ ـ ١٨٣، والموالاة والمعاداة (٢/ ٧٥٦).

(٢) الموالاة والمعاداة (٢/ ٧٥٦ ـ ٧٥٧) (بتصرف يسير).

(٣) الصواب النصرانية.

(٤) في ظلال القرآن (١/ ٢٣٥).

(٥) «التحدي الاجتماعي واحد من التحديات الحضارية والغزو الثقافي في دول مجلس التعاون» د. ناصر ثابت (ضمن ندوة التحديات)، ص٣٦٤ (بتصرف).

(٦) هناك العديد من الآثار الأخرى، لكنني اكتفيت بذكر مَا لَهُ صلة وثيقة بالموضوع.

٣ ـ كثرة حوادث الطلاق.

ـ ولا شك أن الزواج بالكتابية رهين بالمسلمين لَمَّا كانوا أقوياء. أَمَا وقد تبدل الحال فأصبحت الهيمنة للكفار وصار نفوذهم بارزاً في كثير من بيوتات المسلمين، فينبغي عدم التوسع فيه ومراعاة المصلحة والمفسدة المترتبة عن النكاح.

ويرى المودودي ـ رحمه الله ـ؛ ''أن النسوة اللاتي تسربن إلى بيوت المسلمين مع بقائهن على الشرك أو دخولهن في الإسلام اسماً، قد دنسن نظام الحياة الاجتماعية الإسلامية، وأفسدن الأجيال المسلمة في دينها وأخلاقها. وإن هيمنتهن على قلوب الأمراء المسلمين قد دفع الحكومات الإسلامية إلى الدمار ـ في معظم الأحيان ـ وإن مما يهدم دعائم الحياة في البلاد الإسلامية اليوم هو سيطرة أولئك الغربيات اللاتي فرضن أنفسهن على أرباب الترف وأصحاب النفوذ في مجتمعنا الإسلامي''[1].

ويرى الشيخ محماس الجلعود ـ بعد مناقشته للأدلة ـ: ''أن الزواج بالكتابية مكروه في أقرب الأقوال إلى الاعتدال، وإن كانت المسألة تدور وراء المصلحة والمفسدة، فإذا غلب على الظن أن الزواج بالكتابية فيه مصلحة شرعية في حق الزوج أو حق الزوجة أو حق المسلمين عامة فهو مباح وقد يكون ممدوحاً، وإذا ترتب على الزواج أو غلب على الظن أن هذا الزواج فيه مضرة على المسلم في دينه ودين أولاده، وعلى المسلمين من حوله فإنه محرم لما يترتب عليه من المفاسد''[2].

وهناك أمر مهم للغاية، وهو أن دول الغرب عموماً ـ التي تدعي التَّسَامُح ـ لا تعترف بأحكام الإسلام، فهي تحتكم إلى أنظمة الطاغوت فقط، ولا تراعي الحقوق الزوجية بالنسبة لأحكام الإسلام، وهذا ما عانى ويعاني منه كثير من المسلمين الذين أقدموا على الزواج من الكافرات، فيما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق وولاية الأولاد.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٦٣.

(٢) الموالاة والمعاداة (٢ ـ ٧٥٣).

- وما توقف التَّسَامُح في الزواج عند نكاح الكتابيات؛ بل الأدهى والأمر منه؛ ''قيام بعض المسلمين (السذج) بالزواج من المرأة المشركة أو الملحدة؛ بل ربما تزوجت المسلمة من كافر، حتى أصبح لا يكاد ينكر في بعض بلاد الكفر، وأحياناً في بعض البلاد الإسلامية''[١]. ومن ذلك؛ ما حدث في سنغافورة من قيام بعض الجمعيات الإسلامية (بيرانتز والمحمدية وبيرتاس وبيرتابيس) بالسماح للمسلم والمسلمة بالتزوج ممن ليس على الدين الإسلامي![٢].

- الحكم الشرعي في زواج المسلم من المشركة، أو زواج المسلمة بالكافر سواء كان ذمياً أو مشركاً:

أنه محرم تحريماً قطعياً بإجماع الأمة[٣] لما تقتضيه النصوص الشرعية منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾[٤]، وذكر الله أن علة النهي عن الزواج بالمشركات وتزويج المشركين ''أنهم يدعون إلى النار في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وأن مخالطتهم مصدر من مصادر الخطر على المسلمين، وهذا الخطر ليس خطراً دنيوياً فقط؛ بل قد يكون شقاء أبدياً''[٥].

---

(١) الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٣٤.

(٢) انظر: قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي (الدورة الرابعة - القرار الثالث)، ص٦٩ - ٧٠.

(٣) انظر: المبسوط (٤/ ٢١٠ - ٢١١)، والمدونة الكبرى (٢/ ٢٩٨)، ومغني المحتاج (٣/ ١٩١) وروضة الطالبين (٣/ ١٩٩١)، والمغني (٩/ ٥٤٨ - ٥٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٧٢).

(٤) [سورة البقرة: الآية ٢٢١].

(٥) الموالاة والمعاداة (٢/ ٨٦٣).

كما أن زواج المسلم بالمشركة، وزواج المسلمة بالكافر، من الظواهر المحدثة في هذا الزمان، بسبب الغزو الفكري المركز والمُغَلَّف بالشعارات البراقة، وبسبب تفريط المسلمين، وعدم وجود سلطة تطبق أحكام الإسلام، فقد وقعت حالات في بعض بلاد الإسلام، وأما في بلاد الغرب - فكثير -![1].

---

(١) انظر: المرجع السابق (٢/٧٥٩)، وزواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه د. محمود بابلي، ص٩ - ١٠.

المبحث الرابع
الآثار السياسية

وفيه ثلاثة مطالب وفق الآتي:

المطلب الأول: ظهور الدعوات القومية والوطنية.

المطلب الثاني: تقلد غير المسلمين الوظائف والمناصب.

المطلب الثالث: التبعية السياسية.



المطلب الأول
ظهور الدعوات القومية والوطنية

بادئ ذي بدء ينبغي أن ندرك حقيقة مهمة وهي أن الغرب قد أسهم في إنشاء العديد من الأحزاب القومية والوطنية ـ بشكل مستتر ـ في العالم الإسلامي وذلك من أجل إيجاد علاقة مستمرة معهم تهدف إلى التَّسَامُح والتفاهم المشترك.

ولهذا فقد كان المتزعمون لتلك الأحزاب القومية والوطنية في العالم الإسلامي متأثرين تأثراً واضحاً بالتفكير الغربي والتعددية الحزبية السياسية.

١ ـ ففي تركيا: نشأت جمعية الأتراك الشبان أو تركيا الفتاة، وجمعية

الاتحاد والترقي[1]، وانتشرت فكرة القومية الطورانية[2] وغير ذلك.

فقامت هذه الجمعيات بدور بارز في عزل تركيا عن الإسلام وتغريب المجتمع التركي.

٢ ـ في الشام (لبنان وسوريا) نودي بالقومية العربية[3].

وكثيراً ما يتمثل دعاة القومية قول الشاعر القروي:

هبوني عيداً يجعل العرب أُمّةً وَسِيرُوا بجثماني على دِينِ بُرْهم
سَلامٌ على كُفرٍ يُوحّدُ بَيننَا وَأَهلاً وَسَهلاً بَعْدَهُ بجَهَنَّمِ

٣ ـ وفي مصر: نشأ الحزب الوطني[4] وحزب الوفد[5]، وكذلك شجعوا الأحزاب الوطنية الأخرى.

---

(١) جمعية الاتحاد والترقي: جمعية سرية، ألفها رجال تركيا الفتاة عام ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٥م في سالونيك بمقدونية. وكان أفرادها خليطاً من الأجناس والأديان، وضمت جماعة من العرب، وأكثرهم من ضباط الجيش، وكان هدف الجمعية القضاء على حكم السلطان عبد الحميد الثاني.
انظر: الموسوعة الثقافية، ص٢٧.

(٢) القومية الطورانية: هي قومية الاشتراك في الجاهلية قبل دخول شعوب آسيا في الإسلام. وتطلق الطورانية على مجموعة لغات أواسط آسيا. انظر: المرجع السابق، ص٦٤٣.

(٣) القومية العربية: حركة سياسية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في سرية تؤلف من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة العثمانية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٤٠١.

(٤) الحزب الوطني: هيئة سياسية مصرية أو حزب وطني لا ديني. وهو مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب. وأغلبيته مسلمون، وهو يضم النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها. أسسه مصطفى كامل عام (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٧م). وخلفه محمد فريد في رياستها.
انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١٥٤)، والموسوعة الثقافية، ص٣٩٩.

(٥) حزب الوفد المصري: ألفه سعد زغلول عام (١٣٣٧هـ ـ ١٩١٨م) ثم انتخب مصطفى النحاس. وتعرض الوفد لسلسلة من الانشقاقات، مما أدى إلى تكوين حزب الأحرار الدستوريين (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م). وحل الوفد في ١٦/ ١/ ١٩٥٣م حينما أصدرت ثورة (١٣٧٢هـ) ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢م، قراراً بحل الأحزاب السياسية المصرية. انظر: الموسوعة الثقافية، ص١٠٥٦.

ولقد كانت معالم النعرات القومية والوطنية بارزة على جل الأحزاب السياسية التي قامت في البلاد الإسلامية، فقد اتسمت في أول أمرها بميل بارز إلى التَّسَامُح الديني، بمعنى أنها تجمع المسلم العربي والنصراني العربي واليهودي العربي وكل من يمثل قومية أو وطنية واحدة، ثم إن هذا التَّسَامُح بدأ يتطور حتى انتهى بإضعاف الشعور الإسلامي![1].

ولعل أقرب شاهد على ذلك؛ المواجهة التي قامت في مصر ضد الإنجليز عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، كانت ذات طابع إسلامي ضد المستعمر الغاصب. فقام زعيم الوطنية سعد زغلول! ليعلن باسم التَّسَامُح بناء الأوطان: "أن الدين لله والوطن للجميع! الدين لله أي بينكم وبين الله. فلا تذكروه في هتافاتكم وفي حركتكم، واذكروا الوطن واجعلوه موضع التركيز! فلا ترفعوا الشعارات الإسلامية من أجل الأقباط"[2].

بمعنى أنه طلب من المسلم أن يتجاهل قرآنه ويجحد أحكامه باسم القومية والوطنية!

وبلغت آثار التَّسَامُح في المسلمين مبلغاً قدموا فيه القومية والوطنية على العقيدة والدين، فلما تولى الدكتور بطرس غالي[3] القبطي المصري أمانة الأمم المتحدة صفق العرب لهذا النجاح لبني وطنهم وقوميتهم كما يزعمون، ووصف بعضهم اختياره بأنه: "انتصار سياسي ودبلوماسي للدول العربية وللقارة الأفريقية، خاصة في تنامي المكانة العالمية للمنظمة الدولية

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار، ص١٧٦.

(٢) واقعنا المعاصر، ص٣٢١.

(٣) بطرس غالي: ولد في عام (١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م) بحي الفجالة في القاهرة، وهو حفيد الوزير بطرس غالي. عين الدكتور بطرس في منصب الأمين العام السادس لهيئة الأمم المتحدة في (١٤/ ٥/ ١٤١٢هـ الموافق ٢١/ ١١/ ١٩٩١م)، له مواقف غير طيبة ضد المسلمين لا سيما أحداث البوسنة والهرسك. وانتهت مدة أمانته (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ولم يتم تجديد أمانته.

انظر: الموسوعة العربية العالمية حرف (ب - بعل) (٤/ ٤٥٣).

وتصاعد مصداقيتها السياسية، ودورها في مواجهة العديد من المشكلات الإقليمية والعالمية!''[1].

فباسم الدعوة إلى القومية والوطنية زعم بعضهم بأن النصراني العربي أقرب إليه من المسلم الباكستاني![2]. وقامت الدعوة إلى مساواة المسلم بغير المسلم في كل شيء[3].

ويرى عبد المتعال الصعيدي أنه لا منافاة بين الوطنية والقومية والإسلام[4]، ويستشهد بقول الشاعر مهيار الديلمي:

وَأَبِـي كِـسْـرَى عَـلا إِيـوانَـهِ ... أَيـنَ فـي الـنّـاس أَبٌ مِـثْـل أَبـي
قَـدْ ضَـمَـمْـت الـمَـجْـد من أَطْـرَافِـهِ ... سُـؤْدُد الـفُـرْس وَدِيـن الـعـرب

وذلك فكر غريب على المسلمين.

وللشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ كلام رائع ينقد فيه شعار الوطنية حيث قال: ''إن الدعوة إلى التعصب في الجنس الذي يسمونه الوطنية إنما يروجه الإفرنج الذين يريدون أن ينقضوا بناء الملة الإسلامية، ويفرقوا بين شعوبها، ليسهل عليهم استعمارها. وأن المغفلين من المسلمين الذين تبعوا هذه الدعوة الخبيثة قد هدموا العصبية الدينية، ثم لم يستطيعوا أن يقيموا مكانها العصبية الجنسية التي يسمونها الوطنية''[5].

---

(١) «مجلس الأمن انتخب بطرس غالي أميناً عاماً للأمم المتحدة» ـ وكالات الأنباء ـ جريدة الرياض السعودية في (١٧/ ٥/ ١٤١٢هـ الموافق ٢٤/ ١١/ ١٩٩١م)، ص١، ٢٣.

(٢) انظر: لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة لمحمد قطب، ص١٦٠.

(٣) انظر: العلمانية، ص٥٦٩.

(٤) انظر: «الوطنية والقومية في الإسلام» لعبد المتعال الصعيدي، مجلة الإسلام، العدد١ (رجب ١٣٧٧هـ الموافق يناير ١٩٥٨م) ص٨٣.

(٥) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٧٤ ـ ٧٥).

المطلب الثاني

تقلد غير المسلمين للوظائف والمناصب

مر معنا كيف أن الغرب في عهود الاستعمار قد أقصى صفوة الناس - الذين يمثلون أسمى الفضائل - عن أماكن القيادة والتوجيه في العالم الإسلامي، وملأ الوظائف والمراكز القيادية في العالم الإسلامي بعناصر من أبناء دينه المقيمين في البلاد الإسلامية. كما قرب المتحررين والمتفرنجين الذين ساروا على طريقتهم ومنحاهم[1].

فلما رحل الاستعمار عن بلاد المسلمين، حل محله هؤلاء الذين قربهم المستعمرون، فأقاموا الأنظمة الوضعية الغربية التي لا تفرق بين المسلم وغير المسلم في أي شيء، ومن ذلك؛ تقلد غير المسلمين الوظائف والمناصب.

وقد توسع بعض الكتاب[2] في الاحتجاج لجواز تقلد غير المسلمين الوظائف والمناصب، حتى ولو كانت الولاية العظمى للمسلمين (رئاسة الجمهورية أو الدولة)! بحجة أن هذه الوظيفة - في الوقت الحاضر - ليس لها صبغة دينية كما في الماضي؛ بل هي من المسائل الاجتماعية السياسية. لذا فهي تخضع لظروف الزمان والمكان.

وقريباً منه ما زعمه سعد زغلول بوجوب طاعة ولاة الأمر الإنجليز! حينما قال: "إن الإنجليز هم أولياء أمورنا في الوقت الحاضر! ولا ينبغي أن نحاربهم ونقاومهم! إنما واجبنا أن نتعلم منهم، ثم نتفاهم معهم بعد ذلك لتصفية ما بيننا وبينهم من خلافات"[3].

---

(١) يراجع، ص٢٠٤ - ٢٠٥، ص٢١٣ - ٢١٦.

(٢) أمثال: الدكتور عبد الحميد متولي في كتابه: مبادئ نظام الحكم في الإسلام، ص٢٠٣، ٢١٠ - ٢١١، والدكتور عبد المنعم بركة في كتابه: الإسلام والمساواة بين المسلمين وغيرهم في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، ص٢٩٣.

(٣) واقعنا المعاصر، ص٣٠٧.

ويرى مجموعة من أهل العلم استثناء منصب رئيس الدولة وبعض الوظائف الكبرى، وأما عدا ذلك فيشترك فيها المسلمون وغيرهم[1].

وإن المتأمل لواقع المسلمين - اليوم - يرى أن استعمال الذميين وإشراكهم في الوظائف والمناصب المهمة قد غدا أمراً مألوفاً مع ما يكتنفه من خطورة بالغة، وإن في التاريخ لعبرة.

- فالدولة العثمانية، حيث مركز النفوذ الإسلامي ''كانت تسند الوظائف المختلفة إلى رعاياها من غير المسلمين، وجعلت أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الأجانب من النصارى''[2].

- ''وفي مصر؛ نجد أن رئاسة الحكومة أسندت إلى رجلين غير مسلمين هما: نوبار باشا[3]، وبطرس غالي باشا[4]!

فأما أولهما، فقد مكن للأجانب في البلاد، ورسخ امتيازاتهم على حساب أهلها. فأصبح المسلم يقتل في عقر داره فلا تمتد يد الحاكم إلى الجاني بعقاب، لأنه من أصحاب الامتيازات!

وأما الآخر، فقد سلم السودان للإنجليز، وعمل على مد امتياز قناة

---

(١) أمثال: الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ص٨٠ - ٨١، والدكتور يوسف القرضاوي في كتابه غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (وقد ذكر شروطاً مهمة لا بُدَّ من توافرها في أهل الذمة)، ص٢٢ - ٢٣.

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٨٢.

(٣) نوبار باشا: (١٢٤٠ - ١٣١٦هـ الموافق ١٨٢٥ - ١٨٩٩م) سياسي مصري، أرمني الأصل.
انظر: المنجد في الأعلام، ص٥٧٨.

(٤) بطرس غالي: (١٢٦١ - ١٣٢٧هـ الموافق ١٨٤٦ - ١٩١٠م) سياسي مصري عين وزيراً للمالية ١٨٩٣م فالخارجية ١٨٩٤م، ورأس الوزارة ١٩٠٨م. اغتاله إبراهيم الورداني (نصراني) لتعاونه مع الإنجليز وسكوته على بغيهم في حادث دنشواي. انظر: المرجع السابق، ص٣٨٦، والموسوعة الثقافية، ص٢١٥، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١٣٢).

السويس، ومضى في سياسة طائشة لملء الوظائف العامة بالأقباط دون المسلمين"[1].

ويطول المقام في استعراض الأمثلة، ولكن أنقل كلام مؤرخ من الغرب أنفسهم وهو آدم ميتز[2] الذي يقول:

"من الأمور التي نعجب بها؛ كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الإسلامية. فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام"[3].

إن الإسلام وإن تسامح مع أولئك المخالفين في العقيدة من أهل الذمة، وأوكل إليهم بعض المهام. فقد قاموا باستغلال هذا التَّسَامُح لتهييج روح الانتقام والتسلط على رقاب المسلمين، والتاريخ شاهد بالعديد من الأحداث[4].

إن تقلد غير المسلمين للوظائف والمناصب والولايات من المسائل الفقهية التي قد تناولها الفقهاء - عليهم رحمة الله - وأهمتهم كثيراً، ولا سيما بعد أن كثر أهل الذمة في دار الإسلام وانتشروا. وفيما يلي أتطرق إلى بيان الوجهة الشرعية في تقلدهم الوظائف والمناصب والولايات:

---

(١) التعصب والتَّسَامُح بين المسيحية والإسلام، ص٣٥٥. وانظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ١٣٢، ٢٣٢).

(٢) آدم ميتز (Mez, A.): (١٢٨٦ - ١٣٣٥هـ الموافق ١٨٦٩ - ١٩١٧). ولد في فرايبورج، وتخرج من جامعات ألمانيا. وعين أستاذاً للغات السامية في جامعة بال بسويسرا، وقد تخصص بالأدب العربي في العصر العباسي. من مؤلفاته: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.
انظر: (المستشرقون) (٢/ ٤٣٠ - ٤٣١).

(٣) الإسلام انطلاق لا جمود د. مصطفى الرافعي، مراجعة: حسن تميم، ص١٧.

(٤) انظر: الموالاة والمعاداة (٢/ ٧٩٩).

ـ الحكم الشرعي في تقلد غير المسلمين الوظائف والمناصب والولايات:

الأصل فيه عدم الجواز[1] والله أعلم؛ والأدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[2]. قال القرطبي: "وفي الآية دلالة على أنه لا تجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة"[3]. ويتأكد عدم الجواز في تقلد غير المسلمين في الوظائف الدينية والمناصب الدنيوية الكبيرة العامة؛ على أنه ربما وجد من الكفار من يعامل المسلمين بالأمانة والصدق، كما أن ((**خُزَاعَةَ**[4] **كانوا عَيْبَةَ**[5] **نُصْحِ رَسُول الله ﷺ**))[6]، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ معلقاً على خبر خُزَاعة مع النبي ﷺ كما في قصة الحديبية، "إن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة"[7].

ولهذا فقد يجوز عند الحاجة تعيين الذمي في الوظائف العادية التي

---

(١) للفقهاء تفصيل واسع في هذا الأمر ويطول بنا المقام في استعراضه ويمكن الرجوع إلى المراجع الآتية:
ـ أحكام الذميين والمتسأمنين في دار الإسلام، ص٧٦ ـ ٨٦.
ـ الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ص٣٦٥ ـ ٣٨٧.
ـ أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي لنمر محمد النمر (رسالة ماجستير مطبوعة).

(٢) [سورة آل عمران: الآية ١١٨].

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٧٨).

(٤) خُزَاعَة: هم بنو عمرو بن ربيعة، وسميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم لما ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزعوا عنهم، فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام. انظر: لسان العرب مادة (خزع) (٤/ ٨٢).

(٥) عيبة نصح: أي موضع أمان ووفاء.

(٦) رواه البخاري في حديث طويل، كتاب الشروط، باب (١٥) الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط، حديث رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢، فتح الباري (٥/ ٣٢٩).

(٧) زاد المعاد (٣/ ٣٠١).

ليس فيها استطالة على المسلمين، مع كونه موثوقاً وأميناً وأن يكون مؤهلاً لتلك الوظيفة[1].

"ولا يكون أمراً مستغرباً من الدولة الإسلامية حينما تمنع غير المسلمين من تولي أي شأن من شؤونها العامة ما داموا لا يؤمنون بما تؤمن به من عقيدة وغاية ونظام ولو حملوا جنسيتها"[2]. يقول محمد أسد: "إننا يجب أن لا نتعامى عن الحقائق، فنحن لا نتوقع من شخص غير مسلم مهما كان نزيهاً مخلصاً وفياً، محباً لبلاده، متفانياً في خدمة مواطنيه، أن يعمل من صميم فؤاده لتحقيق الأهداف الأيديولوجية للإسلام؛ وذلك بسبب عوامل نفسية محضة لا نستطيع أن نتجاهلها، إنني أذهب إلى حد القول أنه ليس من الإنصاف أن نطلب منه ذلك"[3].

وبهذا يتضح فساد ما احتج به بعضهم لصحة تقلد الولاية العظمى لغير المسلمين، أو وجوب طاعة ولاة الأمر من غير المسلمين، فالمسلمون لم يولوا في تاريخهم كله منذ عهد النبي ﷺ خليفة لهم إلا مسلماً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾[4].

المطلب الثالث

التبعية السياسية

تشابكت العلاقات والمصالح فيما بين الدول في العصر الحاضر؛ سواء الدول الإسلامية فيما بينها، أم بينها وبين الدول الغربية.

---

(١) انظر: الاستعانة بغير المسلمين، ص٣٨١ ـ ٣٨٣.

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين، ص٨٢ (بتصرف).

(٣) منهاج الإسلام في الحكم، ص٨٣.

(٤) [سورة النساء: الآية ٥٩].

ولهذا يمكن أن يقال: إنه لا توجد دولة واحدة تعيش منعزلة عن العالم؛ ولا سيما مع سهولة الاتصال والمواصلات وتوافرها.

وإن المتأمل لحال الدول الإسلامية في الوقت الحاضر، يجد أن بعضها يمكن أن يوصف بالتبعية التامة للغرب في جميع الأمور، ولا سيما في الجانب السياسي وهذا ما يجعل أوضاعها غير مستقرة وعرضة لتدخل الغرب[١].

والحديث عن التبعية السياسية أمر شائك ومعقد ولا تحكمه مبادئ سليمة أو قيم صحيحة ـ وله مجالاته المختصة ـ وأركز الحديث عن أبرز آثار التَّسَامُح، والتي تبدو التبعية السياسية فيها واضحة، وآثارها فادحة على المسلمين، وذلك وفق الآتي:

١ ـ الامتيازات الأجنبية:

تمتعت الدول الغربية بهذه الامتيازات ابتداء في عهد الدولة العثمانية الإسلامية، "والامتيازات كما يدل عليها اسمها، كانت تقوم على منح رعايا الدول الأجنبية النازلين في الدولة العثمانية أو السائحين فيها أو المارين بها مروراً امتيازاتٍ لم تكن تمنح للمواطنين أنفسهم. من ذلك؛ الإعفاء من الضرائب، ومن جزء من الرسوم الجمركية وغير ذلك"[٢].

فالدولة العثمانية ـ على سبيل المثال ـ كانت في أوج قوتها أخذت بمبدأ التَّسَامُح مع الدول الغربية من خلال إعطائها ما يسمى بالامتيازات السابقة، مما جعل لرعايا تلك الدول امتيازات خاصة على أهل البلاد، ولا سيما في ميداني القضاء والاقتصاد[٣].

لقد كانت السلطنة متسامحة أكثر من اللازم، مفرطة في عقد الامتيازات، ومنحها إلى الدول الغربية دون نظر إلى المستقبل البعيد، ولهذا تحولت الامتيازات الممنوحة فيما بعد إلى قيود وأغلال طوقت السلطنة،

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٣٩.

(٢) التبشير والاستعمار، ص١٣٢ (بتصرف يسير).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٣٢ ـ ١٣٤.

ووجدت نفسها أنها ليست عاجزة عن التخلص منها فحسب؛ بل قد قامت الدول الغربية بفرض امتيازات أخرى عليها أشد تقييداً لها. وهكذا مع مرور الزمن فقد تحولت تلك الامتيازات من مِنَّة إلى أغلال وقيود طوقت دولة بني عثمان، ويعلق الدكتور إحسان حقي على ذلك: "ومن الغريب جدّاً أن تعقد الدولة العثمانية وهي في أوج عظمتها وقوتها، معاهدة مع دول الغرب بمثل هذا التَّسَامُح الذي بلغ حد الذل والضعف"[1].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه الله ـ عن أثر الامتيازات الأجنبية التي كانت تمنحها البلاد الإسلامية لغيرها: "ومن المثلات والعبر في هذا أن المسلمين أباحوا في حال عزتهم وسلطانهم لأهل الملل الأخرى حرية واسعة في دينهم ومعاملاتهم في بلاد الإسلام عادت على المسلمين ودولهم بأشد المضار والمصائب في طور ضعفهم، كامتيازات الكنائس ورؤساء الأديان التي جعلت كل طائفة منهم ذات حكومة مستقلة في داخل الحكومة الإسلامية، ومن ذلك ما يسمونه في هذا العصر بالامتيازات الأجنبية التي كانت فضلاً وإحساناً من ملوك المسلمين فصارت امتيازات عليهم، مذلة لهم، مفضلة للأجنبي عليهم في عقر دارهم حتى أن الصعلوك من أولئك الأجانب صار أعز من أكابر أمرائهم وعلمائهم"[2].

والواقع أن المشاهد اليوم؛ يرى آثار ذلك التَّسَامُح في تمييز معاملة رعايا الدول الغربية في كثير من البلاد الإسلامية كان ولا يزال على حساب الشعوب الإسلامية نفسها!

٢ ـ المعاهدات[3] السياسية:

لقد قامت كثير من دول العالم الإسلامي ـ إن لم يكن كلها ـ بعقد

---

(١) تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك، تحقيق د. إحسان حقي، ص٢٣٠.

(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٠/٩٨).

(٣) المعاهدة (في الاصطلاح الحديث) اتفاقات تعقدها الدول فيما بينها بغرض تنظيم علاقة قانونية دولية وتحديد القواعد التي تخضع لها هذه العلاقة.
انظر: القانون الدولي العام د. علي أبي هيف، ص٥٢٥.

العديد من المعاهدات السياسية ـ الدولية الخطيرة ـ مع الدول الغربية مع مراعاة الالتزام بكل القرارات والشروط التي تمليها الدول الغربية!

ومثال ذلك: معاهدات حظر انتشار الأسلحة النووية، ومعاهدات الحياد، ومعاهدات تأجير القواعد والموانئ والمطارات العسكرية، وحيث إن آثار المعاهدات السياسية وخيمة جدا على البلاد الإسلامية ـ ولا يتسع المقام لبيان آثارها ـ لذا أقتصر على:

معاهدات تأجير القواعد والموانئ والمطارات العسكرية:

"هي معاهدات تلتزم الدولة التي قامت بعقدها بتسخير أرضها ومياهها وأجوائها لدولة أو لدول أخرى، باعتبارها منشآت عسكرية تتخذ منها الدولة المستغلة قواعد حربية مدة من الزمن، وقد ينتهي الأمر بهذه القواعد المرابطة عند الدولة التي أجرتها قواعد من أرضها، إلى إقامة دائمة، إن لم يكن استبداداً واحتلالاً"[(١)].

وتكمن آثار التَّسَامُح السياسية في معاهدات تأجير القواعد والموانئ والمطارات العسكرية؛ أن بعض الدول حينما تقوم بمثل هذه المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الغربية من منطلق التَّسَامُح معهم من أجل المصلحة العامة، فإنها تعرض سيادتها للانتهاك حينما تقدم أرضها وموانئها وأجواءها إلى بلاد الكفر، مقابل ثمن بخس؛ بل هو نوع من أساليب الاستعمار الغربي واستيلاء الأعداء على بعض البلاد الإسلامية. وذلك ما لا يقره الإسلام.

وعلى هذا، فإن معاهدات تأجير القواعد والموانئ والمطارات العسكرية؛ من الأمور المحظورة، ولا سيما أن ذلك يتيح للعدو الاطلاع على عورات البلاد وثغورها ومن ثم السيطرة عليها[(٢)].

---

(١) الإسلام والمعاهدات الدولية د. محمد الصادق عفيفي، ص٢٧٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

المبحث الخامس
الآثار الاقتصادية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إشاعة الربا.

المطلب الثاني: تطبيق النظام الرأسمالي والاشتراكي.

المطلب الثالث: التبعية الاقتصادية.



المطلب الأول
إشاعة الربا

لقد غدا العالم ـ بأكمله ـ في الوقت الحاضر أشبه بالقرية الصغيرة، ولا سيما في المعاملات الاقتصادية والتجارية، فأسواق البورصات العالمية كما في نيويورك ولندن وطوكيو وغيرها، تدار بطريقة إدارية واقتصادية رفيعة، وبإمكان أصحاب رؤوس الأموال أن يدخلوا في هذه البورصات ويشتروا ويبيعوا وهم في بلدانهم ـ في أي مكان من العالم ـ وذلك من خلال وسائل الاتصالات الحديثة.

ومن الأمور التي أفاد المسلمون من تسامح الغرب معهم أخذهم بعض أساليب التعامل الاقتصادية الغربية الحديثة، ونقلها إلى بلدانهم، وبهذا تطورت كثير من التنظيمات الاقتصادية في العالم الإسلامي، فمثلاً لم يعد

من عنده مال كثير يجد مؤونة في حمله أو حفظه وحراسته، فبإمكانه استخدام وسائل التعامل الحديثة كالسحب الآلي أو الشيكات أو بطاقات الصرف وما أشبه ذلك.

ولا بأس أن يستفيد المسلمون من غيرهم[1] ومن ذلك الإفادة من النظريات الاقتصادية والمالية المباحة، ونقلها إلى بلاد المسلمين، ولكن الأمر لم يقتصر على ذلك؛ بل انتقلت النظريات الربوية الاقتصادية والمالية الغربية إلى بلاد المسلمين، وتلقف المسلمون النافع والضار! وكان الأولى بهم أن يقفوا من تلك النظريات الحديثة (الربوية) موقفاً شرعياً ينطلقون منه كما أمرهم دينهم. فيأخذوا بما فيه نفع وموافقة للدين، ويبتعدوا عن كل ما فيه مضرة ومخالفة للدين.

ولهذا فإن من أعظم الأمور التي تسامح المسلمون وتساهلوا فيها هو إشاعة الربا في كثير من معاملاتهم حينما آثروا دنياهم على دينهم فتعاملوا بالربا شيئاً فشيئاً أولاً إقراضاً، ثم اقتراضاً، حتى أصبح الربا هو لحمة اقتصادهم وسداه!

ومع أن الربا من الأمور المحرمة شرعاً التي لا تقبل جدالاً أو نقاشاً. إلا أن المسلمين تجرءوا على الوقوع فيه شيئاً فشيئاً، وما زالوا يأكلون الربا حتى عبوا منه عباً، ومن لم يصبه الربا أصابه غباره!

وألقي الضوء على أثر التَّسَامُح في إشاعة الربا من خلال الآتي:

١ ـ المصارف الربوية (البنوك):

لقد زعم أدعياء التقدم والتنوير من بني جلدتنا أن السبيل إلى إنقاذ الأمة مما هي فيه من عهود التخلف والانحطاط هو أن نجاري الأنظمة الاقتصادية بخيرها وشرها، ولا بد من أن نستفيد من تسخير أموالنا في المجالات التجارية العالمية، حتى نظفر بالأرباح الطائلة.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١١٤).

- يقول حفني ناصف: "إن الربا بفائدة ليس من أنواع الربا المحرم، وأن سبب تخلف مصر هو عدم فتح بنوك على الطريقة الغربية"[1]. وبهذا يمكننا أن نقيم المشاريع التنموية، ونعد الخطط القصيرة المدى والمتوسطة والطويلة في تطوير بلادنا!

وللأسف فإن بعض أدعياء العلم والمفكرين قاموا بمحاولة تطوير الإسلام وإعادة تفسيره تحت مؤثرات النظريات الاقتصادية الغربية والأساليب الجديدة، ولهذا ما فتئوا يصدرون الفتاوى في تبرير كثير من المعاملات والنظريات الاقتصادية التي تخالف نصوص الشريعة[2].

- وقال بعضهم: "نحن في حال الضرورة لأن بناء الاقتصاد في البلاد العربية يقوم على المصارف، والمصارف تقوم على الربا، وفوق ذلك فإن هذه الفائدة فيها مصلحة اقتصادية، إذ تنمي الادخار، وتجعل المجتمع ينتفع بكل الأموال بدل أن تكون الأموال في الخزائن لا تنتج، كالماء الآسن الذي لا ينتفع به أحد"[3].

- ولقد استند بعضهم[4] على - مفهوم الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[5] - من أن الربا المحرم هو الأضعاف المضاعفة![6].

- ودعا بعضهم[7] إلى إباحة تشغيل المال بالربا عن طريق عائد

---

(١) العلمانية، ص٥٨١.
(٢) انظر: الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٥٥.
(٣) تحريم الربا، ص٦٣، وانظر: فوائد البنوك هي الربا الحرام د. يوسف القرضاوي، ص٢٢٦.
(٤) كالشيخ محمد عبده - رحمه الله وعفا عنه -.
(٥) [سورة آل عمران: الآية: ١٣٠].
(٦) انظر العلمانية، ص٥٧٩، وفوائد البنوك، ص١٢٦.
(٧) كالشيخ محمود شلتوت - رحمه الله وعفا عنه - وقد نقل الدكتور يوسف القرضاوي عن الشيخ محمد أبي زهرة: أنه ناقش (شلتوت) في فتواه هذه في أواخر حياته حتى اقتنع بالرجوع عنها، وقال: تحذف من كتاب (الفتاوى) فقال أبو زهرة: بل تبقى ويعلق عليها بأنك رجعت عنها، ولكن الأجل لم يمهله، فلم نر هذا الرجوع أو التراجع مثبتاً في الكتاب أو غيره. فوائد البنوك، ص١٠٣.

صناديق التوفير[1] بحجة أنها ذات ربا يسير (فائدة)[2][3]، وزعم بعضهم[4] بأن شهادات الاستثمار[5] حلال[6]!

وبهذا فقد انتشرت المصارف الربوية في العالم الإسلامي انتشاراً ذريعاً، وهي نسخة مكررة من المصارف الموجودة في الغرب، وتسامح كثير من المسلمين في التعامل معها في معاملات مالية محرمة.

٢ ـ الاستدانة الخارجية:

تسامح المسلمون في الاستدانة الخارجية (القروض الربوية) بحجة تطوير البلاد وتنميتها والأخذ بالتقنين الغربي والأساليب الحديثة.

وأورد أمثلة ـ موجزة ـ على بداية الاستدانة الخارجية (القروض الربوية) في بلاد المسلمين:

ـ بدأت مصر بالاستدانة الخارجية في عام (١٢٧٤هـ/ ١٨٥٤م). وعبر الخديوي إسماعيل عن ذلك بقوله "إن بلدي لم يعد في أفريقيا، فنحن اليوم نشكل جزءاً من أوروبا"[7].

---

(١) صناديق التوفير: هي مبالغ يسيرة لصغار المساهمين الذين يودعون أموالهم في المصرف، ويقوم المصرف باستثمارها بالربا. وحجة هؤلاء أن الربا لصغار المساهمين وليس للتجار!

(٢) يسمون الربا فائدة تلاعباً بالألفاظ الشرعية.

(٣) انظر: تحريم الربا، ص٥٤.

(٤) الشيخ محمد سيد طنطاوي ـ مفتي مصر ـ وقد عين شيخاً للأزهر في (شهر ذي الحجة ١٤١٦هـ ـ إبريل ١٩٩٦م). وقد ناقشه مجموعة من العلماء كالدكتور القرضاوي في كتابه فوائد البنوك.

(٥) شهادات الاستثمار: شهادات يعطي بموجبها المصرف للمودع صكا يمثل الحق في المبلغ المودع لديه وديعة خاضعة لنظام القرض الربوي، وغالباً ما تصدر المصارف هذه الشهادات بتوجيه من الدولة.
انظر: المصارف والأعمال المصرفية في الشريعة الإسلامية والقانون د. غريب الجمال، ص١٣٧.

(٦) انظر: فوائد البنوك، ص٩١.

(٧) «الجذور التاريخية للاستعمار المالي المعاصر» لنبيل شبيب، مجلة المجتمع، العدد ١١٤٤ (٤/١١/١٤١٥هـ الموافق ٤/٤/١٩٩٥م)، ص٣١.

ـ وبدأت الدولة العثمانية بالاستدانة الخارجية في عام (١٢٧٦هـ/ ١٨٥٦م)[١]! والأمثلة في هذا المجال أكثر من أن تحصى[٢]! ولنتأمل يا ترى ما نتيجة تلك الاستدانات!

ـ أما عن استدانة مصر؛ فقد تراكمت الديون الخارجية، فارتفعت في الفترة بين (١٢٨٣ ـ ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٦٣ ـ ١٨٧٦م) من ٣ ملايين جنيه إلى ٦٨,٥ مليون جنيه، ووصلت بمصر عام ١٢٩٦هـ الموافق ١٨٧٦م إلى العجز عن السداد[٣]!

ـ وأما عن استدانة الدولة العثمانية فقد تراكم المبلغ المقترض (٥,٥ مليون ليرة تركية)، حتى بلغ ٢١٨ مليون ليرة تركية[٤]!

ـ والإحصاءات العامة عن ديون الدول النامية المدينة (والتي أكثرها من الدول الإسلامية) مذهلة:

"فقد بلغت ٩٠٠ بليون (مليار) دولار في عام (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)!

وبلغت تلك الديون ٩٧٠ بليون دولار مع نهاية عام (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)"[٥].

"وزادت عن ١٣٠٠ بليون دولار في عام (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)"[٦]!

فالنتيجة إذن واحدة لكل من يسلك طريق التعامل الربوي، فإن مآله البوار والخسارة.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) للمزيد من الاطلاع على الأرقام المذهلة للديون الخارجية وتراكمها في الدول الإسلامية! يراجع كتاب: الحرمان والتخلف في ديار المسلمين د. صبحي الطويل.

(٣) انظر: مجلة المجتمع ـ المرجع السابق ـ عدد ١١٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) أخبار العالم الإسلامي العدد ٩٢١ (٢٥/٧/١٤٠٥هـ الموافق ١٥/٤/١٩٨٥م)، نقلا عن: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٥٣.

(٦) انظر: مجلة المجتمع، العدد ١١٤٤ ـ مرجع سابق ـ، ص٣٣.

والمتأمل في العالم الإسلامي - خاصة - يجده ضحية الديون الربوية وفوائدها المركبة!

فمع أن بلاد المسلمين هي من أغنى البلدان - بالجملة - وذلك بما أودعه المولى عز وجل فيها من نعم مستفيضة وخيرات كثيرة، فالأنهار تجري من حولها، والأراضي مليئة بالبترول والمعادن، والأيدي العاملة متوفرة وغير ذلك. إلا أن البركة قد محقت من الأموال والخيرات بسبب إشاعة الربا، وانقلب اقتصادها القوي إلى اقتصاد ضعيف منهار.

ومن حكمة المولى عز وجل أنه يعاقب على الذنب بمثله، فنتيجة لتفريطها وتعديها على حدود الله وعدم شكرها، فقد أصبحت تلك الدول الإسلامية المقرضة مقترضة من الدول الغربية بالربا الفاحش.

وصدق فيها قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

ويصدق عليها قول الشاعر:

كَالعِيسِ في البَيْدَاءِ يقْتُلُهَا الظَّمَأُ والمَاءُ فَوقَ ظُهُورِهَا مَحمُول

وبعد؛ فتلك إشارات إلى بعض آثار التَّسَامُح في إشاعة الربا، وإن كان الحكم الشرعي في الربا واضحاً - ولكني أتطرق إليه من باب التذكير به -.

الحكم الشرعي في الربا:

جاء الحكم القاطع بتحريم الربا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع العلماء. وفيما يأتي أورد بعض الأدلة الشرعية في بيان تحريمه:

- حرم الله تعالى الربا وتوعد عليه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٧٦].

(٢) [سورة الروم: الآية ٣٩].

ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[1].

ـ وحذر النبي ﷺ من الربا أيما تحذير ففي حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: ((**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا ومُوكِلَهُ وكَاتِبَهُ وشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ هُم سَوَاء**))[2]. كما أن الربا من الموبقات[3] السبع فقد جاء في حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: ((**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَات** ـ وذكر منها ـ **أَكْلُ الرِّبَا**))[4]. وكان مما أوصى به ﷺ في حجة الوداع أنه قال: ((**وَرِبَا الجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُ رِبَانَا. رِبَا عَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**))[5].

ـ وقد أجمع العلماء على تحريم الربا استناداً إلى النصوص الشرعية، ويكفي أن يعلم أن الله تعالى ورسوله ﷺ قد آذن بالحرب لآكل الربا.

---

(١) [سورة البقرة: الآيات ٢٧٥ ـ ٢٧٩].

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب (١٩) لعن آكل الربا ومؤكله، حديث رقم ١٥٩٨، صحيح مسلم (٣/ ١٢١٩).

(٣) المُهْلِكَات.

(٤) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب (٢٣) باب قول الله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً**﴾ حديث رقم ٢٧٦٦، فتح الباري (٥/ ٣٩٣)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب (٣٨) بيان الكبائر وأكبرها، حديث رقم ٨٩ صحيح مسلم (١/ ٩٢).

(٥) رواه مسلم، كتاب الحج، باب (١٩) حجة النبي ﷺ، حديث رقم ١٢١٨ صحيح مسلم، (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٨٩).

فهل بعد هذا التحريم تسامح في إشاعة الربا[1]؟

المطلب الثاني

تطبيق النظام الرأسمالي والاشتراكي

كانت البلاد الإسلامية - قبل مجيء الغزاة الغربيين - تقوم على نظام اقتصادي كامل تحدر عبر مئات السنين، له أصوله وضوابطه وتقاليده، وله أنظمته بالنسبة إلى الملكية والإرث والبيع والشراء والتنمية والاستثمار وغير ذلك[2].

ولم يكن يدور بخلد أحد من المسلمين أن يأتي زمان تستبدل فيه الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية بالنظام المالي الإسلامي!

وكما أوضحت بأن مجيء الاستعمار الغربي وقيامه بتحطيم البُنَى الاقتصادية القائمة في بلاد المسلمين بحجة تطبيق مذاهبه الاقتصادية ونظمه باسم التَّسَامُح في تطوير النظام الاقتصادي، وبالمقابل قيام المسلمين السذج الذين انطلت عليهم الأقاويل والشبهات بالإسهام في تلقي النظريات الوافدة من الغرب والشرق[3].

ونتيجة لتسامح المسلمين وتساهلهم، فقد اختارت العديد من البلاد الإسلامية أنظمة مخالفة للإسلام، إما الأنظمة الرأسمالية أو الأنظمة الاشتراكية وطبقتها بدون تمحيص وتنقية[4].

---

(١) لقد كبلت المصارف الربوية كثيراً من الناس بالديون (بإتاحة فرص التقسيط والافتتان في التسهيلات)، فصار أسيراً لها لكي يسدد لها فوائدها التي تتراكم مع الأيام، فقد يمضي بعضهم في دفع ما تراكم عليه من ديون حياته كلها دون أن يتمكن بتسديد أصل الدين!

(٢) انظر: الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر، ص٩٣.

(٣) أقصد بالشرق هنا الاتحاد السوفيتي - قبل سقوطه - أحد المذاهب الاقتصادية العالمية، وقد أوضحت بأن الغرب يسعى إلى ضرب اقتصاد المسلمين ولو في تطبيق النظام الاشتراكي، ص٢٢٦، ٢٣٦.

(٤) انظر: الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٣٥.

ـ ذلك أن الدول التي طبقت النظام الرأسمالي توسعت في مفهوم الحرية بالبحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب، وأولت الملكية الفردية عناية خاصة وتركت العنان لها، كما أباحت حرية الأسعار وغير ذلك.

ـ وأما الدول التي طبقت النظام الاشتراكي ـ قبل سقوطه ـ ولا زالت بعض الدول تطبق الاشتراكية حتى بعد أن تخلى عنها أربابها ومؤسسوها! فقد قامت الشيوعية فيها باسم تحقيق الفردوس، وباسم الثورة الاجتماعية والدولة التقدمية وغير ذلك مما خدعت به. فقامت بعض البلاد الإسلامية بتأميم المصارف والشركات والمؤسسات والمصانع. كل ذلك بحجة رفع الإنتاج والدخل القومي وتحقيق العدالة والمساواة في توزيع الثروات وغير ذلك.

ولنتأمل ما حدث بشكل عام في البلاد الإسلامية من جراء تطبيق النظام الرأسمالي والاشتراكي!

أصبح اقتصاد البلاد الإسلامية التي أخذت تطبق النظام الرأسمالي مرتبطاً بالدول الغربية أيما ارتباط. فجنت الدول الغربية الأرباح والأموال الطائلة منها، وزادت حالة البلاد الإسلامية سوءاً بعد سوء؛ بل أصبحت مهددة دوماً بهزات اقتصادية خطيرة.

وأما اقتصاد البلاد التي أخذت تطبق الاشتراكية فلم يرتفع دخلها القومي، ولم تتحقق العدالة والمساواة المزعومة بين شعبها! بل انْهَارَ الاقتصاد انهياراً حاداً ـ أكثر من مرة ـ إلى حافة الإفلاس، وعولج في كل مرة بالقروض الربوية[1].

وعموماً؛ ففي كلا النظامين الجاهليين كثر الفساد الإداري والمالي، وتضجر الناس منهما وكما أوضحت في معرض حديثي عن الربا فالنتيجة واحدة لكل من يبتعد عن منهج الله وشرعه فمآله الخسران والبوار.

---

(١) انظر: واقعنا المعاصر، ص٣٥٤.

المطلب الثالث

التبعية الاقتصادية

نتيجة لضعف المسلمين في العصر الحاضر قامت معظم دول العالم الإسلامي باعتماد اقتصادها على الدول الغربية الكبرى عن طريق ربط اقتصادها بها كربط النقد مثلاً بنقدها، وافتتاح المصارف الربوية، والاستدانة الخارجية، والانضمام إلى المنظمات الاقتصادية الدولية وغير ذلك.

وكان الأولى بدول العالم الإسلامي أن تتعاون فيما بينها وتعتمد على نفسها، لتكون بذلك قوة اقتصادية يمكنها التخلص من تبعيتها الاقتصادية للغرب.

"وتكمنُ آثار التَّسَامُح الاقتصادي في انضمام كثير من دول العالم الإسلامي إلى المنظمات الاقتصادية الدولية[1] مثل: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وغيرهما، ولم يكن لهذه الدول في انضمامها أي أثر إيجابي إلا المساندة بالمال، أما ما يتم من إجراءات عملية تنفيذية فإنه يجري وفق النظم التي وضعها أهلها"[2].

لقد تسامحت كثير من الدول الإسلامية في مد تلك المؤسستين العالميتين بالأموال الطائلة، وكذلك قيامها بأخذ القروض الربوية.

وفيما يلي ألقي الضوء على كل منهما ـ بإيجاز ـ:

---

(١) لا شك أن قيام المنظمات الاقتصادية العالمية بتقديم المساعدات المالية والقروض إلى بعض البلاد الإسلامية يمكن أن يفسر بنوع من التَّسَامُح الدولي، ولا ينكر ذلك، وقد ناقشت ما وراء تلك المساعدات من آثار إيجابية في الظاهر، لكنها تخفي آثاراً خطرة للغاية في الباطن ـ دينية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية ـ وأوضحت ذلك في مبحث الأساس العملي لتسامح الغرب. أما هنا فإني بصدد بيان آثار التَّسَامُح على المسلمين في انضمامهم إلى تلك المنظمات الاقتصادية باسم التَّسَامُح الاقتصادي.

(٢) الاستعانة بغير المسلمين، ص٤٣٦(بتصرف).

١ ـ البنك الدولي (World Bank):

إحدى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة، أنشئ بمقتضى اتفاق أقرته الدول في مؤتمر بريتون وودز في عام (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م)، ثم صدق عليه في (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م). ومقره واشنطن العاصمة في أمريكا، ويستخدم رأس ماله في تقديم القروض (الربوية) للدول الأعضاء، وكذلك للاستثمارات الخاصة لتسهيل الاستثمار، وتشجيع التجارة الخارجية، ويجب أن يكون جميع أعضائه أعضاء في صندوق النقد الدولي[١].

٢ ـ صندوق النقد الدولي (International Monetary Fund):

مر معنا أن تأسيسه كان في أعقاب مؤتمر بريتون وودز الدولي عام (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م) بمشاركة ٤٤ دولة غربية.

"وقد أصبح الصندوق حالياً يضم أكثر من ١٣٠ دولة، وقد خصص لكل منها حصة معينة تشترك بها في رأسماله، أقصاها ٢٧٥٠ مليون دولار وأدناها ٥٠٠ ألف دولار. تدفع ٢٥٪ منها بالذهب الصافي، والباقي بالعملة المحلية، وبذلك يمتلك الصندوق أرصدة من مختلف العملات يستطيع بموجبها تقديم ما تحتاج إليه الدول من عملات لتصحيح الاختلالات في موازين مدفوعاتها"[٢].

ويكفي أن يعلم أن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي قد تأسسا في غياب الدول الإسلامية.

ـ يقول جاك بولاك ـ أول مدير تنفيذي لصندوق النقد الدولي ـ: "إن الإدارة الأمريكية فرضت نفسها على الأوربيين المشاركين في مؤتمر بريتون وودز الدولي، وهم في مرحلة الهزيمة أمام النازية، وعلى الدول النامية التي لم يكن لها وزن يذكر، فجميع ما تقرر كان متفقاً عليه بين واشنطن ولندن

---

(١) انظر: الموسوعة الثقافية، ص٢٣٤، والقانون الدولي العام، ص٧٠٧.

(٢) انظر: الموسوعة الثقافية، ص٢٣٤، والقانون الدولي العام، ص٦٢٣.

قبل انعقاد المؤتمر"[1].

بل إن الغرب عموماً؛ وبريطانيا على وجه الخصوص؛ لم يألوا جهداً في الضغط المستمر على ماليزيا ـ نظراً لقيامها بالتصنيع في مجال التكنولوجيا ـ وإغرائها من أجل إيقاعها في الاستدانة من البنك الدولي، ومن ثم إحكام التبعية الاقتصادية عليها[2]!

وعندئذ يسهل علينا أن ندرك ما يخطط للعالم الإسلامي من مثل هذه المنظمات.

ولهذا فإن الدول الإسلامية التي قامت بالاستدانة من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي، وقعت تحت التبعية الاقتصادية (السيطرة الدولية) من ذلك:

ـ "قامت جمهورية مصر العربية بالاتفاق مع صندوق النقد الدولي في الفترة من (١٣٩٨ ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٨ ـ ١٩٨١م)، من أجل حل أزمتها الاقتصادية ومحاولة تقليل نسبة العجز في ميزانها التجاري.

ولنتأمل ما حدث.

لقد دخل الصندوق مصر وهي مدينة بـ ٨٠٠٠ مليون دولار.

وخرج الصندوق، وهي مدينة بأكثر من ١٨٠٠٠ مليون دولار. أي أن كل مواطن مصري كان مديوناً بـ ٤٢٢ دولار للعالم"[3].

"وفي عام (١٤١٥هـ/ يوليو ١٩٩٤م)، وافقت مصر مكرهة على شروط صندوق النقد الدولي المجحفة وغير المنطقية، التي من أبرزها؛ عدم قدرة مصر على حماية صناعاتها الوطنية، وكذلك القبول بمبدأ تحقيق

---

(١) مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١٤٤، ص٣٢ (بتصرف يسير).

(٢) انظر: «الغرب ومخطط التآمر على ماليزيا» د. أحمد يوسف، مجلة المجتمع، العدد ١١٠٦ (٢٦/١/١٤١٥هـ الموافق ٥/٧/١٩٩٤م)، ص٢٠ ـ ٢٢.

(٣) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٥٠ (بتصرف).

تخفيض سعر الجنيه مقابل الدولار، والإسراع ببرنامج الخصخصة، ذلك البرنامج الذي أشار كثير من المحللين الاقتصاديين إلى أنه سوف يؤدي إلى بيع المؤسسات الوطنية المصرية بثمن بخس، كذلك طلب الصندوق وضع احتياطات البنك المركزي المصري تحت رقابة الصندوق، وهذا يعتبر مساساً بسيادة السلطات النقدية المصرية، كذلك طلب الصندوق إطلاق مد يده في سوق الصرف المصرية!''[1].

والجدير بالذكر في هذا الموضع حول ديون الدول الإسلامية، ''ما رافق المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ـ الذي عقد بمصر (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ـ من تعليل الدعوة إلى الحد من الإنجاب[2] بالعجز عن تأمين الغذاء للأجيال المقبلة؛ بدعوى الديون الخارجية للمنظمات والدول الغربية.

والحقيقة إن هذه الدعوة متناقضة من أصلها، فقد زاد في البلدان المعنية بهذه الدعوة ـ الحد من الإنجاب والتي جلها من بلاد المسلمين ـ حجم المنتجات الزراعية المحلية بما يعادل ١٦٤,٨٪ مقابل زيادة السكان بنسبة ٩٢,٦٪ خلال العقود الثلاثة الماضية، ولكن الزيادة ضاعت فيما استهلكته خدمة الديون (ربا وفوائد) وليس فيما تتناوله الأفواه الجائعة من المواليد، كما زعموا بالحد من الإنجاب''[3].

وليس أدل على ذلك من الطريقة التي مرت بتعامل صندوق النقد الدولي مع مصر، فهو مع غيرها من الدول الإسلامية سواء.

وأورد مثالاً آخر حدث بالجزائر!

''لقد تحولت الجزائر التي من المفترض أن تصبح من أغنى دول

---

(١) مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١٥٦، ص٢٧.

(٢) قام صندوق النقد الدولي بدعم حوالي ٦٠ مشروعاً للتنظيم العائلي أو الحد من النسل في ٤٣ دولة، بهدف تحسين اقتصادها! جريدة الحياة، العدد ١١١٧٩ تاريخ: (٦/ ٤/ ١٤١٤هـ)، نقلاً عن: مجلة البيان ـ مرجع سابق ـ العدد ٩٦، ص٧٢ (بتصرف يسير).

(٣) مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١٤٤، ص٣٣ (بتصرف).

العالم بما تملك من ثروة نفطية هائلة، والأرض الزراعية وغير ذلك، إلى دولة فقيرة وصلت ديونها عام (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، إلى ٥٢ مليار دولار. وقد فتح صندوق النقد الدولي خزائنه للجزائر، فأفرط العسكر في الاستدانة حتى أصبحت ثروة الجزائر الطبيعية المتمثلة في النفط والغاز ـ الآن ـ مرهونة لعدة عقود"[١].

يقول جورج وودز ـ المدير السابق للبنك الدولي ـ عن المعونات الاقتصادية التي يقدمها البنك الدولي: "إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاماً، وذلك بسبب الفوائد المرتفعة"[٢].

فنتيجة لتسامح كثير من الدول الإسلامية في التعامل مع صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أصبحت الدول المقترضة في حالة خطيرة، ويتدخل الصندوق والبنك بشكل مباشر في شؤونها العامة، وقد تمكنا من إحكام قبضتهما عليها، وتوجيهها بالوجهة الاقتصادية التي يريدانها.

وأختم حديثي بذكر ملاحظتين عن تلكما المؤسستين وعن الدول التي وقعت في التبعية الاقتصادية:

الأولى: خاصة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي:

"بعد تجربة نصف قرن من عمل المؤسستين، رفعت العديد من المنظمات غير الحكومية العاملة في مجال التنمية والتعاون الدولي، وكذلك العديد من المنظمات الأخرى النقابية وغيرها، صوتها عالياً ولكنه لم يسمع، وأطلقت صيحات فزع محذرة من مردود هاتين المؤسستين اللتين لم تنتجا طوال هذه المدة سوى المزيد من التفقير والانهيار الاقتصادي والبيئي والإنساني بشكل عام، وتطالب هذه المؤسسات في اتجاه واحد إعادة تشكيلها بما يجعلها مفيدة ومساعدة للدول الضعيفة وليس مستغلة لها.

---

(١) مجلة المجتمع، المرجع السابق.

(٢) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص٢٤٩.

وتشير تقارير صندوق النقد الدولي والبنك الدولي إلى أن هاتين المؤسستين تحصلان حالياً على ٤٥٪ من الفائدة عن جملة ديونها للبلدان الأفريقية التي تبلغ ٢٩٩ مليار دولار!"[١].

فهل ستكون بعد تلك الأثقال والأحمال تنمية اقتصادية!

والثانية: خاصة بالبلاد الإسلامية المتعاملة مع تلك المؤسستين وغيرها من المؤسسات الاقتصادية الغربية.

إن الله ـ عز وجل ـ ما حرم شيئاً إلا وفي تركه الخير والفلاح، ومن ذلك تحريم الربا.

وكما أسلفت أن بلاد المسلمين هي من أغنى البلدان ـ بالجملة ـ بما أودعه المولى ـ عز وجل ـ فيها من نعم مستفيضة وخيرات كثيرة.

إلا أن البركة قد محقت من الأموال والخيرات بسبب التعامل الربوي، وانقلب اقتصادها القوي إلى اقتصاد ضعيف منهار.

وصدق الله العظيم: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[٢]. فما أجمل أن تتضافر الجهود الإسلامية في التعاون على البر والتقوى، والتخلص من تبعياتها الأجنبية عموماً ولا سيما الاقتصادية ـ التي نحن بصددها ـ فتعود للدول الإسلامية عزتها وقوتها.

---

(١) مجلة المجتمع، مرجع سابق، العدد ١١٦٩، ص٢٠ (بتصرف).

(٢) [سورة البقرة: الآية ٢٧٦].

الخاتمة

وبعد أن طَوَّفَ الفِكْرُ في رحلة مع العلم والمعرفة والبحث والتنقيب يجدر بي ـ بعد حمد الله على توفيقه وتيسيره ـ أن أجمل باختصار شديد أهم النتائج التي انتهيت إليها في النقاط الآتية:

١ ـ إن الإسلام ملة سمحة، وسماحته لا تختص بمجال دون مجال، وإنما تشمل جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية، في معاملة المجتمع المسلم بعضهم مع بعض، أو في معاملة غير المسلمين في حالتي السلم والحرب. بل إن الإسلام يدعو إلى التَّسَامُح حتى مع العدو والمخالف في حالة الجدال بالتي أحسن، وفي الحرب بعدم الاعتداء والتمثيل والغدر.

٢ ـ إن الإسلام دين التَّسَامُح الذي لا شك فيه ولا مواربة، فقد اتضح لنا ذلك من خلال الحديث عن ضوابط التَّسَامُح (مراعاة الولاء والعداء وإقامة العدل والحكمة في الدعوة والمعاملة)، وعن خصائص التَّسامُح (الرحمة والإحسان والوفاء بالعهود والمواثيق)، والنماذج العملية التطبيقية من سيرة النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، وتابعيهم إلى عصرنا الحاضر سواء في حرية العقيدة أو المعاملات أو المسؤولية والجزاء.

٣ ـ إن الأسس التي يقوم عليها تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر تنطلق من مبادئ دينية وخلقية تكونان الأساس العملي (التطبيقي) للتسامح، فمهما يظهر الغرب من علمانية في التفكير والانطلاقة، فإن الروح الدينية تبقى مهيمنة على مشاعر النفوس.

٤ ـ إن التَّسَامُح الذي يُنادي به الغرب في العصر الحاضر؛ إنما هو دعوى فكرية تخفي وراءها العداء القديم بأسلوب جديد لتحقيق أهداف عديدة: عقدية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية، لذا ينبغي أن تكشف تلك الدعاوى البراقة والشعارات الزائفة، التي ترفع بين حين وآخر.

٥ ـ من أهم النتائج التي يمكن استخلاصها، أن الغرب قد خصص مجالات عديدة لتحقيق هذه الدعوى وذلك في العلاقات بين الأفراد والدول، والطوائف والهيئات الدولية، وفقاً للآتي:

أ ـ على مستوى الأفراد: إن هناك توجهاً معتدلاً ـ إلى حد ما ـ يُمثله بعض المفكرين الغربيين أمثال د. جون اسبوزيتو (Dr. John Esposito) وغيره. ولكن النظرة الغالبة هي نظرة الجهل المعرفي التي يتميز بها الغربيون عن العالم الإسلامي، ولوسائل الإعلام الغربية اليد الطولى في تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

ب ـ على مستوى الدول: فمن العدل الذي أمرنا الإسلام به عدم تعميم نظرتنا إلى جميع الدول الغربية وندعي أن جميعها يُكن العداء البارز تجاه الدول الإسلامية؛ بل إن هناك من المنصفين السياسيين من ينادون بالتَّسَامُح في النظرة إلى الإسلام والمسلمين ويدعون إلى تبادل العلاقات بين الغرب والمسلمين في إطار التَّسَامُح والاحترام والتقدير.

ج ـ اليهودية (الصهيونية والماسونية): أما الصهيونية فلا تعترف بالتَّسَامُح مع غير اليهود، وأما الماسونية فلليهود يد كبرى في تسييرها ويغلب عليها السرية.. لذا فإن ما ترفعه من شعارات حول التَّسَامُح تهدف من ورائها أموراً عدة منها ـ كما أوضحت ـ أن اليهود يعلمون الناس الإلحاد لكنهم يعلمون أولادهم التوراة.

د ـ النصرانية بفرقها (الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت): فَأَنَاجِيلُهُم تدعو إلى التَّسَامُح والعفو والصفح والمحبة..، لكن رجال الدين قد بعدوا كثيراً عن تلك القيم والمفاهيم، فما أشبه الليلة بالبارحة، فما

جرى في محاكم التفتيش في الأندلس، جرى مثله وأسوأ منه في البوسنة والهرسك ـ ولا زالوا في خطر ـ وغيرها، ومجلس الكنائس العالمي يبارك أعمال الإبادة والتشريد، ومع ذلك فأقول: يوجد من القساوسة من يحمل رغبة جادة في تحسين العلاقات مع العالم الإسلامي وتنميتها وفق التَّسَامُح عن طريق مؤتمرات الحوار الإسلامي النصراني، ولا ننسى أن الغالبية العامة للفاتيكان ومن يمثلونه يستغلون هذه الدعوات من أجل الخداع والتضليل.

هـ ـ وأما المنظمات الدولية، فالصبغة الغربية هي السائدة عليها في جميع أعمالها. وغياب المسلمين أو تغيبهم عن ثقل العلاقات الدولية أدى إلى فقدانهم الريادة العالمية.

٦ ـ إن الشيء الممكن في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم هو التَّسَامُح في تبادل العلاقات على أساس استقلال كل منها، وعلى انفراد كل منها بخصائصها الذاتية المتميزة دون أن تحاول السيطرة في ظلم الأخرى أو نهبها. فالإسلام يرحب بالتَّسَامُحِ ويدعو إليه من خلال الإحسانِ والبِّرِ والقسط، ولا يتنافى هذا مع النصوص الشرعية في النهي عن موالاة غير المسلمين.

٧ ـ إن الاتصال الحضاري والتقارب الثقافي من خلال دعوى تسامح الغرب قد ترك على المسلمين آثاراً عديدة سواءً في المجالات الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية.

٨ ـ إن الاعتزاز بهذا الدين والتمسك بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الإسلامية والفهم المتوازن لمجريات الأمور، ولا سيما في العصر الحاضر، لهو مطلب ضروري ومسؤولية كبرى في صد الدعاوى المشبوهة والتيارات الوافدة.

وأخيراً ينبغي أن نبذل جهداً فكرياً حقيقياً في فهم الغرب والكتابة عنه، لأن المسلمين لا يزالون بعيدون عن هذا الأمر المهم، ولا ننسى أن

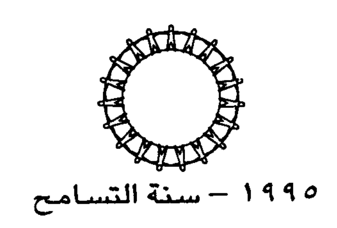
بعض المفكرين الغربيين ذوو عقول متفتحة يريدون أن يسمعوا ويقرؤوا عن المسلمين ولو كان ذلك في باب النقد لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

ملحق

نشرة خاصة عن
سنة الأمم المتحدة للتسامح[1]
١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م

(١) أرسلتْ إِليّ منظمةُ التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) بفرنسا، نشرة خاصة عن سنة التَّسَامُح باللغتين: العربية والإنجليزية، فاكتفيت بذكر الترجمة العربية. وأسجل شكري لهم.



رسالتنا

أعلنت سنة ١٩٩٥ «سنة الأمم المتحدة للتسامح» على أساس أن التسامح يعدّ عاملا أساسيا لتحقيق السلام العالمي.

واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا القرار في ١٩٩٣ بناء على مبادرة من اليونسكو وعلى ضوء نمو الظواهر التالية من جديد :

- النزاعات الإثنية أو القومية؛
- التمييز ضد الأقليات؛
- الأعمال المعبرة عن كره الأجانب، لاسيما ضد اللاجئين وطالبي اللجوء والعمال المهاجرين والمهاجرين المقيمين؛
- ظهور المنظمات والايديولوجيات العنصرية وأعمال العنف العنصرية؛
- التطرف الديني؛
- أعمال العنف والتهديد التي يتعرض لها الكتاب والمفكرون وغيرهم من الأفراد الذين يمارسون حقهم في حرية الرأي والتعبير؛
- التعصب الذي تغذيه الحركات والايديولوجيات السياسية التي تزعم أن فئات معينة من المجتمع تتحمل المسؤولية عن بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، مثل الاجرام والبطالة وتدهور الصحة العامة والعنف الحضري؛
- التعصب الذي يتجلى في تهميش الفئات الضعيفة أو استبعادها من المجتمع أو ممارسة العنف والتمييز ضدها؛

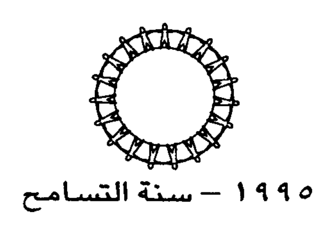
ان التعصب يعد واحدا من أكبر التحديات التي تواجهنا على مشارف القرن الحادي والعشرين. والى جانب كونه مشكلة أخلاقية، فان التعصب هو مشكلة سياسية. وهو يتمثل في عدم قبول الاختلافات بين الأفراد والثقافات. وعندما يصبح التعصب سلوكا جماعيا أو نهجا مؤسسيا فانه ينخر المبادىء الديمقراطية ويشكل تهديدا للسلام العالمي.

وقد دافعت اليونسكو دوما عن التنوع. ونحن نعتقد أن التنوع يثري عالمنا ويمثل محركا دافعا للتقدم. وإن الاختلافات بين الثقافات وبين الأفراد يمكن أن تؤدي الى بعض الخلافات وحتى النزاعات، وهي نتيجة طبيعية للتعددية والديمقراطية. بيد أننا ندين استخدام العنف كوسيلة لحل النزاعات أو لفرض وجهات نظر معينة على الآخرين.

وفي معظم المجتمعات الراهنة، يتعايش فعليا عدد كبير من الديانات والثقافات وأنماط الحياة المختلفة. ومن المهم التذكير بأن القيم الانسانية الأساسية التي تجمعنا ستتغلب على القوى التي تفرقنا. وان رسالتنا بسيطة وهي : "نعم للاتحاد، لا للتماثل".

وإننا نستهل سنة ١٩٩٥، سنة التسامح، وكلنا إيمان بأن انعدام النزاعات المسلحة بين الدول لا يكفي وحده لضمان السلام العالمي، واليوم، وبعد مرور خمسين عاما على وضع الميثاق التأسيسي لليونسكو، فانه ما زال "يجب أن تبنى حصون السلام في عقول البشر".





١٩٩٥ – سنة التسامح

معلومات أساسية

سنة للتسامح لماذا ؟

يرد في ديباجة الميثاق التأسيسي لليونسكو انه "لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تبنى حصون السلام".

ونحن نؤمن بأن التسامح هو أحد حصون السلام تلك.

هل أنت متسامح مع الآخرين؟

لا شك أن أكثر الناس يعتقدون أنهم متسامحون، الى أن يواجهوا موقفا يصل بهم الى "حدود تسامحهم" ويتمثل ببساطة في عدم قدرتهم على التسامح إزاء جنسية أو جماعة محددة أو نمط معين من أنماط السلوك. ونحن بحاجة الى المزيد من التفكير في التسامح، حيث أن التعصب آخذ في التزايد وأن التعصب المفرط قاتل بطبيعته.

إنه يؤدي الى القتل في مجتمعاتنا من خلال الاعتداءات العنيفة على الأفراد والتطاحن العنيف بين العصابات والفصائل. وهو يقتل على نطاق أوسع عندما يأخذ شكلا منظما كحملات الابادة، على سبيل المثال. كما أنه يقتل على مستوى جماعي عندما يتم تحديد القدرة على التسامح لدى عامة الجمهور، ويستغل ذلك لتحقيق الأطماع السياسية والتوسعية لفرد أو لمجموعة من الأفراد.

لماذا التسامح الآن؟

لأننا نحتاج الآن الى وسائل جديدة للتعامل مع صنف جديد من الأخطار التي تهدد السلام، فضلا عن الحاجة الى بعث حس جديد بالمسؤولية لدى الأفراد فيما يخص بناء السلام.

فمن ناحية، هناك أخطار جديدة محدقة بالأمن الدولي بعد انهيار النظام السياسي الذي ظل قائما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ومن ناحية أخرى، إن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المتفاقمة داخل الحدود الوطنية تشكل تربة خصبة للسخط والاستياء.

وهنا تكمن بذور النزاع. وان استغلال نزعة التعصّب لدى الناس في هذا الزمن المضطرب يعد وسيلة فعالة لحملهم على الاقتتال.

انعدام الأمن الدولي

يواجه عدد لا بأس به من البلدان موجات من التوتر بين الفئات المختلفة نتيجة لسنوات عديدة من الظلم والاستبداد. وهناك احساس جديد بالحرية مقترن بالشعور بفقدان نظام ثابت، وان كان مكروها، وذلك مما يجعل أولئك الذين لم يألفوا تماما الديمقراطية في حيرة من أمرهم بشأن كيفية التعبير عن حريتهم الجديدة هذه.

وإن النزاعات ذات الجذور الإثنية والثقافية والدينية والاجتماعية قد تضاعفت وأصبحت أوسع انتشارا، وباتت تحمل في أحشائها خطر تفكك الدول، الأمر الذي يمكن أن يؤدي بدوره الى تعاظم نذر اندلاع الحروب. ان عالم "الحرب الباردة" قد يحل محله عالم تسوده الفوضى، مع إنذار مروع بنشوب نزاعات محلية واقليمية تشتبك فيها مئات من الكيانات المختلفة الناجمة عن انحلال الدول – الأمم.



لقد شهد العالم نشوب ما لا يقل عن ٩٠ نزاعا مسلحا بين سنتي ١٩٨٩ و ١٩٩٤، وفقا لاحصاءات قسم بحوث السلام والنزاعات بجامعة أوبسالا في السويد. ومن بين هذه النزاعات، دارت أربعة فقط بين دول. أما النزاعات الـ ٨٦ الأخرى فقد إندلعت داخل أراضي الدول، وشملت حروبا أهلية لأسباب جغرافية أو سياسية ونزاعات إثنية أو قومية أو دينية.

انعدام الأمن الداخلي

إن عدد الجرائم وأعمال العنف يشهد الآن تزايدا في كل أرجاء العالم، مع تزايد نسبة جرائم الحقد المرتكبة ضد الأقليات والأجانب واللاجئين وطالبي اللجوء والسكان الأصليين والعمال المهاجرين وأنصار حقوق الانسان والكتّاب والمفكرين والصحافيين ... والقائمة لا تقف عند هذا الحد.

ان هذه الجرائم تهدد الأمن الداخلي لأن الاعتداء على فرد ينتمي الى فئة ما يبعث في نفوس جميع أعضاء هذه الفئة شعورا جماعيا بالظلم وقد يدفعهم الى محاولة الانتقام. وبذا يتفاقم العنف، وكثيرا ما تذكي ناره الخطب الرنانة المتعصبة من أولئك الذين يخدم النزاع طموحاتهم السياسية والاقتصادية.

وماذا عن الفرد؟ ...

إن التعصب في المجتمع ما هو الاّ حصيلة تعصب كل فرد من أفراده. وهذا التعصب من العسير مجابهته، لانه يمكن أن يكون في هذه الحالة مجرد رد فعل غريزي. كما أن من الصعب مكافحته لأنه اذا كان الاعتداء العنصري جريمة، فان السلوك العنصري لا يعدّ كذلك. ومن ناحية أخرى فان القانون لا يحظر التزمت ولا الأفكار المقولبة أو التنديد بالآخرين.

ما هو التسامح ؟

هذه بعض الأفكار في هذا الشأن :

التسامح هو احترام حقوق الآخرين وحرياتهم.

والتسامح هو الاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها. انه تعلم الاستماع الى الآخرين والتحاور معهم وفهمهم.

والتسامح هو تقدير التنوع الثقافي. وهو الانفتاح على الأفكار والفلسفات الأخرى، بدافع الاهتمام وحب الاطلاع، وعدم رفض ما هو غير معروف.

والتسامح هو الاعتراف بأن المعرفة والحقيقة لا تستأثر بهما ثقافة أو أمة بذاتها أو دين بعينه.

والتسامح هو شكل من أشكال التحرر، التحرر من التحيز، والتحرر من العقيدة الجامدة. والمتسامح هو ذلك الشخص المتحكم في أفكاره وأفعاله.

والتسامح موقف ايجابي ازاء الآخرين، لا يشوبه أي أثر منطو على التكبر والتعالي.

أهداف اليونسكو

ترمي اليونسكو، باعتبارها المنظمة الرائدة في تنفيذ انشطة سنة الأمم المتحدة للتسامح، الى ما يلي :

١ - تسليط الضوء على الأسباب الجذرية للتعصب؛

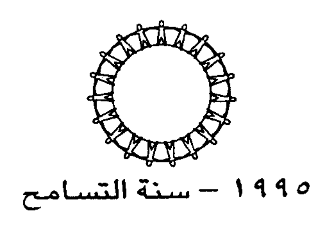
٢ - تعبئة الرأي العام لصالح التسامح، وتوعيته بالأخطار المقترنة بالتصاعد الحالي للتعصب.

٣ - اعداد توجيهات عملية للحكومات والمعلمين وعلماء الاجتماع والمؤسسات العامة بغية تمكينهم من التغلب على مشكلات التعصب.

وعلى امتداد السنة، ستنظم الاجتماعات لصناع القرار والفلاسفة وعلماء السياسة وأخصائي القانون وعلماء الاجتماع والمعلمين من بلدان كثيرة في شتى أنحاء العالم. وسوف يعكف هؤلاء على استعراض التشريعات القائمة بشأن معالجة قضايا التعصب والأشكال المعاصرة للتمييز، وتحديد الثغرات وأوجه القصور في السياسة العامة والتربية.

وتتمثل استراتيجية اليونسكو في الاعلام والتشريع، وفوق كل ذلك، التفكير في الأجيال القادمة والتربية لزرع بذور التسامح.





١٩٩٥ – سنة الأمم المتحدة للتسامح

أعلنت الأمم المتحدة سنة ١٩٩٥ سنة للتسامح من أجل تعزيز الوعي العام بالأخطار التي تهدد السلام نتيجة لانعدام التسامح بين الأمم وبين الجماعات وبين الأفراد. وستتولى اليونسكو مهمة تنسيق المبادرات في هذا المجال، والتي ستشمل، الى جانب بث الرسائل من خلال وسائل الاعلام والقيام بأنشطة ميدانية، وتنظيم سلسلة من الندوات والمؤتمرات والمناقشات عن التربية والثقافة والديمقراطية وحقوق الانسان.

وستركز استراتيجية اليونسكو على عنصرين يستهدف أولهما التأثير على الرأي العام لصالح التسامح وذلك باظهار الترابط بين التسامح والتعايش السلمي عن طريق تنظيم سلسلة من الأنشطة الثقافية والاجتماعية في مختلف أنحاء العالم خلال سنة ١٩٩٥.

أما العنصر الثاني في استراتيجية اليونسكو، فانه يستهدف تقديم حلول متوسطة الأجل وطويلة الأجل الى العاملين في مجال التربية من أجل التسامح، عن طريق تزويدهم بمواد مساندة تتناول قضايا مثل الأساليب المحسنة لتعليم اللغات، وامكانية حصولهم على المعلومات عن المؤسسات الدولية وحقوق الانسان، وستقترح عليهم نهجا لتدريس التاريخ والآداب يركز الاهتمام على تنوع الثقافات وتعددها في العالم.

آفة التعصب

تقرر الاحتفال بسنة للأمم المتحدة للتسامح في وقت أخذ فيه التعصب يتفاقم على مستوى السياسات العامة وعلى صعيد السلوك الفردي، وقد اتضح أنه أصبح يمثل أحد الأسباب العميقة للنزاعات الناشبة الآن في بعض المناطق.

إن جميع أفعال التعصب تتصف بسمات مشتركة، من حيث أنها تتجلى من خلال العنف المادي حتى في الأحوال التي يمكن فيها اللجوء الى العدالة والوسائل



الديمقراطية من أجل حل النزاعات؛ كما أنها تنتهك حقوق الانسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالميا. وقد كتب عالم الاجتماع الامريكي ادغار فرايدنبرغ قائلا في هذا المجال : "ان الناس لا يكتفون فقط بقبول العنف عندما تمارسه سلطة شرعية، بل انهم يرون أيضا أن ممارسة العنف ضد بعض الفئات من الناس أمر مشروع بطبيعته وبغض النظر عمن يمارس هذا العنف".

ومن بين المواقف العامة التي توطد العزم على مكافحتها في اطار سنة الأمم المتحدة للتسامح، ما يلي : *العنصرية*، أو الاعتقاد بأن بعض الأجناس يتفوق على الاجناس الأخرى، وهو اعتقاد يستند عادة الى المعايير "العلمية" للجنس الذي يزعم السمو؛ نزعة *الأنانية* الإثنية، التي تجعل جماعة إثنية معينة تعمل على خلق ذاتية وطنية متفردة وتحاول طمس لغات وثقافات الجماعات الإثنية الأخرى؛ نزعة *التعصب القومي المتطرف*، أو الاعتقاد بتفوق أمة ما على أمم أخرى وبأن لها حقوقا عليها، وهي نزعة ترتبط بنزعة *كره الأجانب*، مع ما يرافق ذلك من اعتقاد بمسؤولية هؤلاء الأجانب عن علل المجتمع الاقتصادية، لاسيما البطالة؛ *العداء الديني* الذي يعزز أو يرجح جانب أولئك الذين يعتبرون رسميا أن عقيدتهم تمثل التعبير الأصيل الوحيد عن الحقيقة الدينية أو الروحانية.

أما مظاهر التعصب في سلوك الأفراد فانها تتدرج من أشكال التصرف الكريه السافر (التشهير، والفظاظة، والمضايقة، ونشر أفكار مقولبة تفتقر الى الاصالة، والاستهزاء ببعض أنواع السلوك أو ببعض الصفات البشرية، وإبداء التحيز المسبق، واتهام الآخرين بمسؤوليتهم عن المشكلات الاجتماعية)، الى أشكال عملية لانكار الحقوق (مثل التمييز، والنبذ، وتدنيس المقدسات وتشويه الرموز الثقافية والدينية، والطرد أو الحرمان من دخول مكان ما أو من الانتماء الى فئة اجتماعية أو مهنية معينة، والعزل على أساس العرق أو الفئة الجنسية)، وحتى تصل الى تهديد حياة الآخرين (مثل القمع، وأعمال الابادة، ومعاداة السامية، والتعصب القومي، والفاشية).

وتأمل اليونسكو أن تبين من خلال تسليط الأضواء على مثل هذه المواقف في التفكير، كيف يمكن لكل فرد أن يكافح التعصب بطريقته الخاصة.

نحو ثقافة للسلام

ان سنة الأمم المتحدة للتسامح التي أعلنتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرار ٤٨/١٢٦ الذي اعتمدته في دورتها الثامنة والأربعين، تندرج على هذا النحو في اطار الجهود الحالية الرامية الى البحث عن السبل والوسائل الكفيلة بتحقيق ثقافة السلام في هذه السنوات الأخيرة من القرن العشرين. وحرصا من اليونسكو على دوام تأثير رسالة التسامح بعد سنة ١٩٩٥، فانها تعتزم الاعلان عن يوم للتسامح يحتفل به سنويا في كافة أنحاء العالم اعتبارا من سنة ١٩٩٥. وسيناقش هذا الاقتراح في الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر العام للمنظمة في السنة الحالية.

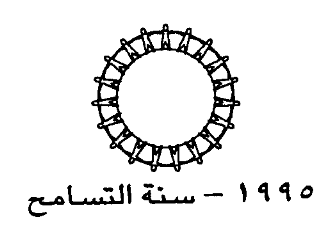
وسيظل هذا اليوم يمثل رمزا راسخا في أذهان الناس على غرار اليوم الدولي للمرأة في ٨ مارس/آذار، واليوم العالمي لحرية الصحافة في ٣ مايو/أيار، واليوم الدولي لمحو الأمية في ٨ سبتمبر/أيلول، واليوم الدولي لحقوق الانسان في ١٠ ديسمبر/كانون الأول، وذلك باعتبار هذه الأيام مناسبات للتفكر في مقومات الحرية الفردية والديمقراطية.

ولقد تم بالفعل خلال سنة ١٩٩٤ عقد عدد من المؤتمرات والقيام بأنشطة عديدة عن موضوع التسامح. ومن ذلك على سبيل المثال أنه جرت في أبريل/نيسان مناقشة موضوع "اللاعنف والتسامح وبرامج التلفزيون" وذلك خلال اجتماع مائدة مستديرة دولي عقد في نيودلهي، في الهند. ويحتوي هذا الملف الاعلامي جزءا من خلاصة هذا الاجتماع واستنتاجاته. وكان "التعصب والتمييز على أساس ديني" موضوع اجتماع عام عقد في اوساكا، في اليابان، في يوليو/تموز، في حين ركّز مؤتمر اقليمي عقد في ريو دي جانيرو، في البرازيل، على موضوع "التسامح في أمريكا اللاتينية".

واستضافت اليونسكو في مقرها بباريس منتدى دوليا عن "التسامح والتصرّف غير المقبول" عقد في ١٣ سبتمبر/أيلول الذي صادف ذكرى مرور سنة على توقيع اتفاق السلام الاسرائيلي - الفلسطيني. وجرت أنشطة عديدة أخرى يضيق المجال عن تعدادها هنا، وكان من بينها مؤتمر عن "الديمقراطية والتسامح" عقد في سيول، في جمهورية كوريا، في سبتمبر/أيلول، وكذلك حلقة تدارس اقليمية عن "التسامح والحوار فيما بين الثقافات" عقدت في موسكو في أوائل ديسمبر/كانون الأول. وأخيرا، عقد في أواسط ديسمبر/كانون الأول الماضي في برشلونة مؤتمرا نوقشت خلاله "اسهامات الأديان في ثقافة للسلام" وصدر عنه إعلانا مشتركا.

وترد في الصفحات التالية قائمة مؤقتة بالأنشطة التي نظمت بالفعل أو التي يجري تنظيمها.





الأنشطة
الخاصة المقررة لسنة ١٩٩٥

توعية الجمهور

سيكون "التسامح" هو موضوع اليوم العالمي لحرية الصحافة الذي سيحتفل به في ٣ مايو/أيار ١٩٩٥.

وستنظم اللجنة الدائمة لليونسكو والمنظمات الدولية غير الحكومية مسابقة دولية للملصقات. وستعرض الملصقات الفائزة أثناء الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر العام لليونسكو.

وستنتج اليونسكو سلسلة من الرسائل الاذاعية والتلفزيونية عن التسامح بغية توزيعها في جميع أنحاء العالم.

كما ستتولى اليونسكو طبع وتوزيع مجموعة من بطاقات التهنئة والتقاويم عن موضوع التسامح.

وسيقوم خمسة فنانين من ذوي الشهرة الدولية بتصميم خمسة أعلام ترمز الى التسامح.

وسيجري انشاء لجنة عليا للتسامح مؤلفة من شخصيات بارزة تتولى اختيار وتقديم عدد من "المعالم التذكارية"، أي أماكن وأشخاص وأعمال ابداعية وأحداث ذات دلالة تاريخية على الصعيد الدولي من ناحية علاقتها بالتسامح.

وستنشىء جامعة ريو دي جانيرو الاتحادية، في البرازيل، كرسيا جامعيا لليونسكو من أجل ثقافة السلام والتسامح واللاعنف.

الجوائز

ستنشأ "جائزة المهاتما غاندي للسلام واللاعنف والتسامح" بالتعاون مع اللجنة الوطنية السنغالية لليونسكو.

ومن المزمع إنشاء "جائزة مادانجيت سينغ للتسامح واللاعنف".

ومن المقرر انشاء جائزة اليونسكو لكتاب الطفل في خدمة التسامح.

تنظيم منتدى

ستقوم مدينة لومان الفرنسية وصحيفة "لوموند"، في الخريف القادم، بتخصيص المنتدى الفلسفي السنوي المعروف باسم "لوموند - لومان" لموضوع التسامح.

المشروعات الاجتماعية والثقافية لليونسكو

من المقرر أن تنفذ في إطار مشروع اليونسكو الخاص عن الفصل العنصري أنشطة تتعلق بحلّ النزاعات، واللاعنف، والتسامح، واحترام حقوق الانسان.

وسينفذ مشروع تعاوني يشارك فيه شباب من جنوب افريقيا والسلفادور، بالاضافة الى المنظمة الدولية غير الحكومية "شباب افريقيا" واليونسكو.

وسيجري، بالتعاون مع قطاع العلوم الاجتماعية والانسانية في اليونسكو، تنفيذ مشروع عنوانه "حلقة القدس - مشروع نسائي مشترك من أجل السلام"، يتمثل في انشاء مركزين نسائيين مترابطين في القدس الشرقية والقدس الغربية.

ويزمع قطاع الثقافة في اليونسكو إعداد مشروعات تتعلق بفهم ثقافات السكان الرحّل (مثل الغجر - جماعة الروما - في أوروبا والرحّل في منطقة الساحل).



ويزمع قطاع الاتصال في اليونسكو تشجيع المكتبات في الدول الأعضاء على تنظيم أنشطة حول موضوع التسامح.

الأنشطة المخصصة للأطفال

مشروع عنوانه "أطفال العالم يروون قصصاً" مقسم الى ثلاث مراحل، وقد أعده فريق من الأخصائيين في علم الاجتماع وفي علم نفس الطفل وخبراء في الاتصال، بهدف زيادة وعي الأطفال بالتسامح من خلال اطلاعهم على حقائق تتعلق بشتى الجماعات الإثنية والثقافات؛ ومن المقرر دعم هذا المشروع ببرنامج تلفزيوني دولي عن المطبوعات والألعاب والدمى.

إقامة شبكات

ابتداء من سنة ١٩٩٥: سيقدم قطاع الثقافة في اليونسكو المساعدة لانشاء شبكات من أجل الحوار بين الثقافات، على غرار شبكة اليونسكو لمنطقة البحر المتوسط RUNESMED و"شبكة اليونسكو من الشاطىء الى الشاطىء" REUNIR الخاصة بالنساء.

الفن والموسيقى

سيتم تزيين تقويم سنة ١٩٩٥ لشبكة المدارس المنتسبة باثني عشر رسما من الرسوم الفائزة في المباراة التي نظمتها شبكة اليونسكو للمدارس المنتسبة حول التسامح في ربيع عام ١٩٩٤.

وسيقوم جان ميشيل جار، السفير الفخري لليونسكو، باحياء سلسلة من الحفلات الموسيقية من أجل التسامح في جميع انحاء العالم.

وستنظم سلسلة من عروض الباليه بعنوان في بلدان منطقة البحر المتوسط. ومن المقترح تنظيم اجتماع للشباب على جبل موسى في سيناء.

الاحتفالات

ستنظم في ربيع عام ١٩٩٥، سلسلة من الاحتفالات لعرض الثقافة الكريولية والاحتفال بها تحت عنوان "الربيع الكريولي لعام ١٩٩٥"، وستبدأ هذه الأنشطة بتنظيم حفل استقبال افتتاحي في مقر اليونسكو بباريس، وتختتم في ٢١ يونيو/حزيران بمهرجان للموسيقى الكريولية في ميدان بلدية باريس.

وسيجري في كل من افريقيا واوروبا الاحتفال بذكرى مرور ٦٥ سنة على ميلاد مارتين لوثر كينغ.

وسينظم في آنتوني، بفرنسا، عرض موسيقي تشارك فيه عدة جوقات اوروبية، وذلك احياء لذكرى محرقة أوشويتز.

المعارض

بمناسبة سنة الأمم المتحدة للتسامح، سينظم معرض تفاعلي في مدينة البندقية بايطاليا بعنوان "برشلونة، برلين، سارايبفو"، وسيتم بهذه المناسبة عقد اجتماع في البندقية يضم رؤساء بلديات المدن المذكورة، ويرأسه السيد فيديريكو مايور المدير العام لليونسكو، وسيشارك فيه الفنانون والأطفال الذين كانوا قد ساهموا في هذا النشاط في بحر هذه السنة.

وسيستضيف مقر اليونسكو في باريس، في الفترة ١٧-٢٨ أبريل/نيسان، معرضا لأعمال النحت التي أنتجها الفنان غوستاف اولوفسون، وذلك في أطار الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على تأسيس المنظمة.

وسينظم في النمسا معرض في الهواء الطلق يضم عشرين ملصقا من الحجم الكبير من تصميم فنانين يتمتعون بشهرة عالية.

في مناطق أخرى من العالم ...

الشرق الأوسط : سينظم في اسرائيل، مؤتمر دولي عن "التسامح والشرق الأوسط الجديد"، وستنشر مجموعة منتخبات أدبية.

وتزمع اللجنة الوطنية الاردنية للتربية والثقافة والعلوم تنظيم حملة اعلامية بشأن سنة الأمم المتحدة للتسامح.

أوروبا : تزمع النمسا تنفيذ عدد من المشروعات بمناسبة سنة الأمم المتحدة للتسامح،ومن بينها ما يلي:

- ستبدأ انشطة سنة الأمم المتحدة للتسامح في يناير/كانون الثاني ١٩٩٥ بعروض ينظمها الطلاب في الشوارع، ونشر رسائل على لوحات كبيرة وتوزيع نشرات على المارّة، وما الى ذلك؛
- وتعتزم الوزارة الاتحادية للتربية والفنون أن تدرج خلال عام ١٩٩٥ برنامج مشروعات عن التسامح والتنوّع وحل النزاعات، ضمن المناهج الدراسية



الابتدائية والثانوية؛ وستعرض نتائج هذه المشروعات على الجمهور في شكل أفلام فيديو ومطبوعات وملصقات؛

- أن المشروع الذي يحمل عنوان "التسامح/التعصب"، والذي بوشر في تنفيذه في سبتمبر/أيلول ١٩٩٤ في جميع المدارس النمساوية، سيقدم في الأماكن العامة في خريف عام ١٩٩٥، في شكل عروض لأفلام الفيديو، واستعراضات، وعروض مسرحية في الشوارع، وألعاب، وأنشطة أخرى تختتم في أواخر شهر أكتوبر/تشرين الأول باحتفال يقام في البرلمان ويتضمن عرضا لأفضل المشروعات، وبرنامجا ثقافيا واسع النطاق، وعرضا لقرص ليزر عن سنة الأمم المتحدة للتسامح ووثائق عن المشروعات المدرسية في هذا المجال.

وفي لكسمبرغ، تزمع اللجنة الوطنية لليونسكو تنظيم ندوة دولية عن "الشباب والعنصرية" بالاشتراك مع هيئة "الاتحاد من أجل الأنشطة المشتركة بين الثقافات"، بالاضافة الى تنفيذ مشروعات تحرير انشائي ومراسلة على المستوى الدولي في المدارس الابتدائية، وتنظيم مسابقة لتصميم طابع بريدي، واعداد برنامج اذاعي عن التعددية الثقافية.

وطلب من هيئة البريد الألماني اصدار طابع بريدي بمناسبة سنة الأمم المتحدة للتسامح.

كما ستصدر تركيا وموناكو طوابع بريدية احتفالا بسنة الأمم المتحدة للتسامح.

وستنظم النرويج حلقة تدارس عن اضفاء الطابع الدولي؛ بالاضافة الى مشروع تربوي يجري فيه التركيز بوجه خاص على الذكرى السنوية الخمسين لإنشاء الأمم المتحدة وعلى سنة الأمم المتحدة للتسامح، وذلك في إطار شبكة المدارس المنتسبة.

وفي فرنسا، سيقوم نادي ليونز الدولي، بالتعاون مع اللجنة الوطنية الفرنسية لليونسكو، بتنظيم مسابقة لتصميم ملصقات عن موضوع "١٩٩٥ - السلام في العالم الذي أعيش فيه"، وسيقام معرض لملصقات الفائزين في مقر اليونسكو بباريس.

وسيقوم الفريق المسرحي اليوناني المعروف باسم "تياتريكو أرغاستيري" بتقديم مسرحية يونانية كلاسيكية تتناول موضوع التسامح، بفضل مبادرة من اللجنة الوطنية اليونانية لليونسكو.

الدول الأمريكية : سيتلقى أطفال المدارس الكوبيين هبة من شركة ألمانية هي "مؤسسة تياس"، تتمثل في ثلاثة ملايين من الدفاتر المزيّنة برسالة تروّج لسنة الأمم المتحدة للتسامح ولثقافة السلام، وذلك بالتعاون مع اليونسكو والمكتب الاقليمي للثقافة في أمريكا اللاتينية والكاريبي (اوركالك).

وتزمع اللجنة الوطنية الكولومبية لليونسكو ووزارة التربية واندية اليونسكو والمدارس المنتسبة في هذا البلد تنظيم أيام للتفكير وتقديم دروس تدريبية في مجال التفاوض وحل النزاعات، وادراج موضوع التسامح في "الحفلة من أجل الحياة" التي تنظم سنوياً.

وستقوم ترينيداد وتوباغو ببحث الأسس المشتركة لمجتمعهما عن طريق مؤتمر تنظمه اللجنة الوطنية لليونسكو في هذا البلد تحت عنوان "التسامح في مجتمع ترينيداد وتوباغو المتعدد الثقافات والإثنيات".

ويزمع مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في امريكا اللاتينية والكاريبي، في سانتياغو، شيلي، تنفيذ مشروع يتعلق بالقيم في مجال التربية، محوره التسامح وثقافة السلام.

وسيجري في جامايكا، بتنسيق من مكتب اليونسكو في كينغستون وبتمويل من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية وغيرها من الوكالات، تنفيذ سلسلة من المشروعات لمكافحة العزل الاجتماعي والعنف والاجرام عن طريق الوساطة والتأهيل.

افريقيا : وسيتم، في اطار المهرجان العالمي الأول لفنون وثقافات الفودون، الذي سينظم في بنين تحت عنوان "التلاقي المتجدد بين أمريكا وافريقيا"، تقديم "بوابة اللاعودة" رمزا للترحيل النهائي للعبيد الى أمريكا.

وسيجري أيضا تدشين نصب تذكاري بمساعدة مالية من حكومة بنين واليونسكو.

وتزمع السنغال في اطار سنة الأمم المتحدة للتسامح انشاء فريق متعدد التخصصات لتنظيم احتفالات واصدار مطبوعات.

وفي كينشاسا، زائير، سيقوم اتحاد الدول الافريقية للاتصالات السلكية واللاسلكية، بعقد ندوة عن "الاتصالات السلكية واللاسلكية وتشجيع الحوار والتفاهم والتسامح"، وذلك بالتعاون مع مكتب اليونسكو في كينشاسا.

وفي زائير أيضا، يقترح مكتب اليونسكو في كينشاسا عقد مؤتمر لمنطقة البحيرات الكبرى بشأن المشكلات المتعلقة بالتسامح في افريقيا.



ويزمع المكتب دون الاقليمي لليونسكو في لاغوس، نيجيريا، عقد مؤتمر صحفي أو بث برنامج تلفزيوني عن انشطة اليونسكو في مجال التسامح.

قائمة بمواعيد الاجتماعات

١٩٩٥

يناير/ كانون الثاني

ستعد لجنة حقوق الانسان التابعة لرابطات النموذج الدولي للامم المتحدة (لاهاي) وثيقة عمل لسنة الامم المتحدة للتسامح.

فبراير/شباط

من ١ الى ٤ فبراير/شباط: سيعقد أول اجتماع لمديري ومنسقي مدارس منظمة البكالوريا الدولية في أوروبا وافريقيا والشرق الأوسط وسيكون موضوعه التسامح.

مارس/آذار

من ١٧ الى ٢٢ مارس/آذار: ستنتظم حلقة تدارس اقليمية بشأن "التسامح في منطقة آسيا والمحيط الهادي" في نيودلهي، الهند، وذلك في اطار الاحتفال بذكرى مرور ١٢٥ عاما على ميلاد المهاتما غاندي.

مارس/آذار – ابريل/نيسان

من ٢٧ مارس/آذار الى ٢ أبريل/نيسان: ستنتظم في كينيا حلقة تدارس اقليمية عن "مشكلة التسامح في افريقيا".

أبريل/نيسان

من ٥ الى ٧ أبريل/نيسان: ستنتظم في براغ، الجمهورية التشيكية، حلقة تدارس دولية عن "سبل ووسائل وأساليب تعليم حقوق الانسان والمواطنة في أوروبا الشرقية"، بالتعاون مع المركز الأوروبي لتعليم حقوق الانسان بجامعة تشارلز.

من ٨ الى ١٠ أبريل/نيسان: ستنتظم في سيينا، ايطاليا، حلقة تدارس دولية عن "التسامح والقانون"، بالتعاون مع اللجنة الوطنية الايطالية لليونسكو وجامعة سيينا.

من ٢٠ الى ٢١ أبريل/نيسان: سينظم في قرطاج، تونس، مؤتمر اقليمي عنوانه "نهج تربوي من أجل تحقيق التسامح في حوض البحر المتوسط"، مع التركيز على التفاهم بين الأديان، وذلك بالتعاون مع اللجنة الوطنية التونسية لليونسكو ووفد تونس الدائم لدى اليونسكو.

من ١٩ الى ٢٢ أبريل/نيسان: سينظم بجامعة مالطة، في فاليتا، مالطة، مؤتمر دولي عن "التوجيه والتسامح"، بدعم من "المائدة المستديرة الدولية لانماء وتطوير التوجيه" وبرعاية اليونسكو واللجنة الوطنية المالطية لليونسكو ورئيس وزراء مالطة.

من ٢٦ الى ٢٨ أبريل/نيسان: ستقوم اللجنة الوطنية الاسترالية لليونسكو، بدعم من رئيس وزراء استراليا، بتنظيم "المؤتمر الدولي عن التنوّع في العالم"، في سيدني، استراليا، وذلك احتفالا بسنة الأمم المتحدة للتسامح والذكرى السنوية الخمسين لانشاء الأمم المتحدة. وسيشارك في هذا المؤتمر السيد بطرس بطرس غالي، الأمين العام للأمم المتحدة، والسيد فيديريكو مايور، المدير العام لليونسكو.

من ٢٦ الى ٢٨ أبريل/نيسان: سينظم في موسكو، الاتحاد الروسي، اجتماع دولي عن "تجارب التحول الى الديمقراطية في أوروبا الوسطى والشرقية" مع ايلاء عناية خاصة لموضوع التسامح، وذلك بالتعاون مع مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الانسان التابع لمؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا (وارسو).

وفي ابريل/نيسان ايضا:

سينظم في باكستان مؤتمر عن "حقوق الانسان والتسامح من منظور آسيوي"، تحت رعاية اليونسكو ولجنة حقوق الانسان في باكستان.

يزمع قسم الفلسفة بجامعة هافانا واليونسكو تنظيم مؤتمر اقليمي عن "التسامح والنزعة الانسانية في أمريكا"، ومن المقترح أن يشارك في هذا المؤتمر فرانسيسكو ميرو كيسادا (رئيس الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية)، وليبولدو زيا (أحد الفلاسفة المشهورين في هذه المنطقة) وغوستافو غيتّيريس (مؤسس اللاهوت التحرّري). والعديد من المفكرين والفنانين والشخصيات السياسية البارزة، وذلك بهدف صياغة "رسالة عن التسامح".

يونيو/حزيران

من ٢٠ الى ٢٥ يونيو/حزيران: ستنتظم في ياكوتسك، الاتحاد الروسي، حلقة تدارس دولية عن "التسامح من أجل التفاهم المتبادل والسلام".



وسيعقد في النمسا مؤتمر دولي عن "النزاعات والمصالحة: النزعة الفطرية للعنف"، وسيتولى تنظيم هذا المؤتمر المركز الجامعي الأوروبي لدراسات السلام (شلاينيغ)، ومعهد البيولوجيا البشرية بجامعة فيينا، واللجنة الوطنية النمساوية لليونسكو.

يوليو/تموز

من ٣ الى ٧ يوليو/تموز: سيقوم المجلس الدولي للتربية في دار السلام بعقد مؤتمر في بروناي عن "تعليم التسامح للجميع: استراتيجيات تربوية لتعزيز السلام العالمي".

وفي الصيف أيضا:

سينظم في النمسا مؤتمر دولي جامع للتخصصات عن "أبعاد التعددية" بهدف تعزيز الحوار بين الثقافات.

سبتمبر/أيلول

من ٥ الى ٦ سبتمبر/أيلول: سينظم في سيول، جمهورية كوريا، اجتماع دولي عن التسامح والأخلاق والانسانية، بمشاركة جامعة كيونغ هي واللجنة الوطنية الكورية لليونسكو.

أكتوبر/تشرين الأول

تزمع اللجنة الوطنية الألمانية لليونسكو عقد ندوة دولية عن "ثقافة التسامح" في ماغدبورغ، المانيا. وستتضمن هذه الندوة مائدة مستديرة مفتوحة أمام الجمهور وأنشطة مخصصة للشباب.

وستنظم في اسطنبول، تركيا، ندوة دولية عن "المشكلات المتعلقة بتعزيز التسامح"، بالتعاون مع اللجنة الوطنية التركية لليونسكو.

وفي الخريف أيضا:

تنظيم مؤتمر عن "مستقبل خال من التعصب والعنصرية" في الجمهورية السلوفاكية، بالتعاون مع اليونسكو واللجنة الوطنية السلوفاكية لليونسكو، وذلك في اطار مشروع لمدة سنة واحدة عن "الشباب ينادون بالتسامح".

ستنظم في أوستين، تكساس، ندوة دولية عن "الشتات الأفريقي والعالم الحديث"، تحت رعاية مشتركة من اليونسكو وجامعة تكساس في مدينة أوستين.

نوفمبر/تشرين الثاني

سيناقش المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين مسألة اعلان يوم دولي للتسامح يحتفل به سنويا في جميع أنحاء العالم.

ويزمع المركز المعني بنشر التسامح الديني والإثني في لاغوس، نيجيريا، تنظيم مؤتمر دولي عن "التسامح والتسوية والسلام" في ابيجا، نيجيريا.

أنشطة أخرى ستحدد مواعيدها في وقت لاحق

ندوة دولية للمربين العاملين في المناطق التي تشهد نزاعات، تنظمها القرية الاسرائيلية - الفلسطينية نيف شالوم - واحة السلام، في اسرائيل.

ندوة اقليمية عن فكرة التسامح في بلدان آسيا الوسطى، في قيرغيزستان.

مؤتمر عن تنمية المجتمع المدني في أوروبا الشرقية: من التحرير غير العنيف الى التسامح، ينظم في جمهورية ليتوانيا.

منتدى دولي عن التسامح في بلدان البلقان، ينظم في بلغاريا.

يقترح مكتب اليونسكو في جاكارتا تنظيم منتدى مشترك بين المناطق ونقاش عن النهوج الفلسفية والعلمية التي يمكن اتباعها من أجل تحقيق التسامح.

تنظيم منتدى دولي للشباب في إطار شبكة المدارس المنتسبة لليونسكو من أجل الاحتفال بسنة الأمم المتحدة للتسامح والذكرى السنوية الخمسين لانشاء الأمم المتحدة.

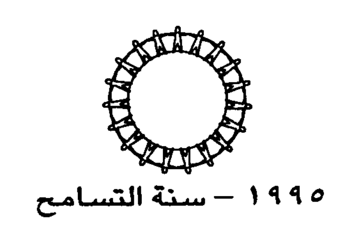
تنظيم ندوة موضوعها "السبل الجديدة لتسوية النزاعات"، بالتعاون مع جامعة اولستر في لندنيرّي، ايرلندا الشمالية.

١٩٩٦

يناير/كانون الثاني

من ٢٢ الى ٢٧ يناير/كانون الثاني: ستعمل رابطات النموذج الدولي للأمم المتحدة (لاهاي) على تنظيم مؤتمر خاص عن التسامح.





١٩٩٥ – سنة التسامح

وسائل اعلام مستقلة في خدمة التسامح والسلام

سيكرس اليوم العالمي لحرية الصحافة، ٣ مايو/أيار ١٩٩٥، لموضوع التسامح، كجزء من الحملة العالمية التي تنظم أثناء سنة الأمم المتحدة للتسامح.

وسيكون ذلك بمثابة تذكير للجمهور بما يعرفه الصحافيون والمذيعون لاسيما العاملون منهم في مناطق النزاع في العالم، وهو أن استقلال وسائل الاعلام ضروري لتحقيق تفاهم دولي أفضل، وأنه لا يمكن قيام مجتمع ديمقراطي منفتح ومتسامح من دون وجود وسائل إعلام موضوعية وغير منحازة.

وسيكون ذلك فرصة للتذكير أيضا باحتفال جرى في الثالث من مايو/أيار ١٩٩٤. ففي حينه، قام المدير العام لليونسكو، فيديريكو مايور، بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، بتدشين نصب تذكاري في سراييفو للصحافيين الذين لقوا حتفهم في الحرب في البوسنة والهرسك.

ولا تزال الحرب مشتعلة في تلك المنطقة مع كل مظاهرها البشعة – من تدمير شامل للممتلكات، وقتل للبشر، ونقص في الغذاء والدواء – ولا تزال أسبابها الجذرية قائمة ومنها صعوبة نقل الوقائع والأحداث بطريقة مستقلّة وموضوعية حقا. وتبذل اليونسكو، الحاضرة ميدانيا الى جانب منظمة الأمم المتحدة نفسها، ومفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، وعدد من المنظمات الدولية المعنية بوسائل الإعلام، قصارى جهدها حاليا للعمل في حدود الامكان على توفير الدواء الناجع، عن طريق سلسلة من المشروعات الهادفة الى تمويل وتجهيز صحف ومحطات إذاعة وتلفزيون مستقلة في يوغوسلافيا السابقة والمساعدة على تشغيلها.

وإن المهمة التي تؤديها اليونسكو، في تقديم المساعدة تقنياً ومادياً على قيام وسائل إعلام مستقلة، قد يسرّها قرار الامم المتحدة إدراج هذه المساعدة في ندائها المشترك بين الوكالات من أجل تقديم المعونة الإنسانية. وهذا التحرك يعين على مواجهة أحد الصعوبات الكبرى – أي صعوبة نقل المعدات وورق الصحف وغير ذلك إلى المناطق المحتاجة اليها، لكي يَستمر صدور الصحف المستقلة والبث من محطات الإذاعة والتلفزيون المستقلة.

فمثلا: NTV99 هي محطة تلفزيون مستقلة يؤمل لها أن تبدأ البث انطلاقا من سراييفو في الأشهر الأولى من ١٩٩٥. وسيشغّلها صحافيون من مختلف الجماعات في البوسنة. بهدف توفير أخبار موضوعية قدر الامكان للسكان المحليين.

استراتيجية في مجال الاتصال

وهذه المشروعات التي تنفذ في إطار استراتيجية اليونسكو الجارية لإنشاء إعلام تعددي، ستعزز نشاط المنظمة العملي لعام ١٩٩٥.



ان تأثير وسائل الإعلام على مسلك العنف هو اليوم محل نقاش على نطاق العالم كله. إذ لم يبق محلّ للشك في ذلك بعد القرائن المفحمة التي قدمت بشأن الدور الذي لعبته إذاعة "ألف ربوة" Mille Collines السيئة السمعة في رواندا، والتي ضلّلت الرأي العام ودفعت الناس الى العنف مقنعة إياهم بأن – الجماعة التي لا تبيد الأخرى تعرض نفسها للإبادة.

وتنكب اليونسكو وشركائها الحكوميين وغير الحكوميين، في اطار السنة الدولية للتسامح على التماس السبل والوسائل لمساندة شبكة من وسائل الإعلام المستقلة في رواندا. ومع ذلك فقد بات واضحا أنه من الأفضل انتهاج سياسة وقائية لمنع تكرار مثل هذه المآسي في أي مكان آخر من العالم.

وهذا هو هدف الاستراتيجية الحالية لليونسكو في مجال الاتصال ، التي تدخل عامها الخامس. إنها تتركز على ضرورة العمل في سبيل إنشاء وسائل إعلام حرة مستقلة وتعددية، وتحث الدول على ضمان حرية الصحافيين في الاعلام وتيسير الاستقاء من مصادر المعلومات. وتسعى هذه الاستراتيجية أيضا الى تزويد وسائل الإعلام العامة والخاصة في البلدان النامية بكل ما يلزم لها لتوطيد استقلالها.

ويشتمل البرنامج على عنصرين جوهريين، أولهما العمل على توفير حرية تداول المعلومات، أي أن هذا الأمر من شأنه أن يسهم ليس في عملية بناء السلام في مناطق النزاع فحسب، وانما أيضا في تشجيع التبادل الدولي بين المشتغلين بالإعلام، وفي السهر على حرية الصحافة في العالم، وترويج الإنتاج المشترك للبرامج الإذاعية والتلفزيونية وتبادلها. ويستهدف البرنامج أيضا في البلدان النامية ايجاد مصادر أنباء ووكالات للأنباء، ويسهم في إنشاء بنى أساسية للاتصالات عن بعد والاذاعة.

وهذا الجانب من البرنامج يشتمل أيضا على جمع ونشر البيانات المرجعية الأساسية اللازمة لواضعي السياسة الإعلامية ومخططيها ومنفذيها، مركزا على المعلومات الخاصة بتكنولوجيات الاعلام والاتصال الجديدة، وعلى تأثيرها في مهنيي وسائل الإعلام وفي المجتمع.

أما الجزء الثاني من البرنامج فيتركز على تنمية موارد وسائل الاعلام في البلدان النامية، ويشتمل على تدريب وتحسين مهارات نحو ٢٠٠٠ شخص سنويا من تقنيين وصحافيين وغيرهم من المشتغلين بالاعلام، إما مباشرة وإما عن طريق مراكز دولية أو اقليمية أو وطنية للتدريب في مجال الاتصال.

التفكير في العنف ووسائل الاعلام

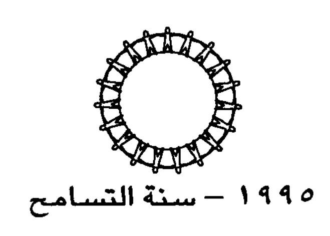
ستشهد سنة الأمم المتحدة للتسامح تجدد النقاش في موضوع الآثار الإيجابية والسلبية لوسائل الإعلام بحد ذاتها. وعلى وجه الخصوص، التفكير في قضايا اللاعنف والتسامح والتلفزيون، التي كانت محور أعمال اجتماع مائدة مستديرة نظم عام ١٩٩٤ لمهنيي ومديري برامج الإذاعة والتلفزيون. وإذا كان مشاهدو التلفزيون أقل عددا من مستمعي البث الإذاعي في العالم، فإنهم يزدادون بسرعة، ومع هذا التزايد تبرز مسؤولية إيجاد حلول شاملة لعدد من المشكلات، خصوصا وان البث عن طريق التوابع (الأقمار الصناعية) بات يتخطى الحدود الوطنية.

وقد اتضح بوجه عام أن تمالك النفس والانضباط الذاتي هما أكثر فعالية في مكافحة العنف في البرامج التلفزيونية من الإجراءات الحكومية. ويتمثل الحل الآخر في زيادة الموارد المالية والتقنية لتحسين وتعزيز منتجات التلفزيون الوطنية بحيث تصبح أكثر جاذبية للمشاهدين المحليين، وتكفل لهم حرية اختيار حقيقية.

ومن المزمع عقد اجتماع طاولة مستديرة حول هذا الموضوع، في ١٩٩٥ سنة الأمم المتحدة للتسامح، وهذا من شأنه أن يثري النقاش من خلال النظر في الدور الثقافي والوظائف التعليمية لوسائل الاعلام. وستشتمل أوراق المشتركين في هذا اللقاء على استعراض وتحليل للبنى والنظم الأساسية لشبكات البث العامة الرئيسية في العالم، بالاضافة الى الدور التثقيفي والتربوي والاجتماعي لشبكات البث العامة.

وسيدور نقاش أيضا حول الاسهام التربوي والثقافي لشبكات البث العالمي عن طريق التوابع، وحول كيفية تنظيم تشاور دولي محوره اللاعنف والتسامح والبث الاذاعي والتلفزيوني. إلا أن موعد هذا اللقاء لم يحدد بعد.





١٩٩٥ - سنة التسامح

التعليم من أجل التسامح

الهدف المنشود: ثقافة السلام

اعتمد المؤتمر الدولى للتربية فى دورته الرابعة والاربعين، التي عقدت في جنيف في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٤، اعلانا يرتبط مباشرة بسنة الأمم المتحدة للتسامح. فقد تعهّد زهاء ١٠٠ وزير للتربية والتعليم بتعزيز تربية قائمة على التسامح واحترام حقوق الانسان. كما وافق الوزراء على ايلاء درجة عالية من الأولوية في الميدان التربوي للأطفال والشباب المعرّضين بصفة خاصة لاغراءات التعصّب والعنصرية وكره الأجنبي"، وعلى اتخاذ التدابير اللازمة لكي تصبح المؤسسات التعليمية أماكن مثالية لممارسة التسامح.

ويتضمّن اطار العمل، الذي يحدد الاجراءات اللازمة لتنفيذ الاعلان المذكور، توصيات بادراج دروس عن السلام وحقوق الانسان وآثار العنصرية في المناهج الدراسية على جميع مستويات التعليم النظامي وغير النظامي. كما يدعو بصورة خاصة الى تحسين الكتب المدرسية بهدف القضاء على القوالب الفكرية السلبية والآراء المشوّهة عن "الآخرين".

كما تناولت المناقشات فى المؤتمر المذكور قضايا العنف الذى يمارس بأسم الدين ودور التربية الدينية في تعزيز التسامح والطابع العالمي لحقوق الانسان. ورأى المشتركون في أجتماع مائدة مستديرة نظم أثناء المؤتمر الدولي للتربية أنه ينبغي إعادة النظر في التربية الدينية بغية تضمينها دروسا مستخلصة من المؤسسات التعليمية الرائدة التي تعلم التسامح والاحترام المتبادل. وصرح عبد الفاطر عمر وهو مقرر خاص عن التعصب الديني يعمل في مركز الأمم المتحده لحقوق الانسان، أن كتب تعليم التربية الدينيه ينبغي أن تركّز على موضوعات ومواعظ مشتركة بين مختلف الاديان في العالم ويجري تقديمها بطريقة محايدة قدر الامكان.

كيفية تعليم التسامح

ستنشر في ١٩٩٥، أي في سنة الأمم المتحدة للتسامح، الصيغة النهائية للدليل التعليمي الخاص بالتربية من أجل التسامح. ويركّز هذا المطبوع، الذي يحمل عنوان "Tolerance The Threshold of Peace" (التسامح: عتبة السلام)، الاهتمام على التربية من أجل التسامح في المدارس الابتدائية والثانوية. كما أنه يتناول في الوقت ذاته المناخ الاجتماعي السائد في البيئة المحيطة بالمدرسة، مؤكدا على أن التربية من أجل التسامح لا تقتصر على الأطفال دون غيرهم.

وتعالج في الفصول الخمسة للدليل المسائل المتعلقة بالأسباب الداعية الى التعليم من أجل التسامح، وكيفية تشخيص التعّصب ووصف التسامح، والمشكلات القائمة والفرص المتاحة، وكيف يمكن للمدارس ذاتها أن تكون مختبرا لممارسة التسامح، وأخيرا، كيف يمكن إدراج مفهوم التسامح في كل المواد الدراسية على جميع المستويات التعليمية وفي كافة البلدان.

ويندرج هذا المطبوع في اطار مجموعة من الكتّيبات والأدلة والكتب الارشادية للمعلمين ستنشر خلال عام ١٩٩٥، وستركّز الاهتمام على بعض الجوانب ذات الأهمية الأساسية بالنسبة للتربية من أجل التسامح، مثال على ذلك: تحسين تعليم اللغات، (نظرا لان اللغة تمثل جوهر التفاهم المتبادل)؛ واطلاع الطلاب على وثائق الأمم المتحدة التي تدافع عن حقوق الانسان؛ واعتماد نهج عالمي لتعليم التاريخ والأدب (لاسيما وأن النهج الوطني الضيق الذي اتبع حتى الآن في تعليم التاريخ، معززا بالأدب الوطني، قد أدىّ في كثير من الأحيان الى تكوين قوالب فكرية جامدة عن الأمم الأخرى، والحط من قيمة تراثها الثقافي وزيادة الريبة إزاء الأجانب)؛ واصلاح مفاهيم التعليم على أساس الخبرة المكتسبة في مجال التعليم غير النظامي.



الجزء ٦

وأعلن السيد فيديريكو مايور، المدير العام لليونسكو، بوضوح في هذا الصدد في الكلمة التي ألقاها لدى تدشين متحف بيت - هاشواه للتسامح في لوس أنجليس في ١٩٩٣، حيث قال : "إن تأمين مستقبل يسوده السلام يعتمد على الأفعال والتصرفات التي نقوم بها في حياتنا اليومية. فلنعمل إذن على اشاعة التربية من أجل التسامح في مدارسنا ومجتمعاتنا، وفي بيوتنا وأماكن عملنا، لاسيما في قلوبنا وعقولنا".

شبكة لليونسكو في خدمة التسامح

تحظى استراتيجية اليونسكو للتربية من أجل التسامح بالدعم العملي الميداني عن طريق شبكتها القائمة المعروفة باسم "شبكة المدارس المنتسبة" والتي تضم زهاء ٢٠٠ ٣ مدرسة في جميع أنحاء العالم، من بينها زهاء ٣٠٠ ١ مدرسة في أمريكا الشمالية وأوروبا، و ٥٠٠ مدرسة تقريبا في افريقيا ومنطقة آسيا والمحيط الهادي، وعدد يكاد يبلغ ٦٠٠ مدرسة في أمريكا اللاتينية والكاريبي، وأما المدارس المتبقية فهي موجودة في منطقة الشرق الأوسط.

وتتعاون الآن شبكة اليونسكو للمدارس المنتسبة مع البرنامج الذي انشأته اليونسكو مؤخرا لثقافة السلام، وذلك من أجل رعاية سلسلة من المهرجانات المخصصة للأطفال، احتفالا بسنة الأمم المتحدة للتسامح وبالذكرى السنوية الخمسين لإنشاء الأمم المتحدة. وتأكد بالفعل أنه سيتم تنظيم اثنين من هذه المهرجانات، الأول في اليونان في مايو/أيار ١٩٩٥، والثاني في جزيرة غرينادا في الكاريبي، في يوليو/تموز. وثمة أربعة مهرجانات أخرى تنتظر التصديق على عقدها في الاردن وجزر كوك والسلفادور وتايلاند. وأخيرا، من الممكن أن ينظم مهرجان ختامي في الهند في خريف عام ١٩٩٥بمناسبة الاحتفال بذكرى ميلاد المهاتما غاندي.

وستضم هذه المهرجانات أطفالا من مختلف البلدان تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٣ سنة للمشاركة في الأنشطة والمناقشات، وستتيح لهم الفرصة للتعبير عن احتياجاتهم ومخاوفهم وآمالهم، فضلا عن تصوراتهم الخاصة للسلام. وتهدف هذه المهرجانات الى زيادة وعي الأطفال بمسألة التسامح وحثهم على التفكير في الدور الذي يمكنهم الاضطلاع به وعلى ادراك مدى الاسهام الذي يمكنهم تقديمه من أجل اشاعة التسامح وثقافة السلام في مجتمعاتهم وفي العالم بأسره. وسيجري تقييم نتائج هذه المهرجانات في حلقة عمل دولية بهدف إعداد مواد تعليمية ستوزع في جميع أنحاء العالم.

وسيدعى بعض الأطفال الذين شاركوا في المهرجانات للحضور الى مقر اليونسكو في باريس في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٥، لكي يقدموا رسائلهم بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاما على تأسيس اليونسكو. وبالاضافة الى ذلك، نظمت شبكة اليونسكو للمدارس المنتسبة مسابقة في ربيع عام ١٩٩٤ لرسوم الأطفال عن موضوع التسامح. ويجري حاليا اختيار الرسوم الاثني عشر الفائزة، وستستخدم هذه الرسوم لتزيين تقويم لعام ١٩٩٥ مخصصا للتسامح.

والى جانب هذه الامكانيات المتوافرة لنقل رسالة التسامح عن طريق التعليم في اطار المناهج الدراسية، هناك شبكة أخرى تضم قرابة ٥٠٠ ٤ من أندية اليونسكو تواصل تنفيذ هذه الأنشطة خارج المدارس. وسيقوم العديد من هذه الأندية بتنظيم أنشطة جماعية في مناطق وجودها أثناء عام ١٩٩٥ بهدف نشر رسالة التسامح داخل مجتمعاتها المحلية.

ولئن كانت أندية اليونسكو تعمل كوحدات مستقلة وتحمل أسماء مختلفة، بحسب البلدان، فان لكل ناد منها طابعه المميز. بيد أن هذه الأندية جميعها تتسم بالوفاء لروح رسالة اليونسكو، وبعدم السعي الى الربح. كما أن لها هدفا مشتركا يتمثل في تشجيع أعضائها على التفكير والعمل بعقل منفتح وفهم للآخرين، القريب منهم والبعيد، أي في ظل مناخ من التسامح.

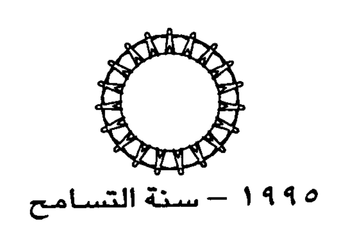
السينما - أداة للتربية من أجل التسامح

تصادف سنة الأمم المتحدة للتسامح ذكرى مرور ١٠٠ عام على اختراع السينما. وقد أعدّت اليونسكو بهذه المناسبة كتّيبا بغية استخدامه في المدارس يتضمن قائمة بأفلام المحفوظات والروائع السينمائية التي تحمل في طياتها رسالة السلام والتسامح. وستقوم اليونسكو أيضا بتشجيع انتاج أفلام فيديو، مستمدة من محفوظات الأفلام السينمائية، عن حياة الأشخاص الذين يجسد مصيرهم قوة الانسان وعزيمته في مواجهة الآثار التدميرية للتعصب.

وقامت اليونسكو على امتداد عام كامل بتجميع المعلومات عن أفلام المحفوظات، كما أعدت قائمة بالأفلام الممتازة التي يتمثل أحد موضوعاتها الرئيسية في التسامح. وفيما يلي بعض هذه الأفلام:

الموت في الحقول خيار صوفي، الى اللقاء أيها الأطفال، الشمس الخادعة، المسيسيبي يحترق، اللون القرمزي، البعثة، نداء من أجل الحرية، قائمة شيندلر، غاندي...





١٩٩٥ – سنة التسامح

١٩٩٥ – بعض المطبوعات

كتب للأطفال

A Little Book on Tolerance (*كتّيب عن التسامح*)، بقلم دومينيك دي سان مارس، مع صور ايضاحية، صدر بالانجليزية والفرنسية.

علم الاجتماع

Education and Tolerance «*التربية والتسامح*»، بقلم هيلين كونيل.

Racism, Xenophobia, and the Position of Ethnic Minorities «*العنصرية وكره الأجانب ووضع الأقليات الإثنية*»، بقلم يان ايردستيك (الاتحاد الدولي للمعلمين).

Tolerance and Understanding Between Peoples «*التسامح والتفاهم بين الشعوب*»، بقلم دافينا ب. وودز.

New Partnership: Indigenous Peoples and the United Nations «*علاقات تشارك جديدة: الشعوب الأصلية والأمم المتحدة*» و *The Culture of Democracy* «*الثقافة والديمقراطية*»، كتابان صادران في اطار شبكة اليونسكو للمدارس المنتسبة.

Images of the Enemy «*صور العدو*»، كتاب صادر عن برنامج اليونسكو الخاص بحقوق الانسان.

الفلسفة

Philosophy and Democracy in the World «*الفلسفة والديمقراطية في العالم*»، سيصدر هذا المصنف في أكتوبر/تشرين الأول عن قسم الفلسفة، استنادا الى بحث استقصائي أجري في جميع أنحاء العالم.

طبعة خاصة بالروسية للمصنف الكلاسيكي، الذي الفه في التسامح الديني فرانسيسكو روفّينو بعنوان : *La Liberta Religiosa: Storia Dell Idea*، وذلك بالاشتراك مع معهد موسكو للتاريخ العالمي.

نشر مصنف عن موضوع التسامح بمناسبة ذكرى مرور ثلاثمائة سنة على ميلاد فولتير.

كتيبات تعليمية

Tolerance: The Thershold of Peace «*التسامح: عتبة السلام*» دليل للتعليم والتعلّم في موضوع التربية من أجل السلام وحقوق الانسان والديمقراطية، طبعة كاملة ونهائية، سيصدر في أواخر عام ١٩٩٥.

– نشر مجموعتين من الوثائق التعليمية في موضوع التسامح من أجل معلمي المدارس الابتدائية والثانوية، بالتعاون مع رابطة «أصدقاء اليونسكو في المملكة المتحدة».



مشروعات التوعية

سيوزع على المدارس والمؤسسات العامة ٥٠٠ ٠٠٠ ملصق تتضمن الإعلان العالمي لحقوق الانسان، باللغات المختلفة.

No to Violence «لا للعنف»، كتيب سيصدر بغية استعماله في المدارس.

التحقيقات العلمية

A Sense of Belonging - Guidelines for Values for the Humanistic and International Dimension of Education

"احساس بالانتماء: مبادىء رائدة للقيم من أجل البعد الانساني والدولي للتربية"، مشروع مشترك بين اليونسكو والاتحاد الأوروبي لمؤسسات البحث والتطوير في مجال التربية في أوروبا.

نصوص مختارة

The role of Women in Promoting a Spirit of Tolerance

«دور النساء في تعزيز روح التسامح»

مجموعة نصوص ستصدر بمناسبة المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة، المزمع عقده في بكين في سبتمبر/أيلول ١٩٩٥.

Tolerance «التسامح» مجموعة نصوص منتخبة نشرها زغلول مرسي، ستترجم الى الانجليزية والعربية والبرتغالية. وهي متاحة حاليا بالفرنسية والاسبانية والألمانية.

منتخبات من القصص القصيرة الصادرة في جنوب افريقيا في الفترة من ١٩٤٦ الى ١٩٩٢.

مجلد من النصوص المختارة عن المهاتما غاندي ومارتين لوثر كينغ.

كتيب عن الحوار بين الثقافات ونشأة النماذج الإتنيه ضمن سلسلة من الكتيبات المصورة الصادرة عن اليونسكو.

المجلات والنشرات الإعلامية

Diogene سيخصص عدد من هذه المجلة لموضوع التسامح.

Proposiciones ، دورية كوبية تصدر عن مؤسسة Pablo Milanes ، ستصدر عددا خاصا في شهر فبراير/شباط، عن موضوع "التعددية والنزعة الانسانية والتسامح"، يسهم فيه مفكرون كوبيون بارزون.

Informaciones Trimestrales، النشرة الاعلامية التي يصدرها المكتب الاقليمي للثقافة في أمريكا اللاتينية والكاريبي (أوركالك)، ستصدر في أبريل/نيسان ١٩٩٥، عددا خاصا مع ببليوغرافيا مشروحة عن الديمقراطية والتعددية والحوار الثقافي والتسامح.

"رسالة اليونسكو"، ستنشر سلسلة من الكتابات عن التسامح والقضايا المتعلقة به وعن ذكرى ميلاد المهاتما غاندي ومارتين لوثر كينغ.

التقارير

ستخصص طبعة عام ١٩٩٥ من "التقرير عن التربية في العالم" لموضوع التربية والتفاهم الدولي.

المشروعات

ستصدر مجموعة مؤلفة من خمسة كتب في إطار مشروع "التكافل الثقافي في الأندلس : إسهام المسيحيين واليهود والمسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية في الحضارة العالمية"، عن الرابطة الدولية لبحوث السلام، بمناسبة سنة التسامح وبدعم مالي من اليونسكو.

وستعقد ندوة لمدة يوم واحد في عام ١٩٩٥ للاحتفال بصدور مجموعة الكتب هذه التي تشتمل على ما يلي:

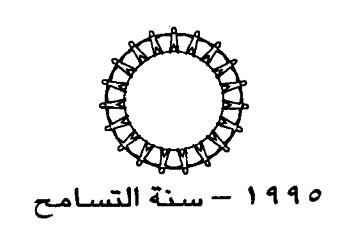
(أ) كتاب يضم بحوثا جامعية، عن تعايش الطوائف الدينية الثلاث، عنوانه : Symbiosis in al-Andalus: A Metaphor for Coexistence ؛

(ب) دليل للمعلمين؛

(جـ) كتاب مدرسي للتعليم الابتدائي والثانوي يتضمن تمارين لتعزيز روح التسامح؛

(د) كتاب يضم مجموعة من حكايات للأطفال.





١٩٩٥ – سنة التسامح

مشروع مشترك

وكالات الأمم المتحدة تتعاون على مكافحة التعصب

إن مفهوم التسامح ليس مفهوما جديدا بالنسبة للأمم المتحدة، بل انه ركن من أركان عمل المؤسسة بأسرها. غير ان انهيار البنى السياسية القائمة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، زاد من ضرورة توعية الرأي العام بهذه المسألة، وهذا ما دفع الى استصدار القرار ٤٨/١٢٦ الذي نادى بسنة ١٩٩٥ "سنة الأمم المتحدة للتسامح".

وفي الوقت الذي تعمل فيه اليونسكو، باعتبارها مسؤولة عن تنسيق الأنشطة المتعلقة بهذه السنة ذات الاهمية الخاصة، على تأكيد الدور الحيوي لمفهوم التسامح في استراتيجية للسلام العالمي وتحليل الخلفية الأخلاقية للتسامح، هناك وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة تعمل على تعزيز هذه المبادىء ضمن مختلف مجالات اختصاصاتها.

وفي ظروف عالم اليوم الذي بلغ فيه عدد اللاجئين في مختلف أنحاء العالم نحو ٢٠ مليون نسمة، وفي الوقت الذي يتحول فيه طالبو اللجوء واللاجئون الى هدف لأعمال عنف شرس، ومع تفشي مشاعر كره الأجانب، فان الذي يهم المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين هو أن يتم تبليغ رسالة سنة الأمم المتحدة للتسامح عن طريق التربية وحملات للتوعية بشأن حقوق الانسان، وعن طريق برامج تربية الشباب، وتحسين أساليب العمل بالقوانين المتعلقة بحقوق اللاجئين.

أما منظمة العمل الدولية، فانها تركّز جهودها على القضاء على جميع صور التمييز المهني. ويقترن حلول سنة الأمم المتحدة للتسامح بانعقاد القمة العالمية بشأن التنمية الاجتماعية والمؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة. وقد وضعت منظمة العمل الدولية برنامج عمل متعدد الوجوه يحتوي على جوانب تتعلق مباشرة بتعزيز التسامح.

ما هو إلا العدل

إن سنة الأمم المتحدة للتسامح تنسجم مع النهج الذي تعتمده اليونيسيف في مجالات التربية من أجل السلام والتسامح والتفاهم المتبادل لايجاد سبل لحل النزاعات بلا عنف. وقد صدر مطبوعان موجهان الى عامة الجمهور في ١٩٩٥ هما :

"UNICEF Education for Development : A Teacher's Resource for Global Learning"

"اليونيسيف التربية من أجل التنمية : دليل المعلمين من أجل تعليم شامل".

و

"It's only justice. A Practical Guide to the Convention on the Rights of the Child"

"ما هو إلا العدل ! دليل عملي عن اتفاقية حقوق الطفل".

وستسعى اليونيسيف أيضا الى زيادة تعزيز قيم التسامح بين صفوف الشباب عن طريق سلسلة من حلقات التدارس للمربين من المزمع عقدها خلال سنة ١٩٩٥.



وتترافق هذه الانشطة مع انشطة عدد من المنظمات الدولية الحكومية، من بينها مجلس أوروبا الذي اعتمد خطة لمكافحة التعصب وكره الأجانب ومعاداة السامية. وهي عبارة عن استراتيجية تتضمن ثلاثة محاور تخص الأمور التالية: حملة أوروبية لتعبئة الشباب البالغين؛ استحداث نظام تقنيني أوروبي لمكافحة العنصرية والتعصب؛ دعم التعاون على الصعيد الدولي الحكومي ضمن اطار مجلس أوروبا لخدمة هذا الغرض.

وستتعاون اليونسكو من جانبها مع هيئات غير حكومية من مختلف أنحاء العالم تعتزم الاضطلاع بانشطة تستهدف الشباب والمنتمين الى أشد قطاعات المجتمع حرمانا بالاضافة الى عامة الجمهور. وستعمل اليونسكو على استثمار نتائج تحقيق أجرته بواسطة استبيان كان القصد منه تحديد شتى مناشىء التعصب، وتقييم أنشطة منظمات غير حكومية متنوعة وذلك من أجل صياغة توصيات لتعزيز التسامح.

وسيشارك كثير من هذه المنظمات غير الحكومية في الاجتماعات والمؤتمرات والندوات التي تنظم خلال سنة الأمم المتحدة للتسامح، خاصة وأن عددا منها مصدره مبادرات من هذه المنظمات.



قائمة المحتويات

قائمة الآيات(1)

(١) ملحوظة: تم ترتيب الآيات القرآنية حسب موضعها بالمصحف الشريف، مع ذكر مطلعها.

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾	٥	٦٨، ٣٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾	٨	٤٧
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾	٤٤	٨٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾	٥١	٤٢
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ . . .﴾	٥٥ ـ ٥٦	٤١
سورة الأعراف		
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٤٥
سورة الأنفال		
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	٣١٣
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦١	٣٢٧
﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾	٧٢	٦٠
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾	٧٣	٤٢
سورة التوبة		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾	٤	٦٠
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٢٩	٦٣، ٣٢٧
﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾	٤١	١٧٣
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾	٦٠	٧٣
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾	٧١	٤٠
سورة يونس		
﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ﴾	٤١	٥٣
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٠٣، ١٠٨، ١٦٢، ١٦٩

قائمة الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق..»	١٧٣
«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم..»	٨٤
«لعن رسول الله ﷺ آكل الربا..»	٣٨٣
«ما زال جبريل يوصيني بالجار..»	٧١
«من آذى ذمياً فأنا خصمه..»	٧٢
«من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة..»	٧٢
«من لا يرحمِ الناس لا يرحمْهُ اللَّهُ عز وجل»	٥٥
«من لا يرحَم لا يرحم»	٥٥
«والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد..»	١٠٦، ٣٢٢
«وتوفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة»	٦٩
«وربا الجاهلية موضوع. وأول رِباً..»	٣٨٣
«ولنجران وحاشيتها جوار الله..»	٦٥
«يا أبا جندل اصبر واحتسب..»	٦١

قائمة المصطلحات
العلمية المعرف بها

الاسم	الصفحة
٢٢ ـ صناديق التوفير	٣٨٠
٢٣ ـ الصهيونية	٢٧٦
٢٤ ـ العلمانية	٣٣٩
٢٥ ـ الغرب	٣١
٢٦ ـ القومية	١١٤
٢٧ ـ القومية الطورانية	٣٦٦
٢٨ ـ القومية العربية	٣٦٦
٢٩ ـ الكاثوليك	٢٧٨
٣٠ ـ الكاردينال	٨٨
٣١ ـ الكنائس الوطنية (المحلية)	٣٣١
٣٢ ـ اللاهوت	٩٥
٣٣ ـ المؤسسات	٢٧٤
٣٤ ـ الماسونية	٢٧٤
٣٥ ـ المتربولات	٢٤٠
٣٦ ـ المجامع	٨٦
٣٧ ـ المعاهدة	٣٧٥
٣٨ ـ المنظمة الدولية	٢٨٩
٣٩ ـ منظمة العفو الدولية	٣٠٧
٤٠ ـ نظام الإقطاع	٢٣٥
٤١ ـ نظام فوستر	١٣٣
٤٢ ـ الهراطقة	٨٨
٤٣ ـ هرمجدون	١٥٦
٤٤ ـ الوطنية	١١٥
٤٥ ـ اليونسكو	٢٩٣

قائمة الأعلام(1)

---

(١) تم وضع إشارة * لبيان الصفحة المترجم فيها بالنسبة للأعلام الغربيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين) ممن وجدت لهم ترجمة.

(ف)

(ق)

(ك)

قائمة المراجع[1]

١ ـ آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة د. وهبة الزحيلي، دار الفكر في دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢ ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره د. عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم في دمشق، الطبعة السادسة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٤ ـ أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، تحقيق: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين في بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٥ ـ أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل لأبي بكر الخلال، تحقيق: سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦ ـ أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٧ ـ الأحكام السلطانية والولايات العامة لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية في بيروت.

٨ ـ الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم في دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٩ ـ أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة لوفا صادق، دار الفرقان في الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠ ـ أركان حقوق الإنسان في الإسلام د. صبحي محمصاني، دار العلم للملايين.

١١ ـ أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د. علي جريشة ومحمد الزيبق، دار الاعتصام في مصر.

---

(١) في حالة عدم ذكر دار النشر أو التاريخ أو الطبعة، فلعدم وجودها في الكتاب، كما قمت بتحويل تاريخ النشر من الهجري إلى الميلادي أو العكس.

١٢ ـ الأسرار الخفية وراء سقوط الخلافة العثمانية د. مصطفى حلمي، دار الدعوة في مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٣ ـ أسرار الفاتيكان ليوبولد ليدل، ترجمة: تحسين حجازي، دار التضامن في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٤ ـ الأسس الشرعية للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين لفيصل مولوي، دار الرشاد في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٥ ـ أصول التنصير في الخليج العربي هـ. كونوي زيقلر، ترجمة: مازن صالح مطبقاني، مكتبة ابن القيم في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٦ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر بن عاشور الطاهر، الشركة التونسية في تونس، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م.
١٧ ـ الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية المسيحية والموقف الأمريكي لمحمد السماك، مركز دراسات العالم الإسلامي في مالطا، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٨ ـ الأصولية الإنجيلية لصالح الهذلول، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
١٩ ـ الأصولية في العالم العربي لريتشارد هرير دكمجيان، ترجمة وتعليق: عبد الوارث سعيد، دار الوفاء للطباعة في المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٠ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب في بيروت.
٢١ ـ أضواء على التعصب (مجموعة مؤلفين: من أديب إسحاق الأفغاني إلى ناصيف نصار)، دار أمواج للطباعة والنشر في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٢ ـ أضواء على السياسة في الشرق الأوسط لأحمد منصور، دار ابن حزم في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٣ ـ أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي، الدار الكويتية في الكويت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٤ ـ أضواء على مواقف المستشرقين د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر في بيروت ودمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٥ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين في بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٦ ـ الأعمال الكاملة لمحمد عبده جمعها وحققها وقدم لها: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٧ ـ أفيقوا أيها المسلمون د. عبد الودود شلبي، دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة.
٢٨ ـ الأقليات الإسلامية (أسئلة وأجوبة لسماحة الشيخين: عبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين) إعداد: د. عبد الله الطيار، دار الوطن في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٩ ـ أمريكا وإسرائيل د. معروف الدواليبي، الدار الشامية في بيروت، ودار القلم في دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٣٠ ـ أمريكا والإسلام تعايش أم تصادم د. عبد القادر طاش، كتاب (المسلمون) الشركة السعودية للأبحاث والنشر في جدة، بدون طبعة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٣١ ـ أمريكا والعروبة والإسلام لأحمد مصطفى، دار الشرق الأوسط للنشر في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٢ ـ أهداف التشريع الإسلامي لمحمد حسن أبو يحيى، دار الفرقان في عمان (الأردن)، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٣ ـ الأهداف المعلنة والأسرار الخفية لأندية الروتاري والماسونية لمحمد فهيم أمين، دار الفكر العربي في القاهرة.
٣٤ ـ أهل الذمة في مختلف أطوارهم وعصورهم لشفيق يموت، الشركة العالمية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٣٥ ـ أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي لسلام شافعي محمود سلام، دار المعارف في القاهرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٦ ـ أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي لنمر محمد النمر، المكتبة الإسلامية بالأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٧ ـ أوروبا والإسلام لعبد الحليم محمود، دار المعارف بالقاهرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٨ ـ الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين د. كرم شلبي، مكتبة التراث الإسلامي في مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٣٩ ـ إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب لجمال بن إسماعيل، دار المعراج في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٤٠ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير د. محمد أبو شهبة، مكتبة السنة في القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٤١ ـ الإسلام الدعوة الكبرى لحسين محمد يوسف، دار الاعتصام في القاهرة.
٤٢ ـ الإسلام انطلاق لا جمود لمصطفى الرافعي، راجعه: حسن تميم، دار مكتبة الحياة في بيروت.
٤٣ ـ الإسلام بين الشرق والغرب لعلي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، مجلة النور في الكويت، ومؤسسة بافاريا في ألمانيا، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٤٤ ـ الإسلام دين المستقبل لروجيه جارودي، ترجمة: عبد المجيد بارودي، دار الإيمان في بيروت ودمشق.
٤٥ ـ الإسلام على حلبة الصراع (دراسة لأوضاع العالم المعاصر) لأحمد الشريف، دار المجتمع للنشر والتوزيع في جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٤٦ ـ الإسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد، ترجمة: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين في بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٧ ـ الإسلام في العقل العالمي د. توفيق الواعي، دار الوفاء بمصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٤٨ ـ الإسلام في الغرب لجان بول رو، تعريب: نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري في بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ ـ نوفمبر ١٩٦٠م.
٤٩ ـ الإسلام في الغرب لروجيه جارودي، ترجمة: د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٥٠ ـ الإسلام في الفكر الغربي دين ودولة وحضارة لِلواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة.
٥١ ـ الإسلام في تصورات الغرب د. محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبة في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٥٢ ـ الإسلام في عالم متغير د. مصطفي الفقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٥٣ ـ الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة لأبي الأعلى المودودي، تعريب: خليل الحامدي، دار القلم في الكويت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٥٤ ـ الإسلام في مواجهة الغرب لمريم جميلة، ترجمة وتعريب: طارق السيد خاطر، المختار الإسلامي في القاهرة.
٥٥ ـ الإسلام كبديل د. مراد هوفمان، ترجمة: د. غريب محمد غريب، مجلة النور الكويتية، ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات، الطبعة الأولى، شوال ١٤١٣هـ ـ إبريل ١٩٩٣م.

٥٦ ـ الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٥٧ ـ الإسلام وأمريكا (تحليل لكتاب الفرصة السانحة لرتشارد نيكسون) د. محمد مورو، الروضة للنشر والتوزيع في مصر.
٥٨ ـ الإسلام والأديان لمحمد عوض، البشير للنشر والتوزيع في القاهرة.
٥٩ ـ الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٦٠ ـ الإسلام والغرب لأنور الجندي، المكتبة العصرية في لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٦١ ـ الإسلام والغرب لمحمد الخير عبد القادر، دار الجيل في بيروت والدار السودانية في الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٦٢ ـ الإسلام والكونجرس الأمريكي د. أحمد إبراهيم خضر، بيت الحكمة في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٦٣ ـ الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث د. عبد المنعم أحمد بركة، مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٦٤ ـ الإسلام والمعاهدات الدولية لمحمد الصادق عفيفي.
٦٥ ـ الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية لمحمد عبده، تعليقات: محمد رشيد رضا، دار الحداثة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٦٦ ـ الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر لمنير شفيق، الناشر للطباعة والنشر في بيروت، ودار البراق للنشر في تونس، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٦٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية في بيروت.
٦٨ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز في مكة المكرمة.
٦٩ ـ الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي د. عبد القادر طاش، مكتبة العبيكان في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٧٠ ـ إلى الدين الفطري الأبدي لمبشر الطراز الحسيني، مكتبة الخانجي في القاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٧١ ـ الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين لمريم جميلة، ترجمة وتعريب: طارق السيد خاطر، المختار الإسلامي.

٧٢ ـ الإيمان د. محمد نعيم ياسين، جمعية عمال المطابع التعاونية في الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٧٣ ـ اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري د. حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٤ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٧٥ ـ الاستشراق لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، دار الكتاب الإسلامي في إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٧٦ ـ الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية د. قاسم السامرائي، منشورات دار الرفاعي في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٧٧ ـ الاستشراق نظرة موضوعية لأحمد غراب، المنتدى الإسلامي في بريطانيا، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٧٨ ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري د. محمود حمدي زقزوق، كتاب الأمة في قطر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٧٩ ـ الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٨٠ ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي (المغرب العربي ـ فلسطين ـ الخليج العربي) دراسة تاريخية وثائقية د. عبد الملك التميمي، عالم المعرفة في الكويت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٨١ ـ افتراءات حول غاية الجهاد د. محمد نعيم ياسين، دار الأرقم للنشر والتوزيع في الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٨٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤.
٨٣ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين لعلي بن بخيت الزهراني، دار الرسالة للنشر في مكة المكرمة.
٨٤ ـ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٨٥ ـ بروتوكولات حكماء صهيون لعجاج نويهض، دار الاستقلال للدراسات والنشر في بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٨٦ ـ بروتوكولات صهيون من التنظير والتدمير لحسن الباش، دار قتيبة في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٨٧ - البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٨٨ - تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية في مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٨٩ - تاريخ أهل الذمة في العراق د. توفيق اليوزبكي، دار العلوم في الرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩٠ - تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، دار سويدان في بيروت.
٩١ - تاريخ الدولة العلية العثمانية لمحمد فريد بك المحامي، تحقيق د. إحسان حقي، دار النفائس في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩٢ - تاريخ العرب العام ل. أ. سيديو، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٩٣ - تاريخ العلوم والحضارة الإسلامية - مجموعة من الباحثين - جامعة الإمارات العربية المتحدة في العين، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٩٤ - تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية، لشفيق جاسر أحمد محمود، دار البشير في عمان (الأردن)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٩٥ - تاريخ القرن العشرين لبيير روتوفن، تعريب: د. نور الدين حاطوم، دار الفكر المعاصر في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م:
٩٦ - التبشير المسيحي في منطقة الخليج لأحمد فون دنفر.
٩٧ - التبشير النصراني في جنوب السودان ووادي النيل د. إبراهيم عكاشة، دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٨ - التبشير في منطقة الخليج د. عبد الملك التميمي، شركة كاظمة في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٩٩ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، المكتبة العصرية في بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٠٠ - تحذير إلى المرأة المسلمة اليوم وغداً لمريم جميلة، ترجمة: طارق السيد خاطر، المختار الإسلامي في القاهرة.
١٠١ - تحرير المرأة لقاسم أمين، دار المعارف في القاهرة.
١٠٢ - تحرير لا استعمار د. شوقي أبو خليل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، ١٣١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٣ - تحريم الربا تنظيم اقتصادي لمحمد أبو زهرة، الدار السعودية للنشر والتوزيع في جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٠٤ - تخليص الإبريز في تلخيص باريز لرفاعة بدوي رافع الطهطاوي، حققه وعلق عليه: د. مهدي علام و د. أحمد بدوي ود. أنور لوقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي في مصر.

١٠٥ - تسامح الإسلام وتعصب خصومه د. شوقي أبو خليل، مؤسسة مي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٠٦ - التسامح بين شرق وغرب لسمير الخليل وتوماس بالدوين وبيتر نيكولسون وكارل بوبر والفريد آيير، ترجمة: إبراهيم العريس، دار الساقي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠٧ - التسامح في الإسلام محاضرة: للشيخ الحسيني يوسف الشيخ، ضمن محاضرات أم درمان الإسلامية ١٩٦٧/١٩٦٨م.

١٠٨ - التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، عالم الكتب في بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧.

١٠٩ - التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي (تعليقات شكيب أرسلان على كتاب مائة مشروع، لتقسيم الدولة العثمانية) علق عليه وهذبه: محمد العبدة، دار ابن حزم في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١١٠ - التعصب والتسامح بين الإسلام والنصرانية لمحمد الغزالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١١١ - التغريب طوفان من الغرب لأحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١١٢ - التغريب في الفكر والسياسة والاقتصاد لمحمد سليم قلالة، دار الفكر في دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٣ - تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، دار المعرفة في بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

١١٤ - تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار في مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

١١٥ - التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي، دار الباز للنشر والتوزيع في مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١١٦ - التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية لناصر بن عبد الكريم العقل، دار المسلم في الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١٧ ـ تنصير المسلمين لعبد الرزاق ديار بكولي، دار النفائس في الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١١٨ ـ توراتهم هل قرأت لعبد الوهاب زيتون، دار المعرفة في دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١١٩ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي في عنيزة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٢٠ ـ الثقافة والعالم الآخر د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
١٢١ ـ جامع البيان من تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، دار التربية والتراث في مكة المكرمة، الطبعة الثانية.
١٢٢ ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشام للتراث في بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.
١٢٣ ـ جذور البلاء لعبد الله التل، المكتب الإسلامي في بيروت ودمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١٢٤ ـ الجهاد في الإسلام د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر في دمشق، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
١٢٥ ـ الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته د. عبد الله القادري، دار المنارة في جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٢٦ ـ الجهاد والقتال في السياسة الشرعية د. محمد خير هيكل، دار البيارق في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٢٧ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن ناصر، ود. عبد العزيز العسكر، ود. حمدان الحمدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع في الرياض، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٥م.
١٢٨ ـ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة د. جميل المصري، دار أم القرى، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٢٩ ـ حاضر العالم الإسلامي لِلوثروب ستودارد، تعليق: شكيب أرسلان، دار الفكر العربي.
١٣٠ ـ حاضر العالم الإسلامي إعداد: المركز العالمي للكتاب الإسلامي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٣١ ـ حجة الله البالغة للإمام الشيخ أحمد شاه الدهلوي، ضبطه ووضع حواشيه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣٢ ـ الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي لعبد الودود شلبي، الدار السعودية في جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٣٣ ـ حرية الرأي في الميدان السياسي د. أحمد جلال حماد، دار الوفاء في مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٤ ـ الحرية في الإسلام لمحمد الخضر حسين، دار الاعتصام في القاهرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
١٣٥ ـ الحساسية الدينية لجمال البنا، الزهراء للإعلام العربي في القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٦ ـ حصوننا مهددة من داخلها د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
١٣٧ ـ حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي، دار الأنصار في القاهرة.
١٣٨ ـ حقوق الإنسان في الإسلام لمحمد بن عبد الرحمن العمير (رسالة ماجستير بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ ـ غير مطبوعة ـ).
١٣٩ ـ حقوق الإنسان والتمييز العنصري في الإسلام د. عبد العزيز الخياط، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
١٤٠ ـ الحقوق في الإسلام والقوانين في هذه الأيام وفضل الرسالة المحمدية على العالم لعبد الفتاح الإمام، مكتبة عرفة في دمشق.
١٤١ ـ حكم الجاهلية للشيخ أحمد شاكر، جمع: محمود شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
١٤٢ ـ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير في الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٤٣ ـ الحلال والحرام في الإسلام د. يوسف القرضاوي، الطبعة الثانية، دار الاعتصام، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
١٤٤ ـ الحوار الإسلامي المسيحي لحسن صعب، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
١٤٥ ـ الحوار الإسلامي النصراني د. حسن باعقيل، دار الذخائر في الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٤٦ ـ الحوار النافع بين أصحاب الشرائع د. عبد الرحمن الحوراني، رابطة العالم الإسلامي، السنة الرابعة عشرة، العدد ١٥٨، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٧ ـ الخصائص العامة للإسلام د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٤٨ ـ خصائص جزيرة العرب لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار الجوزي في الدمام والأحساء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
١٤٩ ـ الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) لمحمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٥٠ ـ دائرة معارف القرن العشرين (الرابع عشر) لمحمد فريد وجدي.
١٥١ ـ دراسات إسلامية لسيد قطب، دار الشروق في بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٥٢ ـ دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية د. محمد عبد الله دراز، دار القلم في الكويت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٥٣ ـ دراسات في الشريعة والأدب والاجتماع لجمال الدين العياشي، مطبعة فانزري في تونس، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
١٥٤ ـ دراسة مقارنة حول الإعلان العالمي لحقوق الإنسان د. سعيد باناجة، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
١٥٥ ـ دروس من محنة البوسنة والهرسك لمحمد قطب، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٥٦ ـ الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد في دمشق، ومؤسسة الإيمان في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٥٧ ـ الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد، ترجمة: د. حسن إبراهيم و د. عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
١٥٨ ـ الدولة الإسلامية دولة إنسانية لعبد الله غوشة، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية في عمان، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.
١٥٩ ـ الرأسمالية والاشتراكية والتعايش السلمي لجون كنيث غاليريت وستانسلاف منشيكوف، ترجمة: هشام متولي، مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
١٦٠ ـ رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب، دار الوطن في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٦١ ـ الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية د. عمر المترك، دار العاصمة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٢ ـ رحلة الفكر الإسلامي د. السيد محمد الشاهد، دار المنتخب العربي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
١٦٣ ـ رسالة إلى البابا د. عبد الودود شلبي، المختار الإسلامي في القاهرة.
١٦٤ ـ رسالة في التسامح لجون لوك، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٦٥ ـ رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام لِلواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي في القاهرة.
١٦٦ ـ رفع الحرج في الشريعة الإسلامية لمناع خليل القطان، الدار السعودية للنشر والتوزيع في جدة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦٧ ـ روح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين في بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
١٦٨ ـ روضة الطالبين للإمام النووي، ومعه منتقى الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع للسيوطي تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، عباس الباز بمكة المكرمة ودار الكتب العلمية في بيروت.
١٦٩ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، حقق نصوصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة في بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية في الكويت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٧٠ ـ زواج المسلمة بغير المسلم وحكمة تحريمه د. محمود بابلي، رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٧١ ـ سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك للشيخ حمد بن عتيق.
١٧٢ ـ السقوط من الداخل د. محمد البشر، دار العاصمة في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
١٧٣ ـ سماحة الإسلام لأحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٧٤ ـ سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٧٥ ـ سماحة الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة لسليم الهلالي، المكتبة الإسلامية في عمان (الأردن) ودار ابن حزم في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٧٦ ـ السماحة في الإسلام والمسيحية لإبراهيم أحمد الوقفي، دار الفكر العربي.

١٧٧ ـ سنن النسائي للإمام الحافظ عبد الرحمن الخراساني النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥.

١٧٨ ـ السياسة والنبؤة لغريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في طرابلس، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٨٩م.

١٧٩ ـ صحيح سنن النسائي باختصار السند، صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش، مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

١٨٠ ـ صحيح مسلم للإمام لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٨١ ـ صدمة الاحتكاك، إعداد وترجمة: خالد البسام، دار الساقي في لندن، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٨م.

١٨٢ ـ الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم في الكويت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨٣ ـ صدام الحضارات (شؤون الشرق الأوسط) لصامويل هانتنغتون وكيشوري محبوباني وجين كريكباتريك وليون بينيان ووجيه كوثراني وحجوب عمر وحسن الترابي وفؤاد عجمي، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٨٤ ـ صور من سماحة الإسلام لعبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة، مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٥ ـ صورة الإسلام في الإعلام الغربي د. عبد القادر طاش، الزهراء للإعلام العربي في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٨٦ ـ صيحة تحذير من دعاة التنصير لمحمد الغزالي، دار الصحوة للنشر والتوزيع في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٨٧ ـ العدل والتسامح الإسلامي لأحمد المخزنجي، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

١٨٨ ـ العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال، دار الوفاء للطباعة والنشر في القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٩ ـ عقيدة الصلب والفداء لمحمد رشيد رضا، الفتح للإعلام العربي في مصر، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٩٠ ـ العلاقات الإسلامية المسيحية (مجموعة من الباحثين) مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
١٩١ ـ العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية والقانون د. بدران أبو العينين بدران، دار النهضة العربية في بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٩٢ ـ العلاقات الدولية لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٩٣ ـ العلمانية د. سفر الحوالي، دار الهجرة.
١٩٤ ـ على مشارف القرن الواحد والعشرين د. توفيق القصير، مكتب الآفاق المتحدة للاستشارات العلمية والتقنية في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٩٥ ـ عودة الحجاب لمحمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة في الرياض، الطبعة التاسعة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٩٦ ـ الغارة على العالم الإسلامي أ.ل شاتليه، لخصها وعربها: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.
١٩٧ ـ الغرب في مواجهة الإسلام لمازن مطبقاني، مكتبة ابن القيم في المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١٩٨ ـ الغرب نحو الدرب بأقلام مفكريه لمحفوظ العباسي، مطبعة الزهراء الحديثة في الموصل، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٩٩ ـ الغرب والشرق الأوسط لبرنارد لويس، تعريب: د. نبيل صبحي، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
٢٠٠ ـ الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره لمنصور بن عبد العزيز الخريجي، طبع دار الصميعي للنشر والتوزيع بالتعاون مع دار المعراج الدولية للنشر في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠١ ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام (من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي عام ١٣٩٦هـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر) ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٠٢ ـ الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٠٣ ـ غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ليوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠٤ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، ودار الفكر.

٢٠٥ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠٦ ـ الفروق للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن غدريس الصنهاجي المشهور بالقرافي، وبهامشه الكتابين: تهذيب الفروق، والقواعد السنية في الأسرار، عالم الكتب في بيروت.
٢٠٧ ـ فقه الاحتساب على غير المسلمين د. عبد الله إبراهيم الطريقي، دار المسلم في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٠٨ ـ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي، دار الفكر في بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٠٩ ـ فن الحكم في الإسلام مصطفى أبو زيد فهمي، المكتب المصري الحديث في القاهرة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨١م.
٢١٠ ـ فوائد البنوك هي الربا الحرام د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢١١ ـ في الأدب الحديث، عمر الدسوقي.
٢١٢ ـ في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، مكتبة المعارف في الرياض، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢١٣ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب، شركة دار العلم للطباعة والنشر في جدة، ودار الشروق للطباعة والنشر في القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢١٤ ـ قالوا عن الإسلام د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض.
٢١٥ ـ القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢١٦ ـ قاموس المورد إنجليزي عربي لمنير البعلبكي، دار العلم للملايين في بيروت، الطبعة التاسعة عشرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.
٢١٧ ـ القانون الدولي والعلاقات الدولية في الإسلام د. صبحي محمصاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢١٨ ـ القانون السياسي لأحمد عطية الله.
٢١٩ ـ القانون والعلاقات الدولية في الإسلام لصبحي محمصاني، دار العلم للملايين في بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٢٠ ـ القرن الواحد والعشرون لمحسن الموسوي، دار الهادي في بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٢١ ـ قصة الأدب المهجري د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية في القاهرة، الطبعة الأولى.
٢٢٢ ـ قضايا العالم الإسلامي في ظل النظام العالمي الجديد لأحمد منصور، دار ابن حزم في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٢٣ ـ قضايا عصرنا (مجموعة مؤلفين) تعريب: د. نور الدين حاطوم، دار الفكر في دمشق، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٢٤ ـ القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين لمحمد حسنين مخلوف (الجزء الأول)، تحقيق: حسن أبو الأشبال، مكتبة الحرمين في القاهرة.
٢٢٥ ـ القومية بين النظرية والتطبيق لمصطفى الطحان، دار الوثائق في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٢٦ ـ كتاب الأموال للقاسم بن سلام، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٢٧ ـ كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف، دار المعرفة في بيروت. ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٢٨ ـ كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٢٩ ـ الكتاب المقدس (كتاب الحياة) ترجمة تفسيرية للعهد القديم والعهد الجديد، تم جمعه في جي. سي. سنتر بمصر الجديدة في القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٣٠ ـ كتاب فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب للحافظ شيرويه الديلمي قدم له وخرج أحاديثه: فواز الزمرلي ومحمد البغدادي، دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٣١ ـ كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الفقهية أ.د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، الطبعة الأولى، دار الشروق في جدة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٣٢ ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمه من اللغة الفرنسية: د. يوسف رضا نصر الله، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
٢٣٣ ـ كي لا ننسى التاريخ لأن التاريخ لا ينسى لموسى الزعبي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٣٤ ـ لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة لمحمد قطب، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٣٥ ـ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ترتيب: علي شبري، مؤسسة التاريخ العربي في بيروت، ودار إحياء التراث العربي في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٣٦ ـ لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم لشكيب أرسلان، دار البشير في القاهرة.
٢٣٧ ـ لمحات في الثقافة الإسلامية للشيخ عمر بن عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٣٨ ـ لمحة عن مصادر الفكر اليهودي المعاصر لغازي القرني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٣٩ ـ لورنس لغز الجزيرة العربية لآنتوني ناتنع ولويس توماس، مكتبة المعارف في بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٤٠ ـ مؤامرة الغرب على العرب د. ياسين سويد، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٤١ ـ ما وراء السلام لريتشارد نيكسون، ترجمة: مالك عباس، الأهلية للنشر والتوزيع في الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٤٢ ـ ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير إبراهيم السليمان الجبهان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٤٣ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي، دار القلم في الكويت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٤٤ ـ الماسونية عقدة المولد وعار النهاية لمحمود الشاذلي، مكتبة وهبة بعابدين في مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٤٥ ـ الماسونية والماسونيون في الوطن العربي لحسين عمر حمادة، دار قتيبة في دمشق.
٢٤٦ ـ الماسونية واليهود والتوراة د. نعمان السامرائي، دار الحكمة في لندن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٤٧ ـ مبادئ الاقتصاد الدولي المعاصر (اقتصاديات التجارة الدولية) د. عمر زهير حافظ، شركة المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٤٨ ـ مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة د. عبد الحميد متولي، منشأة المعارف في الإسكندرية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨م.
٢٤٩ ـ المثل الأعلى في الأنبياء لخوجة كمال الدين، دار الفكر المعاصر في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٥٠ ـ المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية د. محمد الصادق عفيفي، مكتبة الخانجي في القاهرة.
٢٥١ ـ مجتمعنا المعاصر د. عبد الله المشوخي، مكتبة المنار في الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٥٢ ـ مجموع فتاوى أحمد بن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٥٣ ـ محاصرة وإبادة موقف الغرب من الإسلام د. زينب عبد العزيز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٥٤ ـ محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٥٥ ـ مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري، ومعالم السنن لأبي سليمان الخطابي، وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية، بتحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية في القاهرة.
٢٥٦ ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام لمحمد الصواف، دار الاعتصام في الدمام.
٢٥٧ ـ المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، مطبعة السعادة في مصر ١٣٢٣هـ ـ ١٩٤١م.
٢٥٨ ـ مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، دار الشروق في مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٥٩ ـ المسألة الاجتماعية للشيخ عمر الخطيب، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٦٠ ـ مسألة في بناء الكنائس لابن تيمية، تحقيق وتعليق: علي الشبل ـ مكتبة العبيكان في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٦١ ـ مستشرقون جامعيون سياسيون لنذير حمدان، مكتبة الصحوة في الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٦٢ ـ المستشرقون لنجيب العقيقي، دار المعارف في القاهرة، الطبعة الثانية.
٢٦٣ ـ المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي لنايف بن ثنيان بن محمد آل سعود، دار أمية في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٦٤ ـ مستقبل الثقافة في مصر لطه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب في القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٦٥ ـ المسلمون في أمريكا ـ مجموعة كتاب غربيين ومسلمين ـ المحرر: إيفون يزبك حداد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٦٦ ـ المسلمون والبديل الحضاري د. طه جابر العلواني، رابطة الشباب المسلم في أمريكا، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٦٧ ـ مسند الشهاب للقاضي أبي عبد الله محمد القضاعي، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٦٨ ـ المسيح من هو في التوراة والإنجيل والقرآن لبولس باسيلي، دار نوبار للطباعة في مصر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٦٩ ـ المسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية في القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٧٠ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد الفيومي، دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٧.
٢٧١ ـ مصنفة النظم الإسلامية الدستورية والدولية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية د. مصطفى كمال وصفي، مكتبة وهبة في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
٢٧٢ ـ مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية لأبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري الحسني، مكتبة القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م.
٢٧٣ ـ معاملة غير المسلمين في الإسلام، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، بدون طبعة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٧٤ ـ معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام د. إبراهيم سليمان عيسى، دار المنار في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٧٥ ـ معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير لإبراهيم الجبهان، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٢٧٦ ـ معجم الأخطاء الشائعة محمد العدناني، مكتبة لبنان في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٧٧ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار العرب في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٧٨ ـ معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمد العدناني، مكتبة لبنان في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٢٧٩ ـ معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية لعبد الحليم محمد قنبس، مكتبة لبنان في بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٨٠ ـ المعجم الفلسفي لجميل صليبا، دار الكتاب في بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٨١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة في تركيا، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٨٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي لونسنك وآخرون، مطبعة بريل في لندن، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.
٢٨٣ ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي في بيروت.
٢٨٤ ـ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العلمية في إيران.
٢٨٥ ـ معركة التبشير والإسلام د. عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج العربي في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٨٦ ـ المغني لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع في القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٢٨٧ ـ مغني المحتاج إلى معرفة معالي ألفاظ المنهاج شرح الشيخ محمد الشربيني الخطيب، على متن المنهاج للنووي، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي في بيروت، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م.
٢٨٨ ـ مفتاح كنوز في ظلال القرآن لمحمد يوسف عباس، دار طيبة في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٨٩ ـ مفتريات اليونسكو على الإسلام لمحمد عبد الله السمان، دار الاعتصام في القاهرة.
٢٩٠ ـ مفهوم المساواة في الإسلام د. رشاد خليل، دار الرشيد في الرياض.
٢٩١ ـ مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر محمد بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.
٢٩٢ ـ مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار إحياء التراث العربي في بيروت.
٢٩٣ ـ ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي د. إبراهيم عكاشة علي، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٩٤ ـ من الآداب والأخلاق الإسلامية لعبد الله عبد الرحيم العبادي، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٩٥ ـ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق في بيروت، الطبعة الثالثة والثلاثون، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٩٦ ـ المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي د. عبد الرحمن الضحيان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٩٧ ـ المنظمات الدولية والتطورات الاقتصادية الحديثة د. حسين عمر، تهامة في جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٩٨ ـ منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير د. فهد الرومي، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٩٦م.
٢٩٩ ـ المواجهة بين الإسلام والغرب د. محمد مورو، الدار المصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٠٠ ـ الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لمحماس بن عبد الله الجلعود، دار اليقين للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٠١ ـ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري وناصر العقل، دار الصميعي في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٠٢ ـ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٣٠٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة بإشراف: محمد شفيق غربال، دار النهضة في بيروت، بدون طبعة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
٣٠٤ ـ الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣٠٥ ـ موسوعة المستشرقين د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٠٦ ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، د. عبد الوهاب المسيري بالاشتراك مع سوسن حسين، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام في القاهرة.
٣٠٧ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٠٨ ـ الموسوعة في سماحة الإسلام لمحمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣٠٩ ـ موقع الإسلام في صراعات الحضارات والنظام العالمي الجديد لمحمد السماك، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٣١٠ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين لمصطفى صبري، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي في بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣١١ ـ نحن وأمريكا والغرب د. زاهية قدورة، منشورات دار اقرأ في مالطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٩٠م.
٣١٢ ـ نحن والنظام الدولي الجديد د. توفيق القصير، نادي الطلبة السعوديين في بريطانيا وإيرلندا ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣١٣ ـ نحو مجتمع إسلامي لسيد قطب، دار الشروق في القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣١٤ ـ النظام العالمي الجديد والقرن الواحد والعشرون لفريدا عزيز، دار الرشيد في دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٣١٥ ـ نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري للشيخ عمر الخطيب، مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣١٦ ـ النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية د. عبد الحميد أبو سليمان، نقله إلى العربية: ناصر المرشد البريك، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٣١٧ ـ نظرية الضرورة الشرعية مقارنة مع القانون الوضعي لوهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة في بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣١٨ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناجي وطاهر الزاوي، دار إحياء الكتب العربية.
٣١٩ ـ هذا هو الإسلام لأحمد عبد الرحيم السايح، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية.
٣٢٠ ـ هل نحن مسلمون لمحمد قطب، دار الشروق في مصر.
٣٢١ ـ هموم داعية لمحمد الغزالي، دار الحرمين في قطر ودار البيان العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٣٢٢ ـ واقعنا المعاصر لمحمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر في المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٢٣ ـ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف، راجعه: محمود علي مكي ومصطفى كامل إسماعيل، المركز العربي للدول، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٣٢٤ ـ وجاء الدور على الإسلام لرضا محمد العراقي، دار طويق في الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٣٢٥ ـ وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي تأليف هـ.ا.ر. جب، ول.ماسينيون، وج.كامبفماير، وك.ك.برج، ولفتنانت كولونل فرار، بإشراف: جب، ونقله عن الإنجليزية محمد عبد الهادي أبو ريدة، المطبعة الإسلامية في القاهرة، الطبعة الأولى.

٣٢٦ ـ الوحدة الإسلامية لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي في القاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٣٢٧ ـ الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث د. عبد العزيز العمران، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٣٢٨ ـ الولاء والبراء في الإسلام د. محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة في الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٢٩ ـ الولايات المتحدة الأمريكية بين النصرانية والإسلام لمختار خليل المسلاتي، مكتبة المعلا في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٣٣٠ ـ اليهود في ظل الحضارة الإسلامية لعطية القوصي، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٣١ ـ اليهود والتحالف مع الأقوياء د. نعمان السامرائي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٣٢ ـ اليهودية د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية في القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣٣٣ ـ يوم الإسلام لأحمد أمين، دار الكتاب العربي في بيروت، ١٤٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.
٣٣٤ ـ يوم الله (الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث) لجيل كبيل، ترجمة: نصير مروة، دار قرطبة في قبرص، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٣٣٥ ـ اليونسكو ضوء في آخر النفق لعزيز الحاج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٣٣٦ ـ اليونسكو والصراع الدولي حول الإعلام والثقافة د. إسكندر الديك، المؤسسة الجامعية في بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

المراجع الأجنبية:

1 - Arabic - English Dictionary, Edited by: J M. Cowan.

2 - Christian Ethics, Ismap'il Ragi A.alFaruqi, Montreal, McGill University Press, 1967.

3 - Christianity and Islam, Chris Shu'aibu Abashiya and Ayuba Jalaba Ulea, Midland Press Limited, Jos, Nigeria, 1991.

4 - Collier's Encyclopedia with Bibliography and Index, Willism D. Halsey, Louis Shores, Robert H. Blackburn and Sir Fran; Francis. London, 1977.

5 - Committee On Tolerance and Understanding Intercultural Education, Discussion Paper, October, 1984.

6 - Freedom and Tolerance, Mieczslaw Maneli, Octagon Books, A Division of Hippocrene Booksm, Inc. New York.

7 - Islam and Christianity In The Modern World, Muhammad FAZL-UR-RAHMAN Ansari, Karachi, Pakistan, 1965.
8 - Justifying Toleration, Susan Mendus, Cambridge University Press.
9 - On Toleration, Susan Mendus and David Edwards, Clarendon Press, Oxford, 1987.
10 - Religious Tolerance, Freedom and Inter-Group Relations in the light of Vatican Council II, Archbishop H.E. Cardinals, London, 1966.
11 - Religious Tolerance and the Christian faith, Walter Bonar Sidjabat, Badan Penerbit Kristen-Djakarta, 1965.
12 - Religious Toleration In Sabah, Syed Kechik Bin Syed Mohamed.
13 - The Encyclopedia Americana, International Edition, U.S.A. 1976.
14 - The Human Rights, Marguerite Garling, London.
15 - The World Book Encyclopedia. U.S.A. 1978.
16 - Toleration In Religion & Politics, Adam Watson.
17 - Toleration: Philosophy and Practice, Jone Horton and Peter Nicholson.
18 - Tolerance, Principles, Practices, Obstacles and Limits, John K. Carmance. Salt Lake City, Utah, 1993.
19 - True Tolerance, J. Budziszewski, Transaction Publishers, New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.).
20 - Unesco Publishing, Editions Unesco, Ediciones Unesco, Catalogue, 1993.

الندوات والمؤتمرات:

١ ـ **الإسلام والغرب** محاضرة للأمير تشارلز، مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢ ـ **التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي**، ندوة في الفترة ١ إلى ٣ شعبان ١٤٠٥هـ الموافق ٢١ إلى ٢٣ إبريل ١٩٨٥م (مسقط ـ سلطنة عمان) مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٣ ـ **التسامح الثقافي** (أبحاث المؤتمر الإقليمي الأول للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية) المحرر: مراد وهبة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٤ ـ **التعددية الحزبية والطائفية والعرقية في العالم العربي**، ندوة بأمريكا (مجموعة بحوث) إشراف: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا في أمريكا، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٥ ـ **التنصير** خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري في كولورادو، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٦ ـ **حقوق الإنسان** الملتقى الإسلامي المسيحي الثالث، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، قرطاج ٢٤ ـ ٢٩ مايو ١٩٨٢م، سلسلة الدراسات الإسلامية (٩) ١٩٨٥م.

٧ ـ **الحوار الإسلامي المسيحي** (مجموعة بحوث)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، والمجلس البابوي للحوار بين الأديان، المركز الثقافي الإسلامي ـ مالطا، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨ ـ **الحياة الروحية** الملتقى الإسلامي المسيحي الرابع، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، تونس ١٢ ـ ١٧ شعبان ١٤٠٧هـ الموافق ٢١ ـ ٢٦ إبريل ١٩٨٦م، سلسلة الدراسات الإسلامية (١١)، ١٩٨٨م.

٩ ـ **رسالتنا**، نشرة خاصة عن سنة الأمم المتحدة للتسامح، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، باللغة العربية والإنجليزية.

١٠ ـ **الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام** ـ ندوات علمية ـ رابطة العالم الإسلامي.

١١ ـ **قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي** لرابطة العالم الإسلامي (١، ٢) من الدورة الأولى إلى الثانية عشرة، الأمانة العامة بمكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٢ ـ **الندوات الثقافية للمهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة**. فعاليات المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة (الجنادرية) بالرياض في الفترة من ١٨ ـ ٢٤/ ١٠/ ١٤١٦هـ ـ الموافق ٧ ـ ١٣/ ٣/ ١٩٩٦م، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٣٢، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٣ ـ **واقع الإسلام وتحديات العصر** أشغال ملتقى: (مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية) تونس ١٢ ـ ١٦ نوفمبر ١٩٨٤م، سلسلة الدراسات الإسلامية (١٠).

الجرائد:

- **الأهرام** بمصر (٩/ ٢/ ١٩٩٤م).
- **الجزيرة** بالرياض، العدد ٤١٤١ يوم الاثنين (٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ٣٠/ ١/ ١٩٨٤م).
- **الجنادرية** بالرياض (نشرة تصدر عن المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة)، عدد ١٣٨، يوم الاثنين (٢٢/ ١٠/ ١٤١٦هـ الموافق ١١/ ٣/ ١٩٩٦م).
- **الحياة**: في (٨/ ١/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٧/ ٦/ ١٩٩٣م)، وعدد ١١٣٩٧ (١/ ٥/ ١٩٩٤م).

- **رسالة الإسلام** بمصر، عدد ١، (رجب ١٣٧٧هـ الموافق يناير ١٩٥٨م).
- **الرياض** بالسعودية، تاريخ (١٧/ ٥/ ١٤١٢هـ الموافق ٢٤/ ١١/ ١٩٩١م)، العدد ١٠١٢٢ (٢٢/ ١٠/ ١٤١٦هـ الموافق ١١/ ٣/ ١٩٩٦م).
- **الشرق الأوسط** (الأعداد):
٥٤١٤ (١٩/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٤/ ٩/ ١٩٩٣م).
٥٥٣٤ (٢٧/ ٧/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٢/ ١/ ١٩٩٤م).
٥٦٨١ (٩/ ١/ ١٤١٥هـ الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٩٤م).
٥٧١٣ (١٢/ ٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/ ٧/ ١٩٩٤م).
٥٧١٧ (١٦/ ٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٤/ ٧/ ١٩٩٤م).
٥٧٢١ (٢٣/ ٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٨/ ٧/ ١٩٩٤م).
٥٧٩٩ (٩/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ١٤/ ١٠/ ١٩٩٤م).
٦٠٩٩ (١٤/ ٣/ ١٤١٦هـ الموافق ١٠/ ٨/ ١٩٩٥م).
٦٣٤٤ (٢٤/ ١١/ ١٤١٦هـ الموافق ١١/ ٤/ ١٩٩٦م).
- **الطليعة** الكويتية: العدد ١١٩٠ (٢٧/ ٣/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٣/ ٨/ ١٩٩٥م).
- **القدس العربي** في فلسطين، العدد: ١٧١٤ (الجمعة ١٢/ ٧/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٤م).
- **المدينة الإسلامية** (ملحق يصدر كل ثلاثاء عن جريدة المدينة) عدد ١١٧٠٠ (١٨/ ١١/ ١٤١٥هـ الموافق ١٨/ ٤/ ١٩٩٥م).
- **المسلمون** الأسبوعية (الأعداد):
٤٥١ (٨/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٤/ ٩/ ١٩٩٣م).
٤٥٢ (١٥/ ٤/ ١٤١٤هـ الموافق ١/ ١٠/ ١٩٩٣م).
٤٥٨ (٢٩/ ٥/ ١٤١٤هـ الموافق ١٢/ ١١/ ١٩٩٣م).
٤٦١ (٢٠/ ٦/ ١٤١٤هـ الموافق ٣/ ١٢/ ١٩٩٣م).
٤٧٢ (٨/ ٩/ ١٤١٤هـ الموافق ١٨/ ٢/ ١٩٩٤م).
٤٨١ (١١/ ١١/ ١٤١٤هـ الموافق ٢٣/ ٤/ ١٩٩٤م).
٤٨٨ (٣٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ الموافق ١٠/ ٦/ ١٩٩٤م).
٥٠٠ (٢٦/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٢/ ٩/ ١٩٩٤م).
٥٠٤ (٢٥/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٣٠/ ٩/ ١٩٩٤م).
٥٠٨ (٢٣/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٤م).
٥٤٢ (٢٥/ ١/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٣/ ٦/ ١٩٩٥م).
٨٧٥ (٢٥/ ١١/ ١٤١٦هـ الموافق ١٢/ ٤/ ١٩٩٦م).
- **اليوم** (تصدر بالدمام)، العدد ٧٨٦٦ (٢٦/ ٧/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٤م).

المجلات والدوريات:

- **أضواء الشريعة** (تصدر عن كلية الشريعة بالرياض) عدد ١٢، ١٤٠١هـ.
- **الإسلام اليوم** (تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بالمغرب) العدد ٧، ذو القعدة ١٤٠٩هـ.
- **الأزهر** بمصر، بتاريخ:
  (٣/ ٣/ ١٣٧٢هـ الموافق نوفمبر ١٩٥٢م).
  (٩/ ١٢/ ١٤٠٠هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٠م).
  (١١/ ١١/ ١٤٠١هـ الموافق سبتمبر ١٩٨١م).
- **الأمة** (تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر)، العدد ٤١، جمادى الأولى ١٤٠٤هـ.
- **الإصلاح** (تصدر عن جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي بالإمارات العربية المتحدة). العددان:
  ٣٤٩، (٢٩/ ٢/ ١٤١٧هـ الموافق ١٥/ ٧/ ١٩٩٦م).
  ٣٥١، (١/ ٤/ ١٤١٧هـ الموافق ١٥/ ٨/ ١٩٩٦م).
- **البحوث الإسلامية** (مجلة دورية تصدر عن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض) العدد ٤٥، ربيع الثاني ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ.
  العدد ٥٠، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤١٧هـ محرم ـ صفر ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م
- **البيان** (تصدر عن المنتدى الإسلامي في بريطانيا). الأعداد:
  ١٤ (صفر ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٨م).
  ١٧ (شعبان ١٤٠٩هـ الموافق إبريل ١٩٨٩م).
  ٩٥ (رجب ١٤١٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٥م).
  ٩٦ (شعبان ١٤١٦هـ الموافق يناير ١٩٩٦م).
- **رسالة الإسلام** المصرية، العدد ١ (رجب ١٣٧٧هـ الموافق يناير ١٩٨٥م).
- **رسالة اليونسكو** (تصدر عن منظمة الثقافة والتربية والعلوم ـ اليونسكو ـ)، عدد يونيو ١٩٩٢م، وعدد (نوفمبر ١٩٩٣م).
- **الرابطة** (تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة). الأعداد:
  ٣٦٥ (ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق أغسطس ١٩٩٥م).
  ٣٦٦ (ربيع الآخر الموافق سبتمبر ١٩٩٥م).
  ٣٦٨ (جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٥م).
  ٣٦٩ (رجب ١٤١٦هـ الموافق أكتوبر ١٩٩٥م).
  ٣٧٠ (شعبان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).
- **شؤون الشرق الأوسط** (تصدر بواشنطن)، العدد الأول (صيف ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

- **شؤون عربية** (تصدر ببيروت): العددان ٣٣ ـ ٣٤ (صفر ـ ربيع أول ١٤١٤هـ الموافق نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٣م).
- **الشاهدة** بفينا: العدد الثالث: (محرم ١٤١٤هـ الموافق يوليو ١٩٩٣م).
- **العربي** الكويتية. العدد: ٢٦٩ (جمادى أول ١٤٠١هـ ـ إبريل ١٩٨١م).
- **الفيصل** السعودية، الأعداد:
  ٢١٥ (جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق أكتوبر ـ نوفمبر ١٩٩٤م).
  ٢١٧ (رجب ١٤١٥ هـ الموافق يناير ١٩٩٥م).
  ٢٢٠ (شوال ١٤١٥هـ الموافق مايو ١٩٩٦م).
  ٢٢٥ (ربيع أول ١٤١٦هـ الموافق أغسطس ١٩٩٥م).
  ٢٢٧ (جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٩٥م).
  ٢٣٧ (ربيع الأول ١٤١٧هـ الموافق يوليو ـ أغسطس ١٩٩٦م).
  ٢٤٤ (شوال ١٤١٧هـ الموافق فبراير ـ مارس ١٩٩٧م).
- **قضايا عربية** (١٨/ ١/ ١٤٠٠هـ الموافق ٨/ ١٢/ ١٩٧٩م).
- **مستقبل العالم الإسلامي**: (تصدر عن مركز دراسات العالم الإسلامي بمالطا). الأعداد:
  ٧ (صيف ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).
  ٨ (خريف ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).
  ١٤ (شتاء ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).
- **مستقبليات** (مجلة التربية الفصلية لليونسكو) المجلد الخامس عشر، العدد ٣ (١٩٨٥م).
- **المجال** (تصدر عن وكالة الإعلام الأمريكية)، الأعداد:
  ٢٦٥ (إبريل ١٩٩٣م).
  ٢٧٦ (نيسان ـ إبريل ١٩٩٤م).
  ٢٧٩ (تموز ـ يوليو ١٩٩٤م).
- **المجتمع** الكويتية (تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي بدولة الكويت) الأعداد:
  ١٠٢ (ربيع الآخر ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م).
  ٢٣٦ (٢٩/ ١/ ١٣٩٥هـ الموافق ١١/ ٢/ ١٩٧٥م).
  ٢٧٩ (٢١/ ١٢/ ١٣٩٥هـ الموافق ٢٣/ ١٢/ ١٩٧٥م).
  ٤٨٠ (٢٨/ ٦/ ١٤٠٢هـ الموافق ٣/ ٥/ ١٩٨٠م).
  ٥٢٤ (٩/ ٦/ ١٤٠١هـ الموافق ١٤/ ٤/ ١٩٨١م).
  ٥٥٣ (٢٦/ ٢/ ١٤٠٢هـ الموافق ٢٢/ ١٢/ ١٩٨١م).

١١٠٥ (١٩/ ١/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٨/ ٦/ ١٩٩٤م).
١١٠٦ (٢٦/ ١/ ١٤١٥هـ الموافق ٥/ ٧/ ١٩٩٤م).
١١٠٨ (١٠/ ١٢/ ١٤١٥هـ الموافق ١١/ ٧/ ١٩٩٤م).
١١١٣ (١٥/ ٣/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٣/ ٨/ ١٩٩٤م).
١١١٧ (١٤/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٩٤م).
١١١٨ (٢١/ ٤/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٧/ ٩/ ١٩٩٤م).
١١٢٠ (٦/ ٥/ ١٤١٥هـ الموافق ١١/ ١٠/ ١٩٩٤م).
١١٢٦ (١٩/ ٦/ ١٤١٥هـ الموافق ٢/ ١٢/ ١٩٩٤م).
١١٣٥ (٢٣/ ٨/ ١٤١٥هـ الموافق ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م).
١١٣٧ (٨/ ٩/ ١٤١٥هـ الموافق ٧/ ٢/ ١٩٩٥م).
١١٤٤ (٤/ ١١/ ١٤١٥هـ الموافق ٤/ ٤/ ١٩٩٥م).
١١٤٥ (١١/ ١١/ ١٤١٥هـ الموافق ١١/ ٤/ ١٩٩٥م).
١١٤٨ (٣/ ١٢/ ١٤١٥هـ الموافق ٢/ ٥/ ١٩٩٥م).
١١٥٣ (١٥/ ١/ ١٤١٦هـ الموافق ١٣/ ٦/ ١٩٩٥م).
١١٥٦ (٦/ ٢/ ١٤١٦هـ الموافق ٤/ ٧/ ١٩٩٥م).
١١٥٩ (٢٧/ ١٢/ ١٤١٦هـ الموافق ٢/ ٧/ ١٩٩٥م).
١١٦٠ (٤/ ٤/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٨/ ١٠/ ١٩٩٤م).
١١٦١ (١١/ ٣/ ١٤١٦هـ الموافق ٨/ ٨/ ١٩٩٥م).
١١٦٢ (١٨/ ٣/ ١٤١٦هـ الموافق ١٥/ ٨/ ١٩٩٥م).
١١٧١ (٢٢/ ٥/ ١٤١٦هـ الموافق ١٧/ ١٠/ ١٩٩٥م).
١١٧٢ (٢٩/ ٥/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٥م).
١١٧٧ (٦/ ٧/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٨/ ١١/ ١٩٩٥م).
١١٨٦ (١٠/ ٩/ ١٤١٦هـ الموافق ٣٠/ ١/ ١٩٩٦م).
١١٩٢ (٢٩/ ١١/ ١٤١٦هـ الموافق ١٩/ ٣/ ١٩٩٦م).
١٢١٦ (٣/ ٥/ ١٤١٧هـ الموافق ١٦/ ٩/ ١٩٩٦م).

- **المسلم المعاصر**، العددان ٧١ ـ ٧٢ (السنة الثامنة عشرة).
- **منبر الإسلام**: العدد ٤، السنة ٤٩ (ربيع الآخر ـ أكتوبر ١٩٩٠م).
- **المنهل**، العدد: ٥١٨، المجلد ٥٦، ربيع أول ١٤١٥هـ.
- **النور** الكويتية، العدد ٢٤ (ذو الحجة ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥م).
- **اليمامة** السعودية، العددان:

١٣٨٠ (١٥/ ٦/ ١٤١٦هـ الموافق ٨/ ١١/ ١٩٩٥م).

١٣٨٦ (١/ ٨/ ١٤١٦هـ الموافق ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٥م).

المقابلات:

- **مقابلة مع الدكتور إلياس خليل زين** - نصراني بروتستانتي لبناني - مقيم في الكويت، وذلك في يوم الخميس ٥/ ٤/ ١٤١٦هـ الموافق ٢١/ ٨/ ١٩٩٥م، الساعة الواحدة ظهراً.

خاتمة البحث

باللغة الإنجليزية[1]

(١) شكري الجزيل للأستاذ الدكتور/ علي زين، على مساعدته لي في الترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

West's Tolerance towards Moslem in the present time. A study of objective interpretation

The conclusion:

At the end of my journey in the way of science, knowledge, research and investigation, I would thank God for His great help to me; and I summarize the findings of my study in the following points:

1. Islam is a tolerant religion in all fields whether for the individual or for the Community. It is also a kind religion in its treatment inside the Islamic community and also in treating non-Moslems in case of peace or war. Islam calls for tolerance even with enemies, with those having opposite opinions and even in wars Moslems must be kind with thier enemies and captives.

2. Undoubtely, Islam is the religion of tolerance. It calls for kindness, justice, wisdom in all dealings and in keeping promises and agreements. We have many applied cases from the history of Prophet Mohammed (blessing and peace of God for him), his companions, the followers and all those who follow them until our present time, in the fields of free-religion, dealing, responsibility and penalties.

3. The foundations on which tolerance between West and Moslems is based at the present time, start from some religious and ethical principles. These principles form the practical (applied) basis for tolerance. However, the spirit of free-religion and thought the West shows, the religious spirit remains dominant and comes first even in the West it self.

4. The tolerance called by Western countries nowadays is false and misleading. It hides the ancient spirit of enmity in a new shape to achieve many objectives: religious, cultural, social, political and economical. So, we must uncover these deceiving calls and their real motives and reasons.

5. The most important result which can be obtained here is that the West has employed various fields to reach this call in the relationships between individuals, countries, groups and international organization, as follows:

A. At the level of individuals:

There is a wise and moderate thought in the minds of Western thinkers and writers like Dr.John Esposito and others. But the general thought has an ignorant view about the Islamic world. The Western means of communication participated in that idea and gave a dark image about Islam and Moslems.

B. At the level of countries:

Islam is just, because it encourages its followers not to view all Western countries as great enemies towards the Islamic countries, because there are some wise and moderate Western politicians who call for tolerance with Islam and Moslems. Those also call for exchanging relationships between the West and Moslems in the frame of respect and appreciation.

C. Judaism (including Zionism and Freemasonry):

Zionism does not see any tolerance with non-Jewish. Freemasonry also is based on the Jewish thought and in a Secret way. So, their calls for tolerance are false and misleading for all other Religions.

D. Christianity (Catholic, Orthodox and Protestant):

Their bibles call for love, forgiveness and tolerance but their leaders and churches do not apply these principles. Some examples are: the Bosnia & Harsac problem, the behavior of the Universal Churches Board which bless these examples. There are other churches' leaders who call for improving the relationships with the Islamic world in the light of tolerance and developing these relationships through conferences and meetings to achieve closeness among religions. Unfortunately Vatican and its representatives exploit these calls for misleading and misunderstanding, and this has led the Moslem to lose their worldly leadership.

E. International organizations:

These organizations are managed, dominated and controlled by the Western powers in the light of the absence of Moslems who have no power in these organizations and in the international relationships.

6. Internationally, the tolerance between Moslems and others must keep the independence of each party without trying to dominate or control one the other, but in the light of exchanged respectness and equal relationships and equivalent rights.

7. The civilized communication and cultural closeness through the calls of Western World have affected Moslems in many Fields, Religious, Cultural, Social, Political and Economical.

8. The pride of Islamic religion, correct understanding high ethical characters and wise understanding for current events, particulary at the present times, are essential requirements to face any opposite or false calls.

Finaly, We must make a serious and real effort to understand the West and write about it, because Moslems are still far from these important

matters, We must not forget that some Western people have open-minds and are ready to listen and read more and more about Moslems even for the purpose of criticizing them.

Our final call is: thanks for God Our Creator; the peace and blessings of God be upor our Prophet Mohammed, his progeny, his companions, and all his followers.

قائمة الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة